The Evangelical Studies (3) **دِرَاسات إنجيلية (٣)**

فلسفة المسيحية

** رسائل بولس

www.muhammadanism.org
April 19, 2006
Arabic

The Philosophy of Christianity

** The Letters of St. Paul

الأرشمِندريْت يُوسف درّة الحدّاد

Archimandrite Youssef Durrah al-Haddad

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

دِرَاسَاتٌ إنجيلية

مصادر الوَحي الإنجيلي

٣

فلسَفَة المسيحيَّة

الأستاذ يوسف درة الحداد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكتاب الأول

الجزء الثّاني

الرسائل

الكلامية. والصوفية. والراعوية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تقـــديم

بحث أول

نظرة شاملة في رسائل بولس

إن رسائل بولس، كما يظهر من واقعها، **تكميل لدعوته**. ومن هذا الواقع تتضح قيمتها الفريدة الموضوعية والأثرية والفكرية.

قيمتها الموضوعية أنها تحمل المبادئ الأولى التي قامت عليها الدعوة المسيحية في البيئة الهلنستية، والتي عاشت منها المسيحية. ففيها يوضح بولس مبادئ التعليم المسيحي، ويجيب بفتاويه على مسائل كنائسه أو يفصل في مشاكلها. فهي قطع من حياة الرسول والرسالة.

وقيمتها الأثرية أنها **الأثر الأول**، قبل تدوين الإنجيل، للدعوة المسيحية. فبولس أوّل من كتب في المسيح والمسيحية. وكان له من بيئته وشخصيته دافع لذلك: فقد تبع في ذلك عادة الدعوة بالرسالة التي كانت مألوفة في البيئة الإسرائيلية التي خرج منها، وفي البيئة الهلنستية التي عاش فيها ودعا فيها.

وقيمتها الفكرية ثمينة، لأن فيها **المحاولة الأولى الكلامية** للمسيحية في تفصيل الإنجيل، اقتضتها ظروف بيئة الدعوة وشخصية بولس الرسول.

نتدرج إلى تقييم رسائل بولس بنظرة شاملة إليها: تاريخية، وأسلوبية، وأثرية، وتنسيقية.

•

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أولاً: نظرة تاريخية

لا أثر لرسالة من بولس في رحلته الأولى عام ٤٦ ــ ٤٩. وفي مؤتمر الرسل وأعوانهم بأورشليم سنة ٤٩ تمّ الاعتراف الرسمي ببولس « رسول الأمميين ».

من الرحلة الثانية عام ٤٩ ــ ٥٢، لدينا الرسالتان إلى التسالونيكيين كتبهما سنة ٥١ ــ ٥٢ من كورنثس حيث أقام سنتين. وهما بمثابة تمهيد لنشاطه الأدبي في الدعوة؛ وباكورة التعليم المسيحي الذي دُوّن عشرين سنة لا غير بعد رفع المسيح.

وفي الرحلة الثالثة، عام ٥٣ ــ ٥٨، حيث أقام في أفسس، « نور آسيا » الرومانية ثلاث سنوات، وكان مدة سنتين معلّم المسيحية في مدرسة الأستاذ تيرنّس (أع ١٩: ٩ ــ ١٠)، كتب **رسائله الأربع الكبرى الكلامية**، من أفسس، إلى الغلاطيين شرقاً، وإلى الكورنثيين غرباً، ثم من كورنثس في شتاء ٥٧ ــ ٥٨ إلى الرومانيين في أقصى الغرب، وفيها موجز تعليمه، الذي يسميه « إنجيلي » لينتشر من عاصمة الدنيا على « المسكونة » كلها.

في تلك الرسائل الأربع، التي لا يشك أحد في صحتها وفي نسبتها إلى بولس، **الشهادة الكبرى التاريخية** لحقيقة المسيحية وتاريخيتها، وذلك بعد خمس وعشرين سنة من دعوة المسيح، وهي فترة قصيرة في تطور الدعوات الدينية لا تكفي لنضج الدعوة المسيحية وعبقريتها كما نراها في رسائل بولس، لو لم تكن مبادئ تلك الدعوة من المسيح نفسه، كما ينادي بها رسله الحواريون الذين أخذوها عنه، بحسب تصريح بولس نفسه: « فسواءٌ كنت أنا أم أولئكم، فهكذا ندعو، وهكذا آمنتم » (١ كو ١٥: ١١).

وتلك الرسائل الأربع الكبرى إلى الغلاطيين والكورنثيين والرومانيين، في ثلاثة عوالم ثقافية مختلفة في البيئة الهلنستية الرومانية، يعلم بها الرسل صحابة المسيح ويؤيدونها بتفويض الرسالة المسيحية بين الأمميين إلى بولس (غلا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢: ٧ ــ ٩)، إنما هي برهان قاطع على **وحدة الدعوة بين بولس والصحابة**. فهي إذن شهادة شخصية وجماعية معاً للدعوة الرسولية، ولمطابقتها لدعوة المسيح في الإنجيل، مع ما فيها من أسلوب كلامي يستخدم فيه طرق التفكير والتعبير كما في البيئتين الإسرائيلية والهلنستية.

ثم كان الأسر الأول لبولس، في أسبوع العنصرة سنة ٥٨. فقضى عامين موقوفاً في قيصرية فلسطين، بسجن الوالي (٥٨ ــ ٦٠). ثم كانت رحلته البحرية الخطرة إلى رومة موقوفاً (شتاء ٦٠ ــ ٦١). فمكث عامين برومة في أسر « حرّ ». فكان هذا الأسر الأول فترة تأمل في سر المسيح والمسيحية سما فيها بولس إلى اكتناه « السر »، « سر المسيح » و« سر الإنجيل » كما يقول. فسجّل خبرته الصوفية المسيحية في الرسائل إلى الفيليبيين الكولوسيين والأفسسيين، مع مكتوب على الهامش إلى فيلمون، عام ٦١ ــ ٦٣. لذلك تصح تسميتها: الرسائل الصوفية.

وسقطت الشكوى على بولس وأُفرج عنه في ربيع ٦٣. فكانت **رحلة بولس الأخيرة** أولاً إلى أسبانيا ــ ولم تترك أثراً ــ ثم إلى الشرق، ماراً بكريت، يتفقد كنائسه، ويعزيها بالإفراج عنه والحضور بينهم. لكن بسبب الاضطهاد الروماني للمسيحية في مهدها، كانت تلك الرحلة الأخيرة متقطعة مضطربة، لا يكاد بولس يستريح في مكان. وفي شتاء ٦٥ ــ ٦٦ كان في نيكوبولس. وفي هذه الرحلة كتب الرسالة الأولى إلى تيموتاوس. والرسالة إلى تيطس، يفصّل لهما مبادئ تنظيم الكنيسة ورعايتها.

أخيراً كان الأسر الثاني لبولس، في رومة، عام ٦٦ ــ ٦٧، الذي قاده إلى الاستشهاد، ولما شعر بأن ساعته قد أتت كتب وصيته الأخيرة، في الرسالة الثانية إلى تيموتاوس، قبل استشهاده في حزيران ٦٧.

وتلك الرسائل الثلاث إلى نائبيه وخليفتيه، في تنظيم الكنيسة ورعايتها، تُسمّى بحق الرسائل الراعوية.

تلك هي النظرة التاريخية في نشأة رسائل بولس.

•

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثانياً: نظرة أسلوبية

لقد فصلنا أساليب بولس. هنا ننظر في **ظواهر وميزات** أسلوبه في ترسّله. وقد درسناها مطوّلاً في الإنجيل بحسب متى، بلغته اليونانية القريبة من طريقة بولس.

وتلك الظواهر والميزات فطرة وصنعة عند بولس تبدو منذ الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين، بأساليبها اللفظية والبيانية والخطابية.

١ ـ تظهر **الربط اللفظية** في تبويب الرسالة، فيأتي **العنوان** لكل باب في مطلعه، كقوله: « كيف تمّ اختياركم » (١ تس ١: ٤)، « إن **قدومنا** إليكم » (٢: ١). ثم يفصّل الموضوع.

ومن عادته **التصريع** في الأقسام، والأجزاء في القسم، بتعبير « **أيها الأخوة** » فكلما برز التعبير كان بحسب عادته دليلاً على موضوع آخر.

ومن أساليبه اللفظية **التصدير والاختتام** بلفظة واحدة في المقطع، وفي الباب، وفي الفصل، حيث يردّد اللفظة عينها كقوله: « أيها الأخوة إنا نعلم... وأنتم تعلمون، أيها الأخوة » (١: ٤ مع ٢: ١)؛ أو كقوله: « وبعد أيها الأخوة، فيما أنكم تسلمتم منا كيف ينبغي أن تسلكوا... فتسلكوا هذا مسلكاً لائقاً » (٤: ١ و١٢).

٢ ـ ومن أساليبه الإنشائية الترتيب والتبويب: **ترتيب الرسالة** إلى أقسام يدل عليها عنوانها البارز في كلمة، **وتبويب القسم إلى أجزاء**. فهو ينظم رسالته ثلاثة أقسام في ثلاثة مواضيع متآلفة؛ وفي كل قسم يميّز بدقة بين الأجزاء والأبواب.

كما من أساليبه البيانية في الإنشاء **حسن التخلص** إلى الموضوع العام، ومن قسم إلى قسم؛ **وحسن الختام** في الأقسام وفي نهاية الرسالة.

فينتج عن ذلك **حسن التنسيق** في الإنشاء والبيان. فترى الرسالة الأصلية عنده وحدة فنية موضوعية منطقية. وبهذا الأسلوب نعرف إذا كانت الرسالة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القانونية وحدة فنية أم مجموعة رسائل في واحدة كما يظهر في رسالتيه إلى الكورنثيين.

٣ ــ ومن أساليبه الخطابية وحدة الموضوع فيستوفيه من جميع وجوهه. لذلك يسهل كشف **الاستطراد** في الرسالة. ويتميّز أسلوبه الخطابي **بالحوار** diatribe الذي أشاعه الرواقيون.

وأسلوبه في البرهنة الخطابية يندفع ما بين **الإيجاز والأطناب** ــ وهما « شقّا البلاغة » ــ إيجاز في التبيين، يوجز البرهان في آية أو آيتين؛ وإطناب في البيان في مواطن التأثير النفساني.

فملاحظة تلك الفنون في أسلوب بولس تساعد على تلاوة صحيحة لها وعلى تقييمها. فقد يظهر لغير العارفين كأن بولس يكتب بلا فنّ ــ وعبقرية بولس تسخر من الفن المتكلّف ــ لكن الرُبُط اللفظية عنده، والقرائن المعنوية، والدلائل البيانية، تدل على أن بولس سيّد فنّ الرسالة.

●

ثالثاً: نظرة أثرية في صحة رسائل بولس

سنبحث في صحتها بالتفصيل عند درس كل رسالة. هنا نلقي نظرة أثرية في **صحتها جملةً**.

الصحة على نوعين: صحة الحرف، وصحة التراث. وهذا ما يفوت الكثيرين من أهل النقد. **فصحة الحرف** ثابتة في رسائل بولس الكلامية؛ وهناك بعض من شك في الرسائل الصوفية لا يقوم على برهان. أما صحة الحرف فموضوع شك في الرسائل الراعوية؛ وفات أهل الشك فيها **صحة التراث**، فهي مكاتيب خاصة لنوابه لم تُنشر في حينها على الجمهور، لكنها جُمعت من بعد بولس بلغة جامعيها الهلينية، لتحفظ تراث بولس وهديه في تنظيم الكنيسة ورعايتها؛ فصحة التراث فيها تقوم إلى جانب صحة الحرف في سواها.

لا نذكر الرسالة إلى العبرانيين، بسبب وضعها الخاص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يشهد لصحة رسائل بولس أولاً تواترها بالإجماع وبالإسناد المتصل، في جميع المخطوطات، كما في جميع الترجمات.

يؤيد ذلك ثانياً تلاوتها في جميع الكنائس منذ العهد الرسولي.

وهناك ثالثاً برهان كتابي من الرسالة الثانية لبطرس. وسواءٌ كانت هذه الرسالة من بطرس أو منحولة باسمه، فإنها دون شك من العهد الرسولي. وهي تعتبر رسائل بولس **مجموعة واحدة، وتعتبرها من الكتب المقدسة** التي يتلوها المسيحيون: « على نحو ما كتب إليكم أيضاً أخونا الحبيب بولس، بالحكمة التي أوتيها. وذلك ما يفعل في جميع الرسائل التي يتطرّق فيها إلى هذه الأمور. إن فيها أشياء صعبة الفهم يحوّلها عن معانيها أناس لا علم عندهم، ولا رسوخ، **كما يفعلون بسائر الكتب المقدسة**، لهلاك أنفسهم » (٢ بطر ٣: ١٥ ـ ١٦).

وهذا برهان رابع على صحتها: اعتبار المسيحيين لها منذ العهد الرسولي أنها من « الكتب المقدسة » التي لا تقوم صحتها إلاّ بصحة رسوليتها. بهذا القسطاس كانوا يميّزون بين الكتب المقدسة والكتب المنحولة. وبسبب اعتبار رسائل بولس من « الكتب المقدسة » مثل الأناجيل الصحيحة، فقد جمعوها مع الأناجيل في كتاب العهد الجديد.

وبرهان خامس يفوت الكثيرين أن جمْع رسائل بولس في كتاب مقدس واحد يُتلى في الكنائس مع الإنجيل، قد تمّ على أيام يوحنا الرسول ومدرسته في أفسس، محور دعوة بولس ورسالته، وذلك في أواخر القرن الأول. فلو لم تكن من بولس، ولها قيمة « الكتب المقدسة »، لما سمح الرسول يوحنا وأساقفته بتلاوتها، وردّوا عليها كما يردّ الإنجيل بحسب يوحنا، من طرف خفي، على جميع البدع المعارضة لصحة المسيحية.

فشهادة مدرسة بطرس الرسول المعلنة، تؤيدها الشهادة الضمنية لدى مدرسة يوحنا الرسول، هذا هو **الإسناد الصحيح المتواتر بالإجماع** لصحة رسائل بولس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فتلك القرائن والدلائل والبراهين القائمة مجتمعةً هي شهادة قيّمة لا ترد على صحة رسائل بولس كما وصلت إلينا بالإجماع المتواتر.

●

رابعاً: نظرة تنسيقية

نقدر أن ننسّق رسائل بولس، بحسب تاريخ صدورها كما بحسب تطوّرها في التعليم والأسلوب، إلى ثلاث مجموعات، مع تمهيد لها وملحق بها.

التمهيد في الرسالتين إلى التسالونيكيين. وهما أقرب إلى « البلاغ » الرسولي، منهما إلى « التعليم » المسيحي في غيرهما.

فصل أول: الرسائل الكلامية الأربع، إلى الغلاطيين وإلى الكورنثيين وإلى الرومانيين. فيها عرْض للمسيحية بلغة كلامية. فهي أساس الكلام المسيحي. لذلك نسميها: **إنجيل بولس الكلامي**.

فصل ثان: الرسائل الصوفية الثلاث، إلى الفيليبيين وإلى الكولوسيين، وإلى الأفسسيين. تغلب عليها سمات اللغة الصوفية والنزعة الصوفية. فهي أساس الصوفية المسيحية. لذلك نسميها: **إنجيل بولس الصوفي**.

فصل ثالث: الرسائل الراعوية الثلاثة إلى تيموتاوس وإلى تيطس. إنها تقتصر على تنظيم الكنائس، وإقامة أساقفة وكهنة يرعونها، وعلى التحذير من البدعة، مع التأكيد على التمسّك بالتراث المسيحي، في السُنّة الرسولية. فهي راعوية تُنظم سلطة الكنيسة وسنّتها ودعوتها. لذلك نسميها: **إنجيل بولس الراعوي**.

والملحق هو المكتوب إلى فيلمون.

لا نذكر بين رسائل بولس **الرسالة إلى العبرانيين**، لأنها ليست من بولس، إنما ربما كُتبت بإيعاز منه، فنسبت إليه. وربما نحلوها إلى بولس، لأنها من تلميذه أبولّس، كتبها إلى « العبرانيين » أي النصارى من بني

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إسرائيل الذين انحرفوا إلى البدعة والردّة، فطالتها الشبهة. ولأجل استعادتها إلى المسيحية واستيطانها فيها نحلوها إلى بولس.

فرسائل بولس هي **الرسائل المسيحية**، لتفصيل الإنجيل في **البيئة الهلنستية**. ندرسها في هذا الكتاب الأول ــ الجزء الثاني ــ من فلسفة المسيحية.

۞ ۞ ۞

بحث ثان

« النصرانية » والمسيحية في رسائل بولس

ما بين رحلة بولس الرسولية الأولى، ورحلته الثانية، وقفت الدعوة الإنجيلية على مفترق الطرق، تتبصّر طريق المستقبل وتقرّر مصيرها. وقد تمّ ذلك في مؤتمر الرسل بأورشليم سنة ٤٩.

١ ــ لقد قامت قيامة النصارى من بني إسرائيل، بزعامة الفريسيين المتنصّرين، على بولس وبرنابا، لدعوتهما إلى تحرير المسيحية من الموسوية. بدأ الصراع لدى عودة الرسولين من رحلتهما الأولى بين الأمميين في « المشرق »، الأناضول. فتقرّر الاحتكام إلى مجلس الرسل والكهنة الأساقفة في أورشليم. فكان المؤتمر. ونعرف أن نظرية بولس خرجت منتصرة بفضل تأييد زعيم الرسل، بطرس، وزعيم أهل البيت، يعقوب « أخي الرب »، وأسقف أورشليم، أم الكنائس.

فحرّر المؤتمر المسيحيين من الأمميين من الشريعة والختان؛ لكنه ترك النصارى من بني إسرائيل أحراراً في إقامة التوراة والإنجيل معاً، الختان والعماد معاً، السبت والأحد معاً.

فكان مؤتمر الرسل سبباً غير مباشر لانقسام أهل الإنجيل إلى « **نصرانية** » بني إسرائيل، وإلى **مسيحية** المهتدين من الأمميين. وتكتّل النصارى حول يعقوب؛ وانتسب المسيحيون إلى بولس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لكن غلاة النصارى من بني إسرائيل لم يغفروا أبداً لبولس دعوته لتحرير المسيحية من الموسوية. فنشب الصراع للحال بين « النصرانية » والمسيحية.

وكانت عقيدة « النصارى » مبنية على ثلاثة أركان:

١) إقامة التوراة والإنجيل معاً؛

٢) اعتبار يسوع المسيح « كلمة الله وروحاً منه » تعالى؛ ففسروا « كلمة الله » بأنه « ملاك كلمة الله » أي ملاكاً حلّ في يسوع الناصري، وذلك تحت تأثير الكلام الفيلوني؛ بخلاف النظرية المسيحية التي تؤمن بأن « كلمة الله » من ذات الله، فهو نطقه الذاتي، كما ستتبلور النظرية، بفضل تهييآت بولس، في فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا.

٣) اعتبار حلول كلمة الله في يسوع ظاهريّاً، لا تجسّداً أو تأنّساً؛ وقد فارق المسيح قبل الآلام يسوع الناصري، بدليل قوله على الصليب « إلهي، إلهي، لماذا تركتني »! ولمّا رجع المسيح إلى يسوع في القبر قام من الموت وارتفع حيّاً إلى السماء. وهذا مصدر **عقيدة الظاهرية**[١] في « النصرانية »؛ ومصدر **عقيدة** « **الشبه** » في موت المسيح، فقد « شبّه لهم » أنهم قتلوا المسيح، وهم لم يقتلوا إلاّ يسوع الناصري، لأن المسيح الكلمة حي خالد لا يموت، بل فارق يسوع قبل آلامه وموته، وعاد إليه في قيامته.

٢ ــ تلك هي العقائد الثلاث التي قسمت الدعوة الإنجيلية إلى « النصرانية » والمسيحية، حول يعقوب وبولس.

فاعتبر غلاة النصارى من بني إسرائيل بولس « **مرتدّاً** » وكفّروه؛ ولاحقوه إلى مراكز دعوته في أنطاكية وغلاطية وفيليبي وكورنثس ورومة. وهذا الصراع « النصراني » المسيحي هو الذي نجده في كل رسائل بولس الذي يعتبر أولئك النصارى «**الأخوة الكاذبين**».

نجد عند أئمة المفسرين لبولس حيرة في استيضاح هوية أخصامه. فيظن كثيرون أن جداله مع أهل الشريعة هو مع اليهودية، وأن صراعه مع أهل الحكمة هو مع الهلنستية؛ وأن دفاعه ضدّ أهل الغنوص هو مع الغنوصية المشركة.

---

(١) تسمى باللغات الأجنبية Docétisme ؛ وهي عقيدة « نصرانية » تسربت مراراً إلى المسيحية التي كفرتها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونحن نرى أن صراع بولس في رسائله كلها كان مع « النصرانية » الإسرائيلية المتسترة حيناً بيعقوب كما في أنطاكية وغلاطية، وحيناً بكيفا، بطرس الرسول، كما في كورنثس ورومة.

وما جعل المفسرين في حيرة من أمرهم هو غياب تاريخ « النصرانية » وتطور عقيدتهم عن بالهم. ونحن الذين درسنا ذلك في « عهد الفترة » ما بين الإنجيل والإسلام، يمكننا أن نرجع أخصام بولس في رسائله إلى النصارى من بني إسرائيل وحدهم[1] في تطور عقيدتهم.

٣ ــ إن صراع بولس في رسائله كلها كان مع « النصرانية »، لإقامة المسيحية.

١) ففي **الرسائل الكلامية** إلى الغلاطيين وإلى الكورنثيين وإلى الرومانيين يتصدى بولس « **للنصرانية** » **المحافظة** التي تريد إقامة التوراة والختان مع الإنجيل والعماد. فكان شعار بولس ضدّهم إن « الخلاص والتبرير بالإيمان بالمسيح والإنجيل، لا بأعمال الشريعة »، فقد نسخ المسيح الشريعة بصليبه. يقول للغلاطيين: « الإنسان لا يبرّر بأعمال الشريعة، بل بالإيمان بيسوع المسيح... إذ ما من إنسان يبرّر بأعمال الشريعة » (غلا ٢: ١٦). ويقول للفيليبيين في حملة عنيفة[2] على « أهل الشر » و« أهل البتر » أي الختان: « في كل شيء لا أرى سوى أقذار حتى أربح المسيح وأجدني فيه، لا على برّي الذي من الشريعة، بل على البر الذي بالإيمان بالمسيح؛ البرّ الذي من الله، القائم على الإيمان » (فيل ٣: ٨ ــ ٩). ويقول للكورنثيين، في دفاع عنيف ضدّ النصارى من بني إسرائيل الذين طعنوا في سيرته وفي دعوته وفي رسوليته، متسترين خلف بطرس، ومعتمدين على أسلوب الحكمة في تقديم إنجيلهم: « لو جاءكم أحد يدعو بيسوع آخر لم ندع به، أو نلتم روحاً آخر غير الذي نلتموه، أو إنجيلاً آخر غير الذي قبلتموه، لاحتملتموه بطيب الخاطر، ولكني أحسب أني لم أنقص في شيء عن أولئك الرسل الصناديد!...

---

(١) من ذلك أن حزب أبولس في كورنثس كان حدثاً عارضاً.

(٢) نرى في الفصل الثالث من الرسالة إلى الفيليبيين مكتوباً لهم من بولس في أفسس، جمع فيما بعد إلى رسالته إليهم من رومة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أولئك الناس رسل كاذبون، عاملون مكارون، متنكرون بهيئة رسل المسيح! » (٢ كو ١١: ٤ ـ ٦ مع ١٣)؛ « فامتحنوا أنفسكم: هل أنتم على الإيمان؟ » (٢ كو ١٣: ٥). ويقول للرومانيين في الردّ على « النصارى » الذين يتوسلون الحكمة لإقامة الشريعة مع الإنجيل: « إني لا أستحي بالإنجيل لأنه قوة الله لخلاص كل مؤمن، لليهودي أولاً ثم للهلّيني، لأن برّ الله يتجلّى فيه من إيمان إلى إيمان »، أي من إيمان العهد القديم إلى إيمان العهد الجديد (رو ١: ١٦ ـ ١٧)؛ « فالآن قد اعتلن برّ الله بمعزل عن الشريعة، مشهوداً له من الشريعة والنبيين: برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح لجميع المؤمنين » (رو ٣: ٢١ ـ ٢٢). ويتوسل إلى المسيحيين الرومانيين اللطف في معاملة النصارى من بني إسرائيل، الضعفاء في الإيمان، الذين يقولون بالحلال والحرام في الأطعمة (١٤: ١ ـ ٤): « فعلينا نحن الأقوياء أن نحتمل أوهان الضعفاء، ولا نرضي أنفسنا » (١٥: ١). لكن هناك فئة منهم، غلاة النصارى من بني إسرائيل، يبشرون « بنصرانيتهم » المسيحيين الرومانيين فيبلبلونهم؛ هؤلاء مقاطعتهم واجبة: « أيها الأخوة أناشدكم أن تحذروا الذين يثيرون الشقاق بينكم، ويعيثون فساداً، بخروجهم على التعليم الذي تسلمتموه: فابتعدوا عنهم، فإن أمثال أولئك لا يعملون للمسيح ربنا، بل لبطونهم! ويضلون القلوب السليمة بمعسول كلامهم وتملقهم » (رو ١٦: ١٧ ـ ١٨). فأخصام بولس في رسائله الكلامية هم وحدهم « النصارى » المحافظون الذين توسلوا حيناً الحكمة الهلنستية لإقامة الشريعة مع الإنجيل في تهويد المسيحيين.

٢) ثم أسر بولس مدة خمس سنوات (ربيع ٥٨ ـ ربيع ٦٣) فخلا الجوّ لأخصامه « النصارى » ليعيثوا فساداً في كنائسه المسيحية في ولاية « آسيا » الرومانية، وفي مقدونية. وبما أن الغنوص، الملفقة من الحكمة الهلنستية والعبادات السرية الشرقية، قد أخذت تنتشر بين الهلنستيين واليهود في « المشرق »، الأناضول، خصوصاً في ولاية « آسيا »، حول عاصمتها أفسس، « نور آسيا » كما سموها، توسّل « النصارى » تلك الغنوص الهلنستية واليهودية ـ كما أبرزتها مخطوطات قمران ـ فأقاموا لهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

غنوصاً « نصرانية » بلبلوا بواسطتها كنائس بولس. فردّ عليهم **برسائله الصوفية الثلاث** إلى أهل كولوسي وأهل فيلبي وأهل أفسس.

يظن كثيرون أن بولس في تلك الرسائل الصوفية، يتصدّى للغنوص الهلنستية واليهودية. وفاتهم أن « النصرانية » تقمّصتهما في غنوصها. فبولس في رسائله الصوفية **يردّ على الغنوص « النصرانية »**، التي ستأخذ اسم « الكيرنثية » على أيام يوحنا الرسول، لتطرّفها في الهلنستية. يردّ بولس بأن « الغنوص السامية » هي في المسيحية، وأن تعابير « السر » و« الملء » و« الرأس » و« الجسد » تتحقق كلها في المسيحية، في وحدة الوجود الحقيقية.

وما الأناشيد الصوفية التي يطلقها بولس في الرسائل الثلاث (فيل ٢: ٦ ـ ١١؛ كول ١: ١٥ ـ ٢٠؛ أفس ١: ٣ ـ ١٤) إلاّ جواباً تنشده الكنائس المسيحية بوجه « النصرانية » الغنوصية لإعلان « سر المسيح » ملء الله وملء الكون وملء الإنسان. فليس المسيح أدنى من الملائكة، الذين يسمونهم بتعبير هلنستي « أركان الكون »: إنه « رأس » الملائكة (كول ٢: ١٠) و« رأس الجسد، الكنيسة » (كول ١: ١٨) « رأس الكنيسة جسده وملئه » (أفس ١: ٢٣)، فقد شاء الله أن « يوحّد الكون في المسيح رأساً له » (أفس ١: ١٠).

ونعرف أن بولس يرد على النصارى من بني إسرائيل بقوله في الفيليبية: لقد ازدادت الدعوة للمسيح بسبب مثل بولس في القيود؛ « ولا جرم أن فئة منهم يدعون للمسيح عن حسد وخصام... إنهم يدعون للمسيح عن كيد، وبنية غير صالحة، يظنون أنهم بذلك يزيدون قيودي ثِقلاً » (١: ١٥ ـ ١٧). وبقوله في الكولوسية: « إياكم أن يخلبكم أحد بالفلسفة، بذلك الغرور الباطل القائم على سُنّة الناس، وأركان العالم؛ فذلك ليس بحسب المسيح... فاسلكوا إذن في المسيح، الرب يسوع، كما تعلمتموه » (كول ٢: ٨ و٦) ـ إن « النصارى » يجمعون السُنّة اليهودية إلى النظرية الغنوصية في « أركان الكون »، ويضيفون التحريم في الطعام (كول ٢: ١٦) إلى الزهد المفرط (٢: ٢١) بتأثير الغنوص؛ ويقولون « بعبادة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا بعبادة المسيح الذي هو « الرأس » (كول ٢: ١٨ ــ ١٩). وبقوله في الأفسسية، مشيراً إلى « عبادة الملائكة »: « لتدركوا... أيّ قوة فائقة أظهرها لأجلنا نحن المؤمنين، فكشف عن عزته القديرة في المسيح، إذ أقامه من بين الأموات، وأجلسه إلى يمينه في السماوات العلى، فوق كل رئاسة وسلطنة، وقوة وسيادة، وفوق كل اسم يسمّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في الآتي أيضاً؛ وجعل الكل تحت قدميه » (١: ١٨ ــ ٢٢).

فبولس في الرسائل الصوفية الثلاث يرد على « النصرانية » الغنوصية في عقائدها الثلاث، خصوصاً في تفضيل الملائكة على المسيح. وهذه هي « النصرانية » عينها في ثوبها الغنوصي.

٣) لكن تزداد حيرة المفسرين في نبش هوية الأخصام في **الرسائل الراعوية الثلاث** إلى تيموتاوس وتيطس. ونحن نستبينهم من أوصافهم: أنهم « من أهل الختان » (تيطس ١: ١٠)، يدعون أنهم « معلمو الشريعة » (١ تيم ١: ٧)؛ إنما هم « معلمو خرافات يهودية، ووصايا الناس، ينحرفون عن الحقيقة » (تيطس ١: ١٤)، يخوضون في « مباحثات خرقاء وأنساب، في خصومات ومماحكات على الشريعة » (تيطس ٣: ٩). فمنهم ناس « يظهرون التقوى (المسيحية)، ولكنهم ينكرون قوتها؛ فاعرض عن أولئك الناس » (٢ تيم ٣: ١ ــ ٥)؛ « ومنهم من يتسللون إلى البيوت، ويفتنون نسيّات مثقلات بالخطيئة، منقادات لشهوات شتى، يتعلمن دائماً ولا يستطعن معرفة الحق أبداً. وكما أن ينّيس ويمبريس قاوما موسى، فكذلك هؤلاء، يقاومون الحق... حمقهم سينكشف لجميع الناس كما انكشف حمق ذينك الرجلين » (٢ تيم ٣: ٦ ــ ٩).

إنهم يأتون « بتعليم آخر » غير تعليم بولس (١ تيم ١: ٣) مستمد من كونهم « معلمي الناموس، وهم لا يفقهون ما يقولون ولا ما يقرّرون » (١ تيم ١: ٧)؛ « علّم هذا وعظ به، فإن علّم أحد تعليماً آخر، ولم يتمسك بالأقوال الصحيحة، أقوال ربنا يسوع المسيح، وبالتعليم بحسب التقوى، فهو رجل أعمته الكبرياء وجاهل به مرض المجادلات والمماحكات » (١ تيم ٦: ٣ ــ ٤). هنا يتضح الخلاف بين التعليم الصحيح « بحسب التقوى »،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والتعليم المنحرف، في تفسير « أقوال ربنا يسوع المسيح ». إنه الخلاف الأكبر بين النصرانية والمسيحية في تفسير الإنجيل. النصرانية تفسّر الإنجيل على ضوء التوراة والسُنّة؛ والمسيحية تفسّر الكتاب نفسه على ضوء « إنجيل مجد الله السعيد، الذي أؤتمنت أنا عليه » (١ تيم ١: ١١)، في « كنيسة الله الحي، عمود الحقيقة وركنها » (١ تيم ٣: ١٥). النصرانية تعتبر الملائكة وسطاء بين الله والناس، والمسيحية تعلّم « أن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، المسيح يسوع من حيث هو بشر بذل نفسه فداءً عن الجميع. تلك هي الشهادة المؤداة في وقتها، والتي أقمت أنا لها داعياً ورسولاً ــ الحق أقول ولا أكذب ــ ومعلماً للأميين في الإيمان والحقيقة » (١ تيم ٢: ٥ ــ ٧). النصرانية تقيم التوراة الإنجيل، الختان والعماد، السبت والأحد؛ والمسيحية لا تقيم إلاّ الإنجيل والعماد والأحد. وبولس أقام تيموتاوس أسقفاً على أفسس (١ تيم ١: ٣) وتيطس أسقفاً على كريت (١: ٥ و١٠) لمكافحة المعلمين النصارى، « أهل الختان » (تيطس ١: ١٠) الذين « يعلمون الشريعة » (١ تيم ١: ٧) على غير حقيقتها، « لأن غاية الشريعة المسيح » (رو ١٠: ٤).

أخيراً يسمّي بولس هذه « النصرانية » التي تختمر اليوم بتطعيم القمرانية لها، « فانهم يمنعون عن الزواج، وعن أطعمة خلقها الله لكي يتناولها بشكر المؤمنون والعارفون بالحق » (١ تيم ٤: ٣)، والتي ستتصف بعد الحرب السبعينية، عند « تنصّر » من بقي على قيد الحياة من رهبان قمران، **بالأبيونية**، المتطرفة في التهويد والغنوص الزهدية: « يا تيموتاوس احفظ الوديعة (وديعة الإيمان)؛ اعرض عن السُنن الدنيوية الفارغة، وعن نقائض الغنوص الكاذبة التي انتحلها قوم فزاغوا عن الإيمان » (١ تيم ٦: ٢٠ ــ ٢١).

هذه هي « النصرانية » التي تكافحها الرسائل الراعوية.

وبولس يصمها بصفتين تقيّمانها تجاه المسيحية الخالدة: إنها « **البدعة** » (تيطس ١: ١٠) و« **الردة** » عن الإيمان الصحيح (١ تيم ٤: ١). وهذا ما ستفصله بعبقرية فذة الرسالة « إلى العبرانيين » النصارى، التي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سيكتبها لهم بوحي من بولس تلميذه العظيم، أبولّس، الأستاذ في علم الكلام وعلم الكتاب من مدرسة فيلون (تيطس ٣: ٦ أع ١٨: ٢٤).

فالصراع الكبير القائم في رسائل بولس كلها، في عهودها الثلاثة، **هو الصراع بين « النصرانية » وبين المسيحية**، في ثلاثة أساليب، منذ مؤتمر الرسل حتى الحرب السبعينية. وبعدها سيكون هناك كنيستان، الكنيسة المسيحية الخالدة، والكنيسة « النصرانية » التي تقوقعت على نفسها في « عهد الفترة » حتى الإسلام الذي ساهمت في نشئته وذابت فيه.

القول الفصل إن العهد الجديد كله، الذي كتب بعد رسائل بولس الكبرى، قد دوّن تحت راية الصراع بين « النصرانية » والمسيحية. فمنذ بولس نرى مواقف وصراعاً. المواقف هي موقف الإنجيل من الشريعة والختان، وموقف الإنجيل من الحكمة الهلنستية، وموقف الإنجيل من الغنوص. أمّا الصراع الحقيقي القائم كامناً أو ظاهراً، فهو بين « النصرانية » وبين المسيحية بزعامة بولس. وهذا الصراع يمتدّ إلى ما بعد العهد الرسولي باسم المسيحية و« الظاهرية » Docétisme التي هي محور العقيدة « النصرانية » في المسيح، في تجسّده وفي موته. وهذا الصراع دام حتى الإسلام وتبلور في كلمة « شبّه لهم ». وسنرى في تراث يوحنا الرسول أن الصراع بين « النصرانية » والمسيحية ــ وعلى الهامش بين المسيحية والمعمدانية المندائية ــ قد بلغ ذورته: « كل روح يشهد بأن يسوع المسيح أتى في الجسد فهو من الله » (١ يوحنا ٤: ٢). هذه هي العقيدة المسيحية ردّاً على « التشبيه » النصراني. فالعهد الجديد كله، منذ بولس شهادة للمسيحية ضدّ التفسير « النصراني » للإنجيل والمسيح، ذاك التفسير الذي ينكر إلهية المسيح، ويقول « بالتشبيه » في تجسده وموته. فالصراع الحقيقي كله ــ لا المواقف الأخرى المسجلة ــ قائم عند بولس وسائر أسفار العهد الجديد بين المسيحية و« النصرانية ».

وعلى عقيدة بولس « المسيحية » قامت المسيحية التاريخية كلها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تمهيد

لنشاط بولس الأدبي

الرسالتان إلى التسالونيكيين

مقدمة عامة: تسالونيكية وكنيستها

نعتبر الرسالتين إلى التسالونيكيين تمهيداً لتعليم بولس، لأنهما باكورة نشاطه الأدبي، وهما أقرب إلى « البلاغ » الرسولي، كما نعرفه من سفر الأعمال، منه إلى « التعليم » المسيحي في « حكمة » الإنجيل.

١ ــ مدينة تسالونيكية

مدينة في مقاطعة مقدونية، على شط خليج، وعلى الطريق الدولية « الأغناطية »، أسسها عام ٣٥١ ق. م. الملك المقدوني كسّندر، وأعطاها اسم « تسالونيكية » زوجته وأخت الإسكندر الكبير.

وازدهرت على أيام الرومان بعد احتلالها سنة ١٦٨، لمّا مرت بها الطريق الدولية. فصارت مدينة تجارة وأعمال، وملتقى شعوب مختلفة على أبواب اليونان وأوربّا. وجعلوها عاصمة مقدونية سنة ١٤٦. فكان لها مجلس أعيان، ومجلس الشعب (أع ١٧: ٥)، وحكومة خاصة تسوسها (أع ١٧: ٦ و٨). ثم جعلها القيصر أغسطوس « مدينة حرة » بعد معركة فيلبي سنة ٤٢.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واستوطنتها **جالية يهودية** نشيطة، فابتنت لها جامعاً (أع ١٧: ١) واكتسبت إلى التوحيد الكتابي « جمهوراً من اليونانيين المتقين » (أع ١٧: ٤) ـ وتعبير « المتقين » صفة المهتدين من الأمميين إلى التوحيد الكتابي.

٢ ـ كنيسة تسالونيكية

دخلت المسيحية إلى تسالونيكية في مطلع رحلة بولس الثانية، نحو السنة الخمسين: وسفر الأعمال (١٧: ١ ـ ١٠) يذكر تأسيسها برسالة بولس فيها. فقد دعا أولاً في جامع اليهود « مدة ثلاثة سبوت »، « شارحاً ومبيّناً أنه كان ينبغي للمسيح أن يتألم وأن يقوم من بين الأموات؛ وأن المسيح هو يسوع الذي أبشركم به ». فالدعوة بين اليهود تقوم على ركنين: الأول إن المسيح الموعود كان عليه أن يتألم ـ وهذا ردّ على شبهة اليهود الكبرى أن المسيح حي خالد لا يموت ـ والثاني أن يسوع المصلوب الذي قام من الموت هو المسيح الموعود: فليس صلب يسوع بحجة على مسيحيته. « فاقتنع بعضهم وانضموا إلى بولس وسيلا، مع جمهور كثير من اليونانيين المتقين، وعدد غير قليل من السيدات الشريفات » (أع ١٧: ٤). فلم ينجح بولس لدى بني قومه، لكنه أفلح لدى الأمميين « المتقين ». وهذا واقع متواتر في رسالته.

قضى بولس ثلاثة أشهر في ضيافة ياسون، شيخ الجامع المهتدي (أع ١٧: ٧). ثم تآمر عليه اليهود، وأثاروا عليه الشعب والحكام، فاضطر إلى الفرار بنفسه (أع ١٧: ٨ ـ ١٠). وترك على مقربة منهم في بيرية معاونيه تيموتاوس وسيلا (أع ١٧: ٩ ـ ١٤)، ثم لحقه تيموتاوس إلى أثينا. ذلك الوقت القصير المضطرب لم يكف لتثقيف المهتدين في الدين. وحام حولهم الخطر، بعد رحيل بولس، من فتنة اليهود لهم عن دينهم.

ولحقت أخبار الفتنة بولس إلى أثينا (أع ١٧: ١٤). فأرسل إليهم تلميذه ومعاونه تيموتاوس يستطلع أخبارهم (١ تس ٣: ١). ورجع تيموتاوس إلى بولس، فلحقه في كورنثس، ينقل إليه الأخبار الطيبة عن ثباتهم في الإيمان (١ تس ٣: ٦ ـ ١٠) على الرغم من اضطهاد اليهود لهم لفتنتهم (١ تس ٢: ١٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لكن أخبار الفتنة أقلقت بولس فكتب إليهم **الرسالة الأولى** إلى التسالونيكيين وأرسلها مع تيموتاوس في بعثة ثانية (١ تس ٣: ٢). ورجع إليه بعد فترة يحمل منهم رسالة. فلم تهدأ الفتنة في العقيدة فكتب لهم **الرسالة الثانية**.

ولا شك أن بولس مرّ ثانية في تسالونيكية أثناء رحلته الثالثة (أع ٢٠: ١).

٣ ـ مناسبة الرسالتيْن

كانت مناسبة الرسالة الأولى فتنة اليهود وبعثة تيموتاوس. وانصبت حملة اليهود على شخص بولس وعلى رسالته بينهم، وعلى دعوته برجعة المسيح، « يوم الرب ».

ومناسبة الرسالة الثانية إيضاح زمن رجعة المسيح، وأشراط « يوم الرب ».

فموضوع الرسالتيْن هو « يوم الرب »، رجعة المسيح وموعدها. وهو « تعليم » أقرب إلى « البلاغ » الرسولي منه إلى « حكمة » الإنجيل. لذلك سمينا الرسالتين « التمهيد لنشاط بولس الأدبي ».

۞ ۞ ۞

بحث أول

الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين

توطئة: قيمتها البالغة

قيمتها فريدة لأنها **التسجيل الأول** في التاريخ للدعوة المسيحية. فهي أول مكتوب لها وصل إلينا، بعد مكتوب كنيسة أورشليم لأهل أنطاكية وما إليها (أع ١٥: ١٣ ــ ٢٩). هذا في التشريع، والرسالة في العقيدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وقيمتهـا عظيمة لأنهـا كُتبت **عشرين سنة** لا غيـر بعد رفع المسيح. وهي تسـميه « **الرب يسوع** » فتدل على العقيدة المسيحية منذ مطلع الدعوة، ولم يكن ثمة من وقت لتفعـل الأسطورة فعلها في تأليه المسيح. وأنّى لها ذلك في بيئة التوحيد الخـالص، خصوصـاً عنـد بولس الرابي اليهـودي الفريسي قبـلاً. كان تأليه مخلوق كفراً محضـاً عند بولس. فشـهادته « للرب يسوع » برهان العقيدة الأصلية في الدعوة المسيحية.

ودعـوة بولس إنما هي تفصيل « البلاغ » الرسولي: الخلاص بالإيمـان « بـالرب يسوع » أنه المسيح المصلوب الذي ارتفع حيّاً إلى السماء، وسيرجع في « يوم الرب ». لقـد صار « يوم الله » « يوم الرب يسوع ».

وقيمتها أيضاً في التعريف بطريقة بولس في دعوة الأمميين (١: ٩).

●

باب أول. تمهيد للرسالة التسالونيكية الأولى

١ ــ ظروف مناسبتها

١) زمانها ومكانها: كتبها من كورنثس نحو العام ٥١ ــ ٥٢.

٢) سببها: الفتنة التي أثارها اليهود في تسالونيكية على بولس وتعليمه؛ والضجة التي قامت على عقيدة رجعة المسيح، « يوم الرب ».

٣) موضوعها: « يوم الرب » والفتنة الخارجية والضجة الداخلية حوله.

٢ ــ صحة الرسالة

لا شبهة عليها، فهي مقبولة لدى الجميع، مع ما أثارته عليها من شبهة مدرسة توبنجن الألمانية. لكنها مرت كزوبعة في فنجان لم تترك أثراً.

١) فصحتها ثابتة من **السنة المسيحية** بالإسناد القائم على الإجمـاع والتـواتر. فقـد حفظها أهلها وجمعها تلاميذ بولس إلى كتاب رسائله، الذي اعتبره تلاميذ بطرس من « الكتب المقدسة » (٢ بطر ٣: ١٥ ــ ١٦)، وكفلتها مدرسة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوحنا الرسول بقبولها في أواخر القرن الأول. وفي القرن الثاني نراها في التداول بين علماء المسيحية وكتبتها، كما يشهد بذلك رسائل اغناطيوس الأنطاكي عام ١٠٧ الذي يقتبس منها، وكتاب « الراعي » لهرمس، ورسائل بوليكربس، اللذان بها يستشهدان.

ومنذ أواسط القرن الثاني قد سجلها في مجموعة « الكتب المقدسة » القانون الروماني، المسمى « قانون موراتوري »، و« قانون مرقيون » الهرطوقي. فأهل العقيدة وأهل البدعة متفقون على صحتها.

وفي القرن الثالث يشهد أيضاً بصحتها العلماء مثل اكليمنضوس الإسكندري في الشرق، وايريناوس المشرقي في الغرب. فالشهادة عامة جامعة.

٢) **والآثار تؤيد السُنّة.** فكل المخطوطات القديمة من كبيرة وصغيرة تنقلها. وكذلك كل الترجمات. مع التلاوة لها المتواترة في جميع الكنائس.

٣) **والنقد العلمي يؤيد صحتها:** ففي الرسالة لغة بولس، وأسلوبه وتعليمه، وتركيزه على صحة الوحي إليه، وعلى سلطانه الرسولي.

فصحة الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين قائمة ثابتة، لا شبهة عليها.

۞ ۞ ۞

باب ثانٍ: تحليل الرسالة

العنوان (١: ١): « إلى كنيسة التسالونيكيين، التي في الله الآب، وفي الرب يسوع المسيح » ـــ في هذا العنوان إعلان العقيدة المسيحية وبيان ميزتها: أبوة الله وربوبية يسوع المسيح، وذلك **في أول خط مسطور ومأثور في تاريخ المسيحية.**

المطلع (١: ٢ ـــ ٣): بالشكر على هدايتهم، والثناء على ثباتهم، يخلص بولس إلى موضوع الرسالة: « انتظار ابن الله من السماوات » (١: ١٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قسم أول: ذكرى دعوة بولس في تسالونيكية (١: ٤ ــ ٢: ١٦)

١ ــ ذكرى هدايتهم (١: ٤ ــ ١٠)

١) أسلوب الدعوة (١: ٥): بالكلمة والمعجزة؛ بالروح القدس؛ وكمال اليقين. تلك أساليب الدعوة المسيحية الأربعة.

٢) طريقتها في عرضها وقبولها (١: ٦ ــ ٨): كان عرضها بجسارة ورقة، بأمانة ورصانة؛ وكان قبولها بفرح الروح القدس، وسط مضائق كثيرة.

٣) موضوعها (١: ٩ ــ ١٠): « رجعتم عن الأوثان، لتعبدوا الله الحي الحقيقي، وتنتظروا من السماء ابنه الذي أقامه من بين الأموات، يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي ». فالدعوة لدى الأمميين تقوم على تلك المواضيع الأربعة.

٢ ــ ذكرى رسالة بولس بينهم ــ مع الرد الجميل على شبهات اليهود (٢: ١ ــ ١٣).

١) كانت ناجحة بفضل جهادهم في سبيل الإيمان (٢: ١ ــ ٢).

٢) حقيقتها تجاه الغايات المزعومة (٢: ٣ ــ ٨).

٣) سلوك بولس في رسالته (٢: ٩ ــ ١٢).

والنتيجة المحتومة: قبولهم الدعوة لأنها كلام الله (٢: ١٣).

٣ ــ ذكرى مؤامرة اليهود، « أعداء البشرية » على الدعوة (٢: ١٤ ــ ١٦).

١) اضطهاد اليهود للدعوة (٢: ١٤).

٢) يقابله استعداد المسيحيين للجهاد والاستشهاد (٢: ١٥).

٣) على مثال المسيحيين الذين سبقوهم في فلسطين (٢: ١٦).

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قسم ثان: بعثة تيموتاوس إليهم (٢: ١٧ ــ ٣: ١٣)

١ ــ مناسبتها: تعذّر بولس من الحضور إليهم بذاته (٢: ١٧ ــ ٣: ٥).

٢ ــ نتيجتها: اطمئنان بولس عليهم، وتعزيته لثباتهم (٣: ٦ ــ ٩).

٣ ــ عاقبتها: الصلاة لأجل رؤيتهم وتكميل إيمانهم (٣: ١٠ ــ ١٣).

قسم ثالث: تكميل تعليمهم في إيمانهم (٤: ١ ــ ٥: ٢٢)

١ ــ السلوك بحسب الوصايا التي تسلموها (٤: ١ ــ ١٢).

١) الذكر الدائم لوصايا الرب (٤: ١ ــ ٢).

٢) الحياة في القداسة والمحبة الأخوية (٤: ٣ ــ ٩).

٣) السلوك[١] اللائق تجاه غير المؤمنين (٤: ١٢).

٢ ــ إيضاح التعليم في « يوم الرب » (٤: ١٣ ــ ٥: ١١)

١) أمر الراقدين: يقومون أولاً عند رجعة الرب (٤: ١٣ ــ ١٨).

٢) زمن رجعة الرب مجهول ومفاجئ: فلنسهر[٢] (٥: ١ ــ ١١).

٣ ــ الحياة الاجتماعية المسيحية (٥: ١٢ ــ ٢٢)

١) احترام رجال الدين والدعوة، ومحبتهم، وطاعتهم (٥: ١٢ ــ ١٣).

٢) **نشيد** في أعمال الرحمة مع المؤمنين والكافرين (٥: ١٤ ــ ٢٢).

ختام الرسالة: دعاء وتحية وبركة (٥: ٢٣ ــ ٢٨).

۞ ۞ ۞

---

(١) لاحظ أسلوب التصدير: افتتاح المقطع واختتامه بتعبير « السلوك » (٤: ١ و١٢) وهذا يجعله وحدة فنية.

(٢) أسلوب آخر، تكرار « اللازمة » بعد المقطعين؛ هنا « التعزية المتبادلة » (٤: ١٨؛ ٥: ١١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثالث: تعليم الرسالة التسالونيكية الأولى

في الرسالة الأولى إلى التسانيكيين تعليم في ١) الدعوة المسيحية الأولى بين الأمميين ٢) رجعة المسيح أو « يوم الرب » ٣) السلوك المسيحي. وذلك في معرض الردّ الضمني على شبهات اليهود وصعوبات العقلانية اليونانية.

●

أولاً: الدعوة المسيحية بين الأمميين

إن الدعوة المسيحية لدى الأمميين تقوم على التوحيد الكتابي أولاً أي الإيمان بالله واليوم الآخر؛ ثم على صيغة التوحيد المسيحية، الإيمان بالله **الآب و« الرب يسوع** » ملك يوم الدين. وقد أوجز بولس **مواضيع الدعوة الأربعة** بقوله: « رجعتم عن الأوثان ـ لتعبدوا الله الحي، الحقيقي ـ وتنتظروا من السماوات ابنه الذي أقامه من بين الأموات، يسوع ـ الذي ينقذنا من الغضب الآتي » (١: ٩ ـ ١٠).

وعبقرية المسيحية في التوحيد الكتابي تظهر **منذ أول خط مسطور لها** في التاريخ، بالدعوة منذ عنوان الرسالة إلى أبوّة الله وربوبية المسيح يسوع: « إلى كنيسة التسالونيكيين التي في الله الآب، وفي الرب يسوع، المسيح » (١: ١٠). إنّ جوهر الإنجيل أن الله هو الآب، أب بالطبيعة « لابنه » المسيح (١: ١٠)، وأب بالتبني للمسيحيين المؤمنين بالله الآب وابنه المسيح. وبولس يرى برهان بنوة المسيح وربوبيته في قيامته من بين الأموات مع رفعه حيّاً إلى السماء حيث هو الحي مع « الله الحي الحقيقي »، وفي رجعته في اليوم الآخر ملك يوم الدين (١: ١٠). فمنذ مطلع الرسالة تظهر ميزة المسيحية في توحيدها: « الأوثان » جامدة هالكة؛ الله وحده هو الإله « الحقيقي » لأنه « الحي »، والكشف الإنجيلي لسره أنه « الآب » (١: ١ و١٠)؛ ومنذ المطلع توجز الرسالة العقيدة الإنجيلية في المسيح، بأربعة من أسمائه الحسنى: أنه « الرب يسوع » (١: ١) الذي هو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح (١: ١)، ابن الله (١: ١٠)، ملك يوم الدين « الذي ينقذنا من الغضب الآتي » (١: ١٠). وهذه العقيدة المسيحية دُوّنت في أول صفحة تاريخية بعد عشرين سنة من رفع المسيح، حيث لا مجال من زمن أو من بيئة بولس الرسول « الفريسي ابن الفريسي » لتأليه أو تربيب: إنها جوهر الوحي الإنجيلي.

وإعجازه الدعوة المسيحية الأولى في أساليبها، كما في موضوعها. بولس يردّ **أساليب الدعوة إلى أربعة:** « إن دعوتنا بالإنجيل لم تكن لكم بالكلمة فقط بل بالمعجزة أيضاً ــ وبالروح القدس ــ وبكمال اليقين... في وسط مضايق كثيرة، بفرح الروح القدس » (١: ٥ و٦). الأسلوب الأول هو الكلمة أي الدعوة ذاتها، لا يدعهما إكراه، بل تعيقها « مضايق كثيرة ». فسلطان الدعوة هو الكلمة المعجزة. الأسلوب الثاني هو المعجزة، البرهان الأكبر على صحة النبوة وكلام الله. الأسلوب الثالث هو القوة الخارقة التي ترافق الدعوة، قوة الروح القدس الذي يعمل في الرسول والرسالة والسامعين؛ وقد خليت مظاهر تلك القوة عقلانية اليونان؛ لذلك يقول الرسول لهم: « لا تطفئوا الروح! ولا تزدروا النبوات! » (٥: ١٩ و٢٠). الأسلوب الرابع هو « كمال اليقين »، يدل عليه الثبات « وسط مضايق كثيرة، مع الفرح الذي من الروح القدس » (١: ٦). لا نعرف في التاريخ دعوة دينية قامت على مثل هذه الأساليب المعجزة. فبراهين الدعوة المسيحية منذ مطلعها ذاتية وخارجية، إلهية وبشرية، تدل كلها مجتمعة على إلهيتها.

●

ثانياً: « يوم الرب » أو اليوم الأخِر

إنّ الإيمان باليوم الآخر كان **العقيدة الثانية في الدعوة المسيحية** منذ نشأتها. وهذا الإيمان باليوم الآخر يقوم على ثلاث عقائد: القيامة ثم الدينونة ثم الحياة الأخرى في الجنة أو في النار. ويمتاز الإيمان المسيحي أن « الرب يسوع » هو ملك الدين، بالنيابة عن الله أبيه « لأنه ابن البشر ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١ ــ **الإيمان بالقيامة** هو العقيدة التي بها تتحدى الدعوة المسيحية العقلانية اليونانيّة. لمّا أتى بولس على ذكرها في نادي الحكمة في أثينا تهكموا به وأخرجوه! وفي الرسالة الأولى يركّز عليها. ويعطي برهاناً لها قيامة المسيح نفسها: « أيها الأخوة، لا نريد أن تجهلوا مصير الراقدين، لئلا تحزنوا كغيركم ممن لا رجاءَ لهم ــ (هذا تعريض ببني قومهم الوثنيين) ــ فلئن كنا نؤمن أن يسوع قد مات ثم قام، كذلك إن الراقدين في يسوع سيُحضرهم الله معه » (٤: ١٣ ــ ١٤).

ثم يصف **مشهد القيامة:** « إن الرب نفسه (يسوع) عند إصدار الأمر، وعند صوت رئيس الملائكة، وهتاف بوق الله، سينزل من السماء، فينهض الراقدون في المسيح أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين نختطف معهم جميعاً في السحب لنلاقي الرب في الفضاء » (٤: ١٦ ــ ١٧). سرّ يوم الدين محفوظ لله تعالى نفسه، وهو الذي يعلن أمره به. والتبليغ للمخلوقات يكون بواسطة رئيس الملائكة الذي « يهتف به ببوق الله ». فيستجيب البشر أجمعون، حينئذ يقوم المائتون أولاً؛ والأحياء الذين تباغتهم « الساعة » يخطفون أحياءً لملاقاة الرب يسوع النازل إليهم من السماء... أحياء « الساعة » الأخيرة يتحولون كالبرق إلى حال القيامة. هل « يوخذ من هذا الكلام أن الأحياء عند مجيء الرب لا يموتون »؟ بلى إنهم يتحولون بموت وبعث كالبرق، كما يظهر من قول بولس: « إنكم تعلمون أن يوم الرب يُوافي كلص في الليل: ففي حين يقول الناس « سلام وأمن »، حينئذٍ يدهمهم الدمار بغتة، كما يدهم المخاض المراة الحبلى، ولن يفلتوا » (٥: ٢ ــ ٣). وهذا ما يجزم به بولس أيضاً: « دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعهم قد خطئوا... بزلة واحدة كان القضاء على جميع الناس » (رو ٥: ١٢ و١٨).

٢ ــ **الدينونة** تكون بحشر الخلق كلهم، أمام منبر المسيح، « في الفضاء ». والحساب يكون على الإيمان وأعماله، وعلى الكفر وأعماله (٢ تس ٢: ١٢) فالأشرار « يدهمهم الدمار بغتة، ولن يفلتوا » (١ تس)، فالهلاك الأبدي دمار لهم. أمّا الأخيار فينقذهم يسوع من السخط الآتي (١: ١٠)، « وهكذا نكون مع الرب على الدوام » (٤: ١٧).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ـ **فالحياة الأخرى** التي يُكنى عنها بالجنة والنار يصورها بولس بأنها حياة مع المسيح خالدة على الدوام عند الله (٤: ١٧)، أو هلاك كالدمار، في غضب الله (١: ١٠؛ ٥: ٣) بعيداً عن رؤية الله والمسيح. فالجنة هي الحياة الخالدة في « ملكوت الله ومجده » (٢: ١٢)؛ مع الله والمسيح وملائكته.

٤ ـ وميزة العقيدة المسيحية في اليوم الآخر إن المسيح نفسه هو ملك يوم الدين، لذلك يسميه « **يوم الرب** »، لأنه يوم رجعة المسيح، الذي « سيدين الأموات والأحياء » كما نردّد في قانون الإيمان.

فرجعة المسيح لليوم الآخر عقيدة يقوم عليها الإنجيل كله. وكانت ميزة الدعوة المسيحية منذ نشأتها. يحياها المسيحيون الأولون مثل بولس كأنها قريبة، « على الأبواب ». وما الزمن كله في نظر الخلود؟ إنه حلم أحلام الوجود! فكان المسيحيون « ينتظرون من السماء ابن الله » (١: ١٠) ومتى أتت الساعة « ينزل الرب يسوع نفسه من السماء » (٤: ١٦). هذه هي عقيدة « رجعة ربنا يسوع المسيح » (٥: ٢٣).

ورجعة المسيح يسميها بولس « يوم الرب » لأنه يوم اعتلان إلهيته من خلال بشريته المجيدة، وظهوره الحقيقي ملك يوم الدين.

تعبير « يوم الرب »، « يوم يهوه »، يُطلق في العهد القديم على الله نفسه، بقضائه في اليوم الحاضر، أو في اليوم الآخر.

وفي العهد الجديد، منذ رسالته الأولى، صار « يوم الرب » « يوم الرب يسوع ». وفي هذا التحويل الثنائي برهان ثنائي، في تورية بارعة، لإلهية المسيح. لقد ترجمت السبعينية « يوم يهوه » بـ« يوم الرب » فاستخدم العهد الجديد الترجمة السبعينية وأطلقها على المسيح: إن « الرب » كناية عن يسوع المسيح، فهو الرب الإله؛ و« يوم الرب » أي يوم الدين هو يوم بدين المسيح الخلق، فهو ملك يوم الدين. ففي التعبير « يوم الرب » شهادة ثنائية، بتورية بارعة بالغة، لإلهية يسوع المسيح وربوبيته. وهذا هو « البلاغ » الرسولي غداة الصعود والعنصرة، وليس « تعليم » بولس وحده (١ كو ١٥: ١١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٥ ــ **وخلاص الله للبشر** هو بالمسيح للمؤمنين به، « إن كنا نؤمن أن يسوع قد مات ثم قام » (٤: ١٤)؛ « ولذلك نحن أيضاً لا ننفك نحمد الله لأنكم، لمّا أخذتم عنا كلام الله بالسماع، قبلتموه، لا كأنه كلام بشر، بل كأنه ــ كما هو في الحقيقة ــ كلام الله، الذي يعمل فيكم أنتم المؤمنين » (٢: ١٣). والمسيح يخلص المؤمنين به في الدنيا، وخصوصاً في يوم الدين، حيث « ينقذنا من الغضب الآتي » (١: ١٠). فالخلاص هو بالإيمان بالمسيح المصلوب، « الرب يسوع »: « فإن الله لم يجعلنا للغضب، بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح » (٥: ٩).

٦ ــ **فثار اليهود على هذه الدعوة** التي تجعل « يوم الرب » يوم الناصري المصلوب. وأثاروا الشبهات على إيمان المسيحيين في الدعوة ذاتها، فضلاً عن رسولها بولس، فنسبوا رسالته إلى غايات مريبة دنيئة.

والشبهة الأولى التي أطلقوها إن الموتى المسيحيين لن يحضروا رجعة المسيح، فهم قد خسروا في إيمانهم. فيرد بولس عليهم « **بكلام الرب:** إنّا نحن الأحياء، الباقين إلى رجعة الرب لن نسبق الأموات الراقدين... فيقوم الراقدون في المسيح أولاً » (٤: ١٥ ــ ١٦). فتصريح بولس ليس منه بل هو « كلام الرب » أتاه بوحي خاص له. وهذا شاهد على روح النبوة والوحي عند بولس. لا بل يعتبر تعليمه كله إليهم « **كلام الله، كما هو في الحقيقة** » (٢: ١٣). وسيصرّح بولس: « وها أني أكشف لكم سراً: لن نرقد كلنا، ولكن سنتحول كلنا » (١ كو ١٥: ٥١).

وقد اعتمد بعض المسيحيين القدامى والذين على مذهبهم إلى اليوم، على قول بولس « ثم نحن الأحياء الباقين نختطف معهم جميعاً في السحب لنلاقي الرب في الفضاء، وهكذا نكون مع الرب على الدوام » (١ تس ٤: ١٧) إنه تصريح بأن لا ملاقاة للرب، ولا إقامة معه للموتى أجمعين قبل يوم الدين. إذن لا تذهب الأرواح الصديقة إلى السماء قبل يوم الجزاء. إن كان ذلك ظاهر هذا النص، فليس هو تعليم بولس الذي يصرّح بلقاء المسيح في السماء، بالنفس لا بالجسد قبل يوم الجزاء (فيل ١: ٢٠ ــ ٢٤؛ ٢ كو ٥: ٦ ــ ٨) وفاتهم أن بولس في (١ تس ٤: ١٧) يتكلم عن لقاء المسيح بالنفس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والجسد معاً يوم رجعته ليوم الدين. فاستنتاجهم قاصر خاطئ. لقد تعلقوا بظاهر النص وفاتهم باطنه.

والشبهة اليهودية الثانية كانت تهكمهم بالمسيحيين، في زمن رجعة يسوع. فيجيب بولس على تهكم اليهود وتشكيك العقلانية اليونانية عند المسيحيين أن « يوم الرب » غيب محجوب يدهم الخلق بغتةً: « إن يوم الرب يوافي كلص في الليل: فلا نَنمْ كالآخرين، بل لنسهرْ ونصْحُ » (٥: ٣ و٦).

وقد استنتج بعضهم من قول بولس: « ثم نحن الأحياء الباقين نختطف معهم جميعاً في السحب لنلاقي الرب في الفضاء » (٤: ١٧)، « فلا ننمْ كالآخرين (أي الوثنيين) بل لنسهرْ ونصْح » (٥: ٦) أن بولس كان يعتقد أنه **سيشهد على حياته رجعة المسيح**: فقد غلط في عقيدته، وكذّبه الواقع! وفاتهم أن التعبير فن بياني، هو « اللف والنشر ». لقد جمع نفسه مع الأحياء المنتظرين رجعة المسيح، ولكن حين يرجع، ورجعته غيب محجوب: « إن يوم الرب يوافي كلص في الليل » (٥: ٢). فلفّ نفسه مع الأحياء بالإيمان برجعة المسيح، لينشر الحدث الذي ينتظر أحياء الساعة، « لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح الذي مات لأجلنا لكي نحيا جميعاً معه، ساهرين كنّا أم نائمين » (٥: ٩ ــ ١٠). فهذا التصريح يقطع بمعنى القولين السابقين (٤: ١٧؛ ٥: ٦): إن بولس لا يعلّم أنه سيكون من أحياء الساعة، ساعة رجعة المسيح؛ بل من الأحياء مع المسيح، « ساهرين كنا أم نائمين ». وعندما « ينزل من السماء » (٤: ١٦) سيرجع « ربنا يسوع، مع جميع قديسيه » (٣: ١٣)، فهم كانوا معه في السماء، قبل يوم الجزاء.

●

ثالثاً: تعليم بولس و« السُنن » الرسولية

منذ رسالته الأولى يعلن لنا بولس مصادر تعليمه: « إنكم لتعرفون أيّ **سُنن سلّمناكم** من قِبَل الرب يسوع » (٤: ٢). وهذه « السنن » تعتمد على « كلام الله (الذي) قبلتموه، لا كأنه كلام بشر، بل كأنه ــ كما هو في الحقيقة ــ كلام الله » (٢: ١٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فتعليم بولس. قبل التفسير بكلام « الحكمة ». يعتمد على « كلام الله » في الإنجيل، وعلى « السُنَن » الرسولية. **فالكتاب والسُنّة**، « من قِبَل الرب يسوع » (٤: ٢) هما دعوة بولس. وحين يفصّل إنجيل المسيح والسنة الرسولية، بلغة « الحكمة »، أو بلغة « السرّ » ــ وذلك بكشف الروح القدس له (١ كو ٢: ١٠؛ أفس ٣: ٥) ــ فلا يحرف الإنجيل والسنة، بل يُظهر بكشف إلهي (١ تس ٤: ١٥) حكمة الإنجيل وسر المسيح.

وفي الرسالة الثانية سيعود إلى التركيز على « السُنَن » الرسولية: « أيها الأخوة، أثبتوا إذن، وتمسّكوا بالسنن التي تعلمتموها منّا، إمّا بكلامنا. وإما برسائلنا » (٢: ١٥). ويذهب إلى نبذ كل من لا يسلك بحسب السُنة الرسولية: « أيها الأخوة، نوصيكم باسم الرب يسوع المسيح، أن تجتنبوا كل واحد من الأخوة يسلك في الكسل، ولا يتقيد بالسّنة التي تسلمتموها منا » (٣: ٦).

وسنرى أن الرسل، صحابة المسيح، قد أجمعوا على « **صيغة التعليم** » الذي سيتقيد بها كل رسول منهم في الدعوة. فبولس يبلغها أولاً في كنائسه ثم يعتمد عليها في تفصيل الإنجيل برسائله. ويعلن عن تبلّغ الرومانيين الذين بشّرهم غيره « صيغة التعليم » (٦: ١٧). إذن « صيغة التعليم » المسيحي واحدة عند الاثني عشر وعند بولس وعند سائر المرسلين. ونرى منذ الرسالة الأولى أن « صيغة التعليم » هي « كلام الله » في الإنجيل، و« السنة » الرسولية. (١ تس ٣: ٦) أو « السنن » الرسولية (٤: ٢) التي يسلمها بولس « باسم الرب يسوع المسيح ». فالتبليغ الرسمي يقتضي سلطاناً من المسيح. **فالسُنّة والسلطة توأمان متلازمان لصحة الدعوة المسيحية**، كما تشهد الرسالة الأولى في تاريخ المسيحية. و« صيغة التعليم » بحسب « قاعدة الإيمان » (رو ١٢: ٦) الرسولية سوف تُعرف باسم « قانون الرسل ».

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رابعاً: السلوك المسيحي

الإيمان بالله والعمل الصالح بحسب هذا الإيمان، تلك هي دعوة بولس، منذ الرسالة الأولى. فهو يذكرهم، لصحة إيمانهم، « بالسلوك المسيحي لرضى الله » (٤: ١). ويحرّضهم على التمسك « بالسنن التي سلمهم إياها باسم الرب يسوع المسيح » (٤: ٢). فالسلوك المسيحي له أيضاً سننته.

والشرعة الأولى في السلوك المسيحي هي **قداسة السيرة:** « وليثبّت قلوبكم بغير لوم في القداسة، لدى إلهنا وأبينا » (٣: ١٣). وقداسة السيرة تقوم أولاً بالامتناع عن نجاسة الجسد بالزنى: « فإن مشيئة الله أن تقدّسوا أنفسكم بأن تمتنعوا عن الزنى » (٤: ٣). وما أجمل الوصية: « فيعرف كل واحد منكم أن يحفظ إناءَه (جسده) في القداسة والكرامة » (٤: ٤). فهذا من صلب الدعوة المسيحية؛ « فإن الله لم يدعنا إلى النجاسة بل إلى القداسة » (٤: ٧).

والشرعة الثانية في السلوك المسيحي هي **المحبة الأخوية** ـ وفي النص تأتي دائماً قبل ذكر القداسة الذاتية ـ المحبة الأخوية بين المسيحيين ومع العالمين: « وليجعلكم الرب تنمون وتفيضون في المحبة بعضكم لبعض، وللجميع ـ كما نحن نحبكم » (٣: ١٢). ويظهر أن الروح علمهم إياها بنفسه في اجتماعاتهم الدينية: « أما المحبة الأخوية فلا حاجة بكم أن يُكتب فيها إليكم، لأنكم أنتم بأنفسكم قد تعلمتم من الله أن يحبّ بعضكم بعضاً. وذلك ما تفعلونه مع جميع الأخوة الذين في مقدونية كلها! وإنما نحرّضكم أيها الأخوة أن تمضوا فيها على ازدياد » (٤: ٩ ـ ١٠).

والشرعة الثالثة في السلوك المسيحي في الحياة الاجتماعية المثالية، هي السكينة، بلا مشاغبة، **والشغل والعمل:** « نحرضكم أن تحرصوا على أن تكونوا في سكينة، وتعملوا ما يعنيكم؛ وتشتغلوا بأيديكم، كما أوصيناكم » (٤: ١١)، وذلك « حتى لا تكون بكم حاجة إلى أحد » (٤: ١٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والشرعة الرابعة في الحياة الاجتماعية هي **احترام رجال الدين** ومحبتهم ومسالمتهم، لأنهم رؤساء دينهم (٥: ١٢ ـ ١٣).

والشرعة الخامسة في السلوك المسيحي هي **المثل الصالح لغير المسيحيين:** « فاسلكوا مسلكاً لائقاً في نظر الذين هم في الخارج » أي الخوارج عن دينكم (٤: ١٢).

ويختم الرسالة **بنشيد السلوك المسيحي** (٥: ١٤ ـ ٢٢)، « أيها الأخوة نسألكم أن:

« أنّبوا المفسدين وشجعوا الخائفين
اسندوا الضعفاء وتأنوا مع الناس أجمعين

احترسوا أن يجازي أحدكم على شر بشر الآخرين
بل اطلبوا الخير على الدوام بعضكم لبعض وللناس أجمعين

كونوا فرحين كل حين وعلى الصلاة دائماً مواظبين
وعلى كل حال كونوا لله شاكرين فتلك مشيئة الله في المسيح يسوع عليكم

لا تخمدوا الروح! لا تزدروا النبوءات
بل امتحنوا كل شيء وتمسّكوا بالصالحات!
احترسوا من كل شبه شر »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثان

الرسالة الثانية إلى التسالونيكيين

توطئة: رسائل بولس إلى التسالونيكيّين تعدّدت

إن المشكلة الأولى من مشاكل بولس الرسولية كانت من تسالونيكية. وعقيدة « يوم الرب » عاشتها المسيحية الأولى مع بولس نفسه حيّة كأنها ضمير إيمانهم، وفتنة اليهود لأهل تسالونيكية انتقلت إلى كل كنائس بولس. وفي هذين الواقعتين نسمع بولس يقول: « تمسكوا بالسنن التي تعلمتموها منّا **إمّا بكلامنا، وإما برسائلنا** » (٢ تس ٢: ١٥). فهل كتب بولس عدة رسائل إلى أهل تسالونيكية، كما يشير النص؟ وكما يتطلب الواقع؟

ليس لدينا سوى رسالتيْن إلى التسالونيكيين. فهل كتب بولس لهم رسائل ضاعت علينا؟ أمن المعقول أن تضيع كنيسة رسالة تعليمية من المعلم المحبوب؟ ولِمَ بقيت هذه وضاعت تلك؟

إن الوحدة الفنية البيانية في الرسالتيْن غير متماسكة. وهذا دليل على أن كل واحدة منهما مجموعة مكاتيب في مواضيع متعددة، تجمعها أزمة الفتنة اليهودية، وأزمة العقيدة في « يوم الرب ». وبما أن تلك الوحدة مسألة ثانوية في الرسالتيْن، نسجّل الشبهة عليها، ولا نبحث فيها. وفي هذا التجميع الجواب على تعدّد رسائل بولس إلى التسالونيكيين، جُمعت في الرسالتين القانونيتين. وفي التعدد المذكور (٢ تس ٢: ١٥) جواب أيضاً على مَن ينكر صحة الرسالة الثانية إلى التسالونيكيين.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول: تمهيد للرسالة التسالونيكية الثانية

هذا التمهيد يقتصر على صحة الرسالة ومناسبتها الزمانية والمكانية والموضوعية.

١ ــ صحة الرسالة

إن صحة الرسالة الثانية إلى التسالونيكيين قائمة: إنها منقولة بالتواتر والاجماع في جميع المخطوطات، وفي جميع الترجمات. ويؤيد ذلك تلاوتها بالتواتر في جميع الكنائس؛ واستشهاد الآباء بها، منذ بوليكربس تلميذ يوحنا الرسول، إلى اليوم.

وواقع الرسالة يؤيد برهان السُنّة. الأسلوب أسلوب بولس لا شك فيه؛ وتعابير الرسالة متواترة في غيرها من الرسائل الكبرى التي لا يشك أحد في صحتها. والإنشاء دليل الشخصية والصحة.

والنقد العلمي يؤيّد هذا الواقع. فقد عدّ العارفون تسعين لفظاً من مابة في الرسالتين الأولى والثانية متطابقاً فيما بينهما وبين الرسائل الكبرى الصحيحة. وما الفارق في لغتها إلاّ بين (٢ تس ٢: ١ ــ ١٢) وبين الأولى، وهو ناجم عن الموضوع الوحيد الجديد في الثانية. والفارق في اللهجة بين الثانية والأولى قائم على اختلاف الحال: ففي الأولى كادت الفتنة تعصف بصحة رسولية بولس، ونراها في الثانية موطّدة محبوبة.

الشبهة الوحيدة على صحة الرسالة قائمة على **اقتباسات الثانية** من الأولى: فتصميم الرسالتين واحد، ولغتها واحدة، كما يظهر من مطالع وخواتم الرسالتين، خصوصاً من التوافق التام في التعبير الواحد بين (١ تس ٣: ١١ ــ ١٣) وبين (٢ تس ٢: ١٦)؛ وليس من جديد في الثانية إلاّ مقطع فريد (٢ تس ٢: ١ ــ ١٢). **وتلك المطابقة الحرفية ليست من عادة بولس.** أجل إن الشبهة وجيهة؛ ولكنها ليست بقاطعة للشك في انتحالها. فوحدة الأزمة من جهة؛ ووحدة الحالة النفسية عند بولس، وهو منهمك في مشاكل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أثينا وكورنتس حيث يدعو للمرة الأولى، ويظهر أنه لم يفكر بعد بالارتفاع في تفصيل الإنجيل إلى بيان « حكمته » من جهة أخرى ــ جعلته يكرّر في الرسالتين تعابير دعوته الشفوية في تبليغ « البلاغ » الرسولي إلى التسالونيكيين. فمهما يكن من تحليل تلك الظاهرة في المطابقة الحرفية، فليست بقاطعة لنفي الصحة.

وقد رأى بعضهم دليل الانتحال في التركيز على إبراز نسبة الرسالة إلى بولس: « السلام بخط يدي، أنا بولس ــ وهو العلامة في كل رسالة ــ هكذا أكتب » (٢ تس ٣: ١٧). وفاتهم إن هذا التحفظ كان ردّاً على تزوير رسائل باسم بولس لإثارة الفتنة والبدعة: « لا ترتاعوا من وحي أو كلمة أو رسالة كأنها منّا » (٢ تس ٢: ٢). فلقطع التزوير على بولس لبلبلة الكنيسة اتخذ منذ الثانية إلى التسالونيكيين خطة التوقيع بخط يده على رسائله.

أما ما وجده بعضهم من خلاف في العقيدة **بشأن قرب** « **يوم الرب** » ما بين الأولى حيث هو قريب، وبين الثانية حيث يبدو بعيداً، إنما هو خلاف في شدّة التعبير، لا في جدته. فمنذ الأولى يعلن: « أما الأوقات والأزمنة... فإنكم تعلمون أن يوم الرب يوافي كلص في الليل » (١ تس ٥: ١ ــ ٢). فهو يصرّح بأن « يوم الرب » غيب محجوب عن المخلوقين ــ وهو تعليم متواتر عن المسيح نفسه ــ فما كان لبولس أو لغيره من الصحابة أن يحدّده. وفي الرسالة الأولى إجماع على أشراط « الساعة »، دعت الفتنة في العقيدة إلى تفصيلها في الرسالة الثانية، وما هذا التفصيل بشبهة على الصحة.

فلا شيء في الرسالة الثانية يطعن بصحتها، وهي قائمة ثابتة مثل الأولى.

٢ ــ زمن الرسالة

الذين حاولوا إنكار صحتها اختلفوا في زمن كتابتها. فقال بعضهم إنها من أواخر القرن الأول، وربما من القرن الثاني. وادّعى بعضهم أنها ترتقي إلى زمن القيصر كليجولا عام ٣٨ م فهي إذن قبل الأولى، ومن زمن لم يباشر فيه بولس الرسالة بعدُ؛ وذلك لأن بعض اليهود ظنوا كليجولا المسيح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الدجال لمّا أمر بوضع تمثاله في هيكل أورشليم ليعبده اليهود! لكن الموت عاجله قبل تنفيذ أمره الكافر.

والواقع المشاهد في الرسالة أنها توضيح للأولى، فهي من بعدها. ووحدة الموضوع العام تدل على وحدة الزمن ــ وقد أهمل بولس من بعد الخوض في موضوع « يوم الرب »، بسبب ما أثاره من مشاكل اجتماعية في تسالونيكية.

وهناك إشارة إلى محنة يعانيها بولس (٢ تس ٣: ٥) قد تدل على زمن كتابة الرسالة، بالإضافة إلى وحدة الموضوع: إن بولس يكتبها من كورنثس عام ٥٢ الذي فيه مثل أمام غاليون والي أخائية الجديد لدى زيارته إلى كورنثس، فأشار من طرف خفي إلى محنته (٢ تس ٣: ٥) التي تشبه محنتهم. فالرسالتان من زمن واحد.

٣ ــ مكان الرسالة

والرسالتان من مكان واحد، هو كورنثس. ووحدة الزمان تعني وحدة المكان. فقد قضى بولس سنتين في كورنثس، بعد تأسيس كنيسة تسالونيكية. وليس في سيرة بولس مكان غيرها.

٤ ــ مناسبة الرسالة هو موضوعها: زمن رجعة الرب

قضت الرسالة الأولى على الفتنة اليهودية بشأن الدعوة المسيحية، وصحة رسولية بولس. لكن الجدل ظل قائماً في **زمن** « **يوم الرب** ». وربما أرسلوا مع تيموتاوس يستفتون بولس. فأجابهم بالرسالة الثانية. وظاهرتها كجواب على سؤال يجعلها قريبة في الزمن، كما في الموضوع، من الأولى.

لقد استنتج بعضهم من مقابلة بولس، بعد دعوته الشفوية، أن « يوم الرب » قريب، فترك الشغل في سبيل العيش، وأخذوا يتشاغلون بالجدل فقام الكسل بدل العمل. فردّ عليهم بولس بإيضاح بعض دلائل رجعة الرب وأشراط الساعة، وبيان واجبات السلوك المسيحي.

✡ ✡ ✡

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثانٍ: تحليل الرسالة

العنوان (١: ١ ــ ٢) وفيه السلام عليهم « من الله الآب والرب يسوع المسيح ».

قسم أول (١: ٣ ــ ١٦): شكر وثناء ودعاء على ثباتهم في المحنة

١ ــ الشكر لله على نموهم في الإيمان والمحبة الأخوية (١: ٣ ــ ٤).

٢ ــ الثناء على صبرهم في المحنة، الذي يؤهلهم لملكوت الله (١: ٥ ــ ١٠).

٣ ــ الدعاء لكي يجعلهم الله أهلاً للدعوة المسيحية (١: ١١ ــ ١٢).

قسم ثان (٢: ١ ــ ١٢): أشراط الساعة لرجعة الرب

١ ــ لا مجال للهلع من قرب رجعة الرب (٢: ١ ــ ٢).

٢ ــ أشراط الساعة لرجعة الرب:

الشرط الأول: ظهور الردة العامة (٢: ٣)

الشرط الثاني: ظهور عدو الرب، ابن الهلاك، وسيطرته على « هيكل الله » (٢: ٣ ــ ٤).

الشرط الثالث: قيام « المانع » لظهور « رجل الاثم » (٢: ٥ ــ ٦).

٣ ــ الدلائل على قرب رجعة الرب:

الدليل الأول: زوال المانع (٢: ٧).

الدليل الثاني: ظهور عدو الله، بقدرة إبليس (٢: ٨ ــ ١٠).

الدليل الثالث: سيطرة « قوة الضلال » على العالم (٢: ١١ ــ ١٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قسم ثالث (٢: ١٣ ــ ٣: ١٥) الواجبات في السلوك المسيحي:

١ ــ الثبات على العقيدة، وعلى السُنّة المسيحية (٢: ١٣ ــ ١٧).

٢ ــ الصلاة المتبادلة بين الرسول وكنيسته (٣: ١ ــ ٥).

٣ ــ الابتعاد عن الكسل والعشرة الرديئة (٣: ٦ ــ ١٥).

ختام الرسالة: تكرار السلام بخط بولس نفسه لتوقيعها (٣: ١٦ ــ ١٨).

۞ ۞ ۞

باب ثالث: تعليم الرسالة التسالونيكية الثانية

تقتصر الرسالة الثانية إلى التسالونيكيين على موضوع « يوم الرب »، وبتعبير آخر « اليوم الآخر ». ويمهّد له بولس بذكر محنتهم في تسالونيكية، ويتبعه بذكر محنته في كورنتش. وهذه المحنة المزدوجة دليل وحدة الزمان ووحدة المكان.

أولاً: زمن « يوم الرب » وأشراط الساعة

إن بولس يحدّد زمن « يوم الرب » أولاً بأشراط الساعة، ثم بظهور الدلائل على وقت رجعة الرب. وكلها تدور على معنى « **الكافر** »، « عدو الله »، ممثل « قوة الضلال »؛ وعلى معنى « **المانع** » الذي يحول دون استفحال أمره، مع أن « سر الاثم » الذي يهيئ من بعيد ظهور « رجل الاثم » آخذ في العمل منذ قيام الدعوة المسيحية.

فكأن الصراع البشري والكوني يتمثل بين المسيح الحقيقي والمسيح الدجال ــ كما يسميه يوحنا (١ يو ٢: ١٨؛ ٤: ٣: ٢ يو ٧) أو الكافر، عدو الله، كما يسميه بولس؛ أي بين حزب الله وحزب الشيطان. فصراع الخير والشر، والإيمان والكفر، قائم بين المسيح وأنصاره، وبين إبليس وأعوانه. ورأس أعوان إبليس هو « الكافر » « عدو الله ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١ ــ فهل هذا « الكافر »، « عدو الله » الثائر على الله وعلى مسيحه **فرد أم جماعة؟** بحسب لغة الكتاب، نقول إنه **فرد وجماعة** معاً، جماعة يمثلها في آخر المطاف الفرد الأعظم. وبما أن مصادر بولس الحقيقية هي الكتاب في تفصيل الإنجيل، فمن الكتاب نستدل على معنى « الكافر » و« المانع ».

ففي العهد القديم « المسيح » هو الشعب المختار، الذي يتمثل وينتهي بزهرته، المسيح الموعود. وفي العهد الجديد كذلك، فالمسيح هو يسوع التاريخ؛ وهو أيضاً « المسيح الكلّي » أي المسيح والمسيحيون معاً في جسد سري واحد، رأسه المسيح نفسه (كول ١: ١٨؛ أفس ١: ٢٢ ــ ٢٣).

كذلك « الكافر »، رجل الاثم، ابن الهلاك، هو جماعة تتمثل عبر التاريخ بأفراد وجماعات تعمل تحت سيطرة « سر الاثم »، على أن يظهر عند قيام الساعة، الممثل الأكبر، أي عدو الله، المسيح الدجال، بحسب قوله: « إن سر الاثم آخذ في العمل » (٢: ٧) وسيظهر الكافر الشرير متى « زال المانع » (٢: ٧ ــ ١٠).

وهذا التمثيل للكفر والكافر، هو سياسي وديني معاً، لاجتماع عنصري الضلال والبطش فيه. لكن المظهر الديني هو الغالب عليه، من تسمية بولس له: « سر الاثم » (٢ تس ٢: ٧)، و« قوة الضلال » (٢ تس ٢: ١١).

٢ ــ و« المانع » من ظهور « الكافر »، عدو الله والمسيح، هل هو شيء أم شخص؛ فرد أم جماعة؟ قد رأى بعضهم في « المانع » الملاك ميخائيل، خصم إبليس في السماء وعلى الأرض، أو المملكة الرومانية، أو مجموع المبشرين بالإنجيل عبر الأجيال. تلك نظريات قاصرة. إن « المانع » هو أيضاً جماعة وفرد؛ إنها قوى الخير التي أطلقها المسيح باستشهاده وانتصاره على « رئيس هذا العالم » الشرّير، على ما قال هو نفسه: « لقد حضرت دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم يُلقى خارجاً! وأنا متى رُفعتُ (أي صُلبت) جذبت إليّ الجميع » (يو ١٢: ٣١ ــ ٣٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فكما أن « الكافر »، في عرْفنا، هو حزب الشيطان، الذي يمثله المسيح الدجال في آخر الزمان! كذلك « المانع » هو حزب الله والمسيح الذي يكتمل برجعة يسوع. فالصراع، منذ التجسد وتجربة المسيح بعد عماده، وانتصاره الخفي على إبليس باستشهاده، قائم بين حزب المسيح وحزب الشيطان، بالفكر الذي تمثله « قوة الضلال »، وبالعمل الذي يقوم به « سر الاثم »؛ ما بين أسلحة النور، وأسلحة الظلمة، حتى ينتشر الإيمان بفضل دم المسيح، « فيجتذب الله الجميع »، جميع المختارين. ثم تأتي في النهاية **فترة الردة الجماعية**، دليل قيام الساعة. وبولس يشير هنا إلى تصريح المسيح: « متى رجع ابن البشر، هل يجد الإيمان على الأرض »؟ حينئذ يزول « مانع » الإيمان، ويسود « رجل الاثم » مع الكافرين، ولكن إلى حين! لأنه حينئذٍ يرجع الرب يسوع في اليوم الآخر، « فيبيده بنفخة من فمه، ويلاشيه بسنى حضوره »!

●

ثانياً: « اليوم الآخِر » في المسيحية

كان بنو إسرائيل، حتى المسيح والإنجيل، منقسمين في عقيدة « اليوم الآخر » والبعث. والحزب الديني الحاكم في كهنوتهم وهيكلهم ما كان يؤمن بالبعث وقيامة الموتى. فكانت الدعوة الإنجيلية مركّزة على الإيمان « باليوم الآخر »؛ فهي التي بشرت بهذه العقيدة في العالم. وعبقريتها على غيرها إنها جعلت « اليوم الآخر » « يوم الرب يسوع »، فهو ملك يوم الدين في الوحي الإنجيلي.

فالقيامة والدينونة هما عقيدة « اليوم الآخر » اللتان إشاعتهما المسيحية: « يقوم الأموات أولاً » (١ تس ٤: ١٦). وسيصف بولس هذه القيامة بأنها إلى « جسد روحاني » غير خاضع لحدود وقيود المادة والزمان (١ كو ١٥). ثم تأتي الدينونة، « عند تجلّي الرب يسوع من السماء، مع ملائكة قدرته، في لهيب نار، لينتقم من الذين لا يعرفون الله (الوثنيين) والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح (اليهود). فأولئك سيعاقبون بالهلاك الأبدي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعيداً عن وجه الرب، وعن مجد قدرته، عندما يأتي في ذلك اليوم يمجّد في قديسيه، ويظهر عجيباً في المؤمنين أجمعين » (٢ تس ١: ٧ ـ ١٠).

فاليوم الآخر هو **آخرة البشرية** على الأرض وعالمها الذي عاشت فيه. لكنه **ليست آخرة الكون**، لأننا « ننتظر سماء جديدة وأرضاً جديدة يقطنها البرّ » (قابل ٢ بطر ٣: ١٢)؛ وإنْ وردت تلك الآخرة بصورة دمار وخراب.

فاليوم الآخر بالنسبة للأرض والكون **ليس الفناء؛ بل البقاء** في تحويل مجيد. **إنه يوم « تجديد كل شيء »** (قابل أع ٣: ٢١). وقد بدأ « عهد التجديد » بظهور المسيح الأول (متى ١٩: ٢٨)، ويتم برجعة المسيح في اليوم الآخر. فالقيامة ليست سوى « **خلق جديد** » للإنسان والكون، بحسب الوحي في العهديْن (أشعيا ف ٦٠ ـ ٦٦؛ الرؤيا ف ٢١ ـ ٢٢).

ونشعر أن **الجنة والنار**، في اليوم الآخر، هما **حالة أكثر ممّا هما مكاناً**. النار هي « الهلاك الأبدي بعيداً عن وجه الرب، وعن مجد قدرته »؛ فالجنة هي السعادة الأبدية في حضرة الرب، والتمتع بمجد قدرته. فالوحي الإنجيلي يوجه تفكيرنا إلى أن الجنة والنار يقومان على حالة رؤية الله، أو الحرمان منها إلى الأبد؛ وما الصور الحسية سوى استعارات لها.

و« اليوم الآخر » هو « يوم الدين » لأن الله يدين فيه، بواسطة المسيح، خلقه من ملاك وبشر. ونعلم أن مصير الملائكة قد تقرّر منذ سقوطه إبليس وملائكته إلى النار الأبدية. كما نعلم أن مصير كل بشر يتقرّر عند موته. فيوم الدين هو الإعلان العام لحكم الله أكثر مما هو محاكمة أو محاسبة كل بشر. بناءً عليه، يكون « يوم الدين » **الكشف الأخير لحكمة الله في خلقه ومصيره**. لذلك سيكون « **يوم الدين** » **يوم** « **تجلّي الرب يسوع من السماء**، مع ملائكة قدرته » (٢ تس ١: ٧). هذا هو الوحي بل **الكشف الرباني الأعظم**، فيه يخضع الخلق كلهم للمسيح طوعاً وكرهاً، « لأنه لا بد أن يملك (إلى أن يضع جميع أعدائه تحت قدميه)... ومتى أخضع له الكل، فحينئذٍ يُخضع الابن نفسه للذي أخضع له الكل، ليكون الله الكل في الكل » (١ كو ١٥: ٢٤ ـ ٢٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« فاليوم الآخر » هو « يوم التجلي » الإلهي والمسيحي الأعظم، أكثر ممّا هو « يـوم الدين ». بل إنما هو « **يوم الدين** » **لأنه** « **يوم التجلّي** » الأعظم للخالق والمخلوق.

●

ثالثاً: هل توهم بولس والصحابة أنهم يحضرون على حياتهم رجعة المسيح؟

بولس يعلن مرتين: « وإننا نعلن لكن، على قول الرب، إننا نحن الأحياء **الباقين إلـى رجعة الرب**، لن نسبق الأموات الراقدين » (١ تس ٤: ١٥ و١٧)؛ « وها إنـي أكشـف لكـم سراً: لن نرقد كلنا، ولكن سنتحول كلنا » (١ كو ١٥: ٥١). ظاهر التعبير إن بولس والرسـل صحابة المسيح، مع كنيسة العهد الرسولي قد آمنوا برجعة المسيح على حياتهم، وفي زمـانهم؛ إنْ صح ذلك فقد أخطأ بولس وأخطأوا في عقيدتهم. لكن القرائن تدل على أنـه أسـلوب فـي التعبير لا يدل ظاهره على حقيقته. إنه يجهل يوم رجعة الرب: « أما الأوقات والأزمنة فـإنكم تعلمون أن يوم الرب يأتي كلص في الليل » (١ تس ٥: ١). إن التعبير لا يعني المباغتة فقط، بل الجهل به أيضاً. واجتهاد بولس بإقامة نواب خلفاء له يدل على أنه لا ينتظر رجعة الـرب على حياته، بل إن نبؤته عن هداية إسرائيل كلهم إلى المسـيح، يسـبقها « دخـول مجمـوع الأمميين » في المسيحية (رو ١١: ٢٥) دليل قاطع لفهم عقيدته على حقيقتها. فرجعة المسـيح قائمة تاريخيّاً في الأفق البعيد، وإن كانت حاضرة في الأمل الصوفي. إنه تعبير بياني **بأسلوب استحضار الغائب**، كما يرى المسيحيين ونفسه مع المسيح في المجد السماوي: « أحيانـاً مـع المسيح، ومعه أقامنا، ومعه أجلسنا في السماوات العلي، في المسيح يسوع » (أفـس ٢: ٥ ـ ٦). **هذه رؤيا صوفية مثل تلك.**

فليس التحذير في الرسالة الثانية، « لئلا ترتاعوا... على أن **يوم الـرب قريـب** » (٢ تس ٢: ٢) من تلميذ لبولس استدرك خطأه؛ إنما هو تعليم بولس نفسه، جواباً علـى استفسـار التسالونيكيين. فالكلام عن رجعة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرب، بصيغة المتكلّم والحاضر، إنما هو **أسلوب بياني للتشخيص والتمثيل** الذي بــرع فيــه بولس.

●

إن الرسالتيْن إلى التسالونيكيين، اللتيْن جمعتا في وحدتيْن قانونيتيْن مكاتيب بولس إلــى أهل تسالونيكية بمناسبة اضطهاد اليهود لهم، وبمناسبة سوء فهمهم لعقيدة « يــوم الــرب » ــ هما بمثابة تمهيد لنشاط بولس الأدبي في رسائله. بهما امتلك فنّ الترسل، فكان في طليعة أهل الدنيا والدين فيه، كما سيظهر لنا من خلال رسائله الكلامية إلى الغلاطيين وإلــى الكــورنثيين وإلى الرومانيين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الأول

الرسائل الكلامية

تقديم: المسيحية ما بين الشريعة والحكمة

بحث أول: الرسالة إلى الغلاطيين
(في الإنجيل والشريعة)

بحث ثان: الرسالة الأولى إلى الكورنثيين
(في الإنجيل والحكمة)

بحث ثالث: الرسالة الثانية إلى الكورنثيين
(ما بين « النصرانية » والمسيحية)

بحث رابع: الرسالة إلى الرومانيين
(إنجيل بولس الكلامي)

خاتمة: إعجاز المسيحية في حكمتها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تقديم

المسيحية ما بين الشريعة والحكمة

إن الدعوة الكتابية سبقت الدعوة الإنجيلية إلى العالم الهلنستي. فلمّا قام بولس بالدعوة للمسيحية في العالم الهلنستي ما بين سورية والأناضول واليونان، وجد نفسه أمام عقيدتين يعتز بهما أهلهما: الشريعة الموسوية والحكمة اليونانية، ميزان الوحي وقسطاس العقل.

ولاقى بولس في دعوته، وما يسميه « إنجيلي » معارضة عنيفة، ليس من الخارج فحسب، من أهل الكتاب والأميّين؛ بل من الداخل أيضاً، من النصارى من بني إسرائيل الذين يقيمون أحكام الشريعة وحكمة الإنجيل معاً، ويفرضون الختان مع العماد؛ ومن المسيحيين الأمميين الفخورين برواسب الحكمة اليونانية.

فكان على بولس أن يدافع عن الإنجيل على جبهتين معاً، ويفصّل حكمة الإنجيل تجاه الشريعة الموسوية، وتجاه الحكمة اليونانية. فوقف بولس بالمسيحية على **مفترق الطرق** يظهر للملإ كله ميزة المسيحية **وفضل حكمتها على الشريعة والفلسفة.**

ويصطبغ تعليمه بالجهاد المرير لتحرير المسيحية من الموسوية، ولعصمتها من تأثيرات الفلسفة اليونانية.

والموقف دقيق خطير. على بولس أن يستخدم تعابير الشريعة والحكمة؛ لكي تفهمه بيئته المزدوجة، كما عليه أن يحافظ على سلامة الإنجيل من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

التحريف في هذا الاستخدام. فوفـّى قسطه للعلى، وأتحفنا برسائله الأربع الكبرى الكلامية.

لم تعد دعوته « بلاغاً » للمشركين؛ بل صارت في الرسائل « تعليماً » للمسيحيين. فجاءَت رسائله الكبرى إلى الغلاطيين والكورنثيين والرومانيين « حكمة للبالغين » (١ كو ٢: ٦).

كان بولس في رحلته الرسولية الثالثة، ما بين ٥٣ ـ ٥٨، وفي أوج دعوته، حيث اتخذ من أفسس، « نور آسيا »، مركزاً له يوجه منه دعوته ودعاته، شرقاً إلى آسيا الرومانية، وغرباً إلى مقدونية واليونان؛ وحيث اتخذ من مدرسة تيرنّس منبراً للتعليم المسيحي « مدة سنتين » (أع ١٩: ١٠)، فكان أستاذ المسيحية في الجامعة الأفسسية، بدعوته وكتابته. لقد بلغ بولس أوج الرسالة والرسول، وأصبح **معلم المسيحية الأكبر**، دعوةً وكتابة.

وصار بإمكان بولس أن **يسمي دعوته** « **إنجيلي** »، في تحرير المسيحية من الموسوية، وتجنيبها الانزلاق إلى التلفيق مع الحكمة اليونانية. ففي الرسالتين إلى الغلاطيين وإلى الرومانيين، الفصل الأول ما بين الشريعة والإنجيل؛ وفي الرسالتين إلى الكورنثيين الفصل الثاني ما بين الحكمة والإنجيل. بهذا **الإنجيل الكلامي**، في الرسائل الأربع، لتفصيل انجيل المسيح، أبان بولس بوحي الروح عبقرية المسيحية ما بين الشريعة والحكمة.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث أول

الرسالة إلى الغلاطيين

الإنجيل والشريعة

توطئة: قيمة الرسالة

للرسالة قيمة فريدة تاريخية وعقائدية، في تأسيس المسيحية.

١ ـ **قيمتها التاريخية** في الكشف عن الرسول والرسالة في المشكل الأول والأكبر الذي تعرّضت له المسيحية في نشأتها.

فمنها نعرف **الرسول البطل** الذي نقل المسيحية من البيئة الإسرائيلية إلى العالم الهلنستي، في الإمبراطورية الرومانية، سيدة العالم حينذاك، فرشحها، بعد مؤسسها، للشمول والخلود. ففيها **صفحة فريدة من سيرة بولس.**

وبانتقال الدعوة الإنجيلية إلى غير أهل الكتاب كان لا بدّ من الصراع بين الإنجيل والشريعة الموسوية. ففي الرسالة نرى **صورة الصراع العنيف الأليم** الذي رافق ذلك التطور في الدعوة المسيحية.

إن المشكل الأكبر والأول الذي تعرضت له المسيحية الطالعة كان صلة الإنجيل بالشريعة، وموقف المسيحية من الموسوية: هل المسيحية صورة جديدة للموسوية تنطلق باسم المسيح، كما كان يعتقد آل البيت وعلى رأسهم يعقوب، ابن عم المسيح وأسقف أورشليم، مع النصارى من بني إسرائيل؟ فالإنجيل إذن تكميل، بتصديق وتفصيل، للشريعة؛ فهي الأساس، مع الختان شعارها؛ فلا بدّ منها للبرّ والخلاص. أم هل المسيحية تتميم مستقلّ للتوحيد الكتابي، بنسخ الشريعة وأحكامها القومية، والختان وضروريته للخلاص؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بالإيمان بيسوع المسيح، كما جعل بولس منذ هدايته، وخصوصاً منذ دعوته الرسولية، يعلن في كل مكان؟

فقيمة الرسالة التاريخية في التعريف بسيرة بولس، وحياة الكنيسة الرسولية، في تلك الفترة العصيبة والتحول الخطير. ونشعر دائماً في تلاوتها بتلك الحيوية البالغة، وذلك الجهاد المرير، اللذين أملياها.

٢ ـ **وقيمتها العقائديّة** هي في المبدإ الخطير الذي تضعه: إن الخلاص هو بالإيمان، لا بالشريعة والختان. بهذا الإعلان وضع بولس أساس التمييز بين المسيحية والموسوية ومعها « النصرانية ». وهذان المبدأ والأساس يأتيان بأسلوب دفاعي إلى الغلاطيين؛ وسينشرهما بأسلوب كلامي، في الرسالة إلى الرومانيين، على « المسكونة » جمعاء. ففي الرسالة الغلاطية الأساس، وفي الرومانية البناء الشامخ الذي سيكون الشرعة العقائدية، والخلاصة اللاهوتية، لإنجيل بولس الكلامي.

فالرسالة إلى الغلاطيين هي الفصل الأول من « إنجيل » بولس، سيرةً وعقيدةً ودعوةً. تلك قيمتها الفريدة.

•

باب أول. تمهيد للرسالة الغلاطية

ما شك أحد بصحة الرسالة إلى الغلاطيين، ولا بوحدتها ـ سوى بعض الموتورين. إنما **هناك مشاكل ومسائل جانبية**، لا بدّ من بحثها، تمهيداً لفهمها.

أولاً: من هم الغلاطيون المذكورون؟

على هضبة، في أواسط الأناضول، تقوم « بلاد غلاطية » (أع ١٦: ٦) حول عاصمتها أنقرة، ويشقها نهر « هاليس ». جاءَها اسم « غلاطية » من هجرة بعض قبائل « الغاليين » ـ وباليونانية « غلاطيين » ـ من أجداد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفرنسيين، الذين في هجرتهم الكبرى الهندو ــ أوروبية في القرن السادس قبل الميلاد، انتهوا في القرن الثالث إلى استيطانها. وأسسوا لهم مملكة حربية لعبت دوراً خطيراً ما بين السلوقيين في سوريا، وبين الرومانيين الزاحفين إلى المشرق. وفي سنة ٢٥ ق م ضمّ الرومان إليها المناطق الجنوبية، بمفيلية وليكاؤونية وفريجية وايسورية وكيليكية، وجعلوها جميعاً « الولاية **الغلاطية الرومانية** »، بإطلاق اسم المملكة القديمة على الولاية كلها، مع أنقرة عاصمتها. فاسم « غلاطيين » إذن قومي واصطلاحي.

من هنا نشأ **المشكل والسؤال:** هل يقصد بولس في رسالته أهل **القومية الغلاطية** في الشمال، أم أهل **الولاية الغلاطية** في الجنوب؛ بقوله: « إلى كنائس غلاطية » (١: ٢)؟ بين العلماء خلاف. ويزيد الخلاف القربى الموضوعية مع الرسالة الرومانية والقربى الأسلوبية الهجومية مع الكورنثية الثانية، فتشعبت الآراء في الزمان والمكان.

١ ــ **والحل يأتي من الواقع** في دعوة بولس ببلاد غلاطية.

ففي رحلته الأولى، بصحبة برنابا، قبل مجمع أورشليم عام ٤٩، بشّر بولس في غلاطية الجنوبية، في مقاطعة بيسيدية وعاصمتها أنطاكية، وفي ايقونية (أع ١٤: ٦ ــ ٢١). ثم في مقاطعة ليكاؤونية، بلسترة ودربة (أع ١٤: ٢١ ــ ٢٣). وفي هاتين المقاطعتين الجنوبيتين، من ولاية غلاطية، كان لليهود جاليات عامرة، فخلقوا المضائق للدعوة المسيحية فيها ولبطلها بولس ــ وليس في الرسالة من إشارة إلى ذلك.

وفي الرحلة الثانية، « قدم بولس إلى دربي وليسترة » (أع ١٦: ١)؛ « وجازا في فريجية **وبلاد غلاطية**، إذ منعهما الروح القدس أن يبشرا بالكلمة في (ولاية) آسيا » (أع ١٦: ٦)، إلى الجنوب الغربي. بل قادهما الروح إلى مقدونية. فتخصيص لوقا، تلميذ بولس، اسم « بلاد غلاطية » مع فريجية، بالذكر، مع أنهما من « ولاية غلاطية الرومانية » يدل بصراحة على أن لوقا مثل معلمه يحفظ اسم « غلاطيين » إلى أهل القومية في الشمال، لا إلى أهل الولاية في الجنوب. في هذه الرحلة الثانية، أقعد بولس مرض طارئ عرض له في غلاطية القومية فبشرهم بالمسيح للمرة الأولى (غلا ٤: ١٣ ــ ١٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفي الرحلة الثالثة، « خرج وطاف في غلاطية وفريجية بالتعاقب، وهو يشدّد التلاميذ جميعاً... وجاز بولس في **النواحي العالية**، وبلغ أفسس » (أع ١٨: ٢٣؛ ١٩: ١٠). ففي هاتين الإشارتين الدليل الواضح على أن بولس في رحلته الثالثة بشر للمرة الثانية بغلاطية القومية في الشمال. وفي المرتين كانت إقامته عندهم طيبة، لم يعكرها مكر اليهود، أو النصارى من بني إسرائيل. وهذا وحده يفسّر سرعة انتقال الغلاطيين من إنجيل إلى آخر (١: ٦).

وفي أفسس، أقام بولس نحو ثلاث سنوات، ما بين عام ٥٤ ـ ٥٧، منها « مدة سنتين » أستاذ التعليم المسيحي وعلم الكلام فيه بمدرسة تيرنّس (أع ١٩: ٩ ـ ١٠). وما كاد بولس يستقر بأفسس حتى جاءَته أنباء **الانقلاب في الإيمان**، من غلاطية (١: ٦).

٢ **ـ والسؤال:** هل كان هذا الانقلاب السريع في الإيمان عند أهل القومية الغلاطية في الشمال، أم عند أهل الولاية الغلاطية في الجنوب؟ ومتى كان ذلك؟ ومن أين بعث بولس بالرسالة؟

بين العلماء خلاف. فمنهم من جعل الخلاف قبل مجمع الرسل بأورشليم، فيكون الجواب من أنطاكية إلى أهل الولاية الغلاطية في الجنوب. ومنهم من جعل الرسالة الغلاطية، بسبب وحدة الموضوع مع الرومانية، من زمن هذه، ومن كورنثس. ومنهم أخيراً مَن جعلها من مطلع الرحلة الثالثة في أفسس، إلى أهل غلاطية القومية في الشمال.

٣ ـ ونحن من القائلين بهذا الحل، لأن القرائن التاريخية والكتابية تدل على أن المخاطَبين كانوا **أهل القومية الغلاطية في الشمال.**

١) فهم وحدهم كانوا « غلاطيين » من دون سائر أهل « الولاية الغلاطية الرومانية ». ولوقا، كما رأينا، يخصهم بالذكر، عندما يذكر مرور بولس في مقاطعات الولاية، فيحصر اسم « بلاد غلاطية » بهم وحدهم. وبحسب جيروم كانت لهم لغتهم القومية إلى جانب اليونانية. ولا شيء في الرسالة يشير إلى أن بولس يستخدم اسم الولاية، ولا يحصره بالقومية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) يتفق بولس ولوقا أن دعوة بولس في غلاطية القومية مرتين كانت في الرحلة الثانية والثالثة (غلا ٤: ١٣ ـ ١٥)، ولم يبلغها في الرحلة الأولى. فلا مجال لكتابة الرسالة الغلاطية قبل أو بعد مجمع الرسل مباشرة، فلم يكن قد بشّرهم بعد.

٣) الرسالة تشير إلى انقلاب سريع في الإيمان، من « إنجيل إلى آخر » (غلا ١: ٦). وهذه الإشارة في سرعة الانقلاب الإيماني لا تنطبق إلاّ على « الغلاطيين » الذين بشّرهم حديثاً، أي أهل غلاطية القومية في الشمال.

٤) والرسالة تشير أيضاً إلى مكوث بولس عندهم، بسبب مرض عرض له عندهم فأقعده في سكينة على الرحب والسعة حتى اعتبروه « كملاك من الله، بل كالمسيح يسوع ». وهذه الحالة تختلف عن الدعوة في الاضطهاد والشدة، عند أهل الولاية الغلاطية في الجنوب، كما يقصها لوقا (أع ١٣: ١٣ ـ ١٤: ٢١).

٥) لوقا يشير إلى اضطهاد عنيف لاقاه بولس في غلاطية الجنوبية من الولاية؛ بينما تشير الرسالة إلى احتضان بولس في مرضه « كملاك من الله، بل كالمسيح يسوع » (٤: ١٤). وهذا الفارق العظيم في المعاملة الطيبة يدل على غلاطية القومية في الشمال، حيث لم يكن لليهود من نفوذ.

٦) كان أهل الولاية الغلاطية في الجنوب على ثقافة هلنستية رفيعة؛ بينما كانت قبائل الغاليين في الشمال على جاهليتهم، أهل حرب، لا أهل علم؛ وهذا ما سمح لبولس بأن يخاطب القوم الغلاطيين بعنف، ويسميهم « أغبياء » (٣: ١)؛ وما كان ليسمح لنفسه بذلك مع أهل الجنوب المثقفين.

٧) لقد أسس بولس كنائس غلاطية الجنوبية بصحبة برنابا. وهو يذكر دائماً أعوانه بثناء عاطر. وفي الرسالة إلى الغلاطيين لا ذكر لبرنابا. فهذه إشارة واضحة إلى « بلاد غلاطية » التي بشر فيها بولس من دون برنابا، أي غلاطية القومية في الشمال.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٨) بولس يذكر الغلاطيين جملةً في انقلابهم السريع عن إنجيل بولس وهذا الشمول في الانقلاب الإيماني لا ينطبق إلاّ على غلاطية القومية الموحدة قوميّاً وجغرافيّاً وثقافيّاً، من دون أهل الولاية المختلفين في مناطقهم وقومياتهم ومشاربهم.

٩) أهل الولاية الغلاطية في الجنوب كان بينهم جاليات مزدهرة ــ لم تكن في الشمال ــ وقد قبلوا الإنجيل من بولس، ولم تظهر عليهم بوادر ردّة. فمن الغريب حدوث ذلك الانقلاب المفاجئ بينهم. لكنه معقول ومقبول عند أهل غلاطية القومية في الشمال لأن هدايتهم كانت سريعة، في إقامة عابرة: « وأنتم تعلمون أني بجسم عليل قد بشرتكم بالإنجيل للمرة الأولى » (غلا ٤: ١٣) في رحلته الثانية. وقد مرّ بهم بسلام للمرة الثانية في الرحلة الثالثة، في طريقه إلى أفسس. فالانقلاب الإيماني حصل عندهم، بعد مرور بولس بهم، في رحلته الثالثة. فكانت الرسالة الغلاطية إلى أهل الشمال، من أفسس، سنة ٥٤.

١٠) إن أهل الولاية الغلاطية في الجنوب كانوا على علم في الخلاف القائم بين دعوة بولس واليهودية في ضرورة الشريعة للخلاص ــ بسبب وجود اليهود، الذين كان منهم النصارى من بني إسرائيل، أخصام بولس الآخرين، بين ظهرانيهم ــ فالانقلاب المفاجئ في الإيمان بإنجيل بولس لا ينطبق عليهم. إنما ينطبق على أهل غلاطية القومية في الشمال، الذين لم يكن بينهم يهود نافذين، وبالتالي نصارى مخالفين. بل بعد تبشير بولس بينهم مرتين، أتاهم بعض « الأخوة الكاذبين » وبلبلوهم.

فتلك القرائن مجتمعة تقطع بأن الرسالة موجهة إلى أهل غلاطية القومية في الشمال. وبعد **فالخلاف يسير**، ولا يعيق فهم الرسالة. ونعرف أن عبقرية بولس ترتفع من التخصيص إلى الشمول؛ وهو يكتب « **إلى كنائس غلاطية** » (١: ٣)؛ فلعله تعميم يحسم الخلاف.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثانياً: أخصام بولس في غلاطية، ومناسبة الرسالة

يعلن بولس منذ المطلع أن مناسبة الرسالة هي الانقلاب المفاجئ من إنجيل بولس إلى إنجيل آخر (١: ٦)؛ أي من الاستقلال المسيحي عن الشريعة الموسوية وختانها، إلى الردّة إليها. فهي **محاولة تهويد المسيحيين** في غلاطية.

وفي تلك المحاولة **خطران على المسيحية:** خطر عقائدي كأن الإنجيل لا يكفي من دون الشريعة، للخلاص؛ وخطر رسولي بين الأمميين الذين يأنفون من الختان القومي اليهودي، الذي كان عائقاً في نشر التوحيد الكتابي. وهذا الخطر المزدوج على المسيحية هو الذي استفزّ بولس للمجابهة والردّ، بتحرير الرسالة العفوية العنيفة إلى تلاميذه في غلاطية.

وهنا نتساءل: **من هم الذين بلبلوا** « كنائس غلاطية » في إيمانهم، حتى استحقوا من بولس هذه اللعنة: « يا ليت الذين يبلبلونكم يُقطعون » (٥: ١٢)؟ وهل تقف وراءهم شخصية نافذة مرهوبة تدعمهم (٥: ١٠)؟

إن بولس يصفهم بقوله: « الدخلاء، الأخوة الكاذبين الذين اندسّوا فيما بيننا ليتجسّسوا حريتنا التي لنا في المسيح، بقصد أن يستعبدونا » أي يهوّدونا. ولوقا يحدّد هويتهم، في افتتاح المجمع الرسولي: « غير أن قوماً من الذين آمنوا، من مذهب الفريسيين، نهضوا وقالوا: إنه يجب أن يختتنوا ويؤمروا بحفظ شريعة موسى » (أع ١٥: ٥).

فأخصام بولس هم **النصارى من بني إسرائيل،** أو بالحري غلاتهم من المذهب الفريسي. فكانت محاولتهم **أول مناورة يهودية على المسيحية،** حين تنصّر بعض الفريسيين لتهويد المسيحيين. وقد توصلوا، بعد العهد الرسولي والحرب السبعينية، إلى شق أهل الإنجيل إلى نصارى من بني إسرائيل، وإلى مسيحيين من الأمميين.

فغلاة النصارى من بني إسرائيل **تستّروا باسم يعقوب،** « أخي الرب »، وخليفته الشرعي على زعمهم، وبمثله في إقامة التوراة والإنجيل معاً. فلحقوا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ببولس إلى أنطاكية، حيث « أثار قوم من عند يعقوب » (غلا ٢: ١٢) الخلاف في أنطاكية بين بولس وبطرس، وتتبعوا بولس إلى غلاطية. وسنراهم في فيليبي ثم في كورنثس.

فالخلاف قائم بين **جماعة يعقوب وجماعة بولس**. وكان الرسل مع بطرس على الحياد، حكَماً في الخلاف، ويعقوب، القديس الشهيد، الذي وافق بطرس في المجمع الرسولي على تحرير المسيحية من الموسوية، ما كان ليتعقّب بولس في رسالاته. لكن مثله في إقامة الإنجيل والشريعة معاً، جعل بعض جماعته يتسترون باسمه حتى سماهم بولس « قوماً من عند يعقوب ».

وموقف يعقوب، الذي لم يكن من الرسل الصحابة، يظهر من تعليمه في تحرير المسيحيين من الشريعة والختان، مع ضرورتهما القومية للنصارى من بني إسرائيل، كما يتضح من التشريع الخاص الذي عممه عليهم وجمعه لوقا إلى أعمال المجمع الرسولي (أع ١٥: ١٩ ــ ٢٩)؛ ومن معارضة تعليم بولس في رسالته « من يعقوب... إلى الأسباط الاثني عشر في الشتات » (١: ١). وهذا الموقف من زعيم آل البيت هو الذي أدّى، بدسائس الفريسيين المتنصرين، إلى شق أهل الإنجيل إلى « نصارى » ومسيحيين. فلعله هو الذي عناه بولس في قوله: « أمّا الذي يقلقكم، أيّاً كان، فإنه سيحمل المسؤولية على نفسه » (غلا ٥: ١). وبولس الذي قاوم بطرس أمام كنيسة أنطاكية ما كان ليوقر يعقوب، في سبيل « حقيقة الإنجيل »

وذكْر بولس **لخصومته مع بطرس** بأنطاكية (غلا ٢: ١١ ــ ١٤) لأهل غلاطية دليل على أن مبلبلهم (٥: ١٠) وأعوانه (٥: ١٢) هم من نوع مبلبلي كنيسة أنطاكية (٢: ٢)، الذين يتسترون بنفوذ قوي أرهب بطرس نفسه، ويرهب الغلاطيين: أي « قوم من عند يعقوب » (٢: ١٢) من غلاة النصارى من بني إسرائيل. فلا مجال لشبهة على بطرس، في ذكر خصومة بولس له في أنطاكية ــ كما سنرى.

وكانت حجة التهويد للمسيحيين تنطلي على الناس، اتّقاءً لشر اليهود المنتشرين في الإمبراطورية الرومانية كلها، وحرصاً من تعرّض المسيحيين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لنقمة السلطان الروماني، لاعتناقهم، « ديناً غير شرعي » أي غير معترف بـــه فـــي الدولـــة، كاعتراف رومة بدين أهل الختان. ولم يكن الخوف وهماً، لأن هذا ما حدث باضطهاد نيـــرون للمسيحيين، بدسائس اليهود، بواسطة زوجته اليهودية.

●

ثالثاً: الرسالة الغلاطية ومجمع الرسل بأورشليم

إن مجمع الرسل بأورشليم عام ٤٩ سنّ تحرير المسيحيين من الشريعة والختان، خلافاً للفريسيين المتنصرين، ومطابقة لدعوة بولس: فما معنى اختلاف بطرس وبـــولس بأنطاكيـــة؟ وهل كان قبل المجمع أم بعده؟ وما معنى محاولة تهويد الغلاطيين وقد حرّرتهم عقيدة المجمـــع من الموسوية؟ وما هو معنى الرسالة وزمانها ومكان كتابتها، بالنسبة للمجمع الرسولي؟

١ ــ **واقع المشكل** قائم على اختلاف ظاهر بين معلومات لوقا وبين تقريرات بـــولس في رسالته. فلوقا يذكر ثلاث رحلات لبولس إلى أورشليم: بعد هدايته، ثـــم بمناســـبة مـــؤتمر الرسل عام ٤٩. بينما بولس لا يذكر ســـوى رحلتين، مع تحديـــد تاريخهمـــا: « بعـــد ثـــلاث سنوات »، « ثم بعد أربع عشرة سنة » من هدايته عام ٣٤ (غلا ١: ١٨؛ ٢: ١)، هذه ناحيـــة الأولى.

ثم إن بولس ينقل خلافه مع بطرس في أنطاكية بعد ذكر مجمع الرسل فـــي أورشـــليم (غلا ٢: ١١ ــ ١٤). ولوقا لا يشير إليه أبداً.

أخيراً ينقل لوقا، بمناسبة مؤتمر الرسل، قراراً رسولياً إلى أهل سورية وكيليكيـــة (أع ١٥: ٢٣ ــ ٢٩). وبولس لم يعرف به إلاّ عند توقيفـــه عـــام ٥٨ (أع ٢١: ٢٥). والرســـالة تجهل ذلك القرار جهلاً تاماً، مع أنه يؤيد حجة بولس في دعوته.

فهذا الواقع الأثري جعل العلماء يختلفون في التحليل والتعليل: هـــل المفاوضـــة مـــع الأعمدة والوجوه التي يذكرها بولس هي المؤتمر الرسولي الذي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يقصه لوقا؟ وهل الرسالة الغلاطية، بسبب خلاف بولس وبطرس المذكور فيها، هي من قبل أم من بعد المجمع الرسولي؟

٢ ــ إن الجواب الحاسم هو في التوفيق بين بولس ولوقا في معطياتهما. فلا ننسَ أن بولس يروي الأحداث من ناحية عقائدية، بينما لوقا يقصها من ناحية تاريخية؛ وكلاهما يكتبان تقريراً مقتضباً فيه فجوات ظاهرة. لذلك فاختلافهما في القصة ظاهر أكثر مما هو حقيقي.

١) إن المطابقة بين الرحلتيْن كما يذكر بولس، وبين الثلاث كما ينص لوقا، قائمة لأن بولس لم يرَ داعياً لذكر الرحلة الثانية بتبرعات أنطاكية إلى أورشليم، في حديث عقائدي. وعندما يصرّح بولس « بعد ثلاث سنوات »، ثم « بعد أربع عشرة سنة »، فهو لا يحصي عدد أسفاره إلى أورشليم، إنما يذكر الرحلتين العقائديتين بتاريخهما؛ فيما بينهما وما بعدهما مجال لأسفار أخرى إلى أورشليم، لمناسبات أخرى غير العقيدة. فالخلاف في العدد ظاهري، لا حقيقي.

والمطابقة في الرحلة الأولى بين بولس ولوقا تامة. فبولس يذكر رحلة إلى أورشليم « بعد ثلاث سنوات » من هدايته (غلا ١: ١٨)، حيث أقام عند بطرس خمسة عشر يوماً، لم يقابل فيها رسولاً سوى يعقوب أسقف العاصمة وزعيم آل البيت. وهذا يدل على استقلال بولس في رسوليته ودعوته؛ ويدل أيضاً على مكانة الأخوّة التي تربطه بزعيم الرسل وبزعيم آل البيت، مع الخلاف الظاهر في الرسالة وحملته العلنية على بطرس، والمبطنة على يعقوب. وهذه الرحلة الأولى تطابق رواية لوقا الذي يضيف بأن الجماعة هرّبوا بولس بسبب نشاطه بين الهلينيين، لئلا يصيبه ما أصاب أسطفان (أع ٩: ٤ و٢٦ ــ ٢٩).

والمطابقة بين الرحلة الثانية عند بولس (غلا ٢: ١) والثالثة بحسب لوقا (أع ١٥: ١ ــ ٣٥) هي أيضاً تامة: فالزمن واحد، والموضوع واحد، وإنْ اختلف التعبير، حيث يذكر لوقا « الرسل والكهنة »، وبولس « الوجوه والأعمدة، يعقوب وكيفا ويوحنا ». إن لوقا يقص تاريخ المؤتمر، وبولس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يركّز على مفاوضة « الوجوه والأعمدة » دبلوماسيّاً على حدة. والمفاوضة « على حدة » (٢: ٢) لا تناقض المباحثة العامة. فالسفر بحسب الرسالة للمفاوضة هو السفر نفسه بحسب لوقا إلى مؤتمر الرسل عام ٤٩.

فما بين رواية بولس العقائدية، ورواية لوقا التاريخية، اتفاق جوهري. فالأشخاص المتفاوضون هم أنفسهم: بولس وبرنابا من جهة، وبطرس ويعقوب (مع يوحنا) من جهة أخرى. والموضوع المبحوث واحد: هل الختان، رمز الشريعة، ضروري للمسيحيين من الأمميين؟ والمباحثات واحدة، وإن تفرّد بولس بذكر مفاوضاته الشخصية « على حدة مع الوجوه » لضمان تأييدهم في المجلس العام الذي يكتفي لوقا بذكره ــ وتلك لسان الحال. والقرار المبدئي الذي اتخذه المجمع بأمر بطرس وموافقة يعقوب واحد، وهو تحرير المسيحيين من الشريعة والختان. والاعتراف الرسولي الاجتماعي بصحة رسولية بولس، واختصاصه برسالة الأمميين، واحد عند بولس ولوقا. فالروايتان متكاملتان تأتلفان.

والرحلة الثانية التي يذكرها لوقا ويهملها بولس لا تقيم خلافاً، لأن لوقا يذكرها لفضل بولس على أورشليم، بينما يسكت بولس عليها لأنه يقص سيرته من الناحية العقائدية. فمحور الخلاف يزول باختلاف وجهات النظر بين رواية لوقا التاريخية، ورواية بولس العقائدية، في وحدة رحلة المفاوضة الشخصية ورحلة المؤتمر العام.

٢) لكن يرى بعضهم **اعتراضين** على هذا الجمع في وحدة الرحلتين.

الاعتراض الأول من طريقة عدّ السنين عند بولس: « ثم عدت إلى دمشق. وبعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم » (١: ١٨)، « وبعد أربع عشرة سنة صعدت ثانية إلى أورشليم مع برنابا » (٢: ١)؛ فما هو أساس العدّ؟ هل العدد الأول « بعد ثلاث سنوات » هو بعد مدة هدايته وعزلته وإقامته بدمشق، أم منذ هدايته؟ وهل العدد الثاني « بعد أربع عشرة سنة » هو تابع للأول، أم الاثنان مبنيان على قاعدة واحدة؟ واختلاف الجواب يجرّ الاختلاف بين رحلة المفاوضة بحسب بولس ورحلة المؤتمر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحسب لوقا. لكن سياق الكلام **كله مبني على رؤية ابن الله** في مجد قيامته على أبواب دمشق (١: ١٥ ــ ١٦)، فهو يعدّ انطلاقاً من يوم هدايته. فرحلة المفاوضة ورحلة المؤتمر واحدة.

الاعتراض الثاني، بل الحجة الكبرى، هي في سكوت بولس عن قرار مجمع الرسل إلى كنائس سورية وكيليكية (أع ١٥: ٢٣ ــ ٢٩)، وفيه حجة له. إن أسلوب لوقا في سياق روايته للمؤتمر الرسولي (أع ١٥) ولتوقيف بولس (أع ٢١: ٢٠ ــ ٢٥) حيث يأخذ علماً للمرة الأولى بذلك القرار، يدل صريحاً على أن لوقا، بحسب أسلوب مضطرد عنده، جمع قرار كنيسة أورشليم (أع ٥: ٢٣ ــ ٢٩) إلى أعمال مؤتمر الرسل (أع ١٥: ١ ــ ٢٢) لاستيفاء البحث في موضوع واحد، وإن اختلف الموضوع والزمان، كما يظهر من قول يعقوب لبولس: « إن الذين آمنوا من الأمميين، فقد كتبنا إليهم بما رسمنا » (أع ٢١: ٢٥). فلم يكن بولس على علم بقرار كنيسة أورشليم، أو لم يعره اهتمامه لأنه من سلطة خاصة، لا من مجمع رسولي. فليس القرار إذن بمانع لوحدة رحلة المفاوضة ورحلة المؤتمر الرسولي عند بولس ولوقا. إن الكشف عن أسلوب لوقا يرفع الخلاف.

وهذا التقبيم لأسلوب بولس، وصدور القرار الرسولي عن كنيسة يعقوب لا عن المجمع الرسولي، يفسر خلاف بطرس وبولس بأنطاكية العظمى بشأن مخالطة المسيحيين من الأمميين.

●

رابعاً: خلاف أنطاكية والرسالة إلى الغلاطيين

تذكر الرسالة الغلاطية خلافاً وقع بين بطرس وبولس بأنطاكية، في شأن مؤاكلة المسيحيين من الأمميين؛ ولوقا لا يذكره أبداً. فتحديد زمن الخلاف يحدّد زمان الرسالة التي تذكره.

١ ــ يذكر بولس في سياق روايته انه بعد رحلة المفاوضة إلى مجمع الرسل، ونجاحه الباهر بموافقة « يعقوب وكيفا ويوحنا » (غلا ٢: ٩) على إنجيله،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قد اختلف مع بطرس في أنطاكية، بموضوع مخالطة المسيحيين من أصل وثني. يقول: « لمّا قدم كيفا إلى أنطاكية، قاومته وجهاً لوجه، لأنه كان ملوماً: فإنه قبل مجيء قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمميين، ولما قدموا أخذ ينسلّ ويتنحّى، خوفاً من أهل الختان. وتظاهر معه سائر اليهود (المتنصّرين) أيضاً، بل برنابا نفسه انجرّ لتظاهرهم. فلمّا رأيت أنهم لا يسيرون على الصراط المستقيم، بحسب حقيقة الإنجيل، قلت لكيفا أمام الجميع: « إن كنت، أنت اليهودي، تعيش كالأمميين لا كاليهود، فلِمَ تُلزم الأمميين أن يتهوّدوا!؟ » (غلا ٢: ١١ ـ ١٤). ثم ينقل موجز خطابه في الكنيسة (غلا ٢: ١٥ ـ ٢١). فالخلاف ليس على العقيدة التي قرّرها المجمع، بل على السلوك في تطبيقها. وسلوك بطرس الحذر كان لمنع الشقاق بين عنصري الكنيسة. لكن هذا السلوك الحذر، من قبل زعيم الرسل، يعرّض « حقيقة الإنجيل » التي أعلنها مجمع الرسل بالاجماع إلى الانهيار؛ لذلك كان موقف بولس عنيفاً وعلنيّاً. ويظهر أنه ربح الجولة الثانية أيضاً. وسياق الحديث في الرسالة يجعل خلاف أنطاكية، بعد مجمع الرسل؛ وبولس أدرى الناس بما يكتب. فلا مجال لتحريف شهادته في زمان ومكان وموضوع الخلاف. فالرسالة من بعده.

٢ ـ يردّ بعضهم على ذلك **بشبهتيْن**.

الشبهة الأولى: أمن المعقول أنْ يخلف بطرس نفسه، ما بين مجمع أورشليم وموقفه في أنطاكية؟ لذلك يرون أن الخلاف بأنطاكية قد وقع قبل المجمع الرسولي، وهو، على زعمهم، الخلاف الذي يذكره لوقا قبل المجمع (أع ١٥: ١ ـ ٣). نقول: إنهما **خلافان متميزان**. فالخلاف قبل المجمع وقع بين فريق يولس، وفريق يعقوب، « قوم من اليهودية » (أع ١٥: ١)، ولا ذكر لبطرس فيه على الإطلاق، وموقفه في المجمع يدل على أنه كان بعيداً عنهم. والخلاف بعد المجمع محصور بين بطرس وبولس، بسبب « قوم من عند يعقوب » (غلا ٢: ١١ ـ ١٢)؛ وهذا الخلاف وقع بعد المجمع بشهادة بولس التي لا تردّ. وليس في الخلاف من غرابة، فهو **اجتهاد في السلوك، لا اجتهاد في العقيدة**. فلا يعارض

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فيه بطرس نفسه. والخلاف واقع بين جماعة يعقوب وجماعة بولس، خارج دائرة الاثني عشر، صحابة المسيح. وبطرس، الرئيس الأول المسؤول، أيّد بولس في « حقيقة الإنجيل »، واختلف معه في السلوك ليُبقي على وحدة الكنيسة. ومرونته الدبلوماسية لا تطعن في عقيدته. لكن تلك السياسة كانت تؤدي، في نظر بولس، إلى كارثة دينية للدعوة المسيحية في نشأتها، « فقد تظاهر مع بطرس سائر اليهود (المتنصرين)، بل برنابا نفسه انجرّ إلى تظاهرهم » (غلا ٢: ١٣). لذلك تصدّى بولس لبطرس، « وقاومته وجهاً لوجه » (غلا ٢: ١١). وما كان بولس ليتصدّى لبطرس، زعيم الرسل، لولا قيام مجمع أورشليم قبل الخلاف بأنطاكية، وتأييده لموقف بولس. وقد انقاد بطرس لنظرية بولس، ولولا ذلك لما ذكر بولس ذلك الخلاف[1].

الشبهة الثانية: يرى بعضهم في موقف بولس من بطرس بأنطاكية انتقاصاً من **زعامة بطرس وأوليّته في الكنيسة**؛ كما يرون ذلك في خوف بطرس من موقف يعقوب زعيم آل البيت. والحادثان يؤيدان أولية بطرس، ولا ينتقصان منها، لأن مواقف الجميع معلّقة على موقف بطرس، ويحاول كل فريق استمالته، **فسلوكه شرعة**. ولم تكن مخالفة بولس لبطرس من حيث العقيدة، بل من حيث السلوك، « لمّا رأيت أنهم لا يسيرون على الصراط المستقيم، بحسب حقيقة الإنجيل » (غلا ٢: ١٤). وبطرس بصفة كونه رئيس الكنيسة وممثلها كان معصوماً في العقيدة، لا في السلوك، وسياسة الأمة. ويشهد لزعامة بطرس على الكنيسة مواقف بولس منه: فقد سعى إلى بطرس وحده، بعد هدايته، وعرّج على يعقوب لكونه زعيم آل البيت، وأسقف المدينة المقدسة؛ ثم فاوض بولس بطرس قبل المجمع « على حدة » ليكسب تأييده الحاسم في المجمع، وإنْ أشرك في المفاوضة يعقوب ويوحنا؛ وتظهر أولية بطرس بجلاء بخطابه في مجمع « الرسل والكهنة »، الذي حسم الجدال كله. فهذه كلها دلائل ساطعة على احترام

---

(١) فالمدرسة النقدية التي رأت في كنيسة الرسل دعوتين البطرسية والبولسية Pétrinisme et Paulinisme فاتتها الرؤيا: انها النصرانية والمسيحية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بولس لسلطان بطرس وأوليته. وما تصدى بولس لبطرس في سلوكه العملي إلاّ لتأثير مثله على الكنية كلها، **واعتبار سُنّة بطرس شرعة**. فخلاف أنطاكية لا ينتقص من سلطان بطرس وأوليته؛ وإنْ ظهر أنه يمسّها، فواقع الحال يؤيدها، إذ سلوك بطرس شرعة في المسيحية، لذلك يستميت الجميع لاكتسابه كلّ إلى صفه.

٣ ـ وهكذا نصل إلى هذا **الترتيب والتزمين للأحداث**: « هداية بولس عام ٣٤؛ زيارته الأولى لأورشليم عام ٣٦؛ زيارته الثانية لنقل تبرعات أنطاكية إلى أورشليم عام ٤٤؛ الرحلة الرسولية الأولى عام ٤٦ ـ ٤٨؛ زيارته الثالثة للمفاوضة ومجمع أورشليم عام ٤٩ [١] ».

فتكون الرسالة إلى الغلاطيين بعد مجمع الرسل بأورشليم.

●

خامساً: مكان وزمان صدور الرسالة إلى الغلاطيين

هذه المسألة مرتبطة بجنسية الغلاطيين المخاطبين، ومرتبطة بصلتها الأسلوبية مع الثانية إلى الكورنثيين، ومرتبطة بموضوعها مع الرسالة إلى الرومانيين. وقد رأينا أنها كُتبت بعد مجمع الرسل بأورشليم، فلا يقوم رأي مخالف. بقي علينا تحديد الزمان والمكان لكتابة الرسالة بعد المجمع.

١ ـ **تحديد الزمان** مرهون بصلة الرسالة الغلاطية، في أسلوبها، مع الثانية إلى الكورنثيين. فالاثنتان أسلوب واحد عنيف في دفاع بولس عن إنجيله وعن رسوليته. ولكن هذه الوحدة الأسلوبية لا تجرّ حتماً الوحدة المكانية والزمانية، لأن المشكلة الواحدة قد أثارها النصارى من بني إسرائيل بوجه بولس وكنائسه في أنطاكية وغلاطية وفيلبي وكورنثس، فلا بدّ من ردّ بولس بعنف واحد كل مرة. والقرائن من الرسالة وسفر العمال **تجعلها من مطلع رحلة بولس الثالثة**. فالرسالة مكتوبة « بعد أربع عشرة سنة »

(1) Béda Rigaux : Saint Paul et ses lettres p. 123; S. D. B. Paul p. 306.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من هداية بولس، أي العام ٤٩؛ وهي ردّ عنيف عاجل على انقلاب الغلاطيين السريع، بعد أن بشّرهم بسلام للمرة الثانية (غلا ١: ٦؛ ٤: ١٣)، في رحلته الثالثة التي استقر فيها بأفسس. فتكون الرسالة من العام ٥٤ ومن أفسس.

٢ ـ **تحديد المكان** مربوط بصلة الموضوع ما بين الرسالتين الغلاطية والرومانية. والاجماع على أن الرسالة الرومانية كتبت من كورنثس في شتاء ٥٧ ـ ٥٨، فتكون الرسالة الغلاطية من هذا المكان وهذا الزمان. لكن وحدة الموضوع ليست ببرهان على وحدة **الزمان والمكان**. فالموضوع مبحوث من ناحيتين مختلفتين، وبأسلوب مختلفين. واختلاف الأسلوب بين الرسالتين، من دفاع عنيف في الغلاطية إلى كلام رصين متزن في الرومانية، يشير إلى اختلاف الحال النفسية بين الاثنتين، ممّا يقتضي فترة زمانية بين الاثنتين. وواقع الرسالة الرومانية، وكونها خلاصة لاهوتية لإنجيل بولس الكلامي، يقتضي فترة نضج وسكينة خارجية وداخلية تسمح لبولس بالتصميم والتفكير والتعبير. أما واقع الرسالة الغلاطية فهو يعني الرد العفوي والفوري على انقلاب الغلاطيين من إنجيل بولس إلى آخر، كما يصرح به بولس (١: ٦)؛ وهذا الواقع يجعل كتابة الرسالة إلى الغلاطيين حالاً بعد زيارة بولس الثانية لهم، في مطلع رحلته الثالثة (أع ١٩: ١ و١٠) وهو في طريقه إلى الإقامة بأفسس (أع ١٨: ٢٣ قابل غلا ٤: ١٣). **فتكون الرسالة الغلاطية من أفسس عام ٥٤.**

وهذا الرأي الذي يفرضه الواقع ولسان الحال هو الأصح، لسرعة انقلابهم بعد زيارته الثانية لهم، وشدة انفعال بولس ورده العنيف عليهم. فتكون فترة السنوات الثلاث بين الغلاطية والرومانية، في الموضوع الواحد، لكن بأسلوبين مختلفين، وبحالتين نفسيتين مختلفتين، قد سمحت لبولس بتركيز تفكيره في الموضوع الجلل الذي يسميه « إنجيلي »، وهو الخلاص بالإيمان بالمسيح يسوع، لا بالشريعة الموسوية، لكي يعطينا **تلك الخلاصة اللاهوتية الرائعة**، بصيغة كلامية محكمة، في الرسالة إلى الرومانيين. ولا شك أن وحدة الموضوع اقتضتها أيضاً ظروف الكنيسة الرومانية، بتناحر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العنصرين النصراني والمسيحي فيها، ونفوذ الجالية الإسرائيلية فيها، بواسطة امـرأة نيـرون اليهودية. وكان بولس يتوخى أن ينتشر « إنجيله » من العاصمة على « المسـكونة » كلهـا. وربما وافق الرسالة الرومانية قدوم بطرس إلى رومة، فخشي من تردّده ما بين النصارى مـن بني إسرائيل والمسيحيين الرومانيين. هذا كله حمل بولس إلى العودة إلى الموضوع الواحـد، لكن بأسلوب يناسب عاصمة « المسكونة ». فوحدة الموضوع لا تجرّ وحدة الزمان والمكان.

فالقرائن الذاتية والخارجية **تجعل الرسالة الغلاطية من أفسس عام ٥٤.**

●

سادساً: صحة الرسالة

إن السُنّة المسيحية، بكل آثارها وأخبارها، تشهد لصحة الرسالة، بالإجماع المتـواتر، منذ عهد الرسل إلى اليوم.

يؤيد السُنّة الخوارج مثل مرقيون الذي، في قانونه للكتب المقدسة، يضعها في طليعـة رسائل بولس، كأنها أول ما كتب.

وجاء **عهد النقد العلمي والكتابي،** فكان الاجماع على صـحتها، حتـى أن مدرسـة توبنجن الشهيرة برديكاليتها قد جعلت صحتها مع الرسائل الثلاث الكبرى الكلامية قضية إيمان علمي لا تُرد ــ ولو مسّها بعض الموتورين.

والقرائن الذاتية دليل ذلك. فالرسالة صورة طبق الأصل لخلق بولس، إذا كان الإنشاء هو الإنسان. إنها صورة المعتدي المهتدي برؤية إلهية وقبضة ربانية، الذي طُعن وفي صـحة رسوليته وصحة دعوته، فانفجر كالبركان يبرهن عنهما برؤية المسـيح واصـطفائه رسـولاً، وبالاعتراف الشخصي من قبل زعيم الرسل وزعيم آل البيت، ثم بالاعتراف الرسـولي العـام بمجمع الرسل، بصفة كونه « رسول الأمميين »، وبصحة « إنجيله » فـي تبشـيرهم. إنهـا صورة الرسول العبقري بالفكر والعمل، الذي يسيطر على تلاميذه بـالعنف تـارة، وبـاللطف أخرى، إنها صورة الكاتب الخطيب الذي يستخدم كل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأساليب لاقناع سامعيه، كما تدل عليه شخصية بولس الغنية. فكل القرائن الذاتية تؤيد صحتها.

•

سابعاً: وحدة الرسالة

إن الرسالة إلى الغلاطيين قد تكون الوحيدة التي تؤيد وحدتها البيانية وحدتها القانونية. فهي تتدفق كسيل عرم يجمع في جريه الروافد التي تصب فيه، فيجمعها في وحدة جيشانه. والجميع يشهدون لهذه الوحدة.

غير أن بعض المتحذلقين جعلوا من **فنونها البيانية** التي تستجمعها في وحدتها دلائل على تجزئتها إلى رسائل مختلفة، كأنهم يسمعون فيها ثمانية أصوات مختلفة: من مكتوب تهديد مع تعابيره الظاهرة؛ إلى مكتوب دفاعي شخصي؛ إلى مكتوب رسولي بلهجة السلطان الآمر؛ إلى مكتوب مودة يستثير الذكريات الحميمة؛ إلى مكتوب متكلم يستشهد بالكتاب لتأييد تعليمه؛ إلى مكتوب واعظ يعظ تلاميذه بسلطة الحنان الأبوي؛ إلى مكتوب خطيب يأسر بالإيجاز والأطناب؛ إلى مكتوب راعي كنيسة يدافع بعنف عن إنجيلها. وكل تلك الفنون البيانية فيها، لكن عبقرية بولس التي تستجمعها وتوحّد بينها تتحدّى كل تجزئة. إن تعدّد فنونها البيانية شهادة لعبقرية بولس الذي يدافع بغضبة رسولية عن رسالته ودعوته. فثراء شخصية بولس كما تظهر من الرسالة شاهد لوحدتها في تنوع فنونها.

•

ثامناً: موضوع الرسالة

الموضوع العام هو الدفاع عن رسالته وعن دعوته التي يسميها « إنجيلي »، كما أوجزه بخطابه في كنيسة أنطاكية: الخلاص هو الإيمان بالمسيح وصليبه، لا بأعمال الشريعة (٢: ١٥ ـ ٢١).

صحة رسالته قائمة على رؤية المسيح واصطفائه لبولس رسولاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وصحة « إنجيله » قائمة على اعتراف الرسل به، وعلى شهادة الروح له.

وصحة السلوك المسيحي قائمة على الحياة بحسب الروح، لا بحسب الشريعة.

وفي تحليل الرسالة تفصيل الموضوع.

۞ ۞ ۞

باب ثانٍ: تحليل الرسالة الغلاطية

المطلع (١: ١ ــ ١٠): يتدرج من العنوان إلى موضوع الرسالة.

١ ــ **العنوان** (١: ١ ــ ٥): من بولس الرسول[١] إلى « كنائس غلاطية ».

٢ ــ **الموضوع** (١: ٦ ــ ٩) انقلابهم إلى إنجيل مختلف، ولا إنجيل سوى الذي تسلموه.

٣ ــ **رد على تهمة** استرضاء الناس بإلغاء الختان[٢] (١: ١٠).

قسم أول: رسول الحرية المسيحيّة[٣]. (قسم السيرة)

الدفاع عن رسالته من سيرته (١: ١١ ــ ٢: ٢١).

الاستهلال: سلطانه وإنجيله من المسيح نفسه، لا من بشر (١: ١١ ــ ١٢).

١ ــ **برهان تاريخي أول:** تسلم الرسالة والإنجيل من المسيح، لا من بشر.

١) بذلك تشهد سيرته كيهودي (١: ١٣ ــ ١٤).

---

(١) في الرسالتيْن إلى التسالونيكيين لا يأخذ بولس في العنوان صفة رسول. وبدأ في الغلاطية يذكرها رداً على منكريها. لاحظ التفخيم والتضخيم في الرد.

(٢) تحريم بولس لكل إنجيل سوى إنجيله دليل على أنه لا يسترضي أحداً. وفيه رد على اتهام أول بأنه متقلب في تعليمه وسلوكه.

(٣) في هذا القسم يرد على اتهاميْن: الأول أنه ليس رسولاً أخذ الإنجيل عن المسيح؛ والثاني أن تعليمه يخالف تعليم الرسل صحابة المسيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) بذلك تشهد هدايته المعجزة في ذروة اضطهاده للمسيحية (١: ١٥ ـ ١٧).

٢ ـ برهان تاريخي ثانٍ: اعتراف بطرس ثم مجمع الرسل بصحة رسالته.

١) في زيارة أولى « بعد ثلاث سنوات » من هدايته (١: ١٨ ـ ٢٤).

٢) في زيارة ثانية « بعد أربع عشرة سنة » من هدايته (٢: ١ ـ ١٠).

٣ ـ برهان تاريخي ثالث: انتصاره على تردّد بطرس في سلوكه:

١) بتحدّي بطرس وجهاً لوجه، لمّا تردّد خشية من جماعة يعقوب (٢: ١١ ـ ١٤).

٢) بخطاب شهير[1] أمام كنيسة أنطاكية كلها: الخلاص بالإيمان، لا بالشـريعة (٢: ١٥ ـ ٢١).

قسم ثان: إنجيل الحرية المسيحية (قسم العيقدة)

الدفاع عن « إنجيله » من حياة الروح، ومن الكتاب (٣: ١ ـ ٤: ١١).

الاستهلال: غباوتهم في فهم سر المسيح المصلوب (٣: ١).

١ ـ فضل الإيمان على الشريعة (٣: ٢ ـ ١٨)

١) برهان من خبرتهم لحياة الروح فيهم (٣: ٢ ـ ٥).

دليل أول: نالوا الروح بالإيمان، لا بالشريعة (٣: ٢ ـ ٤).

دليل ثان: المسيح أعطاهم الروح، كما صنع المعجزات فيهم (٣: ٥).

٢) برهان الكتاب، من إيمان إبراهيم ولعنة الشريعة (٢: ٦ ـ ١٨).

دليل أول: بإيمان إبراهيم أتت البركة إلى الناس (٢: ٦ ـ ١٨).

دليل ثان: اللعنة في الشريعة، والبرّ في الإيمان (٢: ١٠ ـ ١٢).

استدراك: حمل المسيح لعنة الشريعة، ليمنحنا بركة الإيمان (٢: ١٣ ـ ١٤).

---

(١) هذا الخطاب هو موجز إنجيل بولس، وستفصله الرسالة إلى الرومانيين، وفيه خمسة بـراهين علـى صحة مقالة بولس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣) برهان العقل: الشريعة عقد بعد عهد الإيمان، والعقد لا ينسخ العهـد[1] (٣: ١٥ ـ ١٨).

٢ ـ بيان دور الشريعة في تاريخ الإيمان والخلاص (٣: ١٩ ـ ٤: ١١)

١) بالرد على اعتراضيْن (٣: ١٩ ـ ٢٢).

اعتراض أول: « لِمَ الشريعة إذن »؟

ـ الشريعة عقد طارئ على عهد الإيمان، للإشعار بالعجز (٣: ١٩).

ـ الشريعة عقد يقيد الطرفين؛ أما الإيمان فعطاء يحرّرنا (٣: ٢١).

اعتراض ثان: « هل الشريعة تخالف وعد الله »؟

كلاّ، لكنها تدبير موقت، حتى يأتي عهد الإيمان (٣: ٢١ ـ ٢٢).

٢) ببيان حقيقة دور الشريعة (٣: ٢٣ ـ ٤: ٣).

ـ إنها تمثّل دور العبد المدرّب حتى يأتي « النسل » صاحب الحق (٣: ٢٣ ـ ٢٩).

ـ إنها تمثّل عهد الوصاية حتى يأتي الابن، الوريث الشرعي (٤: ١ ـ ٧).

٣ ـ برهان واقع الحال: الحرية ما بين عبوديتيْن (٤: ٨ ـ ١١).

١) انقلابهم هو انتقال من عبودية « أركان العالم » إلى عبودية أحكام الشريعة.

٢) والحال لقد حرّرنا المسيح من كل عبودية!

قسم ثالث: حياة الحرية المسيحية ـ (قسم السلوك المسيحي)

الدفاع عن الحرية المسيحية بمقارنة حياة الإيمان بحياة الشريعة (٤: ١٢؛ ٦: ١٠).

الاستهلال: إخلاص بولس لهم، ومؤامرة مبلبليهم على حريتهم في المسيح (٤: ١٢ ت ٢٠).

---

(١) هنا يتداخل التفسير والبرهان. يأخذ بولس كلمة « وصية » بمعنيين: العهد والوعد، وكلمة « النسل » بمعنيين، الجنس والفرد، فيحفظ اسم الفرد كممثل الجنس. وبرهانه: الشريعة عقد بعد عهد الإيمـان، طـارئ عليه، يثبته، لا ينسخه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١ ـ دفاع عن حرية الإيمان بالمسيح (٤: ٢١ ـ ٥: ١٢).

١) برهان تمثيلي: سارة وهاجر مثال لعهد الحرية وعهد العبودية (٤: ٢١ ـ ٣٠).

(فكما طرد إبراهيم رمز العبودية، اطردوا أنتم نير الشريعة ودعاتها).

٢) برهان شرعي: الختان يُلزمهم بالشريعة ويسقطهم من عهد النعمة (٤: ٣١ ـ ٥: ٦).

٣) برهان شخصي: يفترون على بولس بتعليم الختان، وهم يضطهدونه بسببه (٥: ٧ ـ ١٢).

٢ ـ بيان لحرية الإيمان من الحياة بحسب الروح (٥: ٣ ـ ٧: ١٠).

١) الحرية المسيحية تقتضي المحبة، وهي تمام الشريعة (٥: ١٣ ـ ١٥).

٢) « السلوك بحسب الروح » يحررنا من حكم الشريعة[1] (٥: ١٦ ـ ٢٦).

٣) احملوا بعضكم أثقال بعض، هذه هي شريعة المسيح (٦: ١ ـ ٦: ٦).

٣ ـ المسؤولية في حرية الإيمان (٦: ٧ ـ ١٠).

١) يحصد الإنسان ما زرع (٦: ٧ ـ ٨).

٢) لا تفتر همتنا في عمل الخير (٦: ٩).

٣) لنغتنم الفرصة ونحسن إلى الجميع، ولا سيما المؤمنين (٦: ١٠).

الختام: موجز بخط بولس نفسه (٦: ١١ ـ ١٨).

الإشارة إلى خطه الضخم (٦: ١١).

١) هم يسترضون الناس؛ ويلزمونكم بالختان خشية الاضطهاد؛ وليفاخروا بجسدكم (٦: ١٢ ـ ١٣).

٢) الفخر الحق بصليب المسيح (٦: ١٤).

٣) فليس الختان بشيء! ولا القلف بشيء! بل الخلق الجديد في المسيح (٦: ١٥ ـ ١٦).

السلام الأخير: نعمة المسيح مع روحكم (٦: ١٨).

---

(١) « السلوك بحسب الروح » نشيد تظهر وحدته الفنية من التصدير والاختتام بالحرف الواحد، وهو ثلاث مقاطع يختم بولس كل مقطع منها بتعليق (٥: ٢١ و٢٣ و٢٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثالث: تعليم الرسالة الغلاطية

في الرسالة موجز لتعليم بولس الذي يسميه « إنجيلي » (٢: ١٥ ــ ٢١) فهل هناك إنجيل لبولس وإنجيل للمسيح؟ وما هي علاقة الإنجيل بالشريعة؟ لقد عاش بولس في نفسه مأساة فصل الإنجيل عن الشريعة قبل أن ينادي بذلك؛ وتأمل طويلاً بدور الشريعة في تاريخ الخلاص قبل أن يعلن نسخها بالإيمان المسيحي. فالسلوك بحسب الروح هو البرهان الحي بفضل الإيمان على أعمال الشريعة.

أولاً: إنجيل بولس وإنجيل المسيح

في الرسالة إلى الغلاطيين ينادي بولس للمرة الأولى بما يسميه « إنجيلي »، اسماً وموضوعاً: « إني لمتعجب من أنكم تتحوّلون بمثل هذه السرعة عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر! مع أنه ليس من إنجيل آخر، إنما هناك أناس يبلبلونكم ويريدون أن يحرّفوا **إنجيل المسيح!** ولكن، إن بشّركم أحد ــ نحن أنفسنا أم ملاك من السماء ــ بإنجيل آخر غير الذي بشرناكم به، فليكن ملعوناً! » (١: ٦ ــ ٩). فالإنجيل واحد، وإنجيل بولس هو إنجيل المسيح، لا إنجيل غيره!

وبولس، إنما يسمّي تعليمه « إنجيلي » لأنه **تفصيل الإنجيل**. وميزته أنه ينادي بتحرير المسيحية من الموسوية؛ وبفضل الإنجيل على التوراة؛ وبنسخ الإيمان المسيحي للشريعة. وذلك إنما هو بوحي يسوع المسيح كما يُعلن: « أيها الأخوة، إني أعلن لكم أن الإنجيل الذي بشرتكم به، ليس بواسطة بشر، لأني لم أتسلمه ولا تعلمته من إنسان، بل بكشف من يسوع المسيح » (غلا ١: ١١ ــ ١٢).

وبنود « إنجيل » بولس، في تفصيل إنجيل المسيح، ثلاثة:

البند الأول هو إعلان بنوة يسوع المسيح من الله الآب. هذا هو الكشف الأول الذي كاشفه به يسوع عند رؤيته للمرة الأولى على طريق دمشق:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« لما شاء الله الذي اصطفاني منذ كنت في بطن أمي فدعاني بنعمته وكشف ابنه فيّ لأبشر به بين الأمميين » (غلا ١: ١٥ ــ ١٦). فكل دعوة إنجيلية غير هذه إنما هي تحريف للإنجيل الحق. لذلك يصبّ اللعنة على كل من يدعو بإنجيل آخر، سواء بولس نفسه أو ملاك من السماء. هذا هو « إنجيل ربنا يسوع المسيح، ابن الله » (مرقس ١: ١) كما أوجزته الدعوة منذ أول تدوين لها. فإنجيل بولس في بنده الأول هو إنجيل المسيح نفسه.

البند الثاني هو التركيز في الدعوة الإنجيلية على صليب المسيح وعلى قيامته وارتفاعه حيّاً إلى السماء، كما كانت دعوة الرسل الصحابة، حيث الثلث الأخير من الأناجيل المؤتلفة في الموضوع نفسه. فهو يذكرهم أنه حين دعوتهم « رسم لهم نصْب أعينهم صورة المسيح المصلوب » (غلا ٣: ١) وفسّر لهم معنى الصليب، فإن المسيح يسوع « بذل نفسه من أجل خطايانا حتى ينقذنا من الدهر الحاضر الشرير، على حسب مشيئة الهنا وأبينا » (١: ٤). وبيّن لهم أن الحياة المسيحية تنبع من الصليب واستشهاد المسيح لأجلنا: « إني قد صلبت مع المسيح: فلست أنا الحي بعد، بل المسيح نفسه يحيا فيّ! وإنْ كنت الآن أحيا في الجسد، فإنما أحيا من الإيمان بابن الله الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي! وأنا لا أستهين بنعمة الله » (٢: ١٩ ــ ٢١) فصليب المسيح يفصل بين الإنجيل والشريعة، ويفصل بين المسيحي والعالم: « فمعاذ الله أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح! فيه أصبح العالم مصلوباً في نظري؛ وأصبحت أنا مصلوباً به، في نظر العالم » (غلا ٦: ١٤). فالبند الثاني في « إنجيل » بولس هو دعوة الصليب.

البند الثالث هو إن الخلاص والبرّ هما بالإيمان بيسوع المسيح لا بأعمال الشريعة. وهذه العقيدة، « **إنجيل** » **بولس الخاص**، هي التي أثارت خصومة النصارى من بني إسرائيل. فيعطينا بولس في الرسالة الغلاطية موجزاً لنظريته، في الخطاب المشهور الذي ألقاه في الجماعة المسيحية، بعد مناظرته مع بطرس (غلا ٢: ١٥ ــ ٢١). كانوا يقولون بإقامة الإنجيل والتوراة. فيجيب بولس بإقامة الإنجيل وحده، من دون التوراة، لأن نظريتهم تجعل موت المسيح بلا فائدة، « خادماً للخطيئة »، لا مبرراً منها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والرجوع إلى الشريعة الموسوية بعد التحرّر منها دليل على الخطإ والخطيئة. فالحياة الروحية منذ صلب المسيح هي بالمسيح الحي فينا، لا بالشريعة التي تبقينا في عبودية الخطيئة. إن صليب المسيح قد حرّرنا من عبودية الشريعة، كما حررنا من عبودية الخطيئة: فإن كان الخلاص والبرّ لا يحصلان إلاّ بالشريعة فموت المسيح لأجلنا كان عبثاً! إن الخلاص هو بإقامة الإنجيل وحده، لا بإقامة الشريعة والإنجيل كليهما. خمسة براهين على بطلان نظريتهم.

فليس هناك إنجيلان: إنجيل المسيح، وإنجيل بولس. واللعنة المكررة التي يصبها بولس على مَن يعلّم إنجيلاً آخر غير « إنجيل المسيح » الذي يبشر به، برهان ذلك. ولكن أسلوب بولس في تعبيره « إنجيلي » أوهم الشبهة التي بها يتشدقون؛ وجعلوا بولس يعلّم « إنجيلاً » غير إنجيل المسيح، كأنه حرّف الإنجيل الأزلي، وأسس المسيحية على غير الأساس الذي وضعه المسيح. وإنما هي شبهة واهية ينقضها تعليم بولس وتركيزه الدائم على « صيغة التعليم » التي حدّدها الرسل صحابة المسيح للدعوة الإنجيلية.

●

ثانياً: أخصام بولس في غلاطية

إن أخصام بولس في غلاطية هم أخصامه في أنطاكية ثم في مجمع الرسل بأورشليم؛ لذلك ردّ على أهل غلاطية بمناورتهم في أنطاكية، ثم بمجمع الرسل الصحابة، وأظهر اعتراف زعيم الرسل وزعيم آل البيت به منذ هدايته، ثم اعتراف مجمع الرسل، وعلى رأسهم الأعمدة والوجوه، بطرس ويعقوب ويوحنا، برسوليته ودعوته. فأخصام بولس في أنطاكية ثم في أورشليم، هم أخصامه في غلاطية، ومن بعد في فيليبي وفي كورنثس، وربما في رومة: **غلاة النصارى من بني إسرائيل**، الذين يسميهم « جماعة من عند يعقوب » ويكشفهم سفر الأعمال، بأنهم جماعة من **الفريسيين المتنصرين**. (أع ١٥: ٥).

كانوا يريدون تهويد المسيحية التي ينادي بولس بتحريرها من الموسوية لذلك كانوا يتهمونه في دعوته، وفي رسوليته، وفي سلوكه. إنه « دخيل »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

على المسيحية، لا أصيل فيها مثل بطرس ويعقوب ويوحنا، الوجوه والأعمدة من صحابة المسيح وآل بيته ــ والتعبيران في عقلية البيئة الكتابية والإسرائيلية هما عنوان الصحة. فما يدعو به بولس هو « إنجيله » لا إنجيل المسيح! واستقامته في أعماله وفي أخلاقه مشبوهة: فهو تارة ينسخ الختان، وتارة يختن أتباعه مثل تيموتاوس، ابن ولايتهم! فقبل بولس التحدّي وسمى دعوته « إنجيلي » ــ وهذا ما يُسمى في علم البيان **أسلوب** « **التسليم** »، لبناء برهان عليه ــ وجزم بأنه « إنجيل المسيح » نفسه، « الذي لم أتسلمه من إنسان، ولا تعلمته، بل هو بكشفٍ من يسوع المسيح » (غلا ١: ١٢). فهو رسول بدعوة معجزة من المسيح، كما تدلّ سيرته وصلاته العابرة عند هدايته ببطرس زعيم الرسل، ويعقوب زعيم آل البيت. وما يسميه بولس معهم « إنجيلي » قد اعترف به الرسل الصحابة، مع الوجوه والأعمدة، في مجمع أورشليم (غلا ٢: ٩). وقد أذعن بطرس نفسه لحقيقته في أنطاكية العظمى، ولولا اذعان بطرس له، لما أشار بولس إلى الخلاف، لأن بقاءَه شهادة عليه. وتركيز الرسالة على اعتراف الصحابة وآل البيت به وبإنجيله، برهان قاطع على صحة الكشف الرباني له، ثم على وحدة الدعوة ووحدة الرسالة لإنجيل المسيح.

فأخصام بولس في غلاطية هم أخصامه في كل مكان، غلاة النصارى من بني إسرائيل، أي الفريسيون المتنصرون. بذلك تشهد الرسالة وسفر الأعمال. لكن أهل النقد الموتورين الذين يحاولون تفتيت المسيحية من داخل، قد بنوا **ثلاث شبهات** على تلك الأحداث.

في **شبهة أولى**، زعموا أن المسيحية من تأسيس بولس، لا من صحابة المسيح. وبولس في كل رسائله ينتمي إلى « **صيغة التعليم** » **الموجودة قبله في رومة** (رو ٦: ١٧)، التعليم الواحد الذي يدعو به جميع الرسل والمرسلين في كل مكان: « فسواء كان أولئكم أم أنا، فهكذا ندعو وهكذا آمنتم » (١ كو ١٥: ١١).

وفي **شبهة ثانية**، علقوها على خلاف بطرس وبولس في أنطاكية، قالوا بوجود دعوتيْن في العهد الرسولي: « **البطرسية** » و« **البولسية** ». قالت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بذلك مدرسة حديثة. لكن الظاهرة قديمة استرعت انتباه آباء الكنيسة. فتساءَلوا: هل المناظرة بين بطرس وبولس كانت واقعية أم تمثيلية؟ إن أوريجين ومن بعده الفم الذهبي اعتبراها تمثيلية، بسبب « الاتفاق التام » في مؤتمر أورشليم؛ وبذلك يدافعان عن كرامة بطرس التي تمسّها ظاهرة الخلاف. أما الرأي العام قديماً وحديثاً أنها كانت واقعية، لكن بالطريقة التي فصلناها: خلاف في السلوك وسياسة الكنيسة، لا خلاف في العقيدة والإيمان. والرسالة تعطي الأسباب التاريخية الواقعية: « الخوف من أهل الختان »، ومراعاة شعور جماعة يعقوب، زعيم آل البيت. وذكر بولس للخلاف يعني أنه كان عابراً، ولولا ذلك ما ذكره، لأن بقاءَه شهادة عليه. فالرسالة الغلاطية وتقرير سفر الأعمال (ف ١٥) يشهدان شهادة قاطعة بأنه لم يكن في العهد الرسولي أثر لقيام دعوتين باسم « البطرسية » و« البولسية »: لقد قام « **الاتفاق التام** » بين بولس والأعمدة « يعقوب وكيفا ويوحنا » (غلا ٢: ٩) على « حقيقة الإنجيل » وتحرير المسيحية من الموسوية. يؤيد ذلك تقرير لوقا التاريخي في أعمال المجمع (١٥: ١ ــ ٣٥).

وفي **شبهة ثالثة** قالوا بأن الخلاف الحقيقي كان بين بولس وبين يعقوب، أسقف أورشليم، وزعيم آل البيت. والوثائق التي لدينا تشهد بأنه لا خلاف بين بولس ويعقوب: فقد قبل يعقوب بولس يوم هدايته، واعترف به في مؤتمر الرسل، وساعده قبل توقيفه لاجتياز أزمة الثورة عليه بين غلاة النصارى من بني إسرائيل. أجل لقد كان بين بولس ويعقوب خلاف في فروع الشريعة، لا في شريعة الإنجيل أو عقيدته. كان يعقوب ــ وهو ليس من صحابة المسيح وإنْ كان ابن عمه ــ يقول بضرورة الأعمال لصحة الإيمان، كما يظهر من رسالته؛ وبولس يركز على فضل الإيمان على الأعمال. وكان يعقوب يسعى للتعايش السلمي بين النصارى من بني إسرائيل، أهل الدعوة الأولى، والمسيحيين من الأمميين، كما يظهر من الاستثناءات الأربعة التي وجهّها بعد المؤتمر إلى كنائس سوريا والأناضول، وألحقها لوقا بأعمال المؤتمر؛ لكن بولس كان يرى فيها انتقاصاً للحرية المسيحية. وخلاف في الرأي والسلوك ما كان ليفرّق في العقيدة والشريعة ما بين بولس ويعقوب، كما يظهر من حقيقة الوثائق الباقية لدينا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إنما الخلاف، كل الخلاف، كان بين بولس و« **قوم من عند يعقوب** » (غلا ٢: ١٢)، يسميهم « **الأخوة الكذبة** الذين اندسوا خلسةً في ما بيننا ليتجسّسوا حريتنا في المسيح يسوع بقصد أن يستعبدونا » لشريعة موسى (غلا ٢: ٤). وتقرير لوقا التاريخي ينص على أنهم قوم من الفريسيين المتنصّرين (أع ١٥: ٥)، لحقوا بطرس وبولس إلى أنطاكية لئلا تسيطر نظرية بولس على العالم الهلنستي، فتؤدي إلى نسخ الشريعة القومية، وتثير على أتباع المسيح نقمة اليهود، وغضبة الدولة الرومانية. وتعصبهم لفريسيتهم جعلهم يلاحقون بولس إلى غلاطية وفيلبي وكورنثس ورومة. وكانوا يتستّرون مرة باسم يعقوب، وتارة باسم بطرس. وقد دمغهم بولس بصفة متواترة في رسائله: إنهم « أخوة كذبة »، « يقلبون إنجيل المسيح ». فسفر الأعمال والرسالة الغلاطية يتفقان على الشهادة بأن الصراع كان بين بولس وغلاة النصارى من بني إسرائيل من أصل فريسي ــ لا بين بولس ويعقوب، ولا بين بولس وبطرس، ولا بين بولس وسائر الرسل.

وهذا الصراع بين بولس وغلاة النصارى من بني إسرائيل سيقسم أهل الإنجيل، بعد العهد الرسولي، إلى **المسيحية الأممية وإلى** « **النصرانية** » **الإسرائيلية** ــ لا إلى « البطرسية » و« البولسية » كما توهم بعضهم ــ وسنرى ذلك في الرسالة العبرانية، ورسالة يهوذا، ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا. وقد كان زعماء الدعوة الإنجيلية، مثل بطرس ويعقوب ويوحنا وبرنابا صادقي الرؤية والحذر من هذا الخلاف الناشب المتطور المستفحل. وقد انضم إليهم بولس نفسه في الرسالة الغلاطية. لكن الخلاف كان أمراً مقضيّاً. فانقسمت الدعوة الإنجيلية إلى « نصرانية » عاشت متقوقعة على نفسها إلى الإسلام وذابت فيه، وإلى المسيحية الخالدة أبد الدهر. والفضل في ذلك يعود إلى بولس الذي حرّر المسيحية من اليهودية، والإنجيل من الشريعة.

●

ثالثاً: ما بين الشريعة والإنجيل

إن السيد المسيح نفسه قد فصل في الصلة ما بين الإنجيل والشريعة (التوراة)

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بقوله في مطلع الدستور الإنجيلي: « لا تظنوا أني أتيت لأنسخ الشريعة والنبيّين! ما أتيت لأنسخ بل لأتمّم » (متى ٥: ١٧)؛ « وإني أقول لكم! إنْ لم يفقْ برّكم برّ الكتبة والفريسيين، فلا تدخلوا ملكوت السماوات » (متى ٥: ٢٠). هذا المبدأ الدستوري الثنائي يفسره الخطاب التأسيسي كله (متى ٥ ـ ٧). فيظهر أن الشريعة التي لم ينسخها المسيح هو الوصايا العشر، وإن تكميلها هو تطويرها من الظاهرية إلى الباطنية، ومن المادية إلى الروحية؛ وأن « البرّ » هو أركان الدين، الشهادة بالتوحيد، والصلاة، والصوم، والزكاة. ذانكما هما الشريعة والبرّ اللذان أتمهما الإنجيل وأكملهما. ثم ينسخ **السُنّة** في الحلال والحرام، كما ينسخ الطلاق وتعدّد الزوجات. ولا يصدّق الختان بحكم من أحكام الإنجيل. وهذا الموقف من الشريعة كان سبب قتل المسيح. فبيّن بقوله وعمله معنى التصديق والتفصيل والتكميل في الإنجيل للشريعة.

واصطفى الله بولس ـ وهو أعلم حيث يضع رسالته ـ لتفصيل الإنجيل وبيان **دور الشريعة** في قصة الإيمان وتاريخ الخلاص. وقد أوجز بولس ذلك في الرسالة الغلاطية، وفصّله في الرومانية. والسوآل الأكبر: « فلِمَ الشريعة إذن؟ » (ف ٣ كله).

١ ـ في تاريخ الخلاص، **الإيمان هو الأساس** منذ إبراهيم، والشريعة الموسوية طارئة عليه، « إنما أُضيفت بسبب المعاصي، حتى مجيء النسل، صاحب الموعد » (٣: ١٩). فالإيمان هو الأصل في الخلاص، كما يظهر من إيمان إبراهيم الذي حُسب له برّاً، قبل الشريعة (٣: ٦). و« به تتبارك الأمم جميعها » (٣: ٨) فالبركة الموعودة هي بالإيمان لا بالشريعة.

٢ ـ والحياة بموجب الشريعة هي حياة بها، لا حياة بالإيمان الإبراهيمي (٣: ١٢). والكتاب نفسه يصرّح: « إن البار بالإيمان يحيا » (٣: ١١) ولا يقول إنه يحيا بأحكام الشريعة. بل يعلن الكتاب نفسه أن الشريعة مرهونة « بلعنة » لمن لا يحفظها ـ ومَن يستطيع أن يحفظ أحكامها كلها! (٣: ١٠ ـ ١٢). فكأنّ الشريعة عهد لعنة وموت، لا عهد بركة وحياة مثل الإيمان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ـ **والشريعة طارئة** على عهد الإيمان الإبراهيمي في النبوة كلها وفي تاريخ الخلاص. وقصة الإيمان بالوحي والتنزيل، والنبوة والكتاب، ترتكز إلى إبراهيم، أبي الإيمان، وأبي الموعد بالبركة في « نسله » الأعظم، لجميع الأمم (٣: ١٥ ـ ١٨). فوصية الله لإبراهيم عهد ووعد: عهد بالإيمان ووعد بالبركة الشاملة لا القومية. وهذان العهد بالإيمان والوعد بالبركة أسبق من الشريعة وأكمل منها، لأن الشريعة قومية محصورة ببني إسرائيل، فلا تكون فيها البركة لجميع الأمم، ولا حياة الإيمان. لذلك لا يُنال الوعد الإبراهيمي بالشريعة، بل بالإيمان « بالنسل » الأعظم لإبراهيم، أي بالمسيح يوسع.

٤ ـ لكن ليست الشريعة بلا فائدة في تاريخ الخلاص. فإنها أشعرت الإنسان عمليّاً بعجزه عن الصلاح والكمال (٣: ١٩). فهي من طبيعتها عقد بين الله وبني إسرائيل، يُنسخ بعجز الإنسان عن إقامة أحكامه (٣: ٢٠) فكأنّ الشريعة عهد العجز عن الكمال. بينما الوعد بالإيمان الإبراهيمي لجميع الأمم، ليس عقداً، بل عهداً من الله للإنسان، لا ينسخه تقصير الإنسان، لأنه عطاء من الله.

٥ ـ لذلك كانت الشريعة **فترة تأديب** إلى أن يأتي المربي الأكبر ـ والمعلم الأعظم، وليّ العهد وصاحب الوعد (٣ ـ ٢٣ ـ ٢٩). فكأن الشريعة **عهد ابتدائي**، حين يأتي كمال العلم واليقين، في المسيح سيد المرسلين.

٦ ـ وكانت الشريعة **عهد وصاية**، على أبناء الله، في حداثة الإيمان، إلى أن يأتي ملء الزمان بمولد المسيح، وارث العهود والمواعيد كلها (٤: ١ ـ ٤). فلمّا أتى الإيمان، عند ملء الزمان، زال عهد الوصاية بالشريعة.

٧ ـ وكانت الشريعة **عهد الحرف**، أي عهد العبودية لأحكامها. فلمّا جاء الإيمان بالمسيح، جاء عهد البنوة لله، وعهد الحياة بروح الله، أي عهد حرية أبناء الله فانتقلنا من عهد الحرف في الشريعة، إلى عهد الروح بالمسيح (٤: ٦ ـ ٧).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تلك هي العلاقة بين الإنجيل والشريعة، في تفصيل بولس لإنجيل المسيح. لكن تحرير المسيحية من الموسوية كانت مأساة عانتها الجماعة الرسولية.

●

رابعاً: مأساة تحرير المسيحية من الموسوية

المشكل الأول والأكبر الذي واجه المسيحية في نشأتها، كان في فهم علاقة المسيحية بالموسوية، الممثلة بالشريعة، وشعارها الختان. وتحوّل المشكل إلى صراع بين الجماعة الرسولية؛ ثم إلى مأساة بين المسيحيين الأمميين الذين يأنفون من الشريعة القومية ومن شعارها الختان، وبين النصارى من بني إسرائيل الذين يرغبون في إقامة التوراة والإنجيل. مشكل في العقيدة، ومشكل في الرسالة جميعاً.

وفي وجدان الجماعة الرسولية، الذين كانوا مخلصين بكل براءَة في يهوديتهم، وصاروا مخلصين بكل غيرة في مسيحيتهم، تحوّل المشكل الإيماني إلى **مأساة وجدانية، وأزمة ضمير**، نشعر بخطورتهما في رسائل بولس. وقد بدأت تظهر علاماتهما في الرسالة الغلاطية، بعد تحديد العقيدة بتحرير المسيحية من الموسوية في مؤتمر الرسل. وكان خلاف أنطاكية آلم فصل من تلك المأساة؛ وملاحقة بولس إلى أنطاكية وغلاطية وفيليبي وكورنتس، فصول المأساة، التي نرى خاتمتها الموقتة في الرسالة الرومانية، ريثما يتم الشقاق بين « النصرانية » والمسيحية بعد العهد الرسولي.

فليس من السهل على الإسرائيلي المخلص الذي يؤمن بالإنجيل أن يتنكّر لقوميته، وشعارها الشريعة والختان، فيتحرّر من الشريعة القيّمة على الدين والقومية. لذلك سبق المسيح ففصل الدين عن القومية. فما هي صلة الإنجيل بالشريعة والختان؟ وكيف تنقذ الجماعة الرسولية أمر المسيح بدعوة العالم كله إلى الإنجيل، ويخالطون المشركين، « وإنما المشركون نجسٌ »؟! فهل من سبيل إلى إقامة التوراة والإنجيل جميعاً، أم لا بدّ من الاكتفاء بالإنجيل وحده؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وسرعان ما انفجرت أزمة الضمير، وظهرت المأساة بانقسام أتباع المسيح إلى فريقيْن: فريق يقول بإقامة التوراة والإنجيل، وهم النصارى من بني إسرائيل بفلسطين، تحت زعامة يعقوب وآل البيت؛ وفريق يقول بإقامة الإنجيل، من دون الشريعة التوراتية، لأن المسيح بتعليمه واستشهاده نسخها، وبيّن تكميلها بالإنجيل! وقاد حملة تحرير المسيحية من الموسوية بولس وأتباعه من الأمميين. وظل الرسل الصحابة حكماً بين الفريقين، بعد اعترافهم في مؤتمر أورشليم بصحة تفسير بولس لإنجيل المسيح.

وقد رأى السيد المسيح أن يظهر لبطرس ويعلمه بعمل رمزي ألاّ يقول « إنما المشركون نجس »، ليحمله على قبول الأمميين في المسيحية، بشخص كرنيليوس القائد الروماني، وعلى مخالطتهم ومؤاكلتهم. وأيّد الروح القدس ذلك بنزوله على أول المهتدين منهم، كما نزل على الرسل أنفسهم (أع ١٠: ١٥؛ ١١: ٩). مع ذلك تردّد بطرس نفسه في الطريقة التي هداه الوحي إليها، « خوفاً من أهل الختان، فتوارى وتنحى؛ فجاراه سائر اليهود (المؤمنين) في ريائه، حتى أن برنابا انقاد أيضاً إلى ريائهم » (غلا ٢: ١٣).

ولخطورة القضية، اصطفى الله رجلاً أعدته بيئته وثقافته لتلك الرسالة العظمى، لتحرير المسيحية من الموسوية. إنه بولس، « رسول الأمميين ». فعبد هدايته ظل نيّفاً وعشر سنوات، في خلوتيْن طويلتيْن، الأولى في العربية، والثانية في موطنه طرسوس، يتأمل في الدعوة الجديدة وفي علاقة الإنجيل بالشريعة، والصلة بين الإيمان بالإنجيل والبر بالشريعة، حتى ميّزه الله وفرزه لحمل « إنجيل ابن الله » إلى الأمميين. ففي مدة عشر سنوات ونيّف قاسى بولس في نفسه مأساة تمييز المسيحية عن الموسوية، قبل أن يعيش صراعها مع « الأخوة الكاذبين » الذين ينادون بإقامة التوراة والإنجيل معاً.

ونرى في الرسالة الغلاطية الفصلين الأول والثاني من ذلك الصراع في أنطاكية وفي غلاطية. ونتتبع الفصول الأخرى في سائر الرسائل. فقد دام الخلاف بين الفريقين طوال العهد الرسولي. ولم تفلح رسائل يعقوب وأخيه يهوذا من آل البيت، ورسائل بولس ثم بطرس ويوحنا من الرسل الصحابة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في تلافي المأساة وانشقاق كنيسة المسيح بعد العهد الرسولي إلى « النصرانية » الإسرائيلية والمسيحية الأممية. فكان تحرير المسيحية من الموسوية مأساتها الأولى التي تظهر بوادرها في الرسالة إلى الغلاطيين. لكن العزاء والنصر كانا في الحياة المسيحية عند تلك الجماعة الرسولية.

•

خامساً: الحياة المسيحية بحسب الرسالة الغلاطية

الحياة المسيحية هي **حياة البنوة** لله الآب، في المسيح، بالروح القدس: « إنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع » (٣: ٢٦). فالتبني الإلهي كان غاية رسالة المسيح: « فلمّا تم ملء الزمان، أرسل الله ابنه... لكي ننال التبني » (٤: ٥). وبرهان التبني الإلهي هو حياة روح الله والمسيح في المؤمن: « والدليل على كونكم أبناء أن الله أرسل روح ابنه إلى قلوبنا، ينادي فيها « أبّا » أي « يا أبتا »: فلست بعد عبداً، بل أنت ابن، وإذ أنت ابن، فأنت أيضاً وريث الله » (٤: ٧). **فميزة المسيحية على كل دين** إنها تنقل الإنسان من حالة العبودية لله بالفطرة، إلى حالة البنوة بنعمة المسيح. وتلك البنوة هي امتداد لبنوة المسيح نفسها، كأنما المسيحي بالعماد قد لبس المسيح نفسه، فصار واحداً معه (٣: ٢٧).

تلك البنوة الإلهية في المسيحي تجعله « خلقاً جديداً »: « فما الختان بشيء! ولا القلف بشيء! بل **الخلق الجديد** » (٦: ١٥). وهذا الخَلْق الجديد يتم في العماد المسيحي، الذي يجعل المؤمن والمسيح واحداً في الكيان والحياة (٣: ٢٧)، فيحيا المسيحي بحياة المسيح نفسها (٢: ١٩)، وذلك بروح الله الذي يفيضه بالعماد في قلوب المؤمنين (٤: ٧).

فحياة روح الله والمسيح في المسيحي كانت غاية الموعد في الكتاب، « كي تصير إلى الأمميين بركة إبراهيم في المسيح يسوع، فننال بالإيمان الروح الموعود » (٣: ١٤)، « فقد أغلق الكتاب على الكل تحت حكم الخطيئة، ليكون الوعد للمؤمنين لإيمانهم بيسوع المسيح » (٣: ٢٢) الذي يعطيهم الروح الذي يحيي (٣: ٢١)، وهو نفسه حياة المسيحيين (٥: ٢٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتلك الحياة في المسيح، بالروح هي علامة البار « لأن البار بالإيمان يحيا » (٣: ١١)، وثمرة التبرير بالمسيح (٢: ١٧)؛ فهي حياة الله (٢: ١٩) لأن « المسيح يحيا فيّ » (٢: ٢٠)، ونحن جميعاً « نحيا بالروح » (٥: ٢٥).

« فإن كنا نحيا بالروح، فعلينا أن نسلك بحسب الروح » (٥: ٢٥) وهذا السلوك بحسب الروح يقوم أولاً على « الإيمان العامل بالمحبة » (٥: ٦) فلا ينفي بولس ضرورة الأعمال الإيمانية، كما يدّعون، بل الأعمال بحسب الشريعة الموسوية؛ وهو يجعل « الإيمان العامل بالمحبة » **دستور السلوك المسيحي**.

وهذا الدستور المسيحي هو **دستور الحرية والمحبة:** « أيها الأخوة، إنكم قد دعيتم إلى الحرية، على أنْ لا تجعلوا هذه الحرية سبيلاً لإرضاء الجسد. بل عليكم أنْ يصير بعضكم خداماً لبعض بالمحبة، لأن تمام الشريعة كلها في هذه الوصية: أحبب قريبك حبّك لنفسك » (٥: ١٣ ـ ١٤). فبشرعة المحبة اختصر المسيح شريعة التوراة كلها، **وجعل المحبة شرعته:** « احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا أتموا شرعة المسيح » (٦: ٢).

ثم ينقل بولس **نشيد** « **السلوك بحسب الروح** » (٥: ١٦ ـ ٢٥)، ويقطع مقاطعه بتعليق عليها: « وأقول لكم:

« اسلكوا بحسب الروح ولا تقضوا شهوة للجسد
فإن الجسد يشتهي خلاف الروح والروح يشتهي خلاف الجسد

وكلاهما يقاوم الآخر فتعملون ما لا تريدون
فإن سرتم بحسب الروح فلستم بعد في نظام الشريعة

وأعمال الجسد بيّنة: الزنى والدعارة والفجور
عبادة الأوثان والسحر والعداوات والخصومات والأطماع

والمغاضبات والمنازعات والمشاقات والبدع
والمحاسدات والسكر والقصوف، وما أشبه ذلك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ــ وعنها أقول لكم، كما قلت أيضاً من قبلُ: إن الذين يفعلون أمثال هــذه، لا يرثــون ملكوت الله.

أمــا ثمــر الــروح فهــو: المحبــة والفــرح والســلام
والحلــْم واللطــف والعطف والأمانــة والوداعة والعفاف

ــ وأمثال هذه لا تقوم تجاهها شريعة!

فأصحاب المسيح صلبوا جسدهم وما فيه من أهــواء وشــهوات
فــإن كنــّا نحيــا بــالــروح فعلينا أن نسلك بحسب الروح »

●

سادساً: الرسالة الغلاطية صورة حية لبولس

تلك هي الرسالة إلى الغلاطيين، أولى الرسائل الكبرى في المسيحية. وفيهــا صــورة حية لتلك **الشخصية الجبارة** التي اسمها بولس.

فيها لوحة بيانية لسيرة بولس تظهر هدايته واصطفاءَه للرسالة العظمى، كما تبدو فــي عفوية مطلقة أخلاق الرجل ما بين اللطف والعنف، لطف بغير ضعف، وعنف بغيــر شــدة؛ وأخلاق الرسول ما بين حنان الأب وصلابة المعلم.

وفيها صفحة مجيدة لجهاد الكنيسة الرسولية في مواجهة المشــركين الحــائرين بــين إيمانهم الجديد، ووثنيتهم القومية، والشريعة التوراتية؛ تحمل آثار الصراع النفساني والعقائــدي لتحرير المسيحية من اليهودية، وتوطينها في البيئة الهلنستية. كما تحمل أمارات النزاع ما بين أهل الشرع وأهل الإيمان.

وهي تنقل لنا قصة من قصص البطولة في الرسالة المسيحية، ما بين اليهودية والوثنية والأديان السرية، في ظل الاستعمار الروماني.

إنها **تحدٍّ صارخ لكل القيم القائمة:** الوثنية وجبروتها، والهلنستية وحكمتها، واليهــودي وشريعتها، وسائر التيارات التي تتجاذب الناس في تلك الإمبراطورية الضخمة. وهذا برهــان عبقريتها وإعجازها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونرى في الرسالة أيضاً **جملة فنون أدبية** تظهر عبقرية الرسول الكاتب الأديب الخطيب: فهي كتاب تنبيه وتحذير؛ وبطاقة حياتية دفاعية لا حدّ لقيمتها؛ ورسالة رسولية بكل معنى الكلمة يكتبها رسول مسؤول من الطراز الأرفع؛ وشهادة قيمة لفهم الكتاب في وحيه القديم، على نور الإنجيل وتفسيره القويم؛ ومكتوب أب لأبناء له أحباء قد غرّر بهم قوم غرباء، يتموج بين العنف واللطف كي يكسبهم لأبيهم ورسولهم؛ وعجالة في أحكام « السلوك بحسب الروح » في الدين الجديد. وتلك الفنون الأدبية مجتمعة تُظهر عبقرية بولس في ما يسمونه « الادماج الفني » لعدة فنون، و« **الاقتدار الفني** » الذي ينتقل بك من فن إلى فن، بسحر الكلام، فتتحقق أن من البيان لسحراً، كما نشعر فيها.

وقد أخذ بعضهم من الموتورين، على بولس، عنفه فيها، فوصفها بأنها « **رسالة شرقية** » ليس فيها من أناقة الأتيكي شيء، قد وضعها يهودي تائه ثائر مثل بولس! وفاتهم أن بولس يخاطب فيها جالية عسكرية من المتقاعدين بلغة الشدة العسكرية، التي لا تخلو من الحنان الأبوي. وفاتهم أن بولس رسول أب، قبل أن يكون أديباً أفلاطونيّاً. وأي أب، في أدب أفلاطون، لا يثور ثورة بولس عندما يرى عقيدته في صميمها، البر بالإيمان بالمسيح لا بالشريعة، مهدّدة، لضرر أبنائه أنفسهم، والخطر عليها من ذلك في العالم كله. فالرسالة صورة طبق الأصل لشخصية بولس، « رسول الأمميين »: فهي رسالة مسيحية، من يهودي هلّيني فيه كل صفات العنصرين، إنها مزيج فني وكلامي، شرقي وغربي معاً، يطبعها **بطابع الاعجاز** الذي يعجز عنه نوابغ الأدب والخطابة والكلام والمراسلة. فليست قطعة بيانية منحوتة بطريقة بيروقراطية؛ إنما هي دفقة حياة، وصفحة جهاد، وخطبة بلاغ في تفصيل الإنجيل « إلى الغلاطيين ». فهي صورة حية للرسول والرسالة والمراسلين.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثانٍ

الرسالة الأولى إلى الكورنثيين
(الإنجيل والحكمة)

توطئة: قيمة الرسالة في تاريخ الدعوة المسيحية

للرسالة قيمة عظيمة في ذاتها، وبالنسبة لأهل المدينة المرسلة إليهم.

١ ـ **فهي وثيقة الدعوة المسيحية تجاه الحكمة اليونانية،** سيدة العالم في ذلك الزمان. وبما أن الحكمة اليونانية سيدة الفكر البشري، فالرسالة الكورنثية الأولى تحمل تحدّي الحكمة الإنجيلية للحكمة البشرية.

٢ ـ وبما أن كورنثس كانت عاصمة العهر والفجور الوثني الوثني في العالم الهلنستي، أكثر من رومة عاصمة الامبراطورية، فالرسالة **صورة جلية لمعجزة المسيحية** في تحويل الوثنية العاهرة، في عاصمة الثقافة والفجور، إلى القداسة والنور.

٣ ـ وفي **تعليمها** إيضاح بعض الأصول في العقيدة، وبعض الفروع في الشريعة. ويقوم التعليم فيها على التمسك بالإنجيل والسنّة الرسولية.

٤ ـ **فصفة الرسالة** إنها **تعليمية** أكثر منها دفاعية كالرسالة إلى الغلاطيين، لكنها راعوية أكثر من الرسالة الكلامية إلى الرومانيين.

٥ ـ ونرى في الرسالة **صورة حية أخرى لبولس** الكاتب الأديب الخطيب المتكلم الفقيه الصوفي الإداري، الذي ينطلق من الواقع الطارئ إلى ذروة المبدإ، يبني عليه تفصيل العقيدة والشريعة والسلوك.

٦ ـ وفيها يرتفع بولس ـ وهو يحتقر، بعد خبرته في أثينا، الأخذ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بأساليب الخطابة البشرية في دعوة الإنجيل ــ إلى **قمة الخطابة**، في مستوى ذيمْستين، الخطيب اليوناني الأكبر، كما يرى العارفون.

٧ ــ فقيمة الرسالة، في نشأة الدعوة المسيحية، عظيمة، **لتفصيل الإنجيل** في العقيدة والشريعة والسلوك. وذلك يجعلها مصدراً فريداً للوحي الإنجيلي. ومصدراً عظيماً من مصادر المسيحية في صراعها مع الحكمة اليونانية، قوة الوثنية الكبرى.

ونلاحظ أن التعليم البولسي هو **تفصيلٌ للبلاغ الرسولي** (١ كو ١٥: ١ ــ ١١). فالبلاغ والتعليم كان « بحسب الكتب » أي الكتب المقدسة ــ لا بحسب الحكمة، ولا بحسب الغنوص، ولا بحسب الشريعة الموسوية نفسها؛ بل بحسب النبوة في الكتب المقدسة، التي تحققت في الإنجيل. فهذا التصريح « بحسب الكتب »، مرتين، برهان على مصادر بولس في دعوته. ويقطع الطريق على انتحال مصادر غريبة له.

۞ ۞ ۞

باب أول: تمهيد للرسالة الكورنثية الأولى

يتناول هذا التمهيد المعلومات العامة التي تساعد على فهم الرسالة، مثل تاريخ المدينة ونشأة المسيحية فيها، وظروف كتابة الرسالة.

أولاً: مدينة كورنثس، في زمن الدعوة المسيحية

كانت كورنثس عاصمة أخائية كلها في عهد الحكم الروماني. فقد تأسست في القرن التاسع قبل الميلاد. وبلغت أوج عظمتها مرة أولى في القرن السادس على عهد حكامها الدكتاتوريين، ومرة ثانية في العهد الهلنستي ما بين الإسكندر والعهد الروماني. فقد دمّرها الرومان تدميراً كاملاً عام ١٦٤ ق.م وبقيت خاملة منسية حتى أعاد بناءها عام ٤٤ يوليوس قيصر، **وجعلها مركزاً**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لجالية رومانية. وصارت عاصمة لولاية أخائية كلها عام ٢٧ يحكمها نائب قنصل روماني (أع ١٨: ١٢)، لأنها أمست أكبر المدن اليونانية.

وقد نالت هذا المركز المرموق بسبب موقعها الجغرافي كبرزخ بين خليجين لها، فيهما، مرفأ شرقي ومرفأ غربي. ولذلك كان لقبها « ذات البحرين » أو « بين البحرين ». وهذا المركز جعلها قبلة شعوب كثيرة مختلطة من يونانيين وفينيقيين وأسيويين (من الأناضول) ومصريين، إلى جانب الرومانيين، العنصر الأرستقراطي الغالب فيها. لذلك استوطنتها **جالية يهودية** ذات نفوذ قوي (أع ١٨: ٤). فكثرت فيها المعابد بجميع الآلهة والأديان.

وميزتها ذلك **الخليط الاجتماعي**، المبني أيضاً على التفريق الاجتماعي بين الأحرار والعبيد، فكان فيها نحو مئتي ألف من الأحرار، وأربعماية ألف من العبيد. وفي عاصمة خليط مثل كورنثس، يكثر فيها **العمران والتجارة والثقافة**، لا بدّ من كثرة الفسق والفجور، ولا سيما والعبيد والإماء فيها جيش لجب. فكان فيها معبد عظيم لإلهة العشق أفروديت، يمارس فيه نحو ألف عابدة **الزنى الديني**، كما نقل سترابون.

فانتشرت فيها الإباحية بشكل مريع، في أحط مظهر من **الانحلال الخلقي**، حتى غدا اسم كورنثس مضرب المثل في العهر، يقولون « كَوَرْنَثَ » أي تبدّل وتهتّك، وتوصف كل عاهرة بأنها « كورنثية ». وهذا الواقع يفسر حملة بولس على الإباحية الوثنية في رسالتيْه إلى كورنثس (١ كو ٥: ١؛ ٦: ٩ ــ ٢٠؛ ١٠: ٨؛ ٢ كو ٧: ١)، وفي رسالته إلى الرومانيين التي كتبها في كورنثس (١: ١٨ ــ ٢٢).

لكن كانت كورنثس أيضاً مركز الثقافة الهلنستية والحكمة اليونانية أكثر من أثينا، حتى سمّاها شيشرون « نور اليونان كلها »، كما كانت أفسس « نور آسيا » الرومانية. فلا بدّ أن تصير كورنثس محور التحدّي بين حكمة الإنجيل وحكمة الفلسفة، لأنها عاصمة العهد والنور في الوثنية الهلنستية.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثانياً: تأسيس المسيحية في كورنثس، عام ٥٠ ــ ٥٢

لقد أسس بولس المسيحية في كورنثس، ما بين الأمر بطرد اليهود من رومة عام ٤٩ (أع ١٨: ٢) ــ وهو أيضاً عام مؤتمر الرسل بأورشليم ــ وعام ولاية غاليون، ابن أخي الفيلسوف سينيكا، على أخائية عام ٥٢. وهذه الظروف ساعدته على غزو كورنثس. فأقام فيها مدة عامين كاملين (٥٠ ــ ٥٢).

يذكر لوقا (أع ٢٨: ٢ ــ ١٨) تأسيس المسيحية فيها بنجاح باهر، في رحلته الثانية، بعد مجمع الرسل. جاءَها بولس، بعد فشله الذريع في أثينا (أع ١٧: ٣٢؛ ١٨: ١) كما صرّح لأهل كورنثس: « كنت عندكم في ضعف وخوف وارتعاد » (١ كو ٢: ٣). فقد أضاع أمله الذي ورثه عن فيلون، وتيار سفر الحكمة من قبله، بأن تكون الحكمة اليونانية مدخلاً إلى التوحيد الكتابي، ومن ثمّ إلى حكمة الإنجيل. فرجع في كورنثس إلى بساطة الدعوة الإنجيلية وحكمتها السامية التي تختلف أساليبها عن أساليب الحكمة البشرية.

ويصف لنا بولس **أسلوب دعوته وموضوعها** في كورنثس: « أيها الأخوة، لمّا أتيتكم، لم آتِ ببراعة الخطابة أو الحكمة لأبشركم بالشهادة لله. فإني جزمت ألاّ أعرف شيئاً، بين ظهرانيكم، إلاّ يسوع المسيح، وصلبه. ولقد حضرت إليكم في ضعف وخوف وارتعاد كثير. ولم يعتمد حديثي ودعوتي على أسلوب الاقناع بالحكمة، بل على ظهور الروح والقدرة (المعجزة)، لكي لا يقوم إيمانكم على حكمة الناس، بل على قدرة الله » (١ كو ٢: ١ ــ ٥). ومع دعوة الصليب، ركّز بولس أيضاً تبشيره لهم على عقيدة القيامة والإيمان باليوم الآخر، في بلد غارق في المادة والحس ولذة اليوم الحاضر. فأضاف إلى دعوة الصليب، كما عند الغلاطيين، دعوة القيامة. وكان في كورنثس، كما في غلاطية، العنصر الروماني المستقر المستوطن هو الأقوى. وهذا أيضاً سهّل لبولس، المواطن الروماني، دعوته في العاصمتين. وهذا كذلك سبب كثرة الأسماء اللاتينية التي تذكرها وثائق الدعوة المسيحية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عند وصوله إلى كورنتش، التقى فيها بولس بأسرة مسيحية، أكيلا وبرسكلا، شملها الطرد الروماني لليهود من رومة، تشتغل بحياكة الشعر ــ وكانت صناعة بولس ــ فأخذ يعمل معها. وكان يخالط الشعب ويدعو للمسيح.

وتوجه بدعوته، على عادته، إلى اليهود أولاً. « وكان بولس يخطب في الجامع كل سبت عاملاً على إقناع اليهود والمتقين من الهلينيين. ولمّا قدم سيلا وتيموتاوس من مقدونية (حيث كانا في تسالونيكية يحميانها في محنتها، ومعهما بعض التبرعات من أهل فيلبي)، انقطع بولس للدعوة، « **شاهداً لليهود بأن يسوع هو المسيح** » (أع ١١: ٤ ــ ٥). فآمن كرسبس رئيس الجامع، وجميع أهل بيته، مع بعض اليهود، وكثيرون من الكورنثيين المتقين. لكن جمهور اليهود رفض الدعوة وقاومها. فاتجه بولس حينئذ إلى الأمميين مباشرة، واتخذ بيت يُسْتُس، أحد « المتقين » المهتدين مقراً له، بجانب الجامع اليهودي. وهذا ملء التحدي.

فكثرت الهداية بين جماهير الشعب، مع بعض النبلاء والأغنياء والمثقفين، كما يصفهم بولس: « أيها الأخوة، انظروا إلى المهتدين فيكم: فليس فيكم كثيرون حكماء، بحسب البشرية، ولا كثيرون نبلاء » (١ كو ١: ٢٦). ويظهر من الرسالة (٨: ١٢؛ ١١: ٥) أن عدد النساء الشريفات اللواتي اعتنقن المسيحية كان وافراً. فكانت في كورنتش **أكبر كنيسة** أنشأها بولس.

أقام في كورنتش سنة وستة أشهر (أع ١٨: ١١). ولمّا قدم القنصل الجديد غاليون، قامت عليه ثورة اليهود. لكن الفتنة فشلت بسبب ترفّع غاليون عن النظر في قضايا دينية، في مدينة ملأى بالأديان المختلفة. لكن بولس، « بعد أيام غير قليلة » من فشل المؤامرة (أع ١٨: ١٨) ترك كورنتش، ورجع إلى أنطاكية العظمى يخبر الكنيسة الأم بما فعله الرب بواسطته في بلاد اليونان. فكانت رحلته الثانية الفتح المسيحي لليونان، في مقاطعتي مقدونية وأخائية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولمّا غادر بولس كورنثس وصلها، آتياً من أفسس، أبولّس. وكان « رجلاً فصيحاً، عليماً بالكتب المقدسة. فساعد بالنعمة المؤمنين، لأنه كان يحاجّ اليهود جهراً حجّاً بليغاً، فيبيّن لهم من الكتب أن يسوع هو المسيح » (أع ١٨: ٢٤ ــ ٢٨). فأتمّ دعوة بولس. وظهر لدى المثقفين أنه أبلغ من بولس في الخطابة وعلم الكلام؛ فأخذ جماعة منهم ينتسبون إليه (١ كو ١: ١٢).

لقد نجحت الدعوة المسيحية في عاصمة اليونان الجديدة نجاحاً باهراً؛ بفضل مظاهر الحياة المسيحية، ومواهب الروح القدس، التي تفجرت فيهم، خصوصاً مواهب الفهم والعلم التي استلفتت عقول الناس: « إني أشكر الله، كل حين، لأجلكم، على نعمة الله التي نلتموها في المسيح يسوع. فيه قد اغتنيتم في كل شيء، بكل كلام وكل معرفة، على قدر ما رسخت فيكم الشهادة للمسيح، حتى أنه لا يعوزكم بعد شيء من المواهب » (١ كو ١: ٤ ــ ٧). لكن ما عتمت أن ظهرت فيهم رواسب الوثنية، ونزعات الجدل البيزنطي في العقيدة الجديدة. فكان ذلك سبب اتصال بولس الدائم بهم برسائله ومندوبيه إليهم، ووفودهم إليه.

●

ثانياً: مناسبة الرسالة وأسبابها

السبب الأساسي للرسالة هو **احتكاك الإنجيل بالحكمة الهلنستية** للمرة الأولى. ويظهر ذلك الاحتكاك من **التيارات الثلاثة** التي كانت تتحكم بالهلنستية خصوصاً في العاصمة كورنثس: ١ **ــ تيار الغنوص** الذي جعل بعض المثقفين يرى في الدعوة الإنجيلية حكمة من حِكَم الشرق الوافدة عليه، ونسبوا إلى بولس ضعفه في الحكمة. فردّ عليها أن حكمة الإنجيل وحكمة الصليب أحكم من حكمة البشر؛ لكن لعدم نضجهم وبلوغهم في المسيحية لم يتقبلوها (٢: ٦؛ ٣: ١). ٢ **ــ تيار الثانوية** الذي يقسم وحدة الإنسان إلى عنصرين، فيجعل الروح أسير المادة. والنتيجة المحتومة إمّا استعباد الجسد بالزهد المفرط، والإماتة البالغة كما سنرى في كولوسي،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وإمّا كما في كورنثس الترقع على الجسد أو الإباحية المطلقة له لأن المادة لا تمس الروح بشيء (٦: ١٢؛ ١٠: ٢٣) ما بين تفريط وإفراط، من دعوة إلى الامتناع عن الزواج (ف ٧)، إلى الاستهتار في مسألة الدعارة حتى أنهم لم يطردوا من الاجتماع مَن حاز امرأة أبيه (٥: ١ ــ ١٣؛ ٦: ٩ ــ ٢٠)، إلى فهم خاص للقيامة التي تبشر بها المسيحية، في خلود للنفس من دون الجسد (ف ١٥). **٣ ــ وتيار الأديان السرية** المتحكمة بالهلنستية، فرأى بعضهم في طقوس العماد والقربان شركة مشابهة للسرّية، فحوّلوا الحفلات الدينية إلى مرابع ومراتع. ٤ ــ وهناك **تيار اجتماعي خاص** بكورنثس، وهو تحوّل الوحدة القومية والوطنية إلى جمعيات خاصة مستقلة؛ فرأى بعضهم في المسيحية إحدى تلك الجمعيات. وقد استغل بولس ذلك الوضع الاجتماعي فشدّد على استقلال المسيحية في المدينة (٦: ١ ــ ٨). فتلك **التيارات الأربعة** كان لا بدّ لها من أن تتحدى المسيحية الغازية، وتحمل بولس على المراسلة المتواصلة مع كنيسة كورنثس، في كل مناسبة.

كانت **المناسبة الأولى** تشكيك بعضهم بالقيامة، مع فسق أحدهم يحوز زوجة أبيه، كما بلغ بولس وهو في أفسس. فكتب إليهم رسالة أولى يحرم فيها الفاسق (١ كو ٥: ١ ــ ٣)، ويبين معنى الحرية المسيحية تجاه الشريعة (٩: ١ ــ ١١: ١)، ويفسّر حقيقة وكيفية القيامة بجسد روحاني (١٥: ١ ــ ١٨)؛ كما يمنع الشركة المفسدة مع المشركين (٢ كو ٦: ١٤ ــ ٧: ١). ويظهر أن هذه الرسالة ضاعت (١ كو ٥: ٩). لكننا بالحري نرى أنهم دمجوها في الرسالة القانونية الأولى الباقية عند جمع تراث بولس في الفصلين (٥ و١٥)، لأنه ليس من المعقول أن يضيع تلاميذ بولس رسالة من معلمهم العظيم.

وساءَت الأخبار أكثر فأكثر، فجاءَه بواسطة وفد السيدة خلوئي (١ كو ١: ١١) خبر الشقاق والتحزب، بسبب دعوة أبولّس ودعوة النصارى من بني إسرائيل؛ وقصة المفاضلة بين حكمة الإنجيل وحكمة اليونان. فكانت **المناسبة الثانية** فكتب لهم رسالة ثانية هي القسم الأول من الرسالة القانونية الأولى (ف ١ ــ ٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولحق بهم وفد آخر باسم الكنيسة يحمل استفتاءات في مشاكل دينية اجتماعية. فـأفتى بولس فيها برسالة ثالثة هي القسم الثاني (٧ ـ ١٤) من الرسالة القانونية الأولى، كما سـنرى في بحث وحدة الرسالة. فكانت **المناسبة الثالثة** للكتابة إليهم.

تلك هي المناسبات الثلاث للرسالة القانونية الأولى إلى الكورنثيين. وهي تقسمها إلـى ثلاثة أقسام، نحب أن نرى فيها **مجموعة ثلاث رسائل**، ضمت عند جمع تراث بولس للـتلاوة في الكنائس. فإننا لا نظن كنائس بولس أضاعت بعضاً من رسائله التي يشير إليها (١ كـو ٢: ٣؛ ٥: ٩؛ ٧: ٨؛ ٢ كو ٢: ٤؛ ٧: ٨). ويساعد على فهم تعدّد رسائل بولس إلـى كـورنثس ظهور التحزب المتواتر فيها لأشخاص الدعاة.

●

رابعاً: الأحزاب الشخصية في كورنثس

بلغ تحزّب الكورنثيين لدعاة المسيحية مبلغاً عظيماً حمل بولس على نقل أقوالهم: « أنا لبولس! ـ أنا لأبولس! ـ أن لكيفا! أنا للمسيح! » (١ كو ١: ١٢).

وهذا التحزّب يرجع إلى نظرة قاصرة للدعوة المسيحية: فقـد فهموهـا علـى مثـال الدعوات الهلنستية للحكمة، فتحزّب كل فريق لرسول. فأفهمهم بـولس أن الـدعوة المسـيحية واحدة، لا محل فيها لتعدّد المدارس والدعاة: « أتُرى المسيح انقسم؟ أبولس صُلب من أجلكـم؟ أم باسم بولس قبلتم المعمودية؟ » (١: ١٣). بولس أولى الدعاة بهم ينزّه نفسه عن التحزب له، ومن لطفه يذكر اسمه فقط، من باب التورية.

وسبب التحزّب يعود إلى حدثين طرأا على كنيسة كورنثس بعد مغادرة بولس. جاءَهـا أولاً أبولّس الخطيب المتكلّم فخلب المثقفين بينهم بعلمه وبلاغته حتى فضّـله بعضـهم علـى بولس. ثم جاءَها بعض النصارى من بني إسرائيل الذين يتتبعون بولس من كنيسة إلى كنيسـة ليقاوموا تعليمه بتحرير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيحية من الموسوية. وربما استغلوا مرور بطرس (كيفا) بكورنثس وهو في طريقه إلى رومة؛ واستغلوا خلافه مع بولس في أنطاكية. فبلبلوا الكنيسة، وجمعوا لهم حزباً باسم كيفا. وهذا هو الحزب الوحيد بالمعنى الصحيح. لكن بطرس براء منه.

فإن بولس لم ينشئ حزباً، بل يريد الجميع للمسيح (١: ١٢ ـ ١٤). وأبولس نفسه لم ينشئ حزباً، بل لمّا ظهر التحزّب غادر المدينة وذهب إلى بولس في أفسس، ولم يقبل بنصيحة بولس للعودة إليهم (١٦: ١٢).

وحزب المسيح هم الذين ترفعوا عن التحزّب، للتمسك بالمسيح من دون دعاة المسيحية. وهذا هو روح بولس أيضاً.

لذلك نلاحظ أن **التحزب في كورنثس كان شكلياً**، لم يخلق بينهم فِرَقاً ولا بدَعاً. وكان الخطر الوحيد في « حزب كيفا » الذي أنشأه غلاة النصارى من بني إسرائيل. هذا وحده خلق لبولس مشاكل. لكنه قضى عليه بالرسالة الثانية. أمّا التحزب لبولس أو لأبلّس أو للمسيح فقد قضى عليه منذ الرسالة الأولى. فحزب بولس وحزب المسيح ليسا موضوع جدل. وحزب أبولس فقد أفهمه بولس أن تعليمه الأولي لهم كان « التعليم الابتدائي » في المسيح، للمبتدئين، « الأطفال في الإيمان » وهو يعرف جيداً أن « ينطق بالحكمة بين البالغين » (١ كو ٢: ٦) فانتهى أمره. لكن الدعوة « النصرانية » كادت تقضي على سلطان بولس، لولا الوفود والرسائل المتواترة إليهم، حتى قضى على الفتنة في مهدها، كما سنرى في الرسالة الثانية.

ونرى عبقرية بولس في التسامي من الواقع الضيق، بالتحزّب لأبولس، إلى العقيدة المبدئية في فضل الإنجيل على الحكمة، وهذا محور الرسالة. وأسباب التحزّب في كورنثس تفرض مسألة البحث في وحدة الرسالة.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خامساً: وحدة الرسالة الكورنثية الأولى

الوحدة القانونية والأثرية قائمة لا ريب فيها. فلا أثر في المخطوطات ولا في الترجمات لتعدّد في الرسالة. وهكذا عرفتها المسيحية منذ العهد الرسولي.

لكن وحدتها الأثرية والقانونية ليست برهاناً على **وحدتها الفنية والبيانية والموضوعية**. والقول بأن « الرسالة الأولى إلى الكورنثيين » هي مجموعة رسائل توحّدت عند جمع التراث البولسي للتلاوة في الكنائس، ليس طعناً في صحتها. إنما هو تفسير لواقعين في الرسالة لا تفسير لهما إلاّ بنظرية الجمع والتوحيد.

الواقع الأول هو إشارات الرسالة إلى **رسائل أخرى سبقتها** (١ كو ٢: ٣؛ ٥: ٩؛ ٧: ٨). وليس من المعقول، ولا من المقبول أن تضيع كنائس بولس خصوصاً أهل الثقافة والرئاسة والمسؤولية في كورنثس، رسالة من بولس، رسولهم وأبيهم ومعلمهم المحبوب. وواقع الرسالة يؤيد أنها جواب على أخبار وفد السيدة خلوئي للتحزب في كورنثس (١: ١٢)؛ وأنها جواب أيضاً على بعض استفتاءاتهم (٧: ١)، وأنها جواب أخيراً لتفصيل إنجيل القيامة (١٥). فتلك أجوبة ثلاثة في مناسبات ثلاث.

والواقع الثاني هو تلك **المناسبات الثلاث** للرسالة. ولم تقع المناسبات الثلاث في آن واحد، ليجيب عليها بولس برسالة واحدة. والإشارات المتواترة إلى رسائل أخرى برهان على أن بين المناسبات الثلاث أزمنة متفاوتة. فقد بدأت الأزمة في كورنثس عند دعوة أبولّس فيها. ووصل الخبر إلى بولس في أفسس. فلا يمكن أن يسكت بولس على ذلك التحزب. ثم نرى أبولس عند بولس في أفسس يتنصل من التحزب ويأبى الرجوع إلى كورنثس. وهذا الموقفان متفاوتان في الزمن. ثم تطورت الأزمة باندساس بعض النصارى من بني إسرائيل في كنيسة كورنثس فظهر التحزب الحقيقي. وما كان لبولس الذي لم يسكت في أنطاكية ولا في غلاطية على بدعة النصارى من بني إسرائيل حتى يمهلهم طويلاً في كورنثس. فنرى بدء الحملة عليهم في الرسالة الأولى، وتصفية حركتهم بعد استفحالها في الرسالة الثانية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتأتي الوفود إلى بولس وترجع حاملة معها مكاتيبه؛ وترد عليه أسئلتهم فيردّ عليهم. ولا يعقل أن ينتظر بولس ثلاث سنوات (٥٤ ــ ٥٧) حتى يستجمع عناصر الأزمة والرد عليها. بل كان يتداركها تباعاً برسائله وموفديه.

فذانك الواقعان يفرضان **الحل الوحيد المعقول** والمطابق للواقع. إن الرسالة الأولى القانونية إلى الكورنثيين هي **مجموعة ثلاث رسائل،** فلم تَضعْ رسالة من بولس. يقول في الرسالة القانونية الأولى: « كتبت إليكم في رسالتي ألاّ تخالطوا الزناة » (٥: ٩) ثم يفسّر لهم أمره. فالرسالة الأولى كانت إذن في قداسة الزواج ونجاسة الزنى؛ وهذا ما نراه في (١ كو ٧ كله؛ ٥: ١ ــ ٨ مع ١٢: ٢٠). وقوله: « أما ما كتبتم به إليّ[1] ... » (٧: ١) يعني أنه يأخذ في الردّ على استفتاءاتهم. والرد على الاستفتاء الأول هو في الزواج والبتولة؛ فهو موضوع الرسالة الأولى المحسوبة مفقودة. والفصل في قيامة المسيح (ف ١٥) يظهر مطلعه مطلع رسالة مستقلة؛ كما أن الفصل في الحرية المسيحية (٩: ١ ــ ١١) يقطع الفتوة في ذبائح الأوثان، فكأن بولس سمح بها مبدئياً لأنه ليس للوثن من حقيقة، ثم عاد فحرمها عمليّاً بسبب شك الضعفاء في الإيمان؛ وهذان موقفان في رسالتيْن جُمعتا في واحدة. فذانك الفصلان كانا موضوع رسالة ثانية. أخيراً جاءَه خبر التحزب للرسل بواسطة جماعة السيدة خلوئي (١: ١١) وفي المفاضلة بين حكمة الإنجيل وحكمة اليونان، فأجاب عليه برسالة ثالثة، كانت القسم الأول من الرسالة القانونية الأولى (١ ــ ٦).

وعند جمع تراث بولس للكنيسة الجامعة، جُمعت مكاتيبه الثلاثة إلى كنيسة كورنثس، لتكون رسالة عامة، فكانت « الرسالة الأولى إلى الكورنثيين ». وفصلوها عن مكاتيبه في « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين » لأن هذه تتعلق بزمن آخر هو فتنة النصارى من بني إسرائيل لأهل كورنثس، لما تحولت إلى ثورة على بولس.

---

(١) وهذا الافتتاح: περι δὲ τῶν يتواتر أربع مرات (٧: ١؛ ٧: ٢٠؛ ٨: ١؛ ١٢: ١) فيجمع المواضيع الأربعة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهذا التحليل الفني والعلمي والتاريخي لا يمس صحة الرسالتيْن، ولا يُنقص من إعجازهما. وهو وحده يفسّر ظاهرة رسائل محسوبة أنها مفقودة، وهي موجودة في الرسالتيْن القانونيتيْن. والخلاف بين وحدة قانونية، وتعدّد فني وتاريخي، أمر يسير لا يمس الموضوع ولا التعليم، ولا يمس أيضاً وحدة الزمان والمكان.

●

سادساً: مكان صدور الرسالة

المكان صريح فيها، سواء اعتبرناها واحدة، أم ثلاثاً في واحدة: لقد كتب إليهم من أفسس، وهو يشير على عيد الفصح (١ كو ٥: ٧ ـ ٨)؛ ثم يقول لهم: « إني مقيم في أفسس إلى يوم الخمسين... ولسوف آتيكم، بعد اجتيازي في مقدونية عابرَ سبيل » (١ كو ١٦: ٥ ـ ٨ مع ١٩). فتكون الرسالة أو الرسائل المجموعة في واحدة، من أفسس، من زمن رحلة بولس الثالثة.

●

سابعاً: زمان صدور الرسالة

كتب بولس إلى الكورنثيين في مشاكلهم ومسائلهم مراراً ما بين ٥٤ ـ ٥٧ من أفسس. فإذا اعتبرنا الرسالة وحدة قانونية من ثلاث رسائل في ثلاث مناسبات، كانت على فترة ثلاث سنوات ما بين ٥٤ ـ ٥٧. أما إذا اعتبرناها وحدة تاريخية وفنية فهي من ختام إقامته بأفسس، ما بين الفصح (١ كو ٥: ٧ ـ ٨) والعنصرة (١ كو ١٦: ٥ ـ ٨ مع ١٩) من العام ٥٧، لأن الحوادث التي يشير إليها (١ كو ١٦: ٩) قد أرغمته على تعجيل سفره إلى مقدونية فكورنثس، كما ينقل لوقا (أع ١٩: ٨ و١٠ و٢١ ـ ٢٢؛ ٢٠: ١). والخلاف ما بين سنة أو ثلاث سنوات يسير لأن المكان واحد والأزمة على أشكالها واحدة؛ وهو لا يمس صحتها.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثامناً: صحة الرسالة الكورنثية الأولى

صحتها تقوم على اعتبارات جامعة مانعة في وحدتها:

١ ـ سواء كانت الرسالة واحدة أم موحدة من ثلاث، فإن صحتها لا يشك فيها أحد من أهل النقد والعلم ـ ما عدا بعض الموتورين من القرن الماضي. **وإجماع العلماء** اليوم شامل متواتر.

٢ ـ وهذا الإجماع العلمي يستند إلى **إجماع أثري**. فنقلها متواتر في جميع المخطوطات والترجمات.

٣ ـ والإجماع العلمي والأثري يعتمد أيضاً على **إجماع تاريخي**. فإشارات كتبة المسيحية منذ العهد الرسولي إليها كثيرة. ويذكرون منها في رسائل اغناطيوس الأسقف الأنطاكي الشهيد عام ١٠٧ نحو أربعين اقتباساً.

٤ ـ وذلك الاجماع الثلاثي يؤيد **شهادة السُنَّة المسيحية** بالإجماع والتواتر في تلاوتها بجميع الكنائس منذ العهد الرسولي.

٥ ـ يضاف إلى ذلك **شهادة النقد الذاتي**: فالرسالة لغة بولس وإنشاؤه وأساليبه في البيان والتبيين؛ وهي ملأى بإشاراته المعهودة إلى صحة رسوليته وصحة دعوته.

٦ ـ ناهيك عن الصورة الصادقة **لأخلاق الكورنثيين** فيها، كما نعرفها من أدباء العصر: صورة أهل العهر والجدل.

٧ ـ لكن صورة **الحياة المسيحية** التي خلقتها الدعوة الإنجيلية في مدينة النور والعهر، من التنافس في الإيمان والرجاء والمحبة، وفي ميزة المواهب الروحية التي تجلت فيهم، تشهد لصحة الرسالة في العبقرية المسيحية التي نعرفها من مصادر أخرى.

فصحة الرسالة الأولى إلى الكورنثيين قائمة، لا يطعن فيها ما رأيناه من تفكك في وحدتها، التي هي وحدة قانونية لا فنية وتاريخية؛ بل تؤيدها وحدة الأسلوب البولسي.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تاسعاً: أسلوب الرسالة

أسلوبها **التعليمي** يختلف عن الأسلوب الدفاعي الذي رأيناه في الرسالة الغلاطية، وسنراه في الرسالة الكورنثية الثانية، لكنه أسلوب تعليمي مباشر أكثر من الأسلوب الكلامي الرفيع في الرسالة الرومانية.

وأسلوبها اللغوي والإنشائي والبياني هو أسلوب أهل الثقافة العالية، كما يبرز من خلال الترجمة السبعينية للكتاب، والتي يقتضي بولس أثرها.

ويرى العارفون أن أسلوبها الخطابي يضارع أسلوب ذيموستين، خطيب اليونان الشهير، كما أشرنا.

ومقارنة الحكمة الإنجيلية المنزلة، بالحكمة اليونانية البشرية، هو **أسلوب متكلم ضليع** في الكتاب والحكمة لتفصيل الإنجيل وبيان فضله على الكتاب والحكمة.

فالرسالة، من حيث أسلوبها. في طليعة الرسائل في آداب الدين والدنيا.

●

عاشراً: موضوع الرسالة

ينجلي موضوعها من مناسباتها الثلاث.

١ ــ بولس يرد على الشقاق والشكوك التي ظهرت بين الكورنثيين. إن التحزب لدعاة المسيحية ليس من روحها في شيء؛ إنما هو ناجم عن رواسب الحكمة البشرية. وفاتهم أن حكمة الإنجيل تفضل كل حكمة (ف ١ ــ ٤) والشكوك الناجمة بينهم هي من رواسب الوثنية الهلنستية في الإباحية الخلقية، والتقاضي لدى الحكام الكفار (ف ٥ ــ ٦).

٢ ــ ثم يُفتي بولس في المسائل المطروحة عليه بمكتوب من كنيسة كورنثس (ف ٧ ــ ١١). استفتوه في الزواج والبتولية (ف ٧)؛ وفي الأكل من الذبائح للأوثان (٨ ــ ٩: ١)؛ فأجابهم برسالة صارت قسماً من هذه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ــ أخيراً بلغ بولس من موفديه أو من وفودهم أخبار عن سلوكهم في اجتماعاتهم الدينية (٩: ٢ ــ ١٤)، وعن جدالهم في قيامة الأموات (ف ١)، فأبان لهم تعليم الإنجيل في العقيدة وفي السلوك.

وتفصيل تلك المواضيع نراه في تحليل الرسالة.

۞ ۞ ۞

باب ثانٍ: تحليل الرسالة الكورنثية الأولى

المطلع: (١: ١ ــ ٩): العنوان والتخلص إلى الموضوع.

١ ــ **العنوان:** من بولس الرسول، سلام من الله والمسيح (١: ١ ــ ٣).

٢ ــ **حسن التخلص:** بالحمد لله على هدايتهم، وفيض الحياة المسيحية فيهم (١: ٤ ــ ٩).

قسم أول: فضل الإنجيل على الحكمة (١: ١٠ ــ ٦: ٢٠).

بيان مبني على تقرير وفد السيدة خلوئي.

فصل أول: (١: ١٠ ــ ٤: ٢٠) **بيان فضل الحكمة المسيحية على الحكمة البشرية**

(في حملة الشقاق بين الكورنثيين).

استهلال: دعوة إلى الوحدة[١]، لأن التحزّب ينقض الوحدة المسيحية (١: ١ ــ ١٦).

١ ــ **ردّ عليهم:** كانت دعوة بولس بسيطة، لا ببراعة الخطابة والحكمة، لبيان قدرة الله بالروح والمعجزة، في الدعوة الإنجيلية (١: ١٧ ــ ٢: ٥).

---

(١) نلاحظ التصدير والاختتام (١: ١٢ مع ٣: ٤ و٢٢) اللذين يكرسان الوحدة الفنية في الفصل؛ ثم بربط بيان الحكمة ببيان الرسالة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١) بسبب حكمة الصليب وقدرته شكاً لليهود وتجهيلاً للهلينيين (١: ١٧ ـ ٢٥).

٢) بسبب بيئتهم الشعبية، تعريضاً بالحكماء والأقوياء والنبلاء (١: ٢٦ ـ ٣٤).

٣) بسبب سياسة الدعوة الإنجيلية، لكي يقوم إيمانهم، لا على حكمة الناس، بل على قدرة الله (٢: ١ ـ ٥).

٢ ـ بيان الحكمة المسيحية « للكاملين » في الإيمان[١] (٢: ٦ ـ ١٦).

١) حكمة الإنجيل أسمى من حكمة العقل، لأنها حكمة الله في السر المصون[٢] (٢: ٧ ـ ٩).

٢) هذا السر المصون أعلنه بروحه الذي يفحص أعماق الله (٢: ١٠ ـ ١٢).

٣) فالحكمة السامية عندنا، لأن عندنا فكر المسيح (٢: ١٣ ـ ١٦).

حسن التخلص: بشرتكم كأطفال في المسيح لا ككاملين؛ ولا تزالون جسديين يتحزّبون، غير أهل لفهم الحكمة للكاملين في الدعوة ثم في الرسالة (٣: ١ ـ ٤).

●

فصل ثان: بيان حقيقة الرسالة المسيحية[٣] (٣: ٥ ـ ٤: ١٦)

استهلال: فمن هو بولس؟ ومن هو أبولس؟ (٣: ٥)[٤]

---

(١) لاحظ حسن التخلص بالآية (٢: ٦) من بيان الرد عليهم إلى بيان الحكمة المسيحية.
(٢) يوجز هنا (٢: ٧ ـ ١٦) سر المسيحية بأطواره الثلاثة: تصميم في الآب؛ تحقيق بالابن؛ تنفيذ بالروح القدس. وهذا ما سيفصله بالرسالة إلى الأفسسيين.
(٣) لاحظ في الفصل كله أسلوب الطرد والعكس في البيان: بدأ بسوء فهم الحكمة المسيحية وختم ببيان حقيقتها؛ وهنا يبدأ ببيان حقيقة الرسالة المسيحية ويختم بسوء فهمها.
(٤) نلاحظ إعادة التصدير في مطلع هذا الفصل (٣: ٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١ ــ الرسل كلهم خدام الله والمسيح (٣: ٦ ــ ٢٣).

١) إنهم خدام في حقل الرب، حرْث الله (٣: ٦ ــ ٨) ــ تخلّص (٣: ٩).

٢) إنهم عمال الله في بناء هيكل الله (٣: ١٠ ــ ١٧).

٣) فكل الرسل لكم، وأنتم للمسيح ــ فلا فخر لأحد (٣: ١٨ ــ ٢٣).

٢ ــ الرسل كلهم وكلاء أسرار الله (٤: ٢ ــ ٨) ــ تخلّص (٤: ١).

١) إنهم وكلاء، وشرط الوكالة الأمانة، فالحكم فيها لله (٤: ٢ ــ ٥).

٢) لقد تبلغتم منهم كل شيء فيكم: فلا تنتفخوا (٤: ٦ ــ ٧).

٣) فليتكم ملكتم بدوننا، لنملك نحن معكم (٤: ٨).

٣ ــ الرسل كلهم ضحايا لأجلكم بين الناس (٤: ٩ ــ ١٦).

١) إنهم مشهد للكون والملائكة والبشر (٤: ٩ ــ ١٠).

٢) يحتملون أنواع الاضطهاد لأجلكم (٤: ١١ ــ ١٣).

٣) قد يكون لكم ألوف المؤدبين، ولكن أباكم واحد، وهو بولس (٤: ١٤ ــ ١٥).

ختام: فأناشدكم إذاً أن تقتدوا بي (٤: ١٦).

استطراد ١) بعثة تيموتاوس (٤: ١٧).

٢) زيارة بولس الموعودة (٤: ١٨ ــ ٢١)

●

فصل ثالث: الشكوك في السلوك (٥: ١ ــ ٦: ٢٠).

(في حملة على الفوضى الخُلُقية بينهم).

١ ــ الشك الأول: حادث فحش مشين (٥: ١ ــ ١٣).

١) تحريم الفاسق (٥: ١ ــ ٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) السبب: الخمير يخمّر العجين، كما يفعل فينا المسيح فصحنا (٥: ٧ ــ ٨).

٣) تفسير مدى الحرم: يقتصر على الفاسق المسيحي، لا يتعلق بغيره (٥: ٩ ــ ١٣).

٢ ــ **الشكل الثاني**: التقاضي لدى المحاكم الوثنية (٦: ١ ــ ١١).

١) عار هذا التقاضي، وأنتم قضاة الملائكة (٦: ١ ــ ١١).

٢) الظالمون لا يرثون ملكوت الله (٦: ٥ ــ ١٠).

٣) العماد غسلكم من الظلم فلا تعودوا إليه (٦: ١١).

٣ ــ **الشك الثالث**: الدعارة (٦: ١٢ ــ ٢٠).

توطئة: المبدأ « كل شيء حلّ لي » لا يعني الإباحية (٦: ١٢ ــ ١٣).

المبدأ المسيحي: ليس الجسد للفجور بل للرب (٦: ١٣).

١) الجسد للرب لأنه من أعضاء المسيح: فنحن روح واحد معه (٦: ١٣ ــ ١٧).

٢) الجسد للرب للفجور اجرام بحق الجسد، جسدنا وجسد الرب (٦: ١٨).

٣) وهو أيضاً هيكل الروح القدس (٦: ١٩).

ختام: فلستم لأنفسكم بل للفادي: فمجدوا الله في أجسادكم (٦: ١٩ ــ ٢٠).

●

قسم ثان: فتاوي في أسئلتهم[١] (٧: ١ ــ ١١: ١).

(في حملة على الفوضى الاجتماعية عندهم).

فصل أول: الزواج والبتولية في المسيحية (٧: ١ ــ ٤٠)

(١) قوله: « أما من جهة ما كتبتم به إلي » (٧: ١) يدل على أنه جواب مستقل على رسالة لهم، حملها وفد من الكنيسة، غير وفد السيدة خلوئي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

استهلال: البتولية خير من الزواج؛ لكن الزواج ضرورة حياة (٧: ١ ـ ٢).

١ ـ الزواج المسيحي (٧: ٣ ـ ١٦).

١) شرعة الزواج تعطي الحق على جسد الزوج الآخر (٧: ٣ ـ ٧).

٢) تطبيق على الأعزب والأرملة: العفة أفضل، لكن الزواج أفضل من التحــرق (٧: ٨ ـ ٩).

٣) تطبيق على المتزوجين: لا طلاق في الزواج، وإنْ طرأ فراق فــلا زواج (٧: ١٠ ـ ١١).

٤) الهداية إلى المسيحية تفسخ الزواج، إن فارق الفريق المشرك (٧: ١٢ ـ ١٦).

٢ ـ استطراد: المسيحية والحالة الاجتماعية (٧: ١٧ ـ ٢٤).

١) المبدأ المسيحي: الهداية للمسيحية لا تغيّر في الحالة الاجتماعية (٧: ١٧).

٢) تطبيق على حالة الختان والقلف (٧: ١٧ ـ ١٩).

٣) تطبيق على حالة الحر والعبد (٧: ٢٠ ـ ٢٣).

٤) السلوك المسيحي: الاستمرار على الحالة الاجتماعية حين الهداية (٧: ٢٤).

٣ ـ البتولية المسيحية (٧: ٢٥ ـ ٤٠).

١) شرعة من بولس، لا من الرب (٧: ٢٥ ـ ٢٦).

٢) المبدأ المسيحي: البتولية أفضل من الزواج (٧: ٢٦ ـ ٣٥).

سبب أول: الضيق الحاضر ـ الزواج مشقة (٧: ٢٦ ـ ٢٨).

سبب ثان: الزمان قصير ـ والعالم زائل (٧: ٢٩ ـ ٣١).

سبب ثالث: الزواج اهتمام بالعالم، والبتولية بالرب (٧: ٣٢ ـ ٣٥).

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فصل ثان: موقف المسيحية من ذبائح الأوثان (٨ كله + ١٠: ٢٣ ــ ٣٣).

استهلال: الحرية المسيحية ما بين المعرفة والمحبة (٨: ١ ــ ٣).

١ ــ **المبدأ المسيحي** هو إباحة الأكل من ذبائح الأوثان:

١) ليس الوثن بشيء: فالذبيحة ماديّاً مباحة، ما لم يكن فيها شك للضعيف (٨: ٤ ــ ٧).

٢) وليس في الطعام أو عدمه قربى من الله (٨: ٧).

٢ ــ **تطبيق عملي:** الطعام الذي يسبب الشك لا أستبيحه:

١) فاحذروا أن يكون سلطان المعرفة معثرة للضعفاء (٨: ٩ ــ ١١).

٢) لذلك لا يصح أكل الطعام الذي يشكك الغير (٨: ١٢).

٣ ــ **اعتراضات على تقييد الحرية المسيحية:**

١) اعتراض أول: « أولست حراً » (٩: ١).

ــ لكن الحرية مسؤولة؛ مثل الرسول (٩: ١ ــ ٢).

٢) اعتراض ثانٍ: « كل شيء حِلٌّ لي[1] » (١٠: ٢٣).

ــ لكن ليس كل شيء ينفع: فاسألوا عن الغير في سلوككم (١٠: ٢٤ ــ ٢٩).

٣) اعتراض ثالث؛ لماذا يقيّد حريتي ضمير غيري؟ (١٠: ٢٩ ــ ٣٠).

ــ هكذا تقتضي محبة الله والقريب[2] (١٠: ٣١ ــ ٣٣).

ختام: « اقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح » (١١: ١).

●

---

(١) نرى تمام الفصل الثاني في (١٠: ٢٣ ــ ٣٣) وما بينهما استطراد مقحم هو من الرسالة المزعوم أنها مفقودة.

(٢) في (١٠: ٢٦ ــ ٢٧) يبحث بولس في ابتياع اللحم من السوق أو أكله عند الوثنيين؛ وهو يختلف عن الشركة في مائدة الأوثان (١٠: ١٤ ــ ٢٢): فيهما موضوعان مختلفان قد يكونان من رسالتين متميزتين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فصل ثالث: الحرية المسيحية والوثنية (٩: ٣ ــ ١٠: ٢٢).

مطلع: « هذا هو دفاعي تجاه الذين ينتقدوني » (٩: ٩).

١ ــ سيرة بولس بالدعوة للإنجيل مجاناً (٩: ٣ ــ ٢٧).

١) تنازل عن حق الانتفاع من عمله في الرسالة (٩: ٤ ــ ١٨).

٢) صار كلاً للكل ليربح الكل للمسيح (٩: ١٩ ــ ٢٣).

٣) وذلك على مثال العدّائين في السباق ليربح الجائزة (٩: ٢٤ ــ ٢٧).

٢ ــ سيرة بني إسرائيل في التيه (١٠: ١ ــ ١٣).

١) كانوا في نعمة فما استحقوها، فهلكوا في الصحراء (١٠: ١ ــ ٥).

٢) فلا نقتدِ بسيرتهم وإلاّ هلكنا مثلهم (١٠: ٦ ــ ١٠).

٣) فمن ظن أنه واقف فليحذر أن يسقط (١٠: ١١ ــ ١٣).

٣ ــ سيرة المسيحي مع الوثنية وذبائحها (١٠: ١٤ ــ ٢٢).

١) مائدة الرب شركة في جسد المسيح ودمه (١٠: ١٤ ــ ١٧).

٢) عند اليهود أكل ذبيحة الهيكل شركة في مذبحه (١٠: ٧١).

٣) كذلك الاشتراك في مائدة الأوثان شركة مع الشياطين (١٠: ١٩ ــ ٢٢).

خاتمة: لا صلة بين المسيحية الوثنية (نجدها في ٢ كو ٦: ١٤ ــ ٧: ١).

●

قسم ثالث: العبادة والعقيدة (١١: ٢ ــ ١٥: ٥٨).

(في حملة على الفوضى الدينية بينهم).

مطلع: الثناء على محافظتهم على السُنن الرسولية (١١: ٢).

فصل أول: الاجتماع الديني وحرمته (١١: ٣ ــ ٣٤).

١ ــ تقوى المرأة في الصلاة الجامعة بتغطية رأسها (١١: ٣ ــ ١٦).

١) كرامة للرجل الذي هو رأسها (١١: ٣ ــ ٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) دليلاً على احترامها لملائكة الكنيسة (١١: ٧ ــ ١٢).

٣) وتلك سُنة الفطرة (١١: ١٣ ــ ١٥).

ختام: تلك شرعة الكنائس فلا ممارة فيها (١١: ١٦).

٢ ــ الحرْمة الواجبة على الجميع لعشاء الرب[١] (١١: ١٧ ــ ٣٤).

١) واقعهم المخزي: اجتماع للمباهاة والسباق إلى الأكل (١١: ١٧ ــ ٢٢).

٢) هذا الواقع يتنافى مع الذكرى الكريمة لعشاء الرب (١١: ٢٣ ــ ٢٧).

٣) الامتثال لمعنى الشركة؛ فأكل خبز الرب بلا استحقاق دينونة (١١: ٢٨ ــ ٣٢).

ختام: فاحترموا بعضكم بعضاً، وانتظروا بعضكم بعضاً (١١: ٣٣ ــ ٣٤).

●

فضل ثانٍ: المواهب الروحية (١٢: ١ ــ ١٤: ٤٠).

استهلال: مبدأ التمييز فيها هو الإيمان بالرب يسوع (١٢: ١ ــ ٣).

١ ــ في المواهب على العموم (١٢: ٤ ــ ٣١).

١) مصدرها واحد وهو الروح القدس (١٢: ٤ ــ ٦).

٢) توزيعها بحسب المصلحة العامة في الجماعة (١٢: ٧ ــ ١١).

٣) تنوّعها كتنوع الأعضاء في الجسم للبنيان (١٢: ١٢ ــ ٣١).

٢ ــ فضل المحبة على المواهب كلها (١٣ كله).

١) كل شيء باطل بدون المحبة (١٣: ١ ــ ٣).

٢) إنها سيدة الفضائل والسلوك المسيحي (١٣: ٤ ــ ٧).

٣) إنها أفضل المواهب والفضائل كلها (١٣: ٨ ــ ١٣).

---

(١) هذه العودة إلى ذكر عشاء الرب دليل على ما ورده في رسالتيْن مستقلتيْن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ــ كيفية استخدام المواهب (١٤ كله).

١) كيفية التنبؤ والنطق بالألسنة (١٤: ١ ــ ٢٥).

٢) كيفية ممارسة سائر المواهب بكرامة ونظام (١٤: ٢٦ ــ ٣٣).

٣) دور المرأة في الاجتماع الديني: الصمت، بموجب الوصية (١٤: ٣٤ ــ ٤٠).

●

فصل ثالث: عقيدة القيامة (١٥ كله)

مطلع: إنجيل قيامة المسيح هو البلاغ الرسولي الأول (١٥: ١ ــ ١١).

١ ــ حقيقة القيامة (١٥: ١٢ ــ ٣٤).

١) قيامة المسيح هي برهان قيامتنا (١٥: ١٢ ــ ١٩).

٢) كما بآدم يموت الجميع، كذلك بالمسيح يحيا الجميع (١٥: ٢٠ ــ ٢٨).

٣) يدل على ذلك أيضاً: عمادهم لأجل الموتى، واستشهاد بولس اليومي (١٥: ٢٩ ــ ٣٤).

٢ ــ كيفية القيامة (١٥: ٣٥ ــ ٥٣).

١) بالتمثيل: البذرة تموت لتحيا حياة جديدة (١٥: ٣٥ ــ ٣٨).

٢) بالتحقيق: يُزرع جسداً ترابيّاً ويقوم جسداً روحانياً (١٥: ٣٩ ــ ٥٠).

٣) حالة الأحياء يوم البعث: يتحولون إلى جسد روحاني (١٥: ٥١ ــ ٥٣).

٣ ــ نشيد الظفر لعقيدة القيامة المسيحية (١٥: ٥٤ ــ ٥٧).

ختام: الثبات على الإيمان الصالح (١٥: ٥٨)

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ملحق: مكتوب (١٦: ١ ــ ١٢).

١) تهيئة التبرعات لكنيسة أورشليم (١٦: ١ ــ ٤).

٢) مخطط بولس لزيارتهم[1] (١٦: ٥ ــ ٩).

٣) وفد إليهم برئاسة تيموتاوس[1] (١٦: ١٠ ــ ١٢).

خاتمة الرسالة: تحريض وتوصية وتحية (١٦: ١٣ ــ ٢٤).

١) تحريض على الثبات في الإيمان والمحبة (١٦: ١٣).

٢) توصية بالمجاهدين الذين يحملون الجواب على استفتائهم (١٦: ١٤ ــ ١٨).

٣) التحيات إليهم (١٦: ١٩ ــ ٣٤).

۞ ۞ ۞

باب ثالث: تعليم الرسالة الكورنثية الأولى

في الرسالة الأولى إلى الكورنثيين: نجد الصورة البكر لمقابلة الإنجيل بالحكمة اليونانية والهلنستية، في **صراع فكري وحياتي**. إنه تحدّ لأعظم ثقافة ظهرت في التاريخ؛ وما زال الفكر الإغريقي أساس التيارات الفكرية في كل الثقافات التي تتابعت.

وفي الرسالة نحيا الصراع الذي نشب بين الدعوة المسيحية والحكمة اليونانية، وذلك في المؤمنين أنفسهم. فما كادوا يهتدون حتى نجم التحزّب بينهم، ظاهراً باسم معلميهم، وباطناً بفعل الرواسب الفكرية العالقة بهم.

أولاً: المسيحية والحكمة اليونانية

كانت الدعوة المسيحية في البيئة اليونانية وعاصمتها الفكرية والتجارية،

---

(١) ذكر زيارة تيموتاوس لهم مرتيْن، وذكر زيارة بولس مرتيْن، دليل على رسالتيْن مستقلتيْن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حينئذٍ كورنثس، **تحدّياً فجّر صراعاً. والجانب الأول منه فكري:** ما هو موقف المسيحية من الحكمة اليونانية؟

كان بولس، كما قلنا، يظن أن الحكمة مدخل إلى الإنجيل، كما كان يظن من قبله فيلون ومدرسته أنها مدخل للكتاب والتوحيد. لكن بتجربة بولس في ندوة أثينا بدّدت أوهامه،وجعلته يعدّل خطته في تفكيره وفي دعوته، ويرجع إلى روح الإنجيل: « ولم يكن حديثي ودعوتي بما لكلام الحكمة من بلاغة، بل ببيان الروح والقدرة، لكي لا يقوم إيمانكم على حكمة الناس، بل على قدرة الله » (١ كو ٢: ٤ ـ ٥).

في دعوته بينهم لم يكشف لهم حكمة الإنجيل لأنهم كانوا « أطفالاً في المسيح » (١ كو ٣: ١ ـ ٣) فبشرهم « بيسوع المسيح، مصلوباً » (١ كو ٢: ٢) كما فعل مع الغلاطيين. أما اليوم وقد نضجوا وصاروا « بالغين » في الإيمان، فهو يكشف لهم « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦). في البدء بشرهم « بمسيح مصلوب، شكاً لليهود، وتجهيلاً للأمميين » (١ كو ١: ٢٢)؛ أما اليوم، فيقدر بولس أن يكلمهم كلام الحكمة المسيحية، لأن « اليونانيين يطلبون حكمة » حتى في هدايتهم إلى المسيحية (١ كو ١: ٢٢). فتستجيب الرسالة لهذه النزعة وتكشف لهم عن الحكمة المنزلة.

إنّ « حكمة الله في السر المصون » قد كشفها الله لنا بروحه القدوس (١ كو ٢: ٢ ـ ١٠) وهي المسيح نفسه « الذي صار لنا حكمة وبراً وقداسةً وفداءً » (١ كو ١: ٣٠). فالمسيحية **حكمة منزلة في ذات المسيح،** في سر شخصيته ودعوته ورسالته، وخلوده في السماء، وحياته في نفوس المؤمنين. إنها الإنجيل والمسيح.

وغاية الحكمة في المسيح أن الله الآب يؤهلنا لأن نكون « **مشابهين لصورة ابنه** » (رو ٨: ٢٩). وصورة البنوة فينا تجعلنا حقيقة أبناء الله ـ في كامل التنزيه والتجريد ـ يحق لهم أن ينادوا الله مثل المسيح: « أبّا » ـ بالأرامية: أي « بابا » ـ كما يناجي طفل أباه (غلا ٤: ٦ ـ ٧؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رو ٨: ١٤ ـ ١٦). وصورة لابن فينا تجعلنا معه « جسداً واحداً » (١ كو ١٢: ١٢ و٢٧).

وبتجديد صورة الله فينا « بصورة ابنه » يصير المسيحي « خليقة جديدة » (٢ كو ٥: ١٧).

فالحكمة المسيحية هي **حكمة وجودية،** لا نظرية؛ حياتية، لا خيالية؛ منزلة، لا مستنبطة. وإننا نالها بالإيمان، لا بالمنطق والقياس. وبولس يعلن للكورنثيين الحكماء أن حكمتهم الموروثة تعجز عن إدراك الحكمة المسيحية التي هي تنزيل في الإنجيل وذات في المسيح، وكشف لهما « أعلنه الله لنا بروحه، والروح يفحص كل شيء حتى غيبَ الله » (٢ كو ٢: ١٠)، « لكي نعرف ما أنعم به الله علينا من النعم؛ ونتكلّم عنها، لا بأقوال تعلمها الحكمة البشرية، بل بما يعلمه الروح، معبّرين بالروحيات عن الروحيات » للإنسان الروحاني (١ كو ٢: ١٠ ـ ١٥).

وبهذا التعبير « بالروحيات عن الروحيات » تتميّز دعوة بولس للحكمة المسيحية على الحكمة الهلنستية التي يستخدم تعابيرها، كالتمييز بين العقل والروح والقلب، مثل أداة معرفة وفهم (١ كو ١٤: ١٤ ـ ١٦)، وتعبير « الضمير » (١ كو ٤: ٤) كأداة حكم. إنه استخدم تعابير الهلنستية لمعاني مسيحية جديدة. تلك هي عبقريته.

لقد ظن بعضهم أن بولس، بتحديه حكمة اليونانيين، **بسر الحكمة المسيحية،** إنما ينطلق من نظرة هلنستية، ونزعة غنوصية، كانتا شائعتيْن في بيئة دعوته تتحديانها بأسرارها ورموزها وطقوسها. وفاتهم أن بولس موحّد على أشد ما يكون الإخلاص في التوحيد، سلباً وإيجاباً (١ كو ٨: ٤ ـ ٧؛ ١٢: ٤ ـ ٦)؛ وهو مؤمن بالمسيح الرب الذي كشف له سرّ بنوته لله (غلا ٢: ١٦). فهو وإنْ استخدم تعابير البيئة التي يدعو فيها، فإنه ينطلق من حكمة الإنجيل، ومن دعوة النبيين والحكماء في الكتاب، لتسفيه الفلسفة في عجزها عن البلوغ إلى حقيقة الله. فبالتنزيل والإسراء إلى السماء، وفي وحي الروح القدس المتواتر ـ « والروح يفحص حتى أعماق الله » ـ بلغ بولس إلى « حكمة الله في السر المصون ». وفي هذه التصاريح ردٌّ على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ادّعاء الحكمة وتبجّح الغنوص بمعرفة سر الله وسر الكون وسر الإنسان؛ وهي برهــان علــى استقلال بولس عن الحكمة وعن الغنوص، وإن استخدم تعابيرهما. إن حكمة المسيح « ســر » يفوق الحكمة والغنوص؛ فما على أهل كورنثس إلاّ أن يفخروا بإيمانهم المسيحي، ويحيوا فيه.

وفي قول بولس « إننا ننطق بالحكمة بين البالغين » (١ كو ٢: ٦) ـ كما فــي قــول صاحب الرسالة إلى العبرانيين: « تحتاجون إلى مَن يعلمكم الأركان الأولى لأقوال الله » (عبر ٦: ١ ـ ٢) « أما الطعام القوي فهو للبالغين. مع ذلك فلندع **التعليم الابتدائي** فــي المســيح، لنرتفع إلى التعليم العالي » (عبر ٥: ١٢ ـ ١٤) ـ فنرى أن الدعوة الرسولية كانــت علــى **مرحلتين** بعد « البــلاغ » المسيحي لهداية الأمميين: « التعــليم » الابتــدائي للمــــوعودين، و« التعليم » العالي للمسيحيين البالغين في الإيمــان. ورسائل الرسل، خصوصاً بولس، كانت « حكمة » المسيح والإنجيل لهؤلاء المسيحيين « البالغين » أو « الكاملين » في الإيمان.

وفي تلاقي بولس وأبولّس على تعليم الحكمة المسيحية دليل على أن بولس لــم يخلــق الحكمة المسيحية **بتلفيقها** من الكلام اليهودي، ومن الحكمة الفلســفية، ومــن الغنــوص، وإن استخدم تعابيرها. فالحكمة المسيحية، وإن سُمّيت « السر المصون » (١ كو ٢: ٧)، فقد كانت « التعليم المسيحي العالي « للبالغين ». وهو مشهور متواتر في عهد الرسل. لكن فضل بولس أنه نقله لنا وطبعه بطابعه.

فالحكمة المسيحية أن المسيح المصلوب « صار لنا حكمة وبراً وقداسة وفــداءً » (١ كو ١: ٣٠)؛ فهو يستقطب كل ما في الحكمة الهلنستية والغنوص الشرقية والشريعة الموسوية والنبوة الإسرائيلية، كل ما يفخر به أهل الكتاب والأمميون، شرقاً وغرباً، من حكمة ودين.

وسنرى عبقرية بولس، في تقديم المسيح للعالم الهلنستي، إنه لم يقدمه بصفة كونه ابن داود، على طريقة الأنبياء؛ ولا بصفة كونه « ابن البشر » على طريقة أسفار الرؤيا كــدانيال؛ بل على طريقة أسفار الحكمة في الكتاب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القدسي، بصفة كونه « **حكمة الله** » **الذاتية والمنزلة.** فغزت المسيحية العالم الهلنستي وكنيسة للمسيح.

وبولس، في تقديم المسيح « حكمة الله في السر المصون »، إنما ينطلق من عقيدة التوحيد نفسها، حيث يحدّد فيها شخصية المسيح وإلهيته؛ فهذا هو التوحيد المسيحي: « فنحن إنما لنا إله واحد، الآب، الذي منه الكل ونحن إليه؛ ورب واحد، يسوع المسيح، الذي به الكل، ونحن به » (١ كو ٨: ٦). فجمع بتعبيرين قليلين وساطته المسيح الكونية: « الذي به الكل »؛ ووساطة المسيح الخلاصية للإنسانية: « ونحن به ». وهذا البلاغ نجده مفصلاً في النشيد الكولوسي (١: ١٥ ــ ٢٠)، فالبلاغ سند لصحة النشيد. والمسيح الكوني عقيدة راسخة منذ البدء في إيمان بولس. وهذا الدور يقوم على أنه « حكمة الله في السر المصون ».

وبولس الذي يتحدى الحكمة البشرية على أنواعها الثلاثة. (الكلام اليهودي، والهلنستية، والغنوص)، بالحكمة الإنجيلية المنزلة بالروح القدس « الذي يفحص حتى أعماق الله »، إنما يستخدم التعابير الهلنستية التي أشاعتها الفلسفة الرواقية بين الناس مثل «الضمير» و« الحرية » و« الإنسان الباطن »؛ والنظرة العقلانية في الدين والمواهب الروحية، والحياة الواعية الخالدة مع المسيح، بين الموت والقيامة. لكن بولس ينصّر الأسلوب والتعابير ويحملها العقيدة المسيحية الجديدة التي تسمو بكشف الروح القدس على كل حكمة بشرية.

●

ثانياً: الحياة المسيحية في البيئة الكورنثية الفاسدة

تحدت المسيحية، بتأسيسها وتوطينها في البيئة الهلنستية، الفكر اليوناني، والحياة الوثنية بكل فسادها كما وصلت إليه في كورنثس. وقد نقلنا القول المأثور: « كورَنْثَ » فلان، أي فسق وتهتّك.

وهذا التحدّي الحياتي أصعب من الفكري، لأن « النفس أمّارة بالسوء » خصوصاً في بلد بلغت فيه الإباحية كل مداها. فتوطين المسيحية في كورنثس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واليونان كان **معجزة مسيحية**، تمت على يد بولس، بحكمة الإنجيل وقدرة الروح.

والصورة التي تنقلها لنا الرسالة عن الحياة المسيحية في كورنتش، لها وجهان كالقمر: **وجه نير** يشرق عليه نور المسيح وعمل روحه؛ **ووجه مظلم** يستمد ظلامه من رواسب الوثنية في نفوس المهتدين بأول عهدهم.

فالصورة النيرة للحياة المسيحية في كورنتش الوثنية الفاسدة تظهر من شكر بولس « على نعمة الله المعطاة لكم في المسيح يسوع. لأنكم به قد أُغنيتم في كل شيء: في كل **كلام وكل معرفة**، على قدر ما توثقت فيكم الشهادة للمسيح، حتى أنه لا يعوزكم شيء من المواهب » (١ كو ١: ٦ ـ ٧). ونرى تفصيل ذلك **بازدهار المواهب الروحية الخارقة** فيما بينهم: « فالواحد يُعطى من قِبل الروح كلام حكمة؛ والآخر كلام علم، بحسب الروح عينه؛ والآخر الإيمان، بذلك الروح عينه؛ والآخر موهبة الشفاء، بالروح الواحد؛ وآخر صنع المعجزات؛ وآخر النبوة؛ وآخر تمييز الأرواح؛ وآخر أنواع الألسنة؛ وآخر ترجمة الألسنة. وهذه كلها يفعلها الروح الواحد بعينه، موزّعاً برضاه على كل واحد نصيبه » (١ كو ٨ ـ ١١)؛ « وكل واحد إنما يُعطى إظهار الروح للمنفعة العامة » (١ كو ١٢: ٧). وما كانت المسيحية التي يدعو بها الرسل، على الحالة الزرية التي ظهروا بها بينهم (١ كو ٤: ٩ ـ ١٣) لتسيطر على تلك البيئة المثقفة أرفع تثقيف، والفاسدة أبلغ فساد، لولا تلك الفورة الجياشة من الحياة الروحية المسيحية التي أسرتهم بمفاعيلها ومظاهرها المعجزة.

ولكن الطبع أغلب من التطبّع؛ وللفطرة ردّات وهبّات؛ نرى ظلالها في **الصورة المظلمة** التي ينقل لنا بولس خطوطها. وليس في الأمر موضع لريبة؛ فإن ثلاثة أعوام من الهداية لا تكفي لغسل الفطرة المفسودة من أدرانها! وسرعان ما ظهر بينهم الهوس الفلسفي في التشيع لمعلميهم، ورواسب الفساد المتفشي في البيئة. وورّطهم في ذلك سوء فهمهم لمبدإ بولس تجاه أحكام الحكمة الهلنستية والغنوص الشرقية والشريعة الموسوية: « كل شيء حلّ لي » (١ كو ٦: ١٢؛ ١٠: ٢٣). فقاسوا على الإباحة في الطعام الإباحة في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الزنى: « الجسد للهوى، كما الجوف للطعام » (١ كو ٦: ١٣). فاستباحوا كل فجور، حتى « أن أحدهم يحوز امرأة أبيه! حادث فحش لا نظير له، حتى عند الأمميين أنفسهم »! (١ كو ٥: ١). ناهيك عن « التقاضي لدى المحاكم الوثنية »! (٦: ١ ـ ٨)؛ والاستهتار بأكل ذبائح الأوثان بحجة « كل شيء حِل لي »، دونما نظر إلى معثرة الضعفاء (٨: ٤؛ ١٠: ٢٣)؛ واستباحة المرأة رفع الغطاء عن رأسها في الاجتماعات الدينية (١٠: ٢ ـ ١٦) وأخذ الكلام فيها (١٤: ٣٤ ـ ٤٠). فالحرية المسيحية تقيد المعرفة بالمحبة.

تجاه هذا الوضع القائم، **أكمل بولس تقويمهم وتنويرهم**، لرفع الشكوك في السلوك، بهذا **المبدأ المسيحي العظيم**: إن الحرية المسيحية تجاه الشريعة والغنوص والفلسفة هي **حريّة مسؤولة**، بالنسبة للذات، وبالنسبة للغير. أجل « كل شيء حِل لي! لكن ليس كل شيء ينفع! كل شيء حِل لي! لكني أنا لا أُستَعبَد لشيء »! (١ كو ٦: ١٢). **فليست الحرية المسيحية إباحية**، « فرصة للجسد ». أجل « كل شيء حل لي! لكن ليس كل شيء ينفع! كل شيء حلّ لي! لكن ليس كل شيء يبني »! (١ كو ١٠: ٢٣) ـ يبنينا ويبني غيرنا. لقد حسم بولس الموقف بين الحرية والإباحية: لقد حرّرنا الإنجيل في سبيل الفضيلة، لا في سبيل الرذيلة، لنعيش كأبناء الله، لا لنعيش كإخوان الشياطين!

ثم يفصّل بولس مبدأ الحرية المسؤولة، بتطبيقات رائعة على شتى الأحوال.

بالنسبة **للذات** صار جسد المسيحي للرب يسوع بعهد العماد. فبالعماد تصير « أجسادكم أعضاء للمسيح... ومن يقترن بالرب يصير معه روحاً واحداً ». وبالعماد والميرون تصير « أجسادكم هيكلاً للروح القدس، يقيم فيها ». « فلستم بعد لأنفسكم، بل للرب، لأنكم قد اشتريتم بثمن كريم »، دم المسيح: « فليس الجسد للفجور، بل للرب »! (١ كو ٦: ١٢ ـ ٢٠).

وبالنسبة للغير، يجب أن تسود محبة المسيح ـ لا العدالة فقط ـ كل المعاملات: « فلا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل ما هو لغيره » (١ كو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١٠: ٢٤). فلا تكون حرّيتنا المسيحية « معثرة للضعفاء... وهكذا، بسبب علمك (وحريتك) يهلك الضعيف، ذاك الأخ الذي لأجله مات المسيح! وهكذا إذا ما خطئتم إلى الأخوة، وجرحتم ضميرهم الضعيف، فإنما تخطئون إلى المسيح نفسه » (١ كو ٨: ٩ ــ ١٣).

والمبدأ الثاني العظيم هو إقامة الحياة الدينية، لا على أحكام شرعية كاليهودية أو خُلقية كالهلنستية، أو طقوس رمزية وسرّية كالغنوص؛ بل على « الإيمان والرجاء والمحبة »، أعمدة الحياة المسيحية، التي تجعل المسيحي « خليقة جديدة » (٢ كو ٥: ١٧). وهذه الأركان الثلاثة للحياة لله، في المسيح، بالروح القدس، يفضّلها بولس على المواهب الروحية الخارقة كلها التي كانت تبهر الكورنثيين من مؤمنين ومشركين. إنه يفضلها على المعجزات التي تنقل الجبال؛ وعلى الصدقات التي تبذل الأموال كلها، لا زكاتها فقط؛ وعلى الاستشهاد نفسه؛ (١ كو ١٣: ١ ــ ٣). وبما أنّ عنده « فكر المسيح » (١ كو ٢: ١٦) الذي اختصر الشريعة والنبيين، بمحبة الله والقريب (متى ٢٢: ٣٤ ــ ٤٠) فهو يجعل المحبة مصدر الحياة المسيحية ومحورها وجوهرها. فالأركان الثلاثة، الإيمان والرجاء والمحبة، لها مواعيد الخلود؛ لكن الإيمان سيتحول في السماء إلى عيان، والرجاء إلى بقاء، « أما المحبة فلن تسقط أبداً... الآن يثبت الإيمان والرجاء والمحبة ــ تلك الثلاثة، وأعظمهن المحبة » (١ كو ١٣: ٨ ــ ١٣). لذلك أنشد بولس للمحبة المسيحية ذلك النشيد الأسمى (١ كو ١٣ كله).

ونلاحظ أن **تركيز الحياة المسيحية على** « **تلك الثلاثة** »، الإيمان والرجاء والمحبة، إنما وصله من السنّة الرسولية عن المسيح نفسه. ففي رسالته الأولى إلى التسالونيكيين يفترضها معلومة لديهم (١ تس ١: ٣؛ ٥: ٨). ونشعر أنه في تعابير نشيد المحبة إنما يقتبس من الإنجيل، مثل الإيمان الذي ينقل الجبال (١ كو ١٣: ٢ = متى ١٧: ٢٠؛ ٢١: ٢١؛ مرقس ١٢: ٢١؛ لوقا ١٧: ٦)؛ ومثل معرفة الأسرار جمعيها (١ كو ١٣: ٢) فهو تكرار كلمة المسيح: « أنتم أعطيتم معرفة أسرار ملكوت الله » (متى ١٣: ١١؛ ٧: ٢٢ = مرقس ٤: ١١؛ لوقا ٨: ١٠)؛ ومثل توزيع الأموال على المساكين لاتباع يسوع (١ كو ١٣: ٣) إنما هو ترديد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كلمة يسوع (متى ٦: ٢؛ لوقا ١٢: ٢٣؛ ١٩: ٨). وهذا التركيز في الحياة الدينية المسيحية على « تلك الثلاثة » مسيحي محض لم يقتبسه بولس من العهد القديم، حيث لا بروز لها؛ ولا من الكلام الإسرائيلي حيث الأفضلية للتقوى؛ وكم بالأحرى من الحكمة الهلنستية[١]. إن « تلك الثلاثة » جوهرة المسيحية، ومعجزتها في الحياة الدينية.

والمبدأ الثالث العظيم هو جعل الحياة المسيحية وحدة كيانية في « جسد المسيح السري »، كما سنرى. هذا ما يسميه بولس « **الحياة في المسيح** ». وسيرينا في الرسالة إلى الرومانيين أن الحياة في المسيح هي أولاً التشبه به، في سبيله: « فإنه ما من أحد منا يحيا لنفسه؛ ولا أحد يموت لنفسه: فإن حيينا فللرب نحيا، وإنْ متنا فللرب نموت. فسواء حيينا أو متنا فللرب نحن. ولهذا مات المسيح وعاد حيّاً ليسود الأموات والأحياء » (رو ١٤: ٧ ــ ٩). فمبدأ **الاقتداء بالمسيح** هو المبدأ الذي يعلنه بولس للكورنثيين: « اقتدوا بي، كما أني أقتدي بالمسيح » (١ كو ١١: ١). والحياة في المسيح هي الحياة من موته وقيامته التي نتمثلها بالمعمودية، « فإنا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد » (١ كو ١٢: ١٣)؛ ونجدّد العهد عليها في القربان، عشاء الرب (١ كو ١١: ٢٥). فبالحياة في المسيح نصير « خليقة جديدة » (٢ كو ٥: ١٧). وقد وصف الحياة في المسيح بهذا الوصف الرائع: « فلست أنا حيّاً بعد، بل المسيح نفسه يحيا فيّ. وإنْ كنت الآن أحيا في الجسد فإني أحيا في الإيمان بابن الله الذي أحبني وبذل نفسه لأجلي » (غلا ٢: ٢٠) فالحياة الدينية الحقيقية هي « الحياة في المسيح ».

تلك مبادئ الحياة المسيحية التي نقلت أهل كورنثس من الفساد إلى القداسة. وبولس في تفصيلها إنما ينطلق من الإنجيل ومن السُنّة الرسولية التي تسلّمها (١ كو ١٥: ٣): « فإني قد تسلمت من الرب (مباشرة أو بواسطة الرسل) ما سلمته أيضاً إليكم » (١ كو ١١: ٢٣). **فما بين بولس والإنجيل صلة كيانية** في تفكيره وفي أحكامه. هذا ظاهر في نشيد

---

(١) قيل: ان برفير ذكرها مع الحقيقة في رباعية. لكن برفير متأخر عن بولس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المحبة كما سبق. وحضور المسيح في الجماعة المسيحية، « نحن مجتمعون بالروح أنا وأنتم مع قدرة ربنا يسوع المسيح » (١ كو ٥: ٤) هو تعليم المسيح: « حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، أكون أنا هناك في وسطهم » (متى ١٨: ٢٠). وقول بولس: « أوما تعلمون أن القديسين (أي المسيحيين) سيدينون العالم! أوما تعلمون أنّا سندين الملائكة » (١ كو ٦: ٢ ـ ٣) هو قول المسيح نفسه: « في عهد التجديد، متى جلس ابن البشر على عرش مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر »، رمز البشرية كلها (متى ١٩: ٢٨؛ لوقا ٢٢: ٣٠).

يلاحظ العارفون أن بولس في سرد **لوائح الفضائل والرذائل** يقرب من أسلوب الرواقيين، خصوصاً ابيكتيت. إنه أسلوب في التعبير شائع. لكن بولس في تعداد الرذائل التي تبعد عن ملكوت الله (١ كو ٦: ٩ ـ ١٠) إنما يقتبس عن الإنجيل في روح تعليمه (مرقس ٧: ٢١ ـ ٢٢).

لقد أنكر بعضهم صلة بولس بيسوع التاريخ وتعليمه في ملكوت الله. وفاتهم أن بولس يدعو لملكوت الله لفظاً ومعنى. ففي الرسالة إلى الكورنثيين يرينا أن الحياة المسيحية هي ملكوت الله الذي لا يرثه أهل المظالم والمآثم: « أفلا تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦: ٩). فهذه الإشارة إلى معرفتهم ذلك دليل على أن دعوة بولس فيهم كانت دعوة الإنجيل إلى ملكوت الله، كما فعل في غلاطية (٥: ٢١) وفي أفسس (٥: ٣). لكن بولس في تفصيل حكمة الإنجيل يعلّم ملكوت الله بأسلوب إغريقي مسيحي. فما تعني دعوة الإنجيل لملكوت الله سوى سيادة الله بالمعرفة والمحبة على خلقه، بسيادة المسيح عليه. ومناداة بولس « بالرب يسوع » دعوة لهذا الملكوت، كما تنص عليه أناشيده (فيل ٢: ٦ ـ ١١؛ كول ١: ١٥ ـ ٢٠). يكفي هذا التصريح: « وآتاه الاسم الأعظم لكي تجثو لاسم يسوع كل ركبة... ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب في مجد الله الآب » (فيل ١: ١٠ ـ ١١). وهذا الآخر: « في المسيح يحل جسديّاً ملء اللاهوت كله... فهو رأس كل رئاسة وسلطنة » (كول

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٤: ٩) وإلى الكورنثيين هذا الإعلان: لو عرف رؤساء هذا الدهر حكمة الله « لمّا صلبوا رب المجد » (١ كو ٢: ٨). فيسوع التاريخ، يسوع المصلوب، هو رب المجد، سيد ملكوت الله. فالتعليم واحد موضوعاً، وإنْ اختلف اسلوباً بحسب البيئة.

فالحياة المسيحية تقوم على « الحياة في المسيح »، من المسيح، مع المسيح: « لقد اغتسلتم (بالعماد)، لقد تقدستم (بالميرون)، لقد بُرّرتم (بالنعمة) باسم الرب يسوع، وبروح الهنا » (١ كو ٦: ١١). إنها صلة كيانية وجودية، وليس معنوية فحسب. وهذه المعجزة المسيحية، بنقل الإنسان من الفساد إلى القداسة، قد تحققت في البيئة الوثنية المثقفة والفاسدة، مثل كورنثس، « نور اليونان » في ذلك الزمان. لذلك يسمي بولس المسيحيين: « قديسين ».

●

ثالثاً: السلطة والسُنّة في المسيحية

من إعجاز الإنجيل في تأسيساته أنه وضع، إلى جانب الدعوة، **سلطة** من سلطانه، تحمل الدعوة بالتواتر والاجماع إلى كل زمان ومكان، **بالسنّة الرسولية**.

أجل كل مسيحي مسؤول عن المسيحية والإنجيل. لكن السيد المسيح سلّم « إنجيل الله »، ومن قبله « كتاب الله »، إلى سلطة معصومة في اجماعها المتواتر، تحمله وتفسّره رسميّاً على مدى الزمان.

١ ـ هذا **السلطان الرسولي** يستفتح به بولس كل رسائله، منذ بدأ « الأخوة الكذبة » في غلاطية وفي كورنثس ينكرونه. إنه « بولس، الذي هو رسول، لا من قبل البشر، ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب » (غلا ١: ١). ويعطي الكورنثيين مصدر رسوليته، وتحقيقها بينهم: « ألست رسولاً؟ أما رأيت يسوع ربنا؟ ألستم أنتم عملي في الرب؟ إنْ لم أكن عند غيركم رسولاً، فإني لديكم رسول، لأن خاتم رسالتي هو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أنتم في الرب » (١ كو ٩: ١ ــ ٢). وفي الرسالة الثانية نجد دفاعين عن إنجيله وعن رسوليته، يبلغ فيهما حدّ الإعجاز في البلاغة. وبسلطانه الرسولي يحسم كل خلاف؛ فبعد أن يدعم بالبراهين ضرورة غطاء الرأس للمرأة في الصلاة، يضيف: « مع ذلك إنْ أراد أحد أن يماري، فليس لنا نحن عادة كهذه، ولا لكنائس الله » (١ كو ١١: ١٦). ثم يعطيهم بعض الترتيبات لقيام الصلاة وتقديم القربان، ويختم بقوله: « وأما ما بقي فسأرتبه متى حضرت » (١ كو ١١: ٣٤). ويبيّن ما هو « وصية من الرب » (١ كو ١٤: ٣٧)، وما هو « وصية مني » (١ كو ٧: ٢٥). ويُظهر سلطانه الرسولي بهذه الكلمة: « إن ملكوت الله ليس بالأقوال بل بالقوة. فماذا تريدون؟ أن آتيكم بالعصا، أم بالمحبة وروح الوداعة؟ » (١ كو ٤: ٢٠ ــ ٢١).

ويصف بولس سلطانه الرسولي بهذه الأوصاف الجامعة: « فليحسبنا الإنسان **كخدام المسيح، ووكلاء على أسرار الله** »! (١ كو ٤: ١). ثم يفصّل الصفة الأولى بقوله: إنه « خادم في حرْث الله »! و« عامل مع الله » في « بناء الله »، « هيكل الله... وهذا الهيكل هو أنتم » (١ كو ٣: ٥ و٩ و١٦). ويفصل الصفة الثانية « وكلاء على أسرار الله » بكشف سر المسيح (١ كو ٢: ٦ ــ ١٦)، وبإشراك المؤمنين به بالعماد، وبالقربان. فالخادم في بيت الله، والوكيل على أسرار الله، هو صاحب السلطان في ملكوته وكنيسته.

٢ ــ وهذا السلطان الرسولي يعتمد على **السُنّة الرسولية** التي ينقلها إلى المسيحيين، ويذكرهم بها في كل سانحة، ويحملهم على العمل بموجبها. فهو ينتمي عشر مرات ونيف إلى السُنّة الرسولية (١ تس ٢: ١٣؛ ٢ تس ٢: ١٥؛ غلا ١: ٩؛ ١ كو ١١: ٢ و٢٣؛ ١٥: ٣؛ رو ١٦: ١٧؛ فيل ٤: ١٩؛ ١ تيم ٦: ٢٠؛ ٢ تيم ١: ١٤؛ ٢: ٢).

إنها سُنّة في العقيدة. فقد سلمهم الإنجيل كما تسلمه: « فإني قد سلمتُ إليكم أولاً ما قد تسلمت أنا نفسي: أن المسيح قد مات لأجل خطايانا على ما في الكتب؛ وأنه قبر، وأنه قام في اليوم الثالث على ما في الكتب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فسواءٌ كنت أنا أو أولئكم (الرسل) فهكذا ندعو، وهكذا آمنتم » (١ كو ١٥: ١ ـــ ١١). فالعقيدة المسيحية، خصوصاً في إنجيل الفداء والقيامة، سُنة رسولية يدعو بها بولس كما يدعو بها جميع الرسل؛ وعلى أساس هذه السُنة المتواترة بالإجماع آمن المسيحيون.

إنها سُنّة في تشريع الحياة المسيحية، بالعماد، وبالقربان: « لقد تسلمتُ من الرب (بواسطة الرسل) ما سلمته أيضاً إليكم: أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً وشكر وكسر وقال: هذا هو جسدي، وهو لأجلكم؛ اصنعوا هذا لذكري... » (١ كو ١١: ٢٣ ـــ ٢٧). فالسُنّة من المسيح، إلى الرسل، إلى بولس، إلى المسيحيين.

إنها سُنّة في تنظيم شؤون العبادة والحياة الاجتماعية. باسمها يأمر النساء بغطاء الرأس في الصلاة؛ إنها « عادة كنائس الله » (١ كو ١١: ١٦). باسمها يأمر النساء بالصمت في الكنيسة: « كما في جميع كنائس القديسين فلتصمت النساء في الاجتماعات » (١ كو ١٤: ٣٣). ويميّز بين شريعة الرب، وبين سُنة الرسل، ووصيته: « أما المتزوجون فأوصيهم، لا أنا، بل الرب... أما الباقون. فأوصيهم أنا، لا الرب » (١ كو ٧: ١١ و١٢).

فمع الإنجيل، يسلم بولس المسيحيين سُنن الرسل: « أيها الأخوة، إني امتدحكم لأنكم في كل شيء تذكروني، وتحفظون السُنن كما سلمتها إليكم » (١ كو ١١: ٢). ففي العقيدة، وفي الشريعة، وفي تنظيم الحياة المسيحية، ليس بولس سوى **شاهد عدل للإنجيل ولسُنة الرسل**؛ وإذا أضاف شيئاً بسلطانه الرسولي الخاص، فإنه يشير إليه بإخلاص. إنه الشاهد: « لأبشركم بشهادة الله » (٢ كو ٢: ١)، حتى تتوثق فيهم « الشهادة للمسيح » (١ كو ١: ٦). وهذه الشهادة خدمة ووكالة على أسرار الله؛ وميزة الوكالة الأمانة: « وما يطلب في الوكلاء أن يكونوا أمناء » (١ كو ٤: ١ ـــ ٢)، « وإلاّ أضحينا شهود زور لله، لأننا شهدنا على الله... » (١ كو ١٥: ١٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فتلك الصفات في الرسول: الخدمة والوكالة والشهادة، كلها قوام الدعوة الإنجيلية والسُنّة الرسولية اللتين يبلغهما بولس في رسالاته ورسائله. وهذه السُنّة ترتقي بالسند الصحيح المباشر المتواتر بالإجماع إلى المسيح نفسه، كما يصرح بولس عشر مرات: « سلمتكم ما تسلمت أنا نفسي ». ويختم ذلك بكلمة يونانية دارجة فيما بينهم: تلك « شهادة ضميري » (٢ كو ١: ١٢). وهذا كله أصدق تعبير لقيام السنة المسيحية مع السلطة الرسولية في كنيسة الله، لتبليغ إنجيل الله، إلى العالمين.

•

رابعاً: القيامة في اليوم الأخير

إن أول مَن نادى في الدنيا بالإيمان بالله واليوم الآخر كعقيدة واحدة هي المسيحية. فالقيامة في اليوم الآخر عقيدة مسيحية أساسية، بها تتميّز عن الدعوة الإسرائيلية، والأديان الشرقية، والفلسفات الهلنستية.

لقد توصلت التيارات الفكرية الهلنستية إلى إيمان بخلود النفس. أمّا قيامة الأجساد لتشاطر الأرواح في الخلود السعيد، فقد كانت عندهم بمثابة الهذيان. وفي ندوة أثينا، فخر اليونان، سمعوا لبولس يخطب حتى وصل إلى ذكر القيامة، فقاطعوه وصرفوه. والأديان الشرقية تقول بتناسخ الأرواح والتقمص، من جسم إلى جسم، حتى تذوب في النرفانا. وقبيل المسيح آمنت الدعوة الإسرائيلية باليوم الآخر، دون تحديد لبعث وقيامة؛ وقال بعضهم بقيامة تتم على الأرض، لفترة من الزمن، يقضونها مع المسيح الموعود الذي به يسيطرون على العالم: فهي قيامة موقوتة، في دهر زمني آخر، في أرض جديدة، وأورشليم جديدة! فلا قيامة دائمة ولا خلود!

وظهر المسيح ينادي بالقيامة والخلود. وسارت المسيحية تنقل دعوته بقيامة عامة للأجساد، وخلودها مع الأرواح في الجنة أو في النار.

١ ــ **وحقيقة القيامة** ترتكز على الإيمان بقيامة المسيح وارتفاعه إلى السماء وخلوده حيّاً بالنفس والجسد. وقيامة المسيح يشهد لها الكتاب القدسي،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويشهد لها شهود العيان من التلاميذ والاتباع (١ كو ١٥: ١ ــ ٨). وقيامة المسيح برهان قيامتنا: « فإن كان يُدعى بالمسيح أنه قد قام من بين الأموات، فكيف يقول قوم بينكم بعدم قيامة الأموات؟ فإن لم تكن قيامة أموات، فالمسيح إذن لم يقم » (١ كو ١٥: ١٢ ــ ١٩). فقد كان المسيح بقيامته « باكورة الراقدين » (١٥: ٢٠).

٢ ــ **وفلسفة القيامة** في المسيحية، « أنه، بما أن الموت بإنسان، فبإنسان أيضاً قيامة الأموات. فكما أنه في آدم يموت الجميع، كذلك أيضاً في المسيح سيحيا الجميع » (١٥: ٢٠ ــ ٢٢). فقيامة المسيح سببٌ ومثال وغاية لقيامتنا: « فإن الله قد أخضع الكل تحت قدميه... ومتى أخضع له الكل فحينئذٍ يُخضع الابن نفسه للذي أخضع له، ليكون الله كلاً في الكل » (١ كو ١٥: ٢٧).

ومن فلسفة القيامة في المسيحية أن عنصر الإحياء هو روح الله الساكن فينا: « والذي أعدّنا لذلك هو الله الذي أعطانا الروح عربوناً » (١ كو ٥: ٥). فروح الله الذي ينقل نفوسنا في هذه الدنيا إلى حياة الله، سينقل أجسادنا في اليوم الآخر أيضاً إلى الحياة الخالدة مع الله.

٣ ــ **وكيفية القيامة** كان لا بدّ من تفسيرها للإغريق الذين عودتهم الفلسفة التساؤل عن كل شيء. وها هم في كورنثس يتساءَلون، « ويقول قائل: كيف يقوم الأموات؟ وبأيّ جسد يرجعون؟ » (١ كو ١٥: ٣٥) يجيب بولس بمثل الزرع الذي ينبت جديداً بعد موته من مثله؛ ثم يبيّن أن الأجسام المشهودة على أنواع فكذلك قد تكون غير المشهودة (١ كو ١٥: ٣٦ ــ ٤١). **وبكشف خاص** أول يكشف لنا أن البعث سيكون بجسد روحاني، بهاتين الرباعيتين:

« هكذا قيامة الأموات: الزرع بفساد، والقيامة بلا فساد!
الزرع بهوانٍ، والقيامة بمجد! الزرع بضعف، والقيامة بقوة!

يُزرع جسد حيواني! ويقوم جسد روحاني!
وبما أنه يوجد جسد حيواني فإنه يوجد أيضاً جسد روحاني »
(١ كو ١٥: ٤٢ ــ ٤٣)

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فتلك هي صفات الأجساد المجيدة في القيامة: الخلود والمجد والقوة والروحانية.

وهذا « الجسد **الروحاني** » في القيامة، يصفه بأنه « **سماوي** »: « فالإنسان الأول أرضي من التراب، والإنسان الثاني سماوي. فعلى مثال الترابي يكون الترابيون، وعلى مثال السماوي يكون السماويون » (١ كو ١٥: ٤٧ ــ ٤٨). أي على مثال آدم يكون بنو آدم الترابيون، وعلى مثال مسيح القيامة، الإنسان السماوي، يكون أبناء القيامة السماويون.

وفي الرسالة الثانية يستعير تعبيرين أفلاطونيين لوصف هذا **الجسد الروحاني السماوي** في القيامة: « فإنا نعلم أنه إذا فني هذا الخباء، مسكننا الأرض، فلنا في السماوات مسكن من الله، بيت لم تصنعه الأيدي، أبدي » (٢ كو ٥: ١). فالتعبيران: « لم تصنعه الأيدي (أي غير مرئي). وأبدي » ليسا من لغة بولس، بل اقتباس من البيئة[1].

والكشف الرباني لنوع جسد القيامة، يؤيده كشف رباني آخر: « **وها أنا أكشف لكم سراً**: لن نرقد كلنا، ولكن سنتحوّل كلنا (إلى جسد روحاني سماوي)، في لحظة، في طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيُهتف بالبوق، فينهض الأموات بغير فساد، ونحن نتحوّل » (١ كو ١٥: ٥١ ــ ٥٢). ينطق بولس بصيغة المتكلم في تحوّل الأحياء إلى أجساد روحانية، عند قيام الساعة، كأنه من جملتهم، وكأن القيامة ستكون على حياته. وهذا أسلوب بياني، من باب استحضار الغائب، فلا يدل على اعتقاد عنده ببقائه إلى قيامة الساعة، أو قيامها على حياته.

فإنه في الرسالة الثانية يكشف لنا **كشفاً ثالثاً**: إن شخصية الإنسان تتعلق بروحه، لا بجسده، وهذا ما يظهر على الأرض: « ولئن كان إنساننا الظاهر (الجسد) ينهدم، فإنساننا الباطن (الروح) يتجدّد يوماً فيوماً » (٢: كو ٤: ١٦). كذلك الحال بين جسدنا الفاسد، المسكن الأرضي، وجسدنا غير الفاسد، مسكننا السماوي: « فإنا نعلم أنه، إذا فني هذا

---

(1) L. Cerfaux : L'Itinéraire spirituel de S. Paul p 88.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الخباء، مسكننا الأرضي، فلنا في السماوات مسكن من الله، بيت لم تصنعه الأيدي، أبدي » (٢ كو ٥: ١). ثم يستعير تعبيراً آخر أفلاطونيّاً يشبّه **الحياة بغربة، والموت برجعة**، فيقول: « فنحن واثقون على الدوام، وعالمون أنّا ــ ما دمنا مستوطنين في الجسد ــ متغرّبون عن الرب، لأنا نسلك بالإيمان لا بالعيان. فنثق إذن ونؤثر أن نتغرّب عن الجسد ونستوطن عند الرب » (٢ كو ٥: ٦ ــ ٨). فالفترة ما بين الموت والقيامة هي حياة واعية متجددة، **ورجعة إلى الرب، وسكنى عنده**، « إن إلى ربك الرجعى » بانتظار القيامة. وهذا هو الكشف الثالث.

فقيامة الأموات في اليوم الأخير عقيدة مسيحية جديدة نزلت في الإنجيل؛ وفصّلها بولس بوحي رباني، وإن استخدم لها التعبير الأفلاطوني الهلنستي. فلم تنزل قبل الإنجيل في كتاب، ولا علّمها بشر.

إنّ عقيدة اليوم الآخر من موت وبعث ودينونة وجنة ونار هي عقيدة إنجيلية علّمها الإنجيل، وأظهر حقيقتها ومعانيها السيد المسيح بموته وقيامته ورفعه إلى السماء وخلوده حيّاً بلاهوته، وناسوته من نفس وجسد، على عرش الخلود.

بهذه العقيدة تقترن **عقيدة أخرى إنجيلية:** إن الله هو ملك يوم الدين. والمسيح الرب، بالنيابة عن أبيه، **سيكون هو ملك يوم الدين**، وهذه الصفة برهان أكبر على إلهيته: « لا بدّ لنا أن نظهر جميعنا أمام منبر المسيح، لينال كل واحد على حسب ما صنع في الجسد، خيراً أم شراً » (٢ كو ٥: ١٠).

●

خامساً: القربان المسيحي « عشاء الرب »

الرسالة الأولى إلى الكورنثيين، ما بين العام ٥٤ ــ ٥٧، هي **أول وثيقة تاريخية** عن العقيدة المسيحية في سرّ القربان (١ كو ١١: ١٧ ــ ٢٣؛ ١٠: ١٤ ــ ٢٢). ولا يفصلها عن تأسيس المسيح في « العشاء السري »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سوى عشرين سنة تقريباً، لا تكفي لخلق وترويج عقيدة يعيش منها المؤمنون، كما نرى في هذه الرسالة الوثيقة. وتسمية القربان فيها « عشاء الرب » دليل الوحدة الزمنية، ومصدر العقيدة.

١ ـ في هذه الوثيقة التاريخية، تظهر **عقيدة القربان سُنّة رسوليّة شائعة** بلغت إلى كورنثس، ورسخت فيها. وهي ليست من بولس، بل من الرب، بواسطة الرسل، بشهادة بولس: « فإني قد تسلمتُ من الرب ما سلمته أيضاً إليكم » (١ كو ١١: ٢٣)، وهي ظاهرة مسيحية جديدة، يسميها « **أكل عشاء الرب** » (١ كو ١١: ٢٠)، كأن الرب يحضر ويقدم عشاءَه ونأكل منه معه. وهذا ما يميّزها عن تعابير هلنستية وغنوصية وإسرائيلية مشابهة، كما سنرى.

٢ـ فالقربان المسيحي، بحسب تقرير بولس نفسه، رمز وحقيقة معاً.

١) إنه **حسي مادي** من خبز وخمر (١ كو ١١: ٢٣ و٢٥). هذا ظاهر.

٢) إنه **رمزي** أيضاً. فهو يرمز إلى « عشاء الرب »: « اصنعوا هذا لذكري » (١ كو ١١: ٢٤ و٢٥). ويرمز أيضاً إلى موت الرب: « فكلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذا الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يرجع » (١ كو ١١: ٢٦). **وقيمة هذا الرمز العظيم** أنه يربط أولاً بين « عشاء الرب » وبين « موت الرب »: فإن « عشاء الرب » رمز « لموت الرب »؛ وإن « موت الرب » تحقيق « لعشاء الرب ». وفي هذه الصلة الكيانية الفصل في الخلاف بين الرمزية والواقع في معنى « عشاء الرب ». ويربط أيضاً بين مجيء المسيح الأول بحسب البشرية، ورجوعه في اليوم الآخر بالمجد الفخيم: « تخبرون بموت الرب إلى أن يرجع » (١ كو ١١: ٢٦)، وذلك بحضوره السري الحاضر في قربانه. فإن « عشاء الرب » هو الرباط الحي القائم الحاضر الذي يصل بين الماضي والمستقبل، ويجعل المسيحيين يحيون أطراف الزمن في أوله وحاضره وآخره، إلى منتهى الدهر. فهم « بأكل عشاء الرب »، يستجمعون الزمن كله بحضور المسيح بينهم في « عشاء الرب ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣) إنه **قربان حي حقيقي** في ذاته وفي مفعوله.

هو قربان حي حقيقي في ذاته لأنه بكلام الرب: « هذا هو جسدي » يصير خبز الرب « جسد الرب »؛ وبكلام الرب: « هذا هو دمي » تصير كأس الرب « دم الرب ». فإن قول الرب فعّال لما يريد، « فمن ثم أيّ إنسان يأكل خبز الرب، أو يشرب كأسه، بلا استحقاق، يكون **مجرماً إلى جسد الرب ودمه** » (١ كو ١١: ٢٧). إن هذا التعبير « مجرماً إلى جسد الرب ودمه » يتخطّى الرمزية إلى الحقيقة والواقع: إن في خبز الرب جسد الرب؛ وفي كأس الرب دم الرب، وذلك بنص الكتاب القاطع: « فإن مَن يأكل ويشرب بلا استحقاق، فهو إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه، **إذ لم يميّز جسد الرب** » (١ كو ١١: ٢٩)؛ لم يميز جسد الرب من طعام عادي رمزي. ثم يعطي بولس على حقيقة جسد الرب ودم الرب في قربانه **برهان المعجزة**: بما أن بعضهم لم يميّز جسد الرب في القربان، « من أجل ذلك كثيرون فيكم مرضى وسقماء؛ بل كثيرون قد هلكوا » (١ كو ١١: ٣٠) فمجرّد الرمز في القربان لا يُسقم ولا يقتل؛ بل الواقع الإلهي هو الذي ينتقم من المحتقرين. بمعجزات محسوسة يُظهر الرب وجوده في قربانه. فحقيقة جسد الرب ودمه في قربانه تميّزه عن قرابين الغير ورمزيتها: « فلو كنّا نختبر أنفسنا (عند أكل عشاء الرب) لما كنّا نُدان؛ وإذ يديننا الرب فلكي يؤدبنا، لئلاّ يُقضى علينا مع العالم » (١ كو ١١: ٣١). فتصريحات بولس المتواترة المتصاعدة، وبرهان المعجزة المحسوس الذي يعطيه، كلها دلائل وبراهين ترفع « عشاء الرب » من الرمزية إلى الحقيقة الواقعية.

وهو أيضاً قربان حي في مفاعيله، لأنه « شركة في جسد المسيح، وشركة في دم المسيح » (١ كو ١٠: ١٦). أجل يقارن بولس بين اشتراك اليهود بمذبحهم بأكل ذبائحه؛ واشتراك الوثنيين مع الشياطين بأكل ذبائح الأصنام؛ ثم يقول: « لا تستطيعون أن تشتركوا في مائدة الرب ومائدة الشياطين » (١ كو ١٠: ١٨ ــ ٢٠). ففي الأنواع الثلاثة اشتراك في مائدة المعبود، ممّا يدل على رمزية الذبائح والقرابين حتى في المسيحية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هكذا يفهم بعضهم. ولكن، عند بولس فإن هذه الرمزية ــ الناتجة عن المقارنة، ترتفع إلى الحقيقة والواقع في تعبير بولس نفسه: هم يشتركون في « مائدة » معبودهم؛ أمّا المسيحي، في مائدة الرب، فهو يشترك مباشرة « في دم المسيح... في جسد المسيح ». وهذا التركيز في الشركة المسيحية، وهذا التحديد، وهذا التعريف، تدل كلها على الحقيقة الواقعية، لا على الرمزية فقط. فليست الشركة المسيحية فقط « شركة في مائدة الرب » كغيرها، بل هي « شركة في دم المسيح... شركة في جسد المسيح » (١ كو ١٠: ٦١).

والحقيقة الواقعية تظهر أيضاً في **المفعول الآخر** الذي يتم في المشتركين المسيحيين. إن مفعول الشركة المسيحية في المشتركين هو توحيدهم في جسد واحد: « فبما أن الخبز واحد، فنحن على كثرتنا جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد » (٢ كو ١٠: ١٧). وحدة الخبز المقدس تعمل وحدة الجسد بين المسيحيين، مع المسيح، في المسيح. وعقيدة بولس في « جسد المسيح » الأكبر المكوّن من المسيحيين والمسيح، حيث المسيح « رأس الجسد » (كول ١: ١٨) والمسيحيون « جسد المسيح وأعضاء فيه، كل على مقداره » (١ كو ١٢: ٢٧)، ليست رمزية، بل واقعية. فجسد المسيح الأكبر الحقيقي يتكون بالعماد: « فإنا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد، لجسد واحد،...وسقينا جميعاً من روح واحد » (١ كو ١٢: ١٣). هذه وقائع، لا رموز فقط. وجسد المسيح الأكبر الحقيقي ينمو بالقربان المسيحي: « فنحن على كثرتنا جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد » (٢ كو ١٠: ١٧). فحقيقة جسد المسيح الذي ينمو « بأكل عشاء الرب »، و« الشركة في دم المسيح » ــ ليست رمزية، بل واقعية، بنص الكتاب نفسه. فكل التعابير تتخطى الرمزية إلى الحقيقة والواقع. فالقربان المسيحي هو « شركة » حقيقية واقعية في جسد المسيح ودمه.

وهو أيضاً **ذكرى**، « **واخبار بموت الرب إلى أن يرجع** » (١ كو ١١: ٢٦). هذا هو المفعول الثالث. وهذا « الاخبار بموت الرب » ليس فقط ذكرى معنوية أو رمزية لاستشهاد المسيح، كما عند الغير؛ بل ذكرى تمثيلية وحقيقية معاً لموت المسيح، كما يدل على ذلك كلام الرب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نفسه: « هذا هو جسدي، الذي هو لأجلكم » (١ كو ١١: ٢٤) أي « المبذول لأجلكم » كما يوضحه لوقا تلميذ بولس (٢٢: ١٩ ـ ٢٠) وتزول كل شبهة بقول الرب أيضاً: « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي » (١ كو ١١: ٢٥). فالمسيح يبني « **عهداً** » بين الله والناس بدمه في قربانه: فالعهد حقيقي، والدم حقيقي. وهو يبني « عهداً جديداً »، والصفة « جديداً » إشارة إلى « العهد القديم » الذي تم بواسطة موسى بالذبائح والدم المهراق؛ فكذلك « العهد الجديد » يتم « بدم المسيح » الحقيقي، لا الرمزي فقط. فهو عهد جديد حقيقي يقدم على دم حقيقي في كأس الرب. وأفضلية العهد الجديد بدم المسيح، على العهد القديم بدم الحيوانات، تقتضي الواقعية في دم المسيح بالقربان لصحة العهد. والمسيح يطلب تجديد هذا العهد الجديد بدمه مرتين: « اصنعوا هذا لذكري » (١ كو ١١: ٢٤ و٢٥). والذكرى هي « الاخبار بموت الرب إلى أن يرجع » (١ كو ١١: ٢٦). فالقربان المسيحي ذكرى حقيقية لموت الرب لذلك يأمر المسيح مرتين بتجديد هذه الذكرى « إلى أن يرجع ». فالعهد الجديد بدم المسيح يتم أولاً باستشهاد المسيح على الصليب، ثم بتجديد موت المسيح رمزيّاً وسرّيا وحقيقيّاً بقربانه الأقدس، بناءَ على الأمر المكرّر: « اصنعوا هذا لذكري ». فالقربان المسيحي هو معاً **إحياءٌ واقعي** « **لعشاء الرب** » و« **لموت الرب** ».

٣ ـ وهناك **اتهام مغرض لبولس** بأنه هو الذي أعطى « العشاء الرباني » العادي معناه الديني، تلفيقاً من اليهودية والهلنستية والأديان السرية المنتشرة في بيئة دعوته. ودليل ذلك، على حدّ قولهم، التعبير الواحد بينه: « أكل عشاء الرب »، « مائدة الرب »، وبينهم: « أكل العشاء على مائدة الرب سيرابيذس » ـ أو غيره[1].

إنه اتهام يقوم على شبهة لفظية لا غير. أجل إنّ التعبير واحد، لكن المعنى المقصود يختلف على الإطلاق. إنه « أكل عشاء الرب » المعبود؛ و« شركة في مائدة الرب » المعبود. لكنها ليست شركة في ذات المعبود. بينما في

(1) Grenfell et Hunt : Osyrhinchus papyri. I p 177.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيحية هي « شــركة في دم المسيح... شركة في جسد المسيح » (١ كو ١١: ٦١). وفــي « أكل خبز الرب » و« شرب كأسه » (١ كو ١١: ٢٧) يجب أن « يميّز جســد الــرب » (١ كو ١١: ٢٩)، فليست شركة معنوية رمزية، كما عند المشركين؛ بل هي شركة حقيقيــة فــي ذات المسيح. وبولس ابن التوحيد التوراتي على أخلص ما يكون من التجريد والتنزيه، ما كان ليصل إلى هذا الواقع، وما كان ليفرضه على المسيحيين لو لم يكن تعليم المسيح وترتيبه. فلــم يخلق بولس العقيدة بالشركة في مائــدة الرب، بل « قد تسلمتُ من الرب، مــا ســلمته أيضــاً إليكم » (١ كو ١١: ٢٣). إنه تسلمه من الرسل أنفسهم، شهود العيان.

وليس بولس هو الذي أورث المسيحية فكرة الضحية في القربان المسيحي. بل نقل مــا تسلم عن « دم المسيح » في القربان، وبه « الاخبار بموت الرب إلى أن يرجع » (١ كو ١١: ٢٥ ــ ٢٦). وتعبير لوقا الذي يقرب منه هو أصرح منه، بينما يقول بولس: « هذا هو جسدي الذي هو لأجلكم »، يقول لوقا: « هذا هو جسدي **المبذول لأجلكم** » (٢٢: ١٩). وبينما يقــول بولس: « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي » (١ كو ١١: ٢٥)، يقول لوقا: « هــذه الكــأس هي العهد الجديد بدمي ــ **المهراق لأجلكم** » (٢٢: ٢٠). ففيه ثــلاث إشــارات إلــى حقيقــة الذبيحــة في القربــان: الأولى، « العهد الجديد »، فهــو كالقديم مبني على الــدم؛ والثانيــة: « المبذول... المهراق » على الصليب، فيستمد حقيقته من حقيقة الصليب؛ والثالثة: « اصنعوا هذا لذكري » أي لتجديد الصليب والقربان معاً. ففكرة الذبيحة والفداء في الإنجيل أصرح منها في الرسالة. ولوقا المؤرخ أقرب من معلمه إلى تاريخ مرقس ومتــى فــي معنــى الضــحية بالقربان. يقول في مرقس: « هذا هو دمي، دم العهد الجديد ــ المهراق عن الجميــع » (مــر ١٤: ٢٤)؛ ويقول في متى بصراحة تفوق الجميع: « هذا هو دمي، دم العهد المهــراق عــن الجميع، لمغفرة الخطايا » (متى ٢٦: ٢٨)؛ ومتى الأرامي أقدم مــن بــولس، وقــد عاشــت الجماعة المسيحية بحسب إنجيله قبل أن يصير بولس رسولاً ويسلم التراث إلى أهل كورنثس، ويذكرهم به في رسالته. فمعنى الذبيحة في القربان المسيحي، « عشاء الرب »، سُنّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تسلمها بولس من الرسل بأورشليم، كما يشهد هو نفسه بصراحة (١ كو ١١: ٢٣).

وفي هذا الشأن الخطير، يحرص بولس على نقل السُنّة أكثر من الإنجيل بأحرفه الأربعة؛ ويمتاز بنقل الأمر بالتجديد: « اصنعوا هذا لذكري » مرتين (١ كو ١١: ٢٤ و٢٥)؛ بينما متى ومرقس لا يذكران الأمر على الإطلاق؛ ويكتفي لوقا بذكره مرة واحدة. وهذا دليل حرص بولس على نقل الأمانة. والفرق في هذا بينه وبينهم ليس في الرواية التاريخية، بل في الهدف المقصود: فإن بولس يحرص في كل رسائله على نقل سنّة الرسل الموروثة عن المسيح إلى كنائسه. وهنا يبدأ بذكر السنّة التي تسلمها (١ كو ١١: ٢٣) ثم بذكر الأمر المكرر يرجع بالسنة إلى مصدرها. وهذا الأمر المكرر، المؤيد بتواتر السنة من المسيح، إلى الرسل، إلى بولس، برهان قاطع على تاريخية الرواية في مصادرها الأربعة، وعلى صحة رواية بولس، وعلى تواتر العقيدة بالإجماع والسند المتصل من بولس إلى الرسل، شهود العيان، إلى السيد المسيح نفسه.

٤ ـ **فالأمر بتجديد** « جسد المسيح، و« دم المسيح » في إقامة « عشاء الرب » أعطى الرسل، شهود العيان، والمخاطبين به، **السلطان لتتميم هذا الأمر**. وهذا السلطان الإلهي هو الكهنوت المسيحي بعينه، الذي أكمله بالسلطان الشامل الكامل بعد قيامته: « لقد آتاني أبي كل سلطان في السماء وعلى الأرض... فاذهبوا... وعمدوا... وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به » (متى ٢٨: ١٧ ـ ٢٠)، وكان تجديد « العهد الجديد » بالقربان أعظم ما أوصاهم به لأنه إحياء لاستشهاده، واحياء لحضوره فيما بينهم. فقول الرب: « اصنعوا هذا لذكري » مرتين، **هو أمر وسلطان كهنوتي معاً**، ليعمل الرسل ما عمله المسيح، وكما عمله المسيح « إلى أن يرجع » أي « إلى منتهى الدهر » (متى ٢٨: ٢٠). إنه أمر وسلطان معاً لتجديد ذبيحة الصليب بتجديد قربان المسيح. فالأمر الخاص بهم يحمل معنى السلطان؛ ولا معنى لأمر المسيح، بدون خلق السلطان المعجز فيهم لتحقيقه.

٥ ـ وإلى معجزة تجديد « عشاء الرب »، وإلى معجزة تجديد « الإخبار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بموت المسيح إلى أن يرجع »، هناك **معجزة ثالثة هي حضور المسيح ذاتــه** فــي « جســد المسيح » وفي « دم المسيح » المبذول والمهراق على « مائدة الرب » إذ كيف يكــون جســد الرب في خبز الرب، ودم الرب في كأس الرب، ولا يكون المسيح نفسه فيهما؟ لقــد وعــد أن يكون معهم إلى منتهى الدهر (متى ٢٨: ٢٠)، ويحقق هذا الوعد، بتجديد العهد، في قربانــه. ففي القربان المسيحي يحضر المسيح ذاته بين تلاميذه. كل رسول أتــى ومضــى. الرســول الواحد الأحد الذي أتى وبقي حياً خالداً في السماء، وعلى الأرض، في قربانه، هو « رســول العهد الجديد »، « العهد الأبدي »، يسوع المسيح.

٦ ـ وهناك أيضاً **معجزة رابعة هي امتداد التجسد والفداء بالقربان**. الإنجيل يقــول: « خذوا. كلوا. هذا هو جسدي... اشربوا من هذا كلكم، هذا هو دمي ». وينقل بولس: « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز، وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يرجع » (١ كــو ١١: ٢٦). فالأمر صريح بأكل جسد الرب وشرب دم الرب في قربانه. وهــذه الطريقــة أفضــل واسطة للاشتراك بذات المسيح، والاشتراك بفدائه في موته. فكأن سر التجســد وســر الفــداء يمتدّان ويتجدّدان في المسيحي الذي يتناول القربان، ويصير مع المسيح جسداً واحداً و« روحاً واحداً » (١ كو ٦: ١٧). فالمسيح يأتي ويحيا في كل من يأكل جسده ويشرب دمه في قربانه: فالقربان المسيحي هو امتداد سر التجسد، وامتداد سرّ الفداء، إلى المسيحي، وتجديــدهما فيــه، بقيام وحدة كيانية حياتية بين المسيح والمتحد به بالقربان.

٧ ـ بذلك يظهر الهيكل المسيحي حقيقةً « **بيت الله** ». ليس على سبيل المجاز، كمــا عند الغير؛ بل بالحقيقة والواقع، بحضور المسيح الرب في قربانه. فعلــى « مائــدة الــرب » تضع المسيحية أغلى كنوزها التي ورثتها من المسيح: الصليب، رمز الفداء؛ والإنجيل، كــلام الله من كلمة الله ذاته؛ والقربان حيث المسيح حاضر بذاته؛ وسلطانه المائل في كاهنه. حقيقــةً إنها « مائدة الرب »، في « بيت الله ». هي التي قيل فيها:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« ربنـــا، أنزل علينـــا مائـــدة من السماء، تكون لنا
عيداً لأوّلنـــا، وآخرنـــا، وآيـــة منـــك، وارزقنـــا
وأنت خيـــر الرازقـــين »

هذا هو القربان المسيحي، « عشاء الرب »، في سرّ « المائدة ».

●

سادساً: الزواج المسيحي

من ميزات المسيحية ومعجزاتها، دعوتها لوحدة الزواج، وبلا طلاق: « فلـــتكن لكـــل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة رجلها » (١ كو ٧: ٢). فقد كان الطـــلاق وتعـــدّد الزوجـــات مباحاً في الشريعة الموسوية، مع اقتصار الطلاق، في إحدى مدارس الفقه عندهم، على حالـــة الزنى المشهود. وكان التعدد والطلاق شائعين في الوثنية والبيئة الهلنستية. مع ذلك لـــم تكـــن وحدة الزواج وعدم الطلاق مانعين من اعتناق المسيحية بكثرة في بيئة مشـــركة فاســـدة مثـــل كورنتش، فقد استهوتهم مثاليتها وقداسة السيرة فيها.

لكن، بعد الهداية إلى المسيحية، لا شك أن رواسب الحياة الأولى ظلـــت عالقـــة فـــي أذهانهم، خصوصاً في كورنتش مدينة الدعارة الأولى في ذلك الزمان. من ذلك حادث الفحـــش الذي تذكره الرسالة (١ كو ٥ كله). ومن جهة أخرى، في حماس الهداية، ظـــن بعضـــهم أن البتولية التي يفضلها بولس على الزواج، تمنع الزواج؛ وأن الهداية تقتضي الطلاق من الـــزوج غير المهتدي. فاستفتوا بولس (١ كو ٧: ١). فافتاهم فتوى المعلم الذي يشرع ويعلّم الشـــريعة. فارتفع بحسب فطرته من الحالة العابرة إلى الشريعة الدائمة.

١ ــ **فأظهر أولاً أن الزواج ضرورة حياة،** وإنْ كانت البتولية أفضل « فحسن للرجل ان لا يمس امرأة! ولكن تلافياً للفجور، فلتكن لكل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة رجلها » (١ كو ٧: ١ ــ ٢). هنا يعطي بولس النظرة العملية على ضرورة الزواج: « تلافياً للفجـــور ». وفي موضع آخر يعطي النظرة العقائدية التي علمها المسيح بإرجاع الزواج

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إلى حال الفطرة التي فطرنا الله عليها: « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته، فيصيران كلاهما جسداً واحداً. إن هذا السر لعظيم. أقول هذا بالنسبة للمسيح والكنيسة. فهكذا فليحب كل واحد منكم امرأته كنفسه؛ ولتحب المرأة رجلها » (أفس ٥: ٣١ ـ ٣٣). فقد نقل بولس الشريعة التوراتية والإنجيلية معاً. فضرورة الزواج قائمة على الفطرة لأن الله خلق الإنسان « ذكراً وأنثى ». ووحدة الزواج قائمة على الفطرة أيضاً لأنهما « يصيران جسداً واحداً ». وهذه الوحدة الزوجية، ألزم من قربى الأبوة والأمومة!

٢ ـ ويكشف لنا بولس أن السيد المسيح رفع الزواج من حالة عقد طبيعي، **إلى حالة سرّ مسيحي يقدّس الزوجين:** « إن هذا السر لعظيم » (أفس ٥: ٣٢). ويقارن قداسته بقداسة الوحدة القائمة بين المسيح وكنيسته التي هي بمثابة جسده، وهو « رأس الجسد » (كول ١: ١٨)، وأبناء الكنيسة « أعضاءُ جسده » (أفس ٥: ٣٠). فالفطرة والعقل الطبيعي والسر المسيحي تقتضي الوحدة الزوجية والمحبة الزوجية: « أن يحبوا نساءَهم كأجسادهم الخاصة » (أفس ٥: ٢٨).

والحياة في حال الزواج **حياة مقدسة** بالإيمان والعماد وسر الزواج، حتى أن الزوج غير المؤمن يتقدس بالزوج المؤمن؛ « وإلاّ فيكون أولادهم نجسين، والحال أنهم قديسون » (١ كو ٧: ١٤). فالصلة الزوجية مقدسة، وثمرتها مقدسة. فالاتصال بالمقدّس يقدّس، لا ينجّس. فقد سمت المسيحية بالعمل الجنسي نفسه في الزواج إلى منزلة سرّ إلهي مقدّس ومقدِّس.

٣ **ـ ويفصّل الحياة الزوجية** خير تفصيل: « ليقضِ الرجل امرأته حقها! وكذلك أيضاً المرأة رجلها ». لقد خلق الزواج بين الزوجين حقاً متبادلاً متساوياً. فعلى الزوجين قضاء حق الزواج بعضهما لبعض. إنه حق وواجب قبل أن يكون متعة. وبالزواج قد انتقل حق الإنسان على جسده إلى قرينه: « إن المرأة لا تتسلط على جسدها، بل الرجل؛ وكذلك الرجل أيضاً لا يتسلط على جسده، بل المرأة. فلا يمنع أحد كما الآخر عن ذاته ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والفراق لا يُباح « ما لم يكن عن موافقة وإلى حين، لأجل التفرغ للصلاة، ثم عودا إلى ما كنتما عليه لئلا يجربكما إبليس لعدم عفتكما ». فلا فراق بلا وفاق، ولا طلاق على الإطلاق (١ كو ٧: ١ ــ ٧).

٤ ــ نلاحظ أن بولس في رسائله **لا يذكر الطلاق**. ولا وجود عنده لإباحة الطلاق في حال الزنى المشهود. لا يستثني من دوام الحال الزوجية، إلاّ حالة الموت: « إن المرأة مرتبطة برجلها ما دام حيّاً، فإن رقد الرجل، فهي حرّة أن تتزوج بمن تشاء، ولكن في الرب فقط » أي بمسيحي (رو ٧: ١ ــ ٣). ومعها حالة إصرار أحد الزوجين على الكفر عند هداية قرينه وعلى عدم مساكنة الفريق المهتدي (١ كو ٧: ١٢ ــ ١٦). وما سوى ذلك فالزواج قائم في كل الأحوال؛ وينص بولس على أنها شريعة الرب: « أما المتزوجون فأوصيهم ــ لا أنا، بل الرب ــ أن لا تفارق المرأة رجلها؛ وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة، أو فلتصالح رجلها ــ وأن لا يترك الرجل امرأته » (١ كو ٧: ١٠ ــ ١١). فلا طلاق على الإطلاق.

٥ ــ ثم أفتى بولس **بالمفاضلة بين الزواج والبتولية:** « حسن للرجل أن لا يمس امرأة » (١ كو ٧: ١)؛ « على أنك إنْ تزوجت فلا تخطأ، وإن تزوجت العذراء فلا تخطأ » (١ كو ٧: ٢٨)؛ « إذن من زوج عذراءَه يفعل حسناً، ومَن لا يزوجها يفعل أحسن » (١ كو ٧: ٢٨). والسبب في ذلك أن المتزوجين يجب عليهم أن يهتموا بما للعالم، وبإرضاء بعضهما بعضاً أما البتول والعذراء، « فيهتمان بما للرب، ليكونا مقدسين نفساً وجسداً » (١ كو ٧: ٣٢ ــ ٣٥). لذلك فضّل البتولية على الزواج، « وأقول للعزاب والأرامل: إنه حسن لهم أن يلبثوا كما أنا. ولكن إنْ لم يكن في وسعهم أن يضبطوا أنفسهم، فليتزوجوا، لأن التزوج خير من التحرّق » (١ كو ٧: ٨ ــ ٩). وأظهرت خبرة الحياة بعد نظر بولس فرجع عن نصيحته للأرامل الصبايا (١ كو ٧: ٨ و٤٠) بقوله: « فأريد إذن أن الأرامل الفتيات يتزوجن ويلدن البنين ويدبرن البيوت ولا يعطين عدو الله سبباً للطعن » (١ تيم ٥: ١٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فالبتولية أفضل من الزواج، عند من يدعوه الله لها. وهي حالة استثنائية في المسيحية، مثالية، لخدمة الله والقريب؛ ولكن ليست الحالة الفطرية العادية فيها. فالبتولية المكرسة لله تجعل البتول « مقدساً نفساً وجسداً » (١ كو ٧: ٣٥). وإذا تعذرت، « فإن التزوج خير من التحرق ». والزواج أيضاً « سر عظيم ». فقد رفعت المسيحية الزواج من عقد مدني إلى سر مقدس يقدس الزوجين في حياتهما واتصالهما وثمرتهما؛ وتقتضي قداسته الوحدة وعدم الطلاق لكرامة الزوجين وحرمة المرأة وحفظ الأسرة نواة المجتمع. وبهذه المثالية تحدت المسيحية المجتمع الوثني وقدسته. فكان تحديها ونجاحها معجزة تشهد لها.

●

سابعاً: الكنيسة « جسد المسيح » ـ « المسيح الكلّي »

هذا التعبير، « جسد المسيح » له في لغة بولس، بحسب القرائن، ثلاثة معانٍ: جسد المسيح الفردي الطبيعي، ثم جسد المسيح القرباني كما في قوله: « هذا هو جسدي » (١ كو ١١: ٢٤)؛ وجسد المسيح الاجتماعي الجماعي في كنيسته: « أنتم جسد المسيح » (١ كو ١٢: ٣١)؛ فالمسيح وكنيسته، المسيح والمسيحيون، كيان واحد رأسه المسيح وهم جسده؛ هذا ما يسمونه « جسد المسيح السرّي ».

تعلم بولس في « جسد المسيح » الكنسي تفصيل لتعليم المسيح في العشاء السري. إن صلة المسيح بكنيسته « سر عظيم » أسمى من الوحدة بين الزوجين (أفس ٥: ٣٢). ومن نبوّة بولس ورسالته أن يكشفه للناس.

يوجز بولس تعليمه لهذه العقيدة في رسائله الكلامية إلى الغلاطيين (٣: ٢٧ ـ ٢٩)، الكورنثيين (١ كو ٦: ١٢ ـ ٢٠؛ ١٠: ١٧؛ ١١: ٣ ـ ٤؛ ١٢: ١٣ ـ ٢٧؛ ١٥: ٢٠ ـ ٢٣)، والرومانيين (٥: ١٢ ـ ٢١؛ ٦: ١ ـ ٧؛ ١٢: ٤ ـ ٨). ويوصلها إلى أبعادها الكبرى في رسائله الصوفية إلى الكولوسيين (١: ٨؛ ٤: ١ ـ ٦)، والأفسسيين (١: ٣ ـ ١٤ مع ١٦ ـ ٢٣؛ ٢: ٢١ ـ ٢٢). وتواتر التعليم في هذه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العقيدة يجعلها أصيلة في « إنجيل » بولس. إنها عقيدة مسيحية لا عهد لدين بها؛ ولا يمكن أن تكون في غير المسيحية، لأن مؤسسي الأديان مخلوقون لا تتخطى قدرتهم الفعلية شخصهم إلى جماعتهم؛ أما المسيح الذي « يحل فيه جسديّاً ملء الألوهية كله » (كول ٢: ٩) فيقدر أن يفعل شخصيّاً في جماعته عبر الزمان والمكان.

١ ـ **مصدر حقيقة** « **جسد المسيح** » **الكلّي**، المؤلف من المسيح والمسيحية معاً في كيان واحد، اثنان: المسيح بالعماد والقربان، والروح القدس. إن العماد يُنشئ وحدة كيانية وجودية بين المسيحي والمسيح، بفعل الروح القدس: « فإنا جميعاً قد اعتمدنا، بروح واحد، لجسد واحد » (١ كو ١٢: ١٣)، فيصير المعمود مع المسيح « روحاً واحداً »، وجسداً واحداً يسكنه روح الله (١ كو ٦: ١٥ ـ ٢٠). ووحدة العماد تنشئ وحدة المعمدين في جسد المسيح، بروح المسيح. والقربان المسيحي يحيى ويكمل وحدة « جسد المسيح »: « بما أن الخبز واحد، فنحن على كثرتنا جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد » (١ كو ١٠: ١٧). إنه اتحاد جسدي روحاني يبدأ بالعماد ويكمّل بالقربان، لينشئ بفعل الروح القدس الوحدة الجسدية الروحية بين المسيح والمسيحيين التي منها يتكون « جسد المسيح » الاجتماعي في الكنيسة، أو ما نسميه « المسيح الكلّي ».

٢ ـ **إن تكوين** « **جسد المسيح** » **الاجتماعي** الكنسي يتم إذن بالعماد الذي يجعل المسيح والمسيحيين جسداً واحداً يحييه الروح القدس، كما في هذا التعريف: « فكما أن الجسم (البشري) واحد، وله أعضاء كثيرة، وأن جميع أعضاء الجسم على كثرتها جسد واحد، كذلك المسيح؛ فإنا جميعاً قد اعتمدنا، بروح واحد، لجسد واحد ـ يهوداً كنّا أم هلينيين، عبيداً أم أحراراً ـ وسُقينا جميعاً من روح واحد... فأنتم جسد المسيح، وأعضاء فيه كل على مقدار » (١ كو ١٢: ١٢ ـ ١٣ مع ٢٧). فقوله: « كذلك المسيح » تحديد بأن المسيح والمسيحيين هم « المسيح الكلّي ». وهذا الكيان الجديد للمسيح مكوّن من عنصرين: المسيحيون هم جسد المسيح الأكبر كأعضاء فيه، و« المسيح هو رأس الجسد » (كول ١: ١٨). وهو كيان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وجودي حيّ، بروح الله الساكن فيه، والذي يمده بحياة المسيح ذاتها، كما تمتد حياة الرأس إلى الأعضاء. فالروح الواحد الذي يجمع المسيح والمسيحيين جسماً واحداً يجعل هذه الوحدة كيانية وجودية حياتية. فليست صلة المسيحيين بالمسيح مجازية أو حقوقية أو معنوية؛ إنما هي عضوية حياتية يحيون فيها من حياة المسيح نفسه، بروحه القدوس، لغرسهم بالعماد في جسده، ولنموهم بالقربان من حياته. وهذا ما يميّزها عن سواها من وحدات: فليست وحدة المسيح والمسيحيين معنوية فقط، كما في فلسفة الاجتماع؛ ولا رمزية فقط، كما في حديث الغنوص؛ ولا شرعية فقط، كما في التوراة لشعب الله. بل هي وحدة كيانية وجودية حياتية، كما قلنا.

وهذه هي **معجزة المسيحية** في الحياة الدينية التي بعثتها في البشرية، فجعلتها في المسيح « خليقة جديدة » (غلا ٢: ٢٠؛ ٣: ٢٧؛ ٦: ١٥).

وهذه الوحدة الوجودية بين المسيح والمسيحيين هي **فردية** بين المسيح والمسيحي؛ **وجماعية** أيضاً بين المسيحيين بعضهم ببعض، وبينهم وبين المسيح. وهذه الوحدة الكيانية بين المسيحي والمسيح تجعله حقاً **مسيحاً آخر** لأن « صورة المسيح » تنطبع فيه كيانياً، ولأن « حياة يسوع » تمتد إليه كما تمتد الحياة من الرأس إلى الأعضاء (١ كو ٣: ١٨؛ ٤: ٤؛ ٤: ١٠ ــ ١١). فالكنيسة الحية كيانياً في المسيح، هي المسيح الحي على الدوام بين البشر.

٣ ــ **عوامل التوحيد** بين المسيح والمسيحيين جسداً واحداً هي وحدة الحياة بالروح القدس الواحد.

وهذان التوحيد والاحياء، هذا الاتصال الكياني الحياتي بالمسيح، يتم أولاً بواسطة العماد المسيحي: « لأنكم، أنتم جميع مَن اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح »: « فلستُ أنا حيّاً بعد، بل المسيح ذاته يحيا فيّ » (غلا ٢: ٢). لذلك نصير « أعضاء المسيح » (١ كو ٦: ١٥)؛ والمسيح يحيا فينا بالروح الذي أعطانا؛ « والذي أعدنا لذلك هو الله الذي أعطانا الروح عربوناً » (١ كو ٤: ٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويتم ثانياً بواسطة القربان المقدس الذي نأخذ فيه جسد المسيح غذاءً روحيّاً، ودم المسيح شراباً روحيّاً، يُنمي هذه الوحدة الحياتية ويكملها فينا، لأن « أكل عشاء الرب » هو « شركة في جسد المسيح... وشركة في دم المسيح » (١ كو ١٠: ١٦). فتتوطد الوحدة، وتتطوّر دورة الحياة بالمسيح فينا: « فبما أن الخبز (المقدس) واحد، فنحن الكثيرين جسد واحد لأنا جميعاً نشترك في الخبز الواحد (١ كو ١٠: ١٦).

ويتم ثالثاً بواسطة الحالات المسيحية في الإيمان والرجاء والمحبة، « تلك الثلاثة؛ وأعظمهن المحبة »؛ وهي جميعاً تربط المسيحيين بالمسيح « جسماً واحداً، بروح واحد » (١ كو ١٢: ١٢ ــ ١٣ مع ٢٧؛ ١٣ كله).

٤ ــ **مفاعيل هذه الوحدة الكيانية**، في جسد واحد مع المسيح، يصفها بولس ويظهر حقيقتها، بمناسبة الزنى، والزواج. إن أجسادنا هي « أعضاء المسيح »: « أما تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح؟ أفآخذ أعضاء المسيح واجعلها أعضاء فاجرة؟ حاشا، وكلا! أولا تعلمون أن من اقترن بزانية يصير معها جسداً واحداً بحسب قوله: (يصيران كلاهما جسداً واحداً) ». إنهما استعارتان تظهران حقيقة وفاعلية الوحدة. ومع الوحدة العضوية تنشأ الوحدة الروحية؛ « مَن يقترن بالرب يصير معه روحاً واحداً ». فنحن مع المسيح جسد واحد، وروح واحد.

لذلك نصير **هياكل حية للروح القدس**؛ « أما تعلمون أن أجسادكم هي هيكل الروح القدس، الذي فيكم، الذي نلتموه من الله »؟ (١ كو ٦: ١٥ ــ ٢٠).

والاستعارتان متكاملتان: المسيحي جسد واحد وروح واحد مع المسيح؛ لذلك فهو « بناء الله » و« هيكل الروح القدس ».

٥ ــ **ولكن كيف يصير المسيحيون جسداً واحداً مع المسيح؟** بعضهم يراها بزرع المسيحيين أعضاء في جسد المسيح الشخصي، كما يظهر لهم في قوله: « فأنتم جسد المسيح، وأعضاء (فيه) كلٌ بمقدار » (١ كو ١٢: ٢٧)؛ وقوله: « أما تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح » (١ كو ٦: ١٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعضهم يرى أن المسيحيين يؤلفون جسداً اجتماعياً جديداً للمسيح، يكون هو فيه بمثابة الرأس: « وهو رأس الجسد، الكنيسة » (كول ١: ١٨)؛ « كما أن المسيح هو رأس الكنيسة، التي هي جسده، وهو مخلصها » (أفسس ٥: ٢٣؛ ٩: ٢٢).

يؤيد هذا الرأي الثاني استعارات بولس لوصف الوحدة الكيانية بين المسيح والكنيسة:

فالاستعارة الأولى إنه « **رأس** الكنيسة التي هي جسده » (أفسس ١: ٢٢). والاستعارة الثانية أن الكنيسة هي **عروس** المسيح، « عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١: ٢). وهي استعارة متواترة في الكتاب والإنجيل (مرقس ٢: ١٩ ـ ٢١؛ يوحنا ٣: ٢٩؛ رؤيا ٢١: ٢ و٩؛ ٢٢: ١٧). لكن هذا القران يجعل المسيح والكنيسة عروسه روحاً واحداً، « لأن من يقترن بالرب يكون معه روحاً واحداً » (١ كو ٦: ١٧). والاستعارة الثالثة هي أن الكنيسة **بناء**، والمسيح فيه رأس الزاوية. والاستعارة الرابعة هي أن الكنيسة « **ملء المسيح** » (أفسس ١: ٢٢ و٢٣)، على الفاعل وعلى المفعول معاً: فهو يملؤها، وهي تملأه. فكلها استعارات تدل على الوحدة وعلى التمييز معاً.

ونحن نرى أن لا تعارض بين النظريتيْن، بل تكامل وتضامن. إن المسيحيين يؤلفون جسداً اجتماعيّاً جديداً للمسيح، لأنهم مزروعون فيه « أعضاء » (١ كو ٦: ١٥؛ ١٢: ٢٧).

٦ ـ إن التعبير « الكنيسة، جسد المسيح » **ابتكار من عبقرية بولس**، لم يوجه له العهد القديم ولا الكلام اليهودي. إنما استخدم له التعبير الهلنستي الشائع بتشبه الأمة بجسم الإنسان في وحدة حيوية متفاعلة (١ كو ١٢: ١٢ ـ ٢٤؛ رو ١٢: ٤). فهذا الاقتباس يقتصر على تشبيه المسيحية بالجسم الحي المتفاعل. لكن جعل الكنيسة جسد المسيح، و« المسيح رأس الجسد » فهذا من وحي الله لبولس. وهو يذهب إلى اعتبار المسيحيين كأعضاء المسيح أنهم « المسيح » نفسه (١ كو ١٢: ١٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وستكتمل عقيدة « جسد المسيح » الاجتماعي في البشرية، بعقيدة المسيح الكوني حيث المسيح رأس الكون، في الرسائل الصوفية.

وهكذا تظهر شخصية المسيح في أبعادها، بواسطة الكنيسة « جسد المسيح »: ١) النفس الفردية هي عالم الكنيسة **الأصغر** ٢) والكون هو عالم الكنيسة **الأكبر** ٣) وفي كلا العالمين المسيح هو « رأس الجسد، وملء الممتلئ كلاً في الكل » (أفس ١: ٢٣).

٧ ـ **وفصل الخطاب** إن هذه الوحدة الكيانية الوجودية بين المسيح والمسيحيين هي عقيدة دينية جديدة، لا مثيل لها في دين، وهي ميزة المسيحية على الأديان قاطبة.

فقيام الحياة الدينية في المسيحية على تلك الوحدة الوجودية الحياتية، في المسيح، بروحه القدوس، إنما هي عبقرية المسيح، ومعجزة المسيحية في الحياة الدينية.

وهذه الحقيقة لم يلفقها بولس من الغنوصية والهلنستية، كما يزعم بعضهم، بل تسلمها من المسيح، بواسطة الرسل (١ كو ١١: ٢٣). وهي تعليم رسولي شائع يذكّر به بولس أبناءَه: « أما تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح »! (١ كو ٦: ١٥)؛ « أما تعلمون أن أجسادكم هي هيكل الروح القدس »! (١ كو ٦: ١٩).

تلك هي بعض التعاليم في الرسالة الأولى إلى الكورنثيين. وهي تظهر عبقرية المسيحية المعجزة، ما بين اليهودية والموسوية والغنوصية. واعجازها دليل صحتها وصدورها عن المسيح نفسه. والفضل لبولس في تفصيل الإنجيل.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثالث

الرسالة الثانية إلى الكورنثيين
(ما بين النصرانية والمسيحية)

تقديم: قيمة هذه الرسالة الثانية، وقيمة الرسول فيها

١ ــ بعد فتنة دامت سنتين ونيف عالجها بولس في رسالته الأولى إلى الكورنثيين، قامت معارضة عنيفة لبولس في كنيسة كورنثس عام ٥٧. فكانت هذه الرسالة الثانية جواباً عليها مزدوجاً، للموالين والمعارضين، في دفاعيْن بليغيْن عن رسالته وشخصه في سيرته. وفيها يظهر لنا بولس على حقيقته وقد أرغمته المعارضة على ذلك. فهي تكشف لنا الرسول ورسالته أكثر من أختيها إلى الغلاطيين، ومن بعد إلى الفيليبيين. **فقيمتها السيكولوجية** عظيمة، لأنها صورة صادقة حيّة للرسول ورسالته، في محنة كبيرة، وفي عاصمة اليونان الرومانية.

٢ ــ لدينا على هذه الفترة مصدران: هذه الرسالة وسفر الأعمال. فبينما يعطينا سفر الأعمال، في نظرته التاريخية المجردة، صورة للأحداث شيّقة؛ تعطينا هذه الرسالة، بنظرتها الشخصية، صورة مثالية تنبض بالصراع، في المشاكل والمسائل التي قامت في وجه الدعوة. ولكن المصدرين يتفقان على نجاح دعوة بولس في كورنثس في أولها وفي آخرها. فما بينهما اختلاف في وجهات النظر، وائتلاف في الموضوع. وكلاهما يقصان أخطر رسالة في أحرج موضع، في عاصمة الفلسفة والفساد. فللرسالة **قيمة تاريخية** كبيرة.

٣ ــ ونكتشف فيها نواحي جديدة من العقيدة المسيحية: الرسالة المسيحية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« **عهد جديد** » في تاريخ الخلاص، « **عهد الروح** »، فهو أفضل من القديم؛ وسر المسيح في ذاته، « صورة الله »، وفي عمله، التجسد والفداء؛ وعمل الروح القدس في المسيحيين، في الحياة المسيحية، وتكوينها، « جسداً سرياً » للمسيح، في « شركة القديسين »؛ ومصير المسيحيين بعد الموت. **فقيمتها العقائدية** أيضاً كبيرة.

٤ ـ وأسلوب بولس فيها واضح كما نعرفه في تقسيم وتبويب، وتصدير وتصريع. واغفال هذا الأسلوب جعل العلماء يتخبطون في تحليلها. وخفي عليهم ما فيها من الادماج، أي دمج فن بفن، وهدف بهدف! فتأتي الرسالة رداً في معرض البيان، وبياناً في معرض الرد؛ وقد يتسلسل ذلك طرداً وعكساً. **فقيمتها الفنية والبيانية** أيضاً كبيرة.

وهذه القيم البيانية والعقائدية والتاريخية والسيكولوجية، كلها تُظهر لنا قيمة الرسالة المسيحية، وعظمة رسولها بولس.

●

باب أول: تمهيد للرسالة الكورنثية الثانية

في هذا التمهيد نبحث عدة مسائل ومشاكل يساعد حلّها على فهم الرسالة، مثل مناسبتها ووحدتها وأخصام بولس فيها.

أولاً: مناسبة الرسالة

مناسبتها تظهر من الأحداث التي وقعت بعد مجموعة الرسالة الأولى: لقد **تطوّرت الفتنة إلى ثورة** على بولس.

كانت كورنثس « نور اليونان »، مثل أفسس، « نور آسيا ». وما يجري فيها له تأثير عظيم على الولاية كلها. لذلك اهتم بها بولس اهتمامه بأفسس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منذ غادرها بولس، في نشوة الفرح، « كنيسة عذراء للمسيح »، جاءَها الخطيب المفوّه والمتكلم الضليع، أبولّس. فاستمالت دعوته الطبقة المثقفة من المسيحيين. ثم اندسّ فيها ــ بعد غلاطية وفيلبي ــ بعض النصارى من بني إسرائيل، يتعقبون بولس في دعوته لتحرير المسيحية من اليهودية. فانشقت الجماعة وتحزّبت. لكن الفتنة ظلت كامنة مدة سنتين، وبولس يداويها بالتي هي أحسن بموفديه ورسائله.

وفي ربيع ٥٧ استيقظت الفتنة في أفسس وفي كورنش معاً بتحريض اليهود، ومعهم « الأخوة الكاذبون » أي النصارى من بني إسرائيل؛ وكأنها **ثورة موقوتة** في العاصمتين معاً. فعالج بولس الثورة المعارضة برسائله ومبعوثيه.

١ ــ في ربيع العام ٥٧، نحو الفصح، حمل تيموتاوس وصحبه القسم الأخير من الرسالة الأولى إلى الكورنثيين (١ كو ١٦: ١٠ قابل أع ١٩: ٢١ ــ ٢٢). ظن بولس أنه سيقبلون سفيره. لكن تيموتاوس أُهين ورجع حزيناً إلى معلمه.

٢ ــ فقام بولس، من أفسس، في الربيع نفسه عام ٥٧ بزيارة تهدئة إلى كورنش الثائرة عليه، يسميها « الزيارة الثانية » (٢ كو ١٢: ١٤؛ ١٣: ١) ــ لوقا لا يذكرها ــ حمل بولس على ترك أفسس « **الضيق الجديد** » **حتى** « **الموت الداهم** » (٢ كو ١: ٨ ــ ١١) الذي واجهه « بمصارعة وحوش في أفسس » (١ كو ١٥: ٣٢). وجاء كورنش ينشد الراحة لنفسه ولهم. ففشل هو أيضاً (٢ كو ٢: ١ ــ ١١) بسبب ازدياد حملة المعارضة عليه وطعن « الأخوة الكذبة » في صحة رسالته وفي صحة دعوته وفي صحة نيته وسلوكه؛ وقد يكون، أحد الكورنثيين قد أهانه شخصياً (٢ كو ٢: ٥؛ ٧: ١٢)، وأعانه عليه قوم آخرون من « الأخوة الكذبة » (٢ كو ١٣: ٢). فرجع بولس والمرارة تملأ نفسه.

هنا يتساءَلون: هل كان « المُهان » بولس أم أحد مبعوثيه؟ وهل كان « المهين » فرداً أم جماعة؟ وهل هذه الجماعة من الكورنثيين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أم من النصارى الإسرائيليين؟ ليس في الرسالة قرائن تقطع برأي. ففيما نراه في الدفاع الأول يطلب العفو للمهين، إذا به في الدفاع الثاني يحمل على أولئك « الرسل الأكابر » كما يسميهم بتهكم (٢ كو ١١: ٦)؛ ويصفهم « رسلاً كاذبين، عملة مكارين، متنكرين بهيئة رسل المسيح » (٢ كو ١١: ١٣). وقد فشل بولس، بعد سفيره تيموتاوس. هذا الموقف يدل على أن الذي أو الذين بلبلوا غلاطية وفيلبي؛ وهم الآن يثيرونها حملة شعواء في كورنثس وفي أفسس معاً. وقد يكون تولى كبر الإهانة أحد الكورنثيين المنحاز إليهم (٢ كو ٢: ٥؛ ٧: ١٢) وأعانه عليه قوم آخرون من الحزب المعارض الخليط (٢ كو ١٣: ٢).

ونتساءَل أيضاً: **إلى أين رجع بولس**، والمرارة تملأ نفسه؟ هنا أيضاً ترتيب الأحداث غامض. فهل تمت ثورة الصاغة بأفسس على بولس قبل « الزيارة الثالثة » إلى كورنثس، أم بعدها؟ وهل ثورة الصاغة بأفسس (أع ١٩: ٢٣ ـ ٢٠: ١) هي « الضيق الشديد حتى « الموت الداهم » الذي يذكره في (٢ كو ١: ٨ ـ ١١) أم حركة ثانية معادية؟ نميل إلى الاعتقاد من القرائن الواردة أن ثورة الصاغة بأفسس غير « الضيق الشديد » حتى «الموت الداهم »، وأنها حدثت بعد رجوع بولس من كورنثس فاشلاً حزيناً.

٣ ـ رجع بولس إلى أفسس، وقد تركها مضطربة. وكتب إلى الكورنثيين **رسالة عنيفة** « **بدموع كثيرة** » (٢ كو ٢: ٣؛ ٧: ٨)، فنجحت الرسالة في كسر المعارضة، وقام الموالون على « المهين » وأرغموه على التوبة (٢ كو ٧: ٨ ـ ١١).

فهل فُقدت هذه الرسالة؟ أم إننا بالحري نجدها في الدفاع الثاني العنيف إلى الكورنثيين، وفي الحملة على المعارضين (٢ كو ١٠ ـ ١٣)؟

٤ ـ حمل **رسالة الدموع** (٢ كو ٢: ٣؛ ٧: ٨) إلى كورنثس وفد برئاسة تيطس القوي ولوقا الدبلوماسي. فنجحت سفارة تيطس الأولى إلى كورنثس. وكان بولس على أحرّ من الجمر لمعرفة أخبار تيطس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٥ ــ في هذه الأثناء، قامت على بولس، بتحريض من خصومه اليهود و« الأخوة الكذبة »، ثورة الصاغة بافسس (١٩: ٢٣ ــ ٢٠: ١). « وبعد أن سكن البلبال دعا بولس التلاميذ ووعظهم ثم ودعهم ومضى شاخصاً إلى مقدونية » (أع ٢٠: ١). « ولما جئت ترواس، من أجل إنجيل المسيح ــ فمع أني قد انفتح لي باب في الرب ــ لم تكن لي راحة في روحي، إذ لم أجد فيها تيطس أخي. فودعتهم وانطلقت إلى **مقدونية** » (٢ كو ٢: ١٢ ــ ١٣) حيث لاقاه تيطس بالبشرى بانفراج الأزمة.

فقد قضى بولس ثلاثة أشهر في أفسس، ثم ثلاثة أخرى من صيف عام ٥٧ في مقدونية. ومن مقدونية كتب المكتوب الأول لأجل التبرع لفقراء أورشليم (٢ كو ٨).

٦ ــ وفي أواخر الخريف عام ٥٧ أوفد بولس تيطس مرة أخرى لتهدئة الحالة تماماً، مع **رسالة المصالحة**: « إنا من حين قدومنا إلى مقدونية لم يكن لجسدنا راحة قط، بل كنا في ضيق من كل جهة: حروب في الخارج؛ ومخاوف من الداخل! إلاّ إن الله الذي يعزي المتواضعين قد عزّانا بقدوم تيطس؛ وليس بقدومه فقط، بل أيضاً بما أوليتموه من التعزية. وقد أخبرنا بشوقكم ودموعكم وغيرتكم لي، فتزايد فرحي » (٢ كو ٧: ٥ ــ ٧).

وهذه الرسالة (٢ كو ١ ــ ٧) ترشح بالعاطفة الأبوية، وتلطف من جوّ الإهانة والرسالة العنيفة السابقة (٢ كو ١٠ ــ ١٣). فيها يسمح للمهين، ويطلب له السماح منهم. ويشرح لهم أسباب تأجيل زيارته الثالثة الموعودة.

ومع الرسالة (٢ كو ١ ــ ٧) زوّد بولس تيطس وصحبه **بمكتوب آخر** موجه إلى كنائس أخائية كلها لجمع التبرعات لكنيسة أورشليم المضطهدة (٢ كو ٩).

فما بين الرد العنيف على المعارضين (٢ كو ١٠ ــ ١٣) والرد اللطيف إلى الموالين (٢ كو ١ ــ ٧)، يكون بولس قد كتب مكتوبيْن إلى كورنثس (٢ كو ٨ و٩) إمّا على حدة، وإمّا مع الرسالتيْن، من الرسالة القانونية الثانية إلى الكورنثيين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتقرير لوقا في سفر الأعمال يوجز الأحداث، ويهمل الزيارة الثانية الفاشلة إلى كورنتس، ويكتفي بذكر الثالثة حيث مكث « ثلاثة أشهر » الشتاء (أع ٢٠: ١ ــ ٣).

٧ ــ يضاف إلى المناسبات الكورنثية، **ظروف بولس الشخصية** في أفسس من حيث كَتَبَ الدفاع العنيف (٢ كو ١٠ ــ ١٣). فهو يقول: « إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلطم، ولا قرار لنا. ونتعب عاملين بأيدينا. نشتم فنبارك! نُضطهد فنحتمل! يُشنّع علينا فنصلّي! لقد صرنا كأقذار العالم! ورذالة الجميع حتى الآن! » (١ كو ٤: ١١ ــ ١٣). وهذه المحنة الشديدة يسميها « صراعاً ضد الوحوش في أفسس » (١ كو ١٥: ٣٢). ويعود في الرسالة الثانية فيذكر « المحنة في آسيا. فقد ثُقّل علينا بإفراط، وفوق الطاقة، حتى لقد يئسنا من الحياة نفسها! بل تيقنّا من الموت المحتوم! لئلا نتّكل على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم الأموات. فإنه هو الذي أنقذنا من هذا الموت الداهم، وسينقذنا. أجل إني لواثق بأنه سينقذنا » (٢ كو ١: ٨ ــ ١٠).

فالظروف الخارجية الآتية من كورنثس، والظروف الداخلية في أفسس كلها تفسّر الرسالة العنيفة التي كتبت « بالدموع الكثيرة ».

فمناسبة « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين » كانت الرد على المعارضة المستفحلة، بعد زيارة بولس الثانية الفاشلة، وإهانة مبعوثه إليهم، ورسالة بولس العنيفة إليهم « بدموع كثيرة »، وبعثة تيطس الناجحة لترويض المعارضة وتهدئة الحال. فكانت هذه الرسالة الأخيرة نصراً مبيناً لبولس ورسالته.

•

ثانياً: أخصام بولس في كورنثس ــ جمع معارض خليط

نشعر من إشارات الرسالة أن المعارضة في كورنثس لبولس جمع معارض خليط. فمن جهة، نرى الذين يحمل عليهم حملة شعواء، فيسمّيهم بتهكم « **الرسل الأكابر** » (٢ كو ١١: ٥؛ ١٢: ١١)، وينعتهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بأنهم « **رسل كذبة** » (٢ كو ١١: ١٣)؛ وقد تستّروا باسم كيفا في كورنثس، كما رأينا (١ كـو ١: ١٢). وهم يطعنون بصحة رسالة بولس، وبصحة إنجيله، وبصحة سلوكه. إنهم دون شك بعض النصارى من بني إسرائيل الذي يعملون باسم أورشليم؛ ويلاحقون بولس من أورشليم إلى أنطاكية إلى غلاطية إلى فيلبي إلى كورنثس. ولا يصح بحال من الأحوال أن نرى وراءهم **الرسل الاثني عشر**، أو بطرس نفسه، لأننا نعلم تقدير بولس لبطرس الذي استضافه بعد هدايته، ودافع عنه في مجمع الرسل؛ وتقديره للرسل الذين يصف بطولتهم معه (١ كو ٤: ٩ ـ ١٣).

ووجدوا أذناً صاغية لدى الذين سموا أنفسهم « **جماعة أبولّس** » (١ كـو ١: ١٢)، والذين ما زالت تدغدغهم غطرسة الحكمة اليونانية، وقد يقصدهم بولس أيضاً في رسالته (٢ كو ١٠: ٧). فهؤلاء وجدوا في الحكمة المسيحية وفي الحرية المسيحية، وفي المواهب الروحية، ما ظنوا أنه يخولهم الاستقلال عن سلطة الرسل وسنتهم، وصاروا يترفعون ويتجبرون على بولس؛ ونشعر أن بولس يردّ عليهم مباشرة من حين إلى حين.

فتجمّع التياران في معارضة واحدة لبولس، كادت تجرف الكنيسة الكورنثية كلها، لولا حنكة بولس وحكمته. فردّاً على هذا الجمع المعارض الخليط، كتب بولس رسالته الثانية، محذراً المسيحيين في كورنثس من شبهات قوم، وأكاذيب قوم. لكن زعماء المعارضة كانوا النصارى من بني إسرائيل، فتوجهت الردود إليهم خصيصاً. وكانت طعونهم على ثلاثة أنواع.

طعْن في صحة رسالته: إن بولس دخيل على الرسالة، فلم يعرف المسيح، وليس من « الاثني عشر »، ولا هو من وزن بطرس زعيم الرسل، أو يعقوب زعيم آل البيت! فيرد عليهم بولس بإعلان ألقاب قوميته، وأتعاب رسالته في خدمة المسيح (١ كو ١١: ٢١ ـ ٣٠).

وطعْن في صحة إنجيله: فدعوته تهدف إلى تحريف الإنجيل بعزله عن التوراة، كتاب موسى الكليم؛ وذلك لكي يسترضي الوثنيين الذين يأنفون من الختان! فيردّ بولس عليهم « برؤى الله وإيحاءاته »، وخصوصاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بإسرائه إلى السماء الثالثة، إلى الفردوس حيث سمع « الكلمات المعجزة » (٢ كو ١٢: ١ ـ ٧).

وطعْن خصوصاً في سلوكه؛ فهو في زعمهم قائم على « المكر » (٢ كو ٤: ٢)؛ « في الحضرة ذليل، وفي الغيبة جريء » (٢ كو ١٠: ١)، ويتطاول على الناس « برسائل ثقيلة وقوية » (٢ كو ١٠: ١٠)؛ ويتصرف بجرأة كثيرة (٢ كو ٣: ١١) محاولاً « السيطرة على إيمانهم » (٢ كو ١: ٢٤). ويخاتل في حديثه ورسائله (٢ كو ١٠: ١١)، بعد بزيارة للمفاهمة، ويتهرب منها لئلا ينفضح (٢ كو ١: ١٥ ـ ٢٠). ثم يصب سمه في رسائل عنيفة (٢ كو ٢: ٣ ـ ٤). أخيراً بحجة التبرع إلى فقراء أورشليم ليستغل إيمانهم، وهو يدّعي أنه يبشر مجاناً (٢ كو ١١: ٧ ـ ١٢). فتجاه هذه الحملة المركزة، لا نستغرب حملة بولس العنيفة عليهم لتحطيم معارضتهم (٢ كو ١١: ١٣ ـ ١٥؛ ٢٠ ـ ٢١)؛ فلسنا « من السالكين بالمكر، ولا مفسدين كلام الله » (٢ كو ٤: ١ ـ ٢) فإنا « لم نظلم أحداً! ولم نخدع أحداً! ولم تستغل أحداً! » (٢ كو ٧: ٢). أخيراً لا نستغرب تمنينه الكورنثيين بتبشيرهم مجاناً، متى عرفنا استغلال المعارضين لجمع التبرعات: « لقد بشرتكم بإنجيل الله مجاناً... فبحق المسيح الذي فيّ، إن هذا الفخر لا يُنزع مني في أقاليم أخائية... لأقطع العلة على الذين يطلبون علة، لكي يكونوا مثلنا في ما هم به مفتخرون! » (٢ كو ١١: ٧ ـ ١٢).

فهؤلاء الأخصام ليسوا الرسل، كما زعم بعضهم. والمهين الذي أهان بولس (٢ كو ٢: ٥؛ ٧: ١٢) هو من هذا الحزب المعارض، وليس « الفاسق » الذي ورد ذكره من قبل (١ كو ٥ كله)، كما وهم المفسرون الأقدمون. إنهم النصارى من بني إسرائيل، وجماعة أبولّس.

لقد تجمّع الأخصام في معارضة عنيفة لبولس، فانقسمت كنيسة كورنثس إلى حزب الموالين، وحزب المعارضين. فكتب بولس الرسالة الثانية لتطمين الموالاة وتحطيم المعارضة. فكسب معركة التحرير مرة أخرى بعد أورشليم وأنطاكية.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً: وحدة الرسالة الثانية إلى الكورنثيين

وحدتها **القانونية والأثرية** ثابتة من تواتر المخطوطات والترجمات عبر التاريخ كلـه، ومن ملاحظات آباء الكنيسة عليها، وهي تُتلى كلها من عهد الرسل باسم « رسالة بولس الثانية إلى الكورنثيين ».

ولكن هذه الوحدة القانونية لا تقتضي **الوحدة الفنية** فيها، إذا ما ظهر فيها دلائل تعارضها، وتشير إلى التفكك بين أقسامها. وهذا هو الواقع: فظاهرة التفكك بين أقسامها، وظاهرة التعارض في مواقفها المتبدّلة، بادية عليها، تدل على أنها مجموعة رسالتيْن ومكتوبيْن.

١ ــ مقارنة الدفاعيْن

في الرسالة دفاعان يختلفان أسلوباً وموضوعاً ومنطقاً، لا يصح جمعهما في حالة واحدة نفسية وتاريخية. ففي القسم الأول (١ ــ ٧) **دفاع لطيف** يذوب فيه بولس حناناً، وكأنه يستعطف فيه أبناءَه الذين غمّهم في رسالة عنيفة سابقة، لا أثر لها في « الرسالة الأولى إلى الكورنثيين » في وحدتها القانونية. وفي القسم الثالث (١٠: ١ ــ ١٣: ١٠) **دفاع عنيف** يحطّم المعارضة تحطيماً. ومن البدهي أن يعمد الخطيب العليم مثل بولس إلى البدء بالعنف، والختام باللطف، لكسب الموقف في اخماد ثورة، أثناء دعوة للتبرّع. فالأسلوب مختلف يقتضي موضوعين.

والموضوع مختلف أيضاً في الدفاعين، كأنهما رسالتان في موقفين مختلفين. في الأول يثني على « ثباتهم في الإيمان » (٢ كو ١: ٢٤)؛ وفي الثاني يتحداهم: « امتحنوا أنفسكم: هل أنتم على الإيمان؟ » (٢ كو ١٣: ٥). ثم في الأول يطفح بولس سروراً لطاعتهم وقبولهم تيطس بالتقدير (٢ كو ٧: ٤ و١٤ ــ ١٦)، ويثني على فيضهم في الإيمان والفهم والعلم، والنشاط على كل درجة، وفي محبتهم له » (٢ كو ٨: ٧)؛ بينما في الثاني يهدر بالتهديد لهم (٢ كو ١: ٢؛ ١٣: ٢)، والتنديد بهم لاستقبالهم « الرسل الكذبة... الذين يستعبدونكم ويستأكلونكم ويسلبونكم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويتكبرون عليكم ويلطمونكم على وجوهكم » (٢ كو ١: ٢ مع ١١: ٣ ـــ ٤ و٢٠ ـــ ٢١).

ولا يفسر منطقٌ هذا التعارض بين الدفاعين أسلوباً وموضوعاً، بأن بولس في الأول يخاطب الموالين، وفي الثاني يقصد المعارضين، لأنه في الاثنين يخاطب الكورنثيين كلهم جملةً. ولا يفسره أنه، بعد القسم الأول اللطيف، طرأ على الموقف أحداث وأخبار قلبت الموقف رأساً على عقب. فاضطر بولس إلى تغيير موقفه. لأن ذلك التغيير في الأحداث والمواقف يقتضي فترة من الزمن، لا وجود لها في رسالة واحدة. ولا يفسره هذه المدة الطويلة التي تقتضيها مثل هذه الرسالة، في زحمة الأحداث وضرورة معالجتها بسرعة، لئلا تستفحل. ولِمَ لا نرى ذلك في أكبر رسالة لبولس، إلى الرومانيين، في وحدتها الفنية والمنطقية؟ فالمنطق والموضوع والأسلوب كلها تجعل الدفاعين رسالتين، جُمعتا في وحدة قانونية.

٢ ـــ مقارنة المكتوبيْن

ما بين الدفاع الأول فالثاني، نجد موضوعاً جديداً مستقلاً عنهما: **دعوة إلى التبرع** لفقراء أورشليم، وكنيسة أورشليم التي تحتضنهم. فهل الفصلان (١ كو ٨ ثم ٩) هما رسالة واحدة، أم مكتوبان مستقلان؟

نلاحظ أن الأول (ف ٨) مرسل إلى كورنثس وحدها؛ بينما الثاني (ف ٩) إلى منطقة « أخائية » أكثر منه إلى كورنثس وحدها. ونرى أن الأسباب الموجبة للتبرع في المكتوب الأول (٨: ٧ ـــ ١٥) هي غيرها في المكتوب الثاني (٩: ٦ ـــ ١٤)، وإنْ كانت الأسباب كلها متكاملة.

ونلاحظ أن الأسلوب بين المكتوبين مختلف: فالأول يُغري المقدونيين بالكورنثيين (٨: ١ ـــ ٥)؛ بينما الثاني يغري الكورنثيين بالمقدونيين الذين سيحضرون مع بولس حاملين تبرعاتهم (٩: ٣ ـــ ٥).

وفي الاثنين إشارة إلى الاستعداد « منذ العام الماضي » (٨: ١ مع ٩: ٢)؛ فهل هي إشارة واحدة، أم إشارتان؟ على كل حال إنهما إشارة إلى الفارق الزمني الكامن بين الدفاعين، والظاهر بين المكتوبين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فكل هذه الدلائل تجعل **المكتوب الثاني مستقلاً عن الأول.**

هل المكتوبان المستقلان بعضهما عن بعض، هما مستقلان أيضاً عن الرسالتين الظاهرتين في الدفاعين؟ لا يعقل أن يقترن الدفاع العنيف بمكتوب تحريض على التبرع؛ والمكتوب الأول يغري المقدونيين بالكورنثيين (٨: ١ ــ ٩) كأنه صادر من مكدونية، بينما الدفاع العنيف كان من أفسس. لذلك نرى أن المكتوبين مستقلين عن الدفاعين، أكثر منهما ملحقين بهما، ودعوة الكورنثيين للتبرع دامت « عاماً » كاملاً كما يظهر من المكتوبين؛ وبدأت بالمكتوب الملحق بالرسالة الأولى (١ كو ١٦: ١ ــ ١٢). فكل تلك الإشارات تدل على أن **ما بين الدفاعين قرابة نصف عام**، ما بين فصح العام ٥٧، وآخر الخريف من العام نفسه.

٣ ــ ما بين الوحدة القانونية والواقع التاريخي

فتلك الظواهر من تفكك، في لحمة السياق بين مواضيع الرسالة، ومن تبدّل في المواقف، حملت العلماء، حتى من المدرسة الدومينيكية في القدس[1] على اعتبار « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين » **مجموعة رسالتين ومكتوبين إليهم.**

فتنة دامت سنتين لا يقتصر فيها بولس على رسالة واحدة؛ ثم تطورت إلى ثورة على بولس ودعوته مدة سنة، لا يُعقل أن يكتفي فيها بولس برسالة واحدة. بل تعدّدت الوفود والرسائل لإخماد الثورة وانتصار الحقيقة على الفتنة. هذا منطق التاريخ وسيكولوجية بولس.

يؤيد هذا التحليل إشارة بولس إلى رسالة عنيفة كتبها إليهم « في كآبة شديدة، وكرب القلب، وفي **دموع كثيرة** » (٢ كو ٢: ٤): « فإني وإنْ كنت قد غممتكم برسالتي فأنا لست بنادم، مع ندمي على غمكم بتلك الرسالة » (٢ كو ٧: ٨). فهناك قبل الرسالة الثانية القانونية رسالة مفقودة! لكن هل من المعقول أو المقبول أو المنقول أن تفقد بيئة متقفة،

---

(1) Bible de Jérusalem, p. 1414.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فيها سلطة دينية قويمة عليمة، مثل كنيسة كورنثس، رسالة قضت على الثورة بينهم؟ وقد حفظت كنائس أخرى رسائل أدنى قيمة منها، كالرسالة أو الرسالتين إلى التسالونيكيين، والمكتوب الصغير إلى فيليمون. وقد نسبوا إلى بولس ما قد يكون ليس منه كالرسالة إلى العبرانيين، مع أن بولس، كما يشهد هو نفسه، وذلك بقرار مجمع الرسل، ليس رسولاً إلى أهل الكتاب، بل إلى الأمميين. لذلك نرى أن الدفاع العنيف (٢ كو ١٠: ١ ــ ١٣: ١٠) هو الرسالة المكتوبة « بدموع كثيرة »، والمزعومة مفقودة؛ وكانت الأولى في ذروة الثورة على بولس، بعد زيارته الثانية الفاشلة إلى كورنثس.

وبعد تلك الرسالة العنيفة التي كسرت حدة الثورة، وبعثة تيطس القوي مع لوقا الدبلوماسي الناجحة، كانت الرسالة والدفاع اللطيف فيها (٢ كو ١ ــ ٧). ويأتي المكتوبان (٢ كو ٨ و٩) ما بين الرسالتين الدفاعيتين، أو ما قبل وبعد الدفاع اللطيف. وقد وُضعا ما بين الرسالتين الدفاعيتين إشارة لطيفة للفاصل الزمني بينهما.

ولا يمس صحة الرسالة، ولا عصمتها، كونها مجموعة رسالتين ومكتوبين. وهذا الضم قد تم عند جمع تراث بولس، قبل ظهوره في المخطوطات والترجمات، حفظاً من الضياع، وتسهيلاً للتلاوة في الصلاة؛ فجاءت في وحدة قانونية هي « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين ».

٤ ــ مقطع مقحم على الرسالة (٢ كو ٦: ١٤ ــ ٧: ١)

بقي مشكل الزيادة الدخيلة التي تقطع السياق الملتحم بين الآيتين (٢ كو ٦: ١٣) و(٧: ٢). وتلك الفقرة لا تمت إلى ما قبلها ولا إلى ما بعدها بصلة.

نعرف ميل بولس إلى الاستطراد. لكنه على عادته استطراد منطقي أو عاطفي مألوف، كما في (رو ١٦: ١٧ ــ ٢٠). وفي هذه الفقرة المقحمة، تعارض ظاهر بين تحريم مخالطة الوثنيين (٢ كو ٦: ١٤ و١٧) بوحي المبدإ اليهودي « إنما **المشركون نجَس** »، وبين محاربة بولس لهذا المبدإ: « كتبت إليكم في رسالتي ألاّ تخالطوا أهل الفسق! ولست أعني... عباد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الوثن » (١ كو ٥: ٩ ــ ١٠). فهل المقطع المفحم دخيل على بولس ورسالته؟ إن قانونيته التاريخية والأثرية لا تسمح بالطعن في صحته البولسية. ونجد أنه **خاتمة لتحريم الاشتراك بمائدة الأوثان** (١ كو ١٠: ١٤ ــ ٢٢) لا مقطع من رسالة مفقودة. وهو يقصد المشاركة الدينية، لا المشاركة الاجتماعية، كما يفسر بولس (١ كو ٥: ٩ ــ ١٠).

فالرسالة الثانية إلى الكورنثيين **مجموعة رسالتين ومكتوبين**. وهذا الواقع الفني والتاريخي، لا يطعن بصحة الوحدة القانونية، المتواترة في المخطوطات والترجمات؛ كما أن هذه الوحدة القانونية لا تطعن في تأليف « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين » من رسالتين ومكتوبين.

•

رابعاً: زمان ومكان كتابة « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين »

إذا أخذنا بوحدة الرسالة القانونية، يظهر أن بولس كتبها كلها من مقدونية بعد مغادرته أفسس، على أثر ثورة الصاغة عليه (٢ كو ٢: ١٢ ــ ١٣)؛ حيث اجتمع بسفيره تيطس قافلاً من كورنثس، بعد رحلة التهدئة (٢ كو ٧: ٥).

أما إذا رأينا في الرسالة القانونية رسالتين تاريخيتين، فتكون الواحدة، وهي الدفاع العنيف، **من أفسس**، كما تشير بذلك ظروف الثورتين على بولس في أفسس (أع ١٩: ٢٣) وفي كورنثس (٢ كو ١: ١ ــ ٦)؛ والثانية هي الدفاع اللطيف **من مقدونية**، بعد رجوع تيطس ونجاح سفارته.

والمكتوبان لجمع التبرعات (٢ كو ٨ و٩) كانا أيضاً من مقدونية (٨: ١؛ ٩: ٢). والمقصود بمقدونية هنا فيليبي العزيزة الموبؤة أيضاً بمعارضة « الأخوة الكذبة ».

والزمان في كلا الحالتيْن هو عام ٥٧، ما بين الفصح والخريف: « بعد أن سكن البلبال (في أفسس)، دعا بولس التلاميذ ووعظهم، ثم ودعهم ومضى شاخصاً إلى مقدونية... ثم انتهى إلى إغريقية، حيث أقام ثلاثة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أشهر » (أع ٢٠: ١ ـ ٣)، تمت فيها الزيارة الثالثة إلى كورنش (٢ كو ١٢: ١٤: ١٣: ١) وقد هدأت الأزمة، وزالت المعارضة. وفي شتاء ٥٧ كتب من كورنش الرسالة الكبيرة إلى الرومانيين، قبل أن يحمل تبرعات كنائسه إلى فقراء أورشليم، في عيد العنصرة ٥٨، ويُؤسر.

●

خامساً ـ صحة الرسالة الثانية إلى الكورنثيين

صحتها قائمة بشهادة السُنّة المتواترة بالإجماع منذ عهد الرسل، وبتلاوتها في الكنائس كلها، وبإجماع قانون موراتوري للكنيسة، وقانون مرقيون للمرتدين.

ولا ينكرها، باسم النقد العلمي، سوى بعض الموتورين. فقرابتها العقائدية واللغوية والبيانية مع الرسالة الأولى إلى الكورنثيين لا شك فيها. واختلاف اللهجة بين الأولى والثانية يتأتى من كون الأولى **تعليمية**، والثانية **دفاعية**. وتنوّع المواضيع بين الاثنتين تقتضيه الأحوال المختلفة، مع الملاحظة أن الفصول ٢ و٨ و٩ هي تعليمية في الثانية مثل الأولى كلها؛ والدفاع المزدوج في الثانية له جذوره في الأولى (ف ١ ـ ٤)، فقد بدأت الفتنة في زمن الأولى، واستفحلت في الثانية، فقضى عليها بدفاع مرير (٢ كو ١٠ ـ ١٣)، وثبّته بآخر حليم (٢ كو ١ ـ ٧). فالواقع البياني والموضوعي بين الرسالتين يشهد بقرابتها، وبصحة الثانية مثل الأولى: ففي الرسالتيْن، كما يقول الفم الذهبي، نجد قلب بولس وعقله المفكر المدبر.

●

سادساً: موضوع الرسالة الثانية القانونية

نجد بولس تجاه **معارضة ثائرة** عليه يقضي عليها بدفاع هجومي، ثم يسترضيهم بخطاب آخر ينضح بالعطف أحياناً، والاستعطاف حيناً. وما بينهما نجد اهتمام بولس **بجمع التبرعات** لكنيسة أورشليم، بناءً على طلب الرسل في مجمع أورشليم (غلا ٢: ١٠)، وحتى يبرهن للنصارى من بني

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إسرائيل فيها استحقاق المسيحيين من الأمميين للدعوة المسيحية، وتحريرهم من أعباء الشريعة اليهودية (٢ كو ٩: ١٣ ــ ١٥). فموضوع الرسالة، دفاع بولس عن رسالته ثم عن شخصه تجاه المعارضة العارضة فالمروّضة؛ ودعوته لجمع التبرعات في مكتوب أول وثان. وهذا ما نراه في تحليل الرسالة.

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل للرسالة الكورنثية الثانية

مطلع الرسالة: سلام وشكر (١: ١ ــ ١١)

١ ــ استهلال بالعنوان والسلام (١: ١ ــ ٢).

٢ ــ الحمد لله على الشركة في الآلام والشركة في التعزية (١: ٣ ــ ٧).

٣ ــ الضيق حتى الموت: الشركة في الصلاة لحمد الله[1] (١: ٨ ــ ١١).

قسم أول: الدفاع عن رسالته وتعليمه (١: ١٢ ــ ٧: ١٦).

(وهو تاريخياً الدفاع الثاني اللطيف).

أولاً: الردّ على الطعن في سلوكه (١: ١٢ ــ ١٣).

توطئة (١: ١٢ ــ ١٤): السلوك بإخلاص في تأجيل الزيارة، وفي الرد العنيف.

١ ــ تأجيل الزيارة الموعودة (١ كو ١٦: ٥ ــ ٩) ليس خفة بل شفقة ومودة (١: ١٥ ــ ٢: ٢).

٢ ــ الردّ العنيف ليس للسيطرة بل لامتحان الطاعة (٢: ٣ ــ ١١).

٣ ــ دليل ذلك ملاقاة تيطس إلى مقدونية للاطمئنان عنكم (٢: ١٢ ــ ١٦).

---

(١) لاحظ التصريح في هذه المقدمة (١: ٣ و١١) مما يجعلها وحدة فنية، تشير إلى وحدة موضوعية: وحدة الرسول والمؤمنين في الآلام والتعزية والصلاة، في خدمة المسيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ختام[١]: هذا سلوك الإخلاص لا تجارة في الدين (٢: ١٦ ــ ١٧).

ثانياً: الرد على الطعن في تحريف الإنجيل (٣: ١ ــ ٥: ١٠).

توطئة: رسالتي لا تحتاج إلى توصية مثل غيري؛ إنها قائمة بكم (٣: ١ ــ ٣).

١ ــ نحن خدام عهد الروح، لا عهد الحرف مثل موسى (٣: ٤ ــ ١١).

٢ ــ ندعو للمسيح الرب، صورة الله؛ ونستشهد في سبيل حياتكم (٤: ١ ــ ١٢).

٣ ــ وهي دعوة لما هو غيبي وأبدي (٤: ١٣ ــ ٥: ٥).

ختام: سلوكنا لإرضاء الله، لأنا نسلك بالإيمان لا بالعيان (٥: ٦ ــ ١٠).

ثالثاً: الرد على اتهامه في صحة رسالته (٥: ١١ ــ ٧: ١)

توطئة: لسنا بحاجة إلى توصية جديدة؛ إنما نعرض لكم ما تفاخرونهم بــه (٥: ١١ ــ ١٥).

١ ــ الرسول سفير المسيح، في عهد جديد، لقيام خليقة جديدة (٥: ١٦ ــ ٢١).

٢ ــ الرسول خادم سر الخلاص؛ بجهاده الكبير (٦: ١ ــ ١٠).

٣ ــ فوسعوا قلبكم لنا كما اتسع قلبنا لكم (٦: ١١ ــ ٧: ٤).

اقحام زائد (٦: ١٤ ــ ٧: ١): لا شركة لكم مع الكفار!

ختام الرسالة[٢]: موجز لها (٧: ٥ ــ ١٦).

١ ــ التعزية بلقاء تيطس، ضمن الحروب والمخاوف (٧: ٥ ــ ٦).

٢ ــ غممتكم بالرسالة العنيفة لحملكم على التوبة والتبرئة (٧: ٧ ــ ١٢).

---

(١) لاحظ حسن التأليف بين الأجزاء من حسن التخلص من جزء إلى جزء في ختام كل جزء (٢: ١٦ ــ ١٧ ثم ٤: ١ ــ ٢ ثم ٤: ١٣ ــ ١٨) الخ.

(٢) هذا الفصل (٧: ٥ ــ ١٦) كأنه مكتوب مستقل، في موضوع الرسالة نفسها، فجعلوه خاتمة لها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ــ وقد فرحنا لفرح تيطس بكم، وفخري أنا بكم (٧: ١٣ ــ ١٦).[١]

●

قسم ثان: تحريض على التبرّع لكنيسة أورشليم

١ ــ **المكتوب الأول** إلى الكورنثيين (٢ كو ٨ كله).

١) تحريض لهم بغيرة المقدونيين (٨: ١ ــ ٦).

٢) البواعث للتبرع (٨: ٧ ــ ١٥).

٣) التوصية بالموفدين (٨: ١٦ ــ ٢٤).

٢ ــ **المكتوب الثاني** إلى أخائية كلها (٢ كو ٩ كله).

١) تحريض لهم بغيرة الكورنثيين الذين يفخر بهم عند المقدونيين (٩: ١ ــ ٥).

٢) البواعث: السخاء في العطاء، لأن الله يحب المعطي بأريحيـــة (٩: ٦ ــ ١٠) ـــ الحسنة كالصلاة عمل مقدس يبعث على الشكر (٩: ١١ ــ ١٢).

٣) غايته ومعناه: تقدير أم الكنائس لإيمان الأمميين ومودّتهم؛ فالتبرع دليل وحدة فـــي الإيمان، ووحدة في الحياة المسيحية (٩: ١٣ ــ ١٥).

●

قسم ثالث: الدفاع عن شخصه وسلطانه (١٠ ــ ١٣: ١٠)

(وهو تاريخيّاً الدفاع الأول العنيف ــ أي الرسالة المفقودة)

أولاً: ردّ على شبهاتهم (١٠: ١ ــ ١٨).

استهلال: « ليتكم تتحملوني قليلاً » كي أفتخر مثلهم (١٠: ١).

١ ــ الرد على شبهة الضعف، بجهاده ضد الفكر اليوناني العاتي (١٠: ٢ ــ ٦).

٢ ــ الرد على شبهة « الدخيل » على الرسالة، بسلطانه الرسولي (١٠: ٧ ــ ١١).

٣ ــ الرد على شبهة التسلّط، بالواقع فهو هداهم (١٠: ١٢ ــ ١٦).

---

(١) لاحظ حسن التأليف من تصريع الأجزاء: التعزية (٧: ٧ و١٣) والفرح (٧: ١٣ و١٦) ومن حســن التخلص (٧: ٧ و١٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ختام وحسن تخلص: الفخر الحق إنما هو بالرب (١٠: ١٧ ــ ١٨).

ثانياً: دواعي الافتخار عليهم (١١: ١ ــ ٢).

استهلال: « ليتكم تحتملون من قِبَلِي قليلاً من الحماقة » (١١: ١ ــ ٢).

١ ــ الدعوة واحدة، لكن بولس أعظم منهم بالعلم (١١: ٣ ــ ٦).

٢ ــ لكنها كانت مجاناً، وليس مثلهم (١١: ٧ ــ ١١).

٣ ــ سأثابر على أسلوبي في دعوتي لأقطع عليهم كل حجة (١١: ١٢ ــ ١٥).

ثالثاً: فخر بولس (١١: ١٦ ــ ١٢: ١٨)

استهلال: « احسبوني شبه جاهل لأستطيع أن أفتخر قليلاً » مثل أسيادكم (١١: ١٦ ــ ٢١).

١ ــ فخر بولس بسيرته في الدعوة (١١: ٢٢ ــ ٣٢).

١) أنا أولى بالنسب والحسب والجهاد في سبيل المسيح (١١: ٢٢ ــ ٢٩).

٢) استدراك: لكني أفخر أيضاً بضعفي (١١: ٣٠ ــ ٣٣).

٢ ــ فخر بولس بالكشف الرباني (١٢: ١ ــ ١٠).

١) من مثلي أُسري به إلى الفردوس، في السماء الثالثة[1] (١٢: ١ ــ ٦).

٢) استدراك: لقاء ذلك ترافقني محنة، « شوكة في الجسد » (١٢: ٧ ــ ١٠).

٣ ــ دلائل رسالته ونبوته (١٢: ١١ ــ ١٨).

١) دلائلها: الصبر الجميل والخوارق والمعجزات (١٢: ١١ ــ ١٣).

٢) وأسلوبها بالدعوة مجاناً، هو وأعوانه، (١٢: ١٤ ــ ١٨).

---

(١) يقسم بولس السماوات إلى ثلاث بحسب النظرة الإسرائيلية: سماء الأرض، وسماء النجوم، وسماء الله ــ لا بحسب النظرة الغنوصية التي عبرت إلى منحولاتهم وإلى النصرانية وإلى غيرها حيث السماوات سبع.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ختام الرسالة[١] (١٢: ١٩ ــ ٢١).

١) هذا الدفاع ليس عن نفسي، بل هو كلام في المسيح لأجل بنيانكم (١٢: ١٩).

٢) فأصلحوا أنفسكم لئلا يزيد البلبال (١٢: ٢٠).

٣) فإني أخشى في زيارتي الثالثة أن لا أشفق على أحد (١٢: ٢١).

ملحق للرسالة[٢] (١٣: ١ ــ ١٠).

استهلال: زيارتي الثالثة هي تتمة الشهادة الكتابية عليكم (١٣: ١).

١) في هذه المرة لن أشفق، فترون قدرة المسيح فيّ (١٣: ٢ ــ ٤).

٢) فحاسبوا أنفسكم في إيمانكم وسلوككم (١٣: ٥ ــ ٨).

٣) فرحي أن تكونوا أقوياء، وصلاتي أن تكونوا كاملين (١٣: ٩).

خاتمة: أكتب بسلطان الرب، للبنيان لا للهدم (١٣: ١٠).

فصل الخطاب: وصية وتحية ودعاء (١٣: ١١ ــ ١٣)

١) الوصية بالفرح والكمال والسلام (١٣: ١١).

٢) التحية بقبلة مقدسة (١٣: ١٢).

٣) الدعاء باسم الثالوث الأقدس (١٣: ١٣).

---

(١) هذا ختام الدفاع العنيف (١٢: ١٩ ــ ٢١)؛ كما كان (٧: ٥ ــ ١٦) ختام الدفاع اللطيف.

(٢) يظهر هذا الختام كأنه مكتوب مستقل، يذكر الزيارة الثالثة أيضاً (١٢: ١٤ = ١٣: ١) وموضوع دفاعه للبنيان لا للهدم مرة أخرى (١٢: ١٩ = ١٣: ١٠)؛ وقد يكون ملحقاً أضافه بولس في آخر لحظة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثالث: تعليم الرسالة الكورنثية الثانية

« الرسالة الثانية إلى الكورنثيين » دفاعية أكثر منها تعليمية. لكن بما أن الرسول والرسالة أصبحا شيئاً واحداً في عرْف بولس وحياته؛ وبما أنه يعطينا في دفاعه صورة الرسالة المسيحية؛ فإنا نجد في هذه الرسالة الدفاعية بعض التعاليم الأساسية المسيحية. وذاك الدفاع والتعليم صفحة خالدة من جهاد بولس في سبيل الإنجيل.

أولاً: فضل العهد الجديد على القديم

هذا تعليم أول جوهري للرسالة. قاد بولس إلى إعلان هذه الحقيقة محاولة النصارى من بني إسرائيل تهويد المسيحيين بإخضاعهم للشريعة، وللختان رمزها. فردّ بولس على تلك المحاولة المجرمة، في نظره، لأنها تحريف لإنجيل المسيح. ويظهر في رده، في معرض خطابه للكورنثيين، فضل العهد الجديد على القديم، بفوارق جوهرية.

الفارق الجوهري الأول إن عهد المسيح هو عهد الروح الذي يعمل في الرسل وفي المؤمنين. والكورنثيون الذين اختبروا مواهب الروح يشهدون بهذا الواقع الذي لا نظير له في تاريخ الأديان قاطبة، ولا في العهد النبوي نفسه، في مدارس الأنبياء الأولين. فعهد الشريعة كان عهد الحرف، والانقياد لأحكام تشريعية لا قدرة لها بذاتها على تحرير الإنسان وتقديسه وتأليهه. ويذكر بولس السبب بكلمة خالدة: « الروح يحيى، والحرف يقتل » (٢ كو ٣: ٦ ـ ٧).

الفارق الجوهري الثاني إن العهد القديم كان موقوتاً، عهداً موقوفاً على مجيء المسيح. فهو من ذاته « زائل » كما يصفه بولس. أما العهد الجديد فهو أزلي لا يزول، لأن المسيح مشترعه حي لا يزول (٢ كو ٣: ٧ ـ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١٣). وفي كل عرْف، أن الوصية الجديدة تنسخ القديمة: فبتسمية الشريعة عهداً « عنيفاً ». والإنجيل عهداً « جديداً »، تصريح بنسخ القديم، لأن المسيح « غاية الشريعة » قد ظهر وأمر.

الفارق الجوهري الثالث أن العهد القديم كان « منقوشاً على حجر »، بينما عهد الروح في الإنجيل يفعل في الأرواح، كما اختبر الكورنثيون ذلك في مواهب الروح القدس وفعلها فيهم (٢ كو ٣: ٧). فالشريعة عهد الحجر والإنجيل عهد القلب.

الفارق الجوهري الرابع أن العهد القديم كان مجداً مقنّعاً ببرقع، يرمز إليه « البرقع الذي كان يحجب به موسى وجهه، لكي لا يبصر بنو إسرائيل غاية ما هو زائل... فيتكشف لهم أن المسيح قد نسخه. بينما نحن جميعاً، والوجه سافر، نعاين، كما في مرآة، مجد الرب؛ فنتحول إلى تلك الصورة بعينها السامية البهاء، بحسب فعل الرب الذي هو روح » (٢ كو ٣: ١٣ ــ ١٨). فالعهد القديم يحجب مجد الله كبرقع موسى، أمّا الإنجيل فنرى فيه « مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦)، وان كنّا نحيا فيه « بالإيمان لا بالعيان » (٢ كو ٥: ٧). وفي القديم كان موسى وحده يعاين مجد الله، بينما في العهد الجديد « نحن جميعاً ــ والوجه سافر ــ نعاين مجد الرب ». كانت الشريعة كبرقع موسى تحجب وجه الله؛ بينما « فعل الرب الذي هو روح » ينير بنور الله لنرى « مجد الله على وجه المسيح ». فبرقع موسى، رمز العهد القديم وشريعته، يحجب نور الله عن الشعب، بينما وجه المسيح يكشف مجد الله.

الفارق الجوهري الخامس أن الشريعة كانت عهد عبودية، بفرض أحكام لا يقوى الإنسان عليها؛ بينما عهد الروح، في المسيح، هو عهد الحرية التي يتعشقها الإنسان، « لأن الرب هو الروح، وحيث يكون روح الرب فهناك الحرية » (٢ كو ٣: ١٧)، لأنه مع أحكام أصعب من أحكام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشريعة، فهو يعطي النعمة والقوة بروحه لحملها بسهولة. فالشريعة عهد عبودية، لأنها بدون الروح؛ والإنجيل عهد حرية بروح الله والمسيح.

الفارق الجوهري السادس إن العهد الموسوي الذي يريد « أولئك الرسل الصناديد »، النصارى من بني إسرائيل، أن يعيدوا إليه المسيحيين، كان « خدمة موت... خدمة قضاء » (٢ كو ٣: ٧ و٩). بينما عهد الإنجيل، الذي هو عهد الروح، هو خدمة حياة، نتحول فيها، بمعاينة « مجد الله على وجه المسيح »، إلى الصورة التي نراها في المسيح « الذي هو صورة الله » (٢ كو ٣: ١٨؛ ٤: ٤).

الفارق الجوهري السابع إن معرفة الله في العهد القديم كانت ناقصة، ظاهرية، يرمز إليها برقع موسى الذي يحجب نور الله عن الشعب؛ بينما معرفة الله في العهد الجديد فهي معرفة ذاتية كاشفة الغطاء. تلك يقوم بها حرف الشريعة، وهذه تتم بروح الله نفسه، « لأن الإله الذي قال (ليشرق من الديجور نور) هو الذي أشرق في قلوبنا، لكي تسطع فيها معرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦).

تلك هي الفوارق الجوهرية بين العهد القديم والعهد الجديد، بين الشريعة والإنجيل. وفي هذا التعليم، بولس « لا يحرف كلام الله »، بل يفصّله « ليضيء نور إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله » (٢ كو ٤: ١ ــ ٦).

لهذه الأسباب الجوهرية كلها، « فإن العهد القديم قد نسخه المسيح » (٢ كو ٣: ١٤). فلا معنى، ولا داعي لدعوة النصارى من بني إسرائيل، فإن غلاتهم « أخوة كذبة » يعملون على تهويد المسيحيين بالدعوة لإقامة التوراة والإنجيل معاً. بذلك يخضعونهم للعهد القديم وشريعته وختانه التي نسخها المسيح جميعاً، بخلق عهد جديد، للإنسان الجديد، الخليقة الجديدة في المسيح، « لأن مَن هو في المسيح، فهو خليقة جديدة! فالقديم قد اضمحل! وكل شيء قد تجدّد! » (٢ كو ٥: ١٧).

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثانياً: فضل الرسالة المسيحية على الرسالة الموسوية

من فضل الإنجيل على الشريعة، يظهر أيضاً فضل الرسالة المسيحية على الرسالة الموسوية. نستخلص من مقابلات بولس **عشرة أفضال**.

الرسالة « الشرعية » هي « خدمة موت... وخدمة قضاء » (٢ كو ٣: ٧ ــ ٩)؛ والمسيحية « خدمة الروح » (٢ كو ٣: ٤ ــ ٨). وهذه الخدمة الروحية جهاد واستشهاد: « نُسلم دائماً إلى الموت، ونحن أحياء، من أجل يسوع، لتظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت: فالموت يعمل فينا، والحياة فيكم » (٢ كو ٤: ٧ ــ ١٢). **هذا فضل أول.**

الرسالة اليهودية تنظر إلى الزمن الحاضر، إلى الظاهر، وتعمل للوقتي الزائل بينما الرسالة المسيحية « تنظر إلى ما لا يُرى؛ فإن ما يُرى إنما هو وقتي؛ وأمّا ما لا يُرى فهو أبدي » (٢ كو ٤: ٢٨). **هذا فضل ثان.**

الرسالة التهويدية إنما هي استمرار للخليقة القديمة؛ « ومَن كان في المسيح (أي المسيحي) فهو خليقة جديدة: فالقديم قد اضمحلّ، وكل شيء قد تجدّد! » (٢ كو ٥: ١٧). **هذا فضل ثالث.**

فالرسالة المسيحية هي « خدمة المصالحة: فالله هو الذي صالح، في المسيح، العالم مع ذاته، ولم يحسب عليهم زلاتهم؛ وأودعنا دعوة المصالحة... لكي نصير (بالمسيح) برّ الله » (٢ كو ٥: ١٨ ــ ٢١). بينما خدمة الشريعة التي يجرون إليها المسيحيين، كانت « خدمة موت... وخدمة قضاء » (٢ كو ٣: ٧ ــ ٩). **هذا فضل رابع.**

وفي المقارنة بين العهديْن وبين الرسالتيْن، يبلغ التحدّي ذروته عندما يعلن بولس **فضله على موسى نفسه:** « فلسنا كموسى الذي كان يضع برقعاً على وجهه لكي لا يبصر بنو إسرائيل غاية ما هو زائل... وإنما نحن نعاين، بوجه سافر، كما في مرآة، مجد الرب، فنتحول إلى تلك الصورة بعينها » (٢ كو ٣: ١٣ و١٨). موسى لم يَر الله جهرةً! وبولس رأى « مجد الله على وجه المسيح ». موسى رأى ظل الله على سيناء، وبولس أسرى إلى الفردوس إلى السماء الثالثة، فرأى من آيات ربه الكبرى. **هذا فضل خامس.**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لذلك يصيح بفخر، لا يجرأ عليه رسل موسى: « فنحن **سفراء المسيح**، كأنما الله نفسه ينطق بنا »! (٢ كو ٥: ٢٠). ويضيف بإعجاب: « إنّا نحن أنصار الله »! « فإنه تعالى يقول (إني استجبت لك في وقت مرضي، وأعنتك في يوم الخلاص)؛ فها هوذا الآن الوقت المرضي! وها هوذا الآن وقت الخلاص! » (٢ كو ١: ٦ ـ ٢). إن رسل المسيحية هم سفراء المسيح وأنصار الله في وقت الخلاص القائم. **هذا فضل سادس.**

فما بالهم يسعون إلى تهويدكم، وقد نسخ المسيح عهدها بظهوره. فالمسيح هو النسل المصطفى، غاية الوعد الإبراهيمي، وغاية الشريعة. فالرسول المسيحي يقوم بتحقيق المواعيد والعهود الإلهية، وتبليغها إلى الإنسانية جمعاء، لا حصرها في القومية اليهودية الضيقة. **وهذا فضل سابع.**

والرسالة المسيحية تُكتب في المؤمنين بروح الله، لا بمداد كشريعة موسى: « أجل إنه لبيّن أنكم رسالة المسيح، قد أنشأناها نحن؛ وكُتبت لا بمداد، بل بروح الله الحي؛ لا في ألواح من حجر، بل في ألواح من لحم حي، في قلوبكم! » (٢ كو ٣: ٣). إنها مقابلة ساحقة ما بين العهدين والرسالتين. **هذا فضل ثامن.**

وفضل الرسالة يظهر في فضل الرسول: « إن الله الذي قال (ليشرق من الديجور نور) هو الذي أشرق في قلوبنا، لكي تسطع فيها معرفة مجد الله، على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦). فليست المسيحية تنزيلاً في حجر! تلك أحكام، وليست مثل المسيحية معرفة مجد الله، ولا معاينته على وجه المسيح. **هذا فضل تاسع.**

فصار الرسول المسيحي « **نفحة من معرفة الله**، إذ إنّا لله **نفحة المسيح** الطيبة لدى أهل الخلاص، ولدى أهل الهلاك! لهؤلاء نفحة موت للموت، ولأولئك نفحة حياة للحياة! » (٢ كو ٢: ١٤ ـ ١٥). **هذا فضل عاشر.**

ذاك هو فضل الرسالة المسيحية، من جوانبها العشر، على الرسالة الموسوية.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً: بولس مثال الرسول المسيحي

« **لسنا كموسى** »! (٢ كو ٣: ١٣). بهذه الكلمة الضخمة ــ التي وحدها تكفي للحكم على بولس بالإعدام، في نظر خصومه من يهود و« نصارى » ــ تحدّى بولس « الرسل الجدد » لموسى من فوق المسيح والإنجيل. أجل ولسنا كأتباع موسى القديمين ولا الجدد، النصارى من بني إسرائيل!

١ ــ **ثلاثة ألقاب** تصف الرسول المسيحي، كما يمثله بولس، وتجعله فوق كل رسول؛ « نحن سفراء المسيح، كأنما المسيح ينطق بنا »! (٢ كو ٥: ٢٠). « نحن أنصار الله... في وقت الخلاص »! (٢ كو ٦: ١ ــ ٢). « نحن الوكلاء على أسرار الله »! (٢ كو ٢: ١٤). تلك الثلاثة تحديد جامع مانع، شامل كامل، تكفي وحدها مجداً وفخراً، في الله والمسيح، للتعريف ببولس وبكل رسول مسيحي مثله.

٢ ــ بولس الرسولي المسيحي، هو **المجاهد الأكبر**، بسلاح « الروح »؛ « إن أسلحة جهادنا ليست بشرية! بل هي قادرة بالله على هدم الحصون المنيعة: فإنّا نهدم السفسطات وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ونسبي كل بصيرة إلى طاعة المسيح! » (٢ كو ١٠: ٤ ــ ٥). وأيّ جهاد أكبر من مقارعة الفكر اليوناني، سيد الفكر البشري، وتفضيل الإنجيل عليه. إن هداية الحكمة اليونانية إلى الإنجيل هي من معجزات المسيحية الكبرى.

٣ ــ تلك صورة الجهاد! وهذه صورة **الخدمة لله والمسيح**، في نشيد:

« لا نجعل سبيلاً للعثار — لئلا يلحق خدمتنا عار
بل في كل أثر نظهر — خداماً لله بالصبر الجميل

في المضائق والشدائد والمشقات — في الجلد والسجون والاضطرابات
بالأتعاب والاسهار والأصوام — بالعفاف والعلم والحِلْم

بالرفق وبالروح القدس — بالمحبة الخالصة وكلام الحق
بقدرة الله، وسلاح البر، — سلاح الهجوم وسلاح الدفاع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بالكرامة بالذكر السيّئ والحسن والهوان
نحسب مضلّين ونحن الهادون مجهولين، ونحن المعروفون
مائتين، ونحن الباقون معاقبين، ونحن الصامدون
محزونين، ونحن دائماً فرحون معوزين، ونحن نغني الكثيرين
كأنّا لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء »
(٢ كو ٦: ٣ ـ ١٠)

ثم يردّ على دسّ المعارضين: « تقبلوا كلامنا برحابة صدر: فإنا لم نظلم أحداً! ولم نخدع أحداً! ولم نستغل أحداً » (٢ كو ٧: ٢). « إنّا بشرنا بإنجيل الله مجاناً » (٢ كو ١١: ٧). تلك صورة خادم الله الحق.

٤ ـ وبولس هو **الرسول المستشهد** في سبيل المسيح. يستعلي عليه « الأخوة الكذبة »، غلاة النصارى من بني إسرائيل، بأنهم هم رسل المسيح، باسم قوميتهم، وباسم إسرائيليتهم، وباسم رسوليتهم بتفويض من أورشليم! فيفاضلهم للردّ عليهم بصورة الاستشهاد المتواصل التي نقلناها في صدر الكتاب (٢ كو ١١: ٢١ ـ ٣٠). ويقسم إن استشهاده يومي: « أيها الأخوة، أقسم بشرفي وشرفكم، في المسيح يسوع ربنا: إني أموت كل يوم! » (٢ كو ٥: ٣١).

٥ ـ إنه **نبي العهد الجديد**، تلقى الوحي الإنجيلي وسر المسيح، لا بالواسطة، ولا « بالرؤى والإيحاءات » وحدها؛ بل بالمشاهدة العيان على طريق دمشق يوم هدايته (غلا ١: ١٦)؛ ثم بالإسراء في هيكل أورشليم، قرب صخرة الأنبياء، إلى الفردوس في السماء الثالثة، حيث رأى من آيات ربه الكبرى، وسمع من الله نفسه الكلمات المعجزة التي لا يحل البوح بها: هذا هو النبي الرسول بالعيان والإسراء (٢ كو ١٢: ١ ـ ٦). تدل عليه أعماله: « فإن **دلائل البنوة** التي يتميز بها الرسول قد تجلت بين ظهرانيكم، الصبر الجميل، والآيات والخوارق والمعجزات » (٢ كو ١٢: ١٢).

٦ ـ وسيرته برهان رسالته أيضاً. طعن أخصامه في سلوكه، كما طعنوا في دعوته. فيردّ على **شهادتهم** بسيرته الرسولية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قالوا: إنه يبغي السيطرة على إيمان المسيحيين (٢ كو ١: ٢٤) ـــ كــلاّ، بــل « إن افتخرت بسلطاننا الذي أولاناه الرب، مع بعض المبالغة، فلا أخجــل لأن ذلــك لعمــرانكم لا لخرابكم » (٢ كو ١٠: ٨).

وقــالوا: إنه يسلك بمكر، فهــو في الحضرة حقير، وفي الغيــبة برسائله خطيــر! ـــ « فليعلم مثل هذا القائل أن ما نذكره في الرسائل ونحن غائبون، نفعله ونحن حاضــرون » (٢ كو١٠: ١١ ـــ ١١). إنها دبلوماسية الحكيم، « ونحن مستعدون أن نعاقب كل معصــية متــى كملت طاعتكم » (٢ كو ١٠: ٦).

وقالوا: إنه يدعو لنفسه، ليسود على الناس! ـــ كلاّ، « إننا لا ندعو لأنفسنا. بل للمسيح يسوع ربّاً. أما نحن فعبيد لكم من أجل يسوع! » (٢ كو ٤: ١ ـــ ٥).

وقالوا: إنه يسعى لجمع التبرعات باسم فقراء أورشليم، وهم بغنى عنه؛ فهو إنما يسعى لنفسه! « أتُراني أذنبت إذ بشرتكم مجاناً بإنجيل الله؟... فبحق المسيح المقيم فيّ، إن ذلك الفخر لا يُنزع مني في بلاد آخية! ولماذا؟ ألأني ألا أحبكم؟ الله أعلم! ولن أنثني حتى أقطع العلة على الذين يطلبون العلة، لكي يكونوا مثلنا في ما هم به يفتخرون » (٢ كو ١١: ٨ ـــ ١٢).

وقالوا: حديثه تافه! ـــ « إني وإن كنت بعيداً عن البلاغة، فلست كذلك في المعرفــة. وقد أظهرنا ذلك لكم في كل شيء » (٢ كو ١٢: ٦).

والتهمة الخطيرة: إنه يحرف الإنجيل! ـــ فهل بشروكم بيسوع آخر؟ هل نلــتم روحــاً آخر؟ هل قبلتم إنجيلاً آخر؟ « أحسب أني لم أنقص في شيء عن أولئك الرسل الصــناديد! » (٢ كو ١١: ٤ ـــ ٦). إنما أولئك « رسل كاذبون! وعملة مكارون! يتنكــرون بهيئــة رســل المسيح!... وأنتم تحتملون الذين يستعبدونكم! والذين يلتهمونكم! والــذين يســلبونكم! والــذين يتعجرفون عليكم ويلطمونكم على وجوهكم! » (٢ كو ١١: ١٣ و٢١).

٧ ـــ بولس هو **الأب الحنون** لأبنائه: « إنكم في قلوبنا للحياة وللموت؛ وإن لي بكم ثقة عظيمة! ولي بكم فخراً عظيماً! » (٢ كو ٧: ٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يغار عليهم غيرة المسيح: « إني أغار عليكم غيرة الله، لأني خطبتكم لرجل واحد، لأهديكم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١: ٢). يهتم بجميع الكنائس اهتمام الأب الوالد: « وماذا أقول في الاهتمام بجميع الكنائس؟ من يضعف ولا أضعف أنا؛ من يعثر ولا أعثر أنا! » (٢ كو ١: ٢٨ ــ ٢٩).

وتراه يؤسس الكنائس، ويعود إليها ينظمها، ثم يتعهدها بالبعثات والرسائل. ولا ينسى البعيدين الفقراء، فيسعى في كل الأقاليم لجمع التبرعات لفقراء أورشليم المضطهدين. إنه **جهاد أب** يصبر بثبات على كل المكاره: « أجل اني أُسرّ بالأوهان والإهانات، والضيقات والاضطهادات، والشدائد كلها لأجل المسيح » (٢ كو ١٢: ١٠). إنه **استشهاد أب** كل يوم: « أيها الأخوة، إني أقسم بشرفي وشرفكم في المسيح يسوع ربنا: إني أموت كل يوم! » (١ كو ٥: ٣١).

ولِمَ هذا الجهاد الأبوي حتى الاستشهاد اليومي؟ ــ « لأن محبة المسيح تحثنا »، إذ نعتبر أنه « إذا كان واحد قد مات عن الجميع، فالجميع أيضاً قد ماتوا معه! وأنه قد مات عن الجميع لكي لا يحيا الأحياء لأنفسهم فيما بعد، بل للذي مات وقام لأجلهم » (٢ كو ٥: ١٤ ــ ١٥). فمحبة المسيح والمسيحيين هي سر هذا القلب الكبير. حقاً قال الفم الذهبي: قلب بولس، قلب المسيح! ونضيف فكر بولس، « فكر المسيح » (١ كو ٢: ١٦).

والكلمة الحاسمة أنّا « لسنا كموسى »! **إن بولس أفضل من موسى!** فهو على الأرض « رأى مجد الله على وجه المسيح »! وأسمى ما جرى لموسى أنه رأى ظل الله على جبل سيناء. أما بولس فقد أسرى إلى الفردوس في السماء الثالثة، ورأى من آيات ربه الكبرى. فهو بالحقيقة، كما يقول، سفير المسيح، خادم الله، الوكيل على أسرار الله! ينشر في كل مكان عرْف المسيح: « فالحمد لله الذي يقودنا على الدوام من ظفر إلى ظفر »، في المسيح! وينشر بنا في كل مكان نفحة معرفته؛ فإنا لله نفحة المسيح الطيّبة! وأمام ضخامة الرسالة المسيحية يهتف: « فمن هو، يا ترى، الخليق بمثل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذه الرسالة »؛ (٢ كو ٢: ١٤ ــ ١٥) نجيب: بولس الذي « ليس كموسى »، بل كالمسيح معلمه؛ وللسيد المسيح المثل الأعلى.

•

رابعاً: المسيحي « خلقة جديدة »

إنجيل المسيح، « عهد جديد » هو « عهد الروح » في البشرية، لقيام « خليفة جديدة » على صورة المسيح (٢ كو ٣: ١٨) الذي هو « صورة الله » (٢ كو ٤: ٤). فالمسيحي « خلق جديد »، بتعبير سامي، أو « إنسان جديد » بتعبير إغريقي. وبولس يهتف بفخر وحماس: « مَن هو في المسيح (أي المسيحي) فهو **خليقة جديدة:** إن القديم قد اضمحلّ! وكل شيء قد تجدّد! » (٢ كو ٥: ١٧).

١ــ إن المسيحي « خلْق جديد »، « إنسان جديد »، على صورة المسيح، الذي هو صورة الله. وهو تعليم راسخ متواتر عند بولس (غلا ٦: ١٥؛ ٢ كو ٥: ١٧؛ أفس ٢: ١٠ و١٥؛ ٤: ٢٤؛ كول ٣: ١٠). إنه « الإنسان الجديد » الذي قام في البشرية بدل الإنسان الفاسد (٢ كو ٥: ١٧؛ أفس ٤: ٢٤؛ كول ٣: ١٠). وهذا « الإنسان الجديد » « في الخليقة الجديدة » على صورة المسيح « يتجدّد على مثال خالقه » (١ كو ٥: ٢٤ ــ ٢٨) كل يوم، منذ « ولادته الجديدة » بالعماد (تيطس ٣: ٥ قابل يوحنا ٣: ٥) وكلام الله، قول الحق (يعقوب ١: ١٨؛ بطر ١: ٢٣)، « لحياة جديدة » (رو ٦: ٤) في المسيح، لله، بالروح القدس.

٢ ــ فالجدّة الإلهية في « الإنسان الجديد » المسيحي (كول ٣: ١٥؛ أفس ٤: ٢٢) تقوم على عمل روح الله والمسيح في المسيحي. إنها، كما يسميها بولس بكلمة خالدة، « الشركة في الروح القدس » (٢ كو ١٣: ١٣)، شركة كيانية مع الآب والابن، وشركة حياتية في المسيحيين، **مصدرها الله الثالوث:** « نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله الآب، وشركة الروح القدس، تكون معكم أجمعين » (٢ كو ١٣: ١٣). فهو « الذي جعل الروح في قلوبنا عربوناً » (٢ كو ١: ٢١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ــ إن « الخليقة الجديدة » هي **شركة** في الــروح القدس و« **حياة في المســيح** »، « تجعل المسيح حيّاً فيّ »! والتصاريح متواترة عند بولس: « فإنا نحمل في الجسد كل حــين موت يسوع، لتظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا. لأنا، ونحن أحياء، نُسلم دائماً إلــى المــوت، من أجل يسوع، لتظهر حياة يسوع، أيضاً في جسدنا المائت » (٢ كو ٤: ١٠: ١١)، « لكــيلا يحيا الأحياء لأنفسهم من بعد، بل للذي مات، وقام أيضاً لأجلهم » (٢ كــو ٥: ١٥). ويهتــف بولس في نشوة الظفر: « فنحن الأحياء »!

٤ ــ مصادر الإحياء المسيحي في « الخليقة الجديدة » « للإنسان الجديــد » جعلهــا بولس، في الرسالة الأولى، في **العماد** الذي يوحدنا « جسداً واحداً وروحاً واحداً » مع المسيح، وفي **الميرون** الذي به يسكن روح الله والمسيح فينا، ويعمل فينا، « لتظهر حياة يسوع فينــا »، وفي **القربان**، عشاء الرب، غذاء الفردوس، الذي ينمينا أعضاء لجسد المســيح. وفــي هــذه الرسالة يصف تلك « الحياة الجديدة » في « الخليقة الجديدة » بهذه الكلمة الجميلة: « إن الذي يثبتنا معكم في المسيح هو الله، الذي مسحنا، وهو الذي ختمنا أيضاً، وجعل الروح في قلوبنــا عربونــاً » (٢ كو ١: ٢١). فهــذا أروع تصوير « للخلق الجــديد » في المســيحي: إن الله « مسحنا » أي صيّرنا مسحاء مع المسيح، وبه، وفيه، **فالمسيحي مسيح آخر**؛ إن الله «ختمنا» بختم الروح القدس، الذي صار كختم في قلوبنا. فروح الله هو الختم الإلهي الــذي يطبع فينــا « صورة الله » و« حياة المسيح »، بحضوره فينا « عربون » الحياة الإلهية. فتلك «المسحة» الإلهية، وذلك « الختم » القدسي لها، يجعلان المسيحي « يتحول إلى تلك الصــورة بعينهــا » (٢ كو ٢: ١٨)، صورة « مجد المسيح، الذي هو صورة مجد الله » (٢ كو ٣: ٥).

٥ ــ فتلك « الحياة الجديدة »، في المسيحي، « الخليقة الجديدة »، تزكّي المســيحيين، وتجعلهم كاملين: « أفلا تعرفون أن يسوع المسيح فــيكم؟ ــ إلاّ أن تكونــوا غيــر مــزكّين. ونصلّي إلى الله ألا تصنعوا شيئاً من الشر... وإن ما نطلبه لكم في الصــلاة هــو أن تكونــوا **كاملين** » (٢ كو ١٣: ٥ ــ ١٠). لذلك كان بولس مع سائر الرسل، يطلقون على المســيحيين المقدّسين في المسيح بالروح اسم « **القديسين** ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٦ ـ فالمسيحية، بتكوينها « الإنسان الجديد » هي يوم الخلاص الموعود. يذكر بولس عهد الله بالخلاص: « إني استجبت لك في وقت مرضي، واعنتك في يوم الخلاص ». ثم يهتف بنشوة الظفر. « ها هوذا الآن يوم الرضى! هذا هوذا الآن يوم الخلاص! » (٢ كو ٦: ٢).

٧ ـ لكن « حياتنا مستترة مع المسيح » على الأرض. لذلك « ما دمنا مستوطنين في الجسد، فنحن في حال غربة عن الرب. فنثق، ونؤثر أن نتغرب عن الجسد، ونستوطن عند الرب »؛ بل بالحري « أن نلبس بيتنا السماوي فوق الآخر... حتى تبتلع الحياة ما هو مائت فينا ». حينئذ « حياتنا المستترة مع المسيح » على الأرض، « في مسكننا الأرضي » تتجلى في « مسكننا السماوي »، وتتجلّى في « جسد روحاني ».

على هذا الرجاء « نسلك بالإيمان، لا بالعيان ». « ولا بدّ أن نظهر جميعنا أمام **منبر المسيح**، لينال كل واحد على حسب ما صنع، وهو في حال البشرية، خيراً كان أم شراً ». فالمسيح هو ملك يوم الدين، وهو معطي الحياة الأبدية. فهو الرب الذي نحيا معه خالدين في السماء، حتى بالروح، في المسيح، يصير الله « **الكل في الكل** » (٢ كو ٥: ١ ـ ١٠).

فالمسيحي « خليقة جديدة » سرّياً على الأرض، وجهراً في القيامة، على صورة المسيح ومثاله.

●

خامساً: التوحيد والتثليث تجاه الحكمة الهلينية

في أفسس، « نور آسيا » الرومانية، وفي كورنثس، « نور اليونان » يتجلّى **صراع المسيحية مع الوثنية** العلمية والفلسفية، كما يخوضه بولس في رسائله إلى كورنثس، من أفسس ـ وعلى هامشه صراع آخر داخلي مع « الشرعية » اليهودية، الممثلة « بالنصرانية » الإسرائيلية. فيعرض بولس فضل الإنجيل وسيطرته على الحكمة والشريعة.

١ ـ بولس يجهر **بالتوحيد الخالص** في عاصمتي الشرك الهليني. تشير « الرسالة الأولى إلى الكورنثيين » إلى رسالة سبقتها، وقيل إنها فقدت.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أما نحن فنراها، مع بعضهم، في الاستطرادين النافرين عن نصهما في (١ كو ٩: ٣ ــ ١٠: ٢٢) وفي (٢ كو ٦: ١٤ ــ ٧: ١). وهما صورة رائعة لصراع المسيحية مع الوثنية التي بلغت ذروة الحكمة البشرية.

ما أجمل النداء: « يا أحبائي، اهربوا من عبادة الأوثان!... إن ما يذبحه الأمميون إنما يذبحونه للشياطين، ولما ليس إلهاً! فلا أريد أن تكونوا شركاء الشياطين!... إنكم لا تستطيعون أن تشتركوا في مائدة الرب، وفي مائدة الشياطين » (١ كو ١٠: ١٤ ــ ٢٢). ويأتي المنع الجازم، والتحريم القاطع: « فلا تشتركوا مع الكفار تحت نير واحد! إذ أي شركة بين البرّ والاثم! أي مخالطة للنور مع الديجور! وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال[1]! وأي حظ للمؤمن مع الكافر! » (٢ كو ٦: ١٤ ــ ١٥). فكانت رسائل بولس حملة على الوثنية الفلسفية والغنوصية لتطهير المسيحيين من أدرانها ورواسبها.

ويأتي التصريح بباطل الوثنية، **والشهادة للتوحيد الكتابي والإنجيلي**؛ « نحن نعلم أن الوثن ليس بشيء في الكون! وأنه لا إله إلاّ الواحد الأحد! فإنه، وإنْ وجد، في السماء كان أم على الأرض، ما يُقال له « آلهة » ــ ومن هذا النوع آلهة كثيرون وأرباب كثيرون ــ فنحن إنما لنا إله واحد، الآب الذي منه الكل، ونحن إليه! (فهو المبدأ والمعاد)؛ ورب واحد، يسوع المسيح، الذي به الكل، ونحن به » (١ كو ٨: ٤ ــ ٦). فبولس هو ابن التوحيد الكتابي والإنجيلي على أخلص وأصلب ما يكون توحيد. إن التوحيد الكتابي الخالص هو توحيد الإنجيل وتوحيد بولس. وإعلانه بهذه الصيغة القاطعة المانعة، في « نور آسيا » وفي « نور اليونان » هو أضخم تحدّ في تاريخ البشرية للوثنية والشرك، في ذروة الحكمة والغنوص، وفي عقر دارهما.

●

(١) بليعال أو بليار لقب إبليس عند اليهود. هذا الوصف لا يوجد في العهد الجديد إلاّ في هذه الآية؛ وكان استخدامه شائعاً في قمران.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ـ إعلان **التثليث الإنجيلي** في صلب التوحيد الكتابي.

هذا الإعلان ينطلق من التصريح بأبوة الله الآب، وربوبية السيد المسيح، « حكمة الله في السر المصون »، وإلهية الروح القدس من عمله في الله والكون والإنسان.

١) **أبوّة الله** هي الصفة الأولى التي بها يستهل بولس رسائله، منذ عنوانها والسلام فيها على المراسلين: « السلام عليكم والنعمة، **من لدن الله أبينا**، والرب يسوع المسيح » (١ كو ١: ٢)؛ « السلام عليكم والنعمة. من **لدن الله الآب**، ومن لدن الرب يسوع المسيح » (٢ كو ١: ٢).

وأبوّة الله طبيعية، في عالم الروح، للمسيح، بصفة كونه « حكمة الله » ـ أو كما سيترجم يوحنا: « كلمة الله » أيْ نطقه الذاتي ـ وفي التعبيرين الحنّاوي والبولسي التركيز على كون الأبوة والبنوة في الله، روحية، عقلية، نطقية، من ذات الله، في ذات الله، لذات الله.

وأبوّة الله مجازية، على سبيل الاصطفاء والنعمة، وبالنسبة للمخلوق، خصوصاً المخلوق الجديد في المسيح.

وتلك الصفة في الأبوة والبنوة، في ذات الله، ترفعها فوق المخلوق بالتجريد والتنزيه المطلق؛ وتُبعد عنها كل التصورات والشبهات الناجمة عن مطلق أبوة في المخلوق. فالله في أبوته وبنوته « ليس كمثله شيء »!

٢) وقد أخذ بولس عن البيئة الرسولية صفة المسيح « **الرب يسوع** » وهو يعلن هذه الربوبية في مطلع رسائله كلها، منذ « السلام من لدن الرب يسوع ». فبولس يتناول البلاغ الرسولي « الرب يسوع » ويفصّله؛ ويعتمد في تفصيله على الكشف الرباني « أن يكشف ابنه فيّ » (غلا ١: ١٦) ليعلن إلهية المسيح. مع أنه يحتفظ دائماً بتعبير « الله » لله الآب. لذلك يجعل محور دعوته **ربوبية المسيح**؛ وللتأكيد على تاريخيتها يقول « **الرب يسوع** »: « إننا لا ندعو لأنفسنا، بل للمسيح يسوع: الرب » (٢ كو ٤: ٥).

وتلك الربوبية تُظهر إلهية يسوع المسيح من صفاته ومن أعماله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثلاث صفات تتجلى فيها شخصية « الرب يسوع »: إنه في ذات الله الروح، والصورة، والحكمة.

إن « **الرب هو الروح** » على الإطلاق (٢ كو ٣: ١٧). ولغة الكتاب تميّز بين الخالق والمخلوق، بأن الخالق هو « الروح » المطلق، بينما المخلوق هو المادة، أو روح في مادة. وينسبون إلى الأرواح الملائكية مادة لطيفة؛ وإذا وُصف الملاك بالروح، فهذا على النسبة، « روح الله » بالإضافة إليه تعالى. أمّا « الروح » على الإطلاق فهو عالم الله وحده، لا شريك له فيه. لذلك يعلن بولس: « الرب هو الروح » على المطلق. وهذا إعلان صريح بإلهية السيد المسيح، يصف سر شخصيته في ذاته: إنه « الروح » من عالم الله نفسه. فليست ربوبية يسوع من جنس ربوبية أربابهم! ولا إلهيته من نوع إلهية آلهتهم! إنها ربوبية وإلهية الله ذاته: « الرب هو الروح ».

والله تعالى هو الله أحد، الله الصمد: فهل الله الآب، والرب يسوع، إلهان؟ وما هي صلة « الرب يسوع » بالله الآب؟

إن التثليث المسيحي من صلب التوحيد الكتابي، في صمدانية الله ووحدانيته فلا تعدّد ولا تجزؤ في الكيان الإلهي. إن إلهية المسيح هي بنوته في ذاته من الله في عالم « الروح » المطلق. وهذه البنوة الروحية الذاتية يصفها بولس بهذا التعبير: إن **المسيح هو** « **صورة الله** ». هذا هو نور الإنجيل، « نور إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله » (٢ كو ٤: ٤). فالمسيح في سر ذاته ووجوده هو صورة الآب. والصورة تعني وحدة الكيان مع تمثيله في ذاته. إنها استعارة يراد منها مدلولها لا حرفها. فهو « صورة الله » بمعنى « نور الله » و« مجد الله » الذي في صورته الذاتية الروحية. و« مجد الرب » يسوع هو « مجد الله » نفسه في بنوته؛ وبما أنه « صورة الله »، فهو « المرآة » التي نرى فيها مجد الله المحجوب في غيبه: « فنحن جميعاً، بوجه سافر، نستطلع كما في مرآة مجد الرب... لكي تسطع في قلوبنا معرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٣: ١٨ مع ٤: ٦). فيما أن المسيح هو « صورة الله » فهو المرآة الإلهية التي نرى فيها مجد الله على وجه المسيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن المسيح هو أيضاً « **حكمة الله** » أي عقله تعالى أو فكره، أو نطقه الذاتي. ويـأتي الإعلان بتعبيرين يكمل بعضهما بعضاً: « المسيح هو قدرة الله، وحكمة الله » (١ كو ١: ٢٤). فسر المسيح في ذات الله أنه الابن بمنزلة « الحكمة » في سر الله: إنّه « حكمة الله في السرّ المصون، التي حدّدها الله من قبل الدهور، لمجدنا؛ التي لم يعرفها أحد من رؤساء هذا الدهر ــ ولو عرفوها لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢: ٧ ــ ٨). وتسمية المسيح المصلوب « رب المجد » برهان على إلهية المسيح المصلوب في ذروة ذله في بشريته، الذي لا يمس ذاته الإلهية. ففي سر الله المصون، المسيح هو « حكمة الله ». وهذا السر ظل غيباً محجوباً في كتاب الخلق، كما في كتاب الوحي. لذلك لم يعرفه أحد من « رؤساء هذا الدهر » من الجن والإنس. وظل « حكمة الله في السر المصون » محجوباً حتى كشفه الإنجيل؛ وهذا « لمجد » المسيحية كما يقول بولس: « حدّده من قبل لمجدنا ». والمقابلة بين « حكمة الله » و« رب المجد » توكيد لإلهية المسيح، وصفتها في ذاتها.

إن وصف إلهية المسيح وبنوته لله الآب بكونه « **حكمة الله** » كان أقدر عمل قام به بولس في تفصيل الإنجيل: فإنه بنعت المسيح « حكمة الله » تحدّى أهل الكتاب والأمميّين بأسمى ما عندهم، ودعاهم به إلى الإيمان بالمسيح. وهذا أسلوب عبقري لحمل أهل الكتاب من اليهود على الإيمان بيسوع إنه المسيح، « حكمة الله » التي تبشر بها أسفار الحكمة عندهم؛ ولحمل الأمميين من الهلّينيين، أهل الحكمة، وأهل الغنوص، على طلب « الحكمة »، وعلى نشدان « السر » في المسيح، « حكمة الله في السر المصون ».

بتلك الصفات الثلاث أظهر بولس إلهية المسيح وسر بنوته.

(٢) **وثلاثة أعمال** تُظهر أيضاً إلهية المسيح، إذ العمل دليل الذات.

فالمسيح هو « قدرة الله، وحكمة الله » في **الخلق الأول**. هذا ما يعلنه بولس في صيغة التوحيد الإنجيلي: « فنحن إنما لنا إله واحد، الآب الذي منه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكل، ونحن إليه؛ ورب واحد، يسوع المسيح، الذي به الكل، ونحن به » (١ كو ٨: ٦). وبما أن المسيح وسط الخلق، فهو بالحقيقة « قدرة الله وحكمة الله » في ذاته.

وهو كذلك في تجديد الخلق، في « **الخلق الجديد** » الذي تمّ بسرّي التجسد والفداء؛ وما كان منهما من كشف إلهي، و« تأليه » للإنسان.

بالتجسّد « تألق مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦). فكان المسيح في بشريته أيضاً « صورة الله ». لقد كانت بشريته المرآة التي بها « نستطلع مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٣: ١٨ مع ٤: ٦). فلم تحجب حدود بشريته التي يسميها بولس « فقراً » بالنسبة لثراء الطبيعة الإلهية ــ أمارات إلهية: « إنه، وهو الغني، قد افتقر من أجلكم لكي تصيروا أنتم أغنياء بفقره » (٢ كو ٨: ٩).

وتجسد المسيح، « حكمة الله في السر المصون »، **ليصالح المخلوق مع الخالق**: « إن الله هو الذي، في المسيح، صالح الكون مع نفسه، ولم يحسب عليهم زلاتهم » (٢ كو ٥: ١٩) فكان الله في المسيح هو الفادي والمصالح: فعمل الفداء والمصالحة برهان ذاته الإلهية.

فغاية التجسد هي الكشف الإلهي، لا بالوحي والتنزيل في الإنجيل فحسب، بل لتجسيد الكشف الرباني في ذات المسيح، « فنستطلع مجد الله على وجه المسيح ». فالوحي المسيحي هو شخص المسيح أكثر منه كتاباً، الإنجيل.

وغاية الفداء، المصالحة مع الله، « أنه قد مات عن العالمين لكي لا يحيا الأحياء لأنفسهم من بعد، بل للذي مات وقام لأجلهم » (٢ كو ٥: ١٥). ففي المسيح وحده يصير البشر « أحياء »، وبدونه فهم أموات. وهم « أحياء للذين مات وقام لأجلهم »، « لكي نصير نحن في برّ الله » (٢ كو ٥: ٢١). وبالتجسد والفداء يشركنا في بنوته لله، ويحوّلنا إلى « صورة الله » على مثاله: « فنحن جميعاً، والوجه سافر، نستطلع كما في مرآة مجد الرب، فنتحوّل إلى تلك الصورة بعينها السامية البهاء، بحسب فعل الرب الذي هو الروح » (٢ كو ٣: ١٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بهذه الأعمال وتلك الصفات يكشف بولس إلهية المسيح في التوحيد الخالص.

٣) ويكشف لنا بولس أيضاً **سرّ الروح القدس** في ذاته وفي عمله؛ وعمله في الله وفينا دليل على ذاته في الله.

زمن الكنيسة هو « **عهد الروح** ». ففي الكنيسة، وفي أعضائها، نزل « الروح **عربوناً** » على البنوة الإلهية فيهم (٢ كو ٥: ٥). فكما تمتع المسيح بتأييد الروح القدس على الأنبياء والمرسلين، يتمتع المسيحيون والكنيسة بتأييد الروح القدس على العالمين: إن روح الله والمسيح هو فيهم « عربوناً » على « عهد الروح » في تاريخ البشرية.

أجل يَظهر « روح الله » عند بولس أحياناً، كما في الكتاب، **كناية عن قدرة الله،** العاملة في الكون وفي الإنسان. لكي بولس يُظهر أيضاً أن « الروح القدس » ــ وهذه الصفة « القدس » تمييز له عن الأرواح المخلوقة ــ شخصية قائمة في ذات الله، تعمل عمل الله. والعمل دليل الذات، والعمل المستقل دليل الذات القائمة بنفسها في الكيان الإلهي.

يصف بولس ذات « الروح » وعمله في الله بقوله: إن « حكمة الله في السر المصون » سرّ « قد أعلنه لنا الله بروحه، لأن الروح يفحص الكل حتى أعماق الله » أي غيبه المحجوب في ذاته: « فمن من الناس يعرف ما في الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه؛ فهكذا أيضاً ما من أحد يعرف ما في الله إلاّ روح الله » (١ كو ٢: ١٠ ــ ١١). ذلك العلم الذاتي بذات الله برهان ذات الروح القدس وعمله في وحدة الكيان الإلهي، مثل العلم المطلق المتبادل بين الآب والابن (متى ١١: ٢٧).

ويصف بولس ذات « الروح » وعمله في الإنسان بقوله: « لا شك أن المواهب على أنواع، إنما الروح واحد؛ وأن الخِدم على أنواع، إنما الرب واحد؛ وأن الأعمال على أنواع إنما الله واحد، وهو يعمل الكل في الكل » (١ كو ١٢: ٤ ــ ٧). ففي الكيان الإلهي: الله والرب والروح. وبولس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يحفظ هنا اسم « الروح » المطلق للروح القدس. يميّز أعمال الله تعالى في الإنسان المسيحي وينسبها لله والرب والروح، في مساواة مطلقة. فالروح في ذاته وعمله مثل الله الذي « ليس كمثله شيء ». فهو « الروح » من عالم الروح المطلق. فالله الآب، والرب يسوع، والروح القدس ثالوث في وحدة الكيان الإلهي. وهكذا يميّز بولس في الله الواحد الأحد ثلاثة « أقانيم » أي ثلاث صفات ذاتية كيانية، « لا هي عين الذات ولا هي غيرها ».

فالروح القدس ذات في الله، من عمله في الله وفي الإنسان عمل الله نفسه. فهو « **روح الله** »، كما هو « **روح المسيح** » (٢ كو ٣: ١٨ قابل غلا ٤: ٦؛ رو ٨: ٤). وهذه الإضافة إلى الله وإلى المسيح برهان على نسبة الروح القدس نسبة ذاتية إلى الله وإلى المسيح: فهو روح الله والمسيح معاً في ذاته وفي عمله.

●

٣ ــ **فعقيدة التثليث الإنجيلي** من صلب التوحيد الكتابي.

يختم بولس رسائله إلى كورنثس بعقيدة التثليث المسيحية: « نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله (الآب)، وشركة الروح القدس، معكم أجمعين » (٢ كو ١٣: ١٣). تثليث وتوحيد في الذات والعمل، كما ميّز ذلك أيضاً في (١ كو ١٢: ٤ ــ ٧).

وصيغة التثليث في التوحيد عند بولس (٢ كو ١٣: ١٣) هي الصيغة الموروثة عن الإنجيل: « وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (خاتمة متى). فهي الشهادة الإنجيلية والمسيحية التي ورثها بولس، قبل أن يفصلها برسائله. فلم يكن للشرك والغنوص، في العالم الهلنستي، من أثر على تكوين عقيدة التثليث عنده. فإن التثليث الإنجيلي قائم على التوحيد الكتابي: الله تعالى في كيانه الإلهي الثلاثي هو الله الواحد الأحد (١ كو ٨: ٤).

وفي هذا التوحيد الخالص تثليث: تثليث الصفات الذاتية، وفيها تثليث الأعمال الذاتية. والصفة المتميزة، والعمل المتميز، هما دليل الذات المتميزة، في وحدة الكيان الذاتي. إنه تثليث القوى الكيانية الوجودية في الله الصمد؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تثليث الصفات الذاتية الحياتية في الحي القيوم. إنه تثليث « الأقانيم » في الوجود الإلهي، تثليث الذات في الكيان الإلهي. فتلك القوى الكيانية الثلاث، تلك الصفات الذاتية الثلاث؛ وبتعبير كلامي، تلك « الأقانيم » الثلاثة في الطبيعة الإلهية الواحدة، « **لا هي عين الذات، ولا هي غيرها** ». هذا هو التعبير الحق، بلغة الكلام التوحيدي، لهذا « التثليث في التوحيد ».

فالتوحيد أصل، والتثليث فيه فصل. وفضل الإنجيل على كل تنزيل أن التثليث فيه **كشف منزل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية**. في الإنجيل تنزيل، وعند بولس تفصيل.

كان التوحيد الكتابي « يهوه أحد » أي « هو الله أحد »، توحيداً خارجياً في كامل التنزيه والتجريد. فهو يقطع كل شرك بالله، وكل تشبيه، « ليس كمثله شيء ». لكنه لا يكشف شيئاً عن ذات الله، وعن حياته في ذاته. فكشف الإنجيل أن « الله أحد، الله الصمد » هو في كيانه وحياته « الله الآب، والرب يسوع المسيح، والروح القدس » أي الله وحكمته (كلمته ونطقه) وروحه؛ **أي الله ونطقه الذاتي وروحه الذاتي**. فليس في التثليث المسيحي أي شبهة على التوحيد الخالص؛ بل كشف منزل لحياة الحي القيوم في وحدانيته وصمدانيته.

●

ذاك هو التوحيد الكتابي الإنجيلي؛ وذاك هو التثليث المسيحي في التوحيد الخالص.

وقد عاش الرسل، على حياة المسيح على الأرض، وخصوصاً بعد قيامته، **تجربة المسيح**، « **بحسب الروح** » كما يقول بولس، أي « المسيح، حكمة الله في السر المصون »، كلمة الله في ذاته؛ **وتجربة الروح القدس**، أي « الروح » المطلق في الله، روح الآب وروح المسيح الابن معاً. وعاش بولس التجربة عينها، بكشف خاص، وإسراء خاص، قبل أن يفصلها بدعوته ورسائله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لذلك نرى بولس يستفتح رسائله بالإيمان في « التثليث في التوحيد » « السلام علـيكم والنعمة من لدن الله الآب والرب يسوع المسيح » (٢ كو ١: ٢) « بروح الله الحي » (٢ كو ٣: ٣)؛ كما يختمها (٢ كو ١٣: ١٣).

تلك هي الدعوة المسيحية « **التثليث في التوحيد** »، تجاه الحكمة الهلينية، فـي العـالم الهلنستي، أم الفلسفات في التاريخ. وهي تشع مع بولس، في أفسـس « نـور آسـيا »، وفـي كورنثس « نور اليونان ».

۞ ۞ ۞

سادساً: الوحدة والحرية والاشتراكية في « البعث » المسيحي

قيامة المسيح من بين الأموات تسمّى « **بعثاً** »، وفي اللغة الأرامية هو « **البـاعوث** » كما يسمون عيد القيامة إلى اليوم. وإنجيل القيامة أي إنجيل « البعث » كان الـبلاغ الرسـولي الأول إلى العالمين، كما يشهد بولس نفسه (١ كو ١٥: ١ ــ ١١).

إن « **البعث** » **المسيحي** الـذي انتشر حيـاة جديدة في الإنسانية، بقيامة المسيح، هـو « خلق جديد » في « الإنسان الجديد »، « للحياة الجديدة ».

إنه « **خلْق جديد** »، في نظر رسل المسيحية ودعاتها، وعلى رأسهم بولس: « من هو في المسيح (أي المسيحي) فهو خلْق جديد! لقد اضمحلّ القديم وها كل شيء جديد! » (٢ كـو ٥: ١٧). لقد أنشأ الله مع الإنسانية، في المسيح، « عهداً جديداً » يبعثها « خلقاً جديداً »! ليس « عهد الحرف »، بل « عهد الروح » الذي أنزله المسيح السـماوي علـى الإنسـان، « لأن الحرف يقتل، والروح يحيى » (٢ كو ٣: ٦). والصراع بين أهل الكتاب والأمميين قد تخطـاه الإنجيل بقيام « الخلق الجديد » في « العهد الجديد »؛ « فليس الختان بشيء ولا القلف بشيء، بل الخلْق الجديد » (غلا ٦: ١٥). « خلق جديد » و« إنسان جديد » يقوم بالبعث المسيحي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذا « الخلق الجديد » بالبعث المسيحي يخلق « **الإنسان الجديد** »: « لقد خلعتم الإنسان العتيق وأعماله معه، ولبستم الإنسان الجديد، الذي يتجدّد بالغنوص السامية، على صورة خالقه: فليس من بعد هلّيني ويهودي! ختان وقلف! بربري واسكوتي! عبد وحر! بل المسيح الذي هو الكل في الكل » (كول ٣: ١٠). وهذا التجديد في الإنسان يتم في العماد المسيحي، بروح الله: « أنتم جميعاً الذين اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح: فليس من بعد يهودي وهلّيني! ليس من بعد عبد وحر! ليس من بعد ذكر وأنثى! لأنكم جميعاً واحد في المسيح » (غلا ٣: ٢٧ ـ ٢٨). إن توحيد الإنسانية في المسيح نسخ كل الفوارق القومية والجنسية والاجتماعية. هذا هو البعث الحقيقي الأكبر، الذي كان هدف رسالة المسيح في خلق « الإنسان الجديد »، بدل العتيق الفاسق بالخطيئة؛ يقول للمهتدين الذين بقيت فيهم رواسب الوثنية: « أما أنتم فما هكذا تعلمتم ما هو المسيح. إذا كان هو من سمعتم به، ومَن فيه تفقهتم، كما هي الحقيقة في المسيح؛ أي أن تخلعوا عنكم الإنسان العتيق... وتتجدّدوا في صميم أذهانكم، وتلبسوا الإنسان الجديد، المخلوق بحسب الله، في البرّ والقداسة الحقيقية » (أفس ٤: ٢٠ ـ ٢٤).

فالمسيحية تبعث « الإنسان الجديد »، في « خلق جديد »، « **لحياة جديدة** » من حياة المسيح نفسه في بعثه وقيامته: « أما تعلمون أنّا نحن الذين اعتمدنا في يسوع المسيح، إنما قد اعتمدنا في موته: لقد دُفنّا معه بالمعمودية لنموت، فنحيا حياة جديدة، كما أقيم المسيح من بين الأموات إلى مجد الآب ». (رو ٦: ٣ ـ ٥). وهذه « الحياة الجديدة » هي حياة من حياة المسيح نفسه في بعثه: « أجل كنّا بالطبيعة أبناء الغضب كسائر الناس؛ ولكن الله الواسع الرحمة (أي الرحمن الرحيم) ـ وقد أحبنا حبّاً جمّاً ـ أحيانا مع المسيح » (أفسس ٢: ٤). والتعبير « أحياناً مع » فعل واحد في اليونانية يدل على وحدة الحياة مع المسيح، ومن المسيح، وفي المسيح.

ان تلك « الحياة الجديدة » في « الإنسان الجديد » التي تبعثه « خلقاً جديداً » هي **مصدر الوحدة والحرية والاشتراكية**، في المسيحية. كانت تلك الشعارات الثلاثة مُثلاً عليا في العالم الهلنستي، المسحوق بالاستعمار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشرقي الفارسي والاستعمار الغربي الروماني، فرآها بولس وأراها واقعاً في الحياة المسيحية.

١ ــ شعار الوحدة

ينادي بولس بالوحدة الإنسانية في المسيح، في كل رسائله؛ ويفصّل دعائمها وأركانها تفصيلاً كاملاً. إن الوحدة بين المسيحيين هي من صلب كيانهم.

وعبقرية بولس إنه يبني الوحدة في المسيحية على وحدة « جسد المسيح » السرّي أو الاجتماعي أو الكلّي ــ ثلاثة تعابير مترادفة ــ حيث المسيح والمسيحيون يؤلفون **كياناً واحداً** على مثال الجسد الواحد: « كما أن الجسد واحد وله أعضاء كثيرة، وأن أعضاء الجسد كلها على كثرتها ليست إلاّ جسداً واحداً، فكذلك المسيح »! (١ كو ١٢: ١٢). لاحظ هذا التخريج « كذلك المسيح » بدل « كذلك أنتم في المسيح »، ممّا يدل على أن المسيحيين في المسيح هم أيضاً المسيح، منه وبه وفيه وله ومعه. ويصف للحال كيفية هذا التوحيد في المسيح: « فإنا قبلنا المعمودية جميعاً في **روح واحد؛ لنكون جسداً واحداً**، أيهوداً كنا أم هلّينيين، عبيداً أم أحراراً. وإنا ارتوينا من روح واحد... فأنتم جسد المسيح، وكل واحد منكم عضو فيه » (١ كو ١٢: ١٣ مع ٢٧).

ويفصّل بولس دعائم تلك الوحدة الكيانية في المسيح: « فإن الجسد (الكنيسة) والروح واحد، والمعمودية واحدة، والله واحد، وأبو الكل؛ فهو فوق الكل، ومع الكل، وفي الكل » (أفس ٤: ٤ ــ ٦). فالوحدة المسيحية الكيانية مبنية على وحدة الله، وعلى وحدة الرب يسوع، وعلى وحدة الروح القدس في الجسد المسيحي الواحد، بالعماد الواحد، والإيمان الواحد، والرجاء الواحد. وحدة معنوية وتكوينية معاً.

وهذه الوحدة الإنسانية المسيحية قضت على **التفرقة الكبرى** بين أهل الكتاب والأمميين « بالإنسان الجديد » المسيحي: فالمسيح « هو سلامنا فقد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جعل من الجماعتين جماعة واحدة، وهدم بجسده الحاجز الذي يفصل بينهما، أي العداوة؛ وألغى شريعة الوصايا وما فيها من أحكام. ليخلق في شخصه من هاتين الجماعتين، وقد حقق السلام بينهما، إنساناً جديداً، ويصلح بينهما وبين الله، وقد قضى على العداوة بصليبه، لنصير جسداً واحداً... فإن لنا به جميعاً الوصول إلى الله في روح واحد » (أفس ٢: ١٤ ــ ١٨).

وقضت تلك الوحدة الإنسانية في المسيح **على جميع الفوارق القومية والجنسية والاجتماعية**: « فليس من بعد هليني ويهودي! ختان وقلف! أعجمي واسكوتي! عبد وحر! بل **المسيح الذي هو الكل في الكل** » (كول ٣: ١٠).

وحدة في العقيدة والشريعة والحياة، وحدة في الكيان نفسه بالتجسد أعضاء في المسيح الواحد، بالروح الواحد؛ وحدة في السلوك الديني والخلقي والاجتماعي؛ وحدة هي في النهاية مع الله في المسيح، بالروح، عبر المسيح الشخصي والكلي والكوني.

فشعار الوحدة كامل مطلق: « فأنتم جسد المسيح، وكل واحد منكم عضو فيه »! « والمسيح هو الكل في الكل »! لقد طبع المسيح الوحدة الإنسانية في الكنيسة بطابعه وكيانه، على أعمق ما تكون وحدة في الوجود.

٢ ــ شعار الحرية

الدعوة المسيحية هي الدعوة إلى الحرية: « أيها الأخوة، إنكم قد دعيتم إلى الحرية، على أن لا تجعلوا هذه الحرية سبيلاً لإرضاء الأهواء » (غلا ٥: ١٣). فالحرية المسيحية لا تعني الإباحية الخُلقية، ولا الفوضى الاجتماعية. وما أكرم هذا النداء في عالم كان يزخر بالرق والعبودية، ويقوم على الفوارق الدينية والاجتماعية والجنسية!

الدعوة المسيحية إلى الحرية كانت مطلقة كاملة شاملة، ضمن شرعة الله وناموس الحياة. فتعني التحرير من كل عبودية، حتى عبودية الشريعة في العهد القديم. وباسم الإنجيل والمسيح ينادي بولس في « المسكونة » بالحرية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لأهل الكتاب والأمميين على السواء: « إن المسيح قد حرّرنا. لكي نكون أحراراً! فاثبتوا إذن، ولا تعودوا إلى نير العبودية! » (غلا ٥: ١). إنها الحرية المطلقة في كل شيء، لكن ضمن شرعة الإنجيل؛ وبولس يردّد في كل مكان: « كل شيء حلّ لي » (١ كو ٦: ١٢؛ ١٠: ٢٣).

وأساس الحرية المسيحية للإنسان **إلهي أكثر ممّا هو فطري**، يقوم على « الولادة الجديدة » للإنسان، « بحسب الروح »، على خلاف الولادة الجسدية بحسب البشرية، أو كما يقول « بحسب الجسد ». فهناك « الخلق القديم » المولود بحكم الجسد؛ و« الخلق الجديد » « المولود بحكم الروح » لذلك يقول الكتاب: (اطرد الأمة وابنها، فإن ابن الأمة لن يرث مع ابن الحرة). فلسنا نحن إذن أبناء الأمة، بل أبناء الحرة » (غلا ٤: ٢٩ ـ ٣١) **فمصدر الحرية المسيحية في الإنسان** هو روح الرب يسوع فيه: « لأن الرب هو الروح، وحيث روح الرب، فهناك الحرية » (١ كو ٣: ١٧).

والحرية المسيحية تشمل القيود الاجتماعية كلها، لكنها لا تدعو إلى الثورة ـ حيث لا حاجة بها: « فإن كنت عبداً حين دُعيتَ (إلى المسيحية) فلا تُبالِ. ولو كان بوسعك أن تكون حراً، فالأولى أن تستفيد من حالك. فإن مَن دُعي في الرب وهو عبد، كان عتيق الرب؛ وكذلك من دُعي وهو حر، كان عبد الرب. لقد اشتريتم وأدّي الثمن، فلا تصيروا عبيد الناس » (١ كو ٧: ٢١ ـ ٢٤).

وهناك **عبوديات أثقل من العبودية الاجتماعية**. إن عبودية الشريعة (في العهد القديم) وعبودية الخطيئة، وعبودية الموت، هي أثقل ما في الوجود من قيود! والمسيحية وحدها هي التي تحرّر الإنسان منها. وقد جعل بولس التحرير منها موضوع رسالته إلى أهل رومة، عاصمة « المسكونة »، ليشع منها على العالم كله نور الحرية بالمسيح. وبذلك أبان عبقرية المسيحية وفضلها في تحرير الإنسان من قيود استعباده. والتحرير الأكبر كان من سلطان إبليس على الإنسان بعد خطيئته، سبب موته. فنرى بولس ينادي في كل مكان: « احملوا الآب بفرح، لأنه جعلكم أهلاً لأن تشاطروا القديسين ميراثهم في النور. فهو الذي نجّانا من سلطان الظلمات، ونقلنا إلى ملكوت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ابنه الحبيب، الذي لنا به الفداء، غفران الذنوب » (كول ١: ١٣) فبالمسيح قد تمّ للإنسان النصر على أعدائه الحقيقيين، الخطيئة والموت والشريعة: « لقد تمّ قول الكتاب (إن الظفر قد ابتلع الموت): فيا موت، أين ظفرك؟ يا موت، أين شوكتك؟ إن شوكة الموت هي الخطيئة، وقوة الخطيئة هي الشريعة. فالحمد لله الذي آتانا الظفر على يد ربنا يسوع المسيح » (١ كو ١٥: ٥٥ ــ ٥٧) وبهذا الظفر المسيحي على أعداء الإنسان الحقيقيين، انتقل « **من نظام الشريعة، إلى نظام النعمة** » (رو ٦: ١٥).

و« نظام النعمة » في المسيحية هو نظام الحرية الكاملة الشاملة، « لأن الرب (المسيح) هو الروح، وحيث روح الرب فهناك الحرية » (٢ كو ٣: ١٥)، الحرية المطلقة التي لا يحدّها إلاّ حق الله وحق الإنسان.

فما أعظم شعار الحرية تطلقه المسيحية الناشئة، في ظل الاستعمار الروماني، المخيم على استعباد الشريعة الموسوية، واستبداد الحكمة الهلينية والغنوص الهلنستية!

٣ ــ شعار الاشتراكية

إن المسيحية أول من رفع شعار الاشتراكية الصحيحة في العالم، لا الاشتراكية الإباحية التي نادت بها المزدكية، وانتقلت مع الأديان السرية إلى العالم الهلنستي والروماني.

وفي الكنيسة الأولى لم تكن الدعوة إلى الاشتراكية نظرية فقط. بل عاشت كنيسة الرسل، صحابة المسيح، هذه الاشتراكية الحقيقية عيشة واقعية: « وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلاة » (أع ٢: ٤٢). إن « الشركة » هنا لا تعني الاشتراك في « كسر الخبز » أي القربان المسيحي، حيث التمييز قائم بين التعبيرين؛ بل تعني الاشتراكية كما نفهمها اليوم، فهو يقول للحال: « وكان المؤمنون جميعاً مؤتلفين، يجعلون كل ما لديهم مشتركاً بينهم؛ يبيعون أملاكهم وذخائرهم، ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم » (أع ٢: ٤٤ ــ ٤٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن هذه الحياة الاشتراكية قد لفتت نظر المؤرخ الأديب، ابن العاصمة أنطاكية، لوقا؛ فأشاد بها مرة ثانية: « وكان جماعة المؤمنين قلباً واحداً ونفساً واحدة، ليس فيهم من يدّعي ملك ما يخصه؛ بل كان كل شيء لهم مشتركاً بينهم » (أع ٤: ٣٢). هذا هو مثال الاشتراكية الحقيقية.

لكن ضرورات السلطان والاستقلال الذاتي قد لا تساعد على تحقيق ذاك المثال. فلمّا تنصّرت الدولة الرومانية وصارت المسيحية دين الدولة، واختلط الدين بالدولة، وبَعُد المثال المسيحي عن التحقيق، انبعثت الروح الرهبانية في المسيحية، فتألفت الجماعات الرهبانية لتُحيي المثال المسيحي في الاشتراكية عبر الأجيال حتى اليوم وإلى ما شاء الله.

« فالشركة » الاشتراكية نظام المسيحية الأولى وسلوكها. ولم تكن اشتراكية الإحسان، بل اشتراكية الإيمان؛ لا اشتراكية القهر، بل اشتراكية الخير: « ليس فيهم مَن يدّعي ملك ما يخصه ». وهي لا تلغي الملكية الفردية، التي من فطرة الإنسان، بل تجعلها في خدمة المجتمع كما هي في أساسها. إن الملكية فردية وجماعية معاً، فالأرض للإنسانية كلها قبل أن تكون لأشخاص. وفي اتزان الهدفين اتزان الفرد والمجتمع، ومتى تغلّب الهدف الفردي على الملكية، أو تغلّب الهدف الجماعي، اختل التوازن والنظام، لأن الفطرة الإنسانية والمادية قد تحرّفت.

وهذه الاشتراكية المسيحية مبنية على عمل المسيح ومثله: « تعلمون جود ربنا يسوع المسيح: كيف افتقر لأجلكم وهو الغني، لتغتنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨: ٩). إنها **اشتراكية المساواة**، نزل المسيح إلينا ورفعنا إليه، فاشترك غناه بفقرنا وجعلنا منه « جسداً واحداً » في الكيان والحياة الاجتماعية. فالاشتراكية التي ينادي بها بولس باسم المسيح والإنجيل، ليست **اشتراكية في الفقر والحرمان**، بل اشتراكية في المساواة والإحسان: « ولا أعني أن تكونوا في عسر، ليكون غيركم في يسر! بل أعني أن تكون بينكم مساواة. فإذا سدّت اليوم سعتكم ما بهم من عوز، سدّت غداً سعتهم عوزكم، فحصلت المساواة، كما قال الكتاب: المكثر لم يفضلْ عنه، والمقلّ لم ينقصه شيء » (٢ كو ٨: ١٣ ــ ١٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتلك الاشتراكية المسيحية لم تكن **اشتراكية الكره والإكراه**. بل اشتراكية المحبة والفرح: « فاذكروا أنه من زرع قليلاً حصد قليلاً، ومن زرع كثيراً حصد كثيراً: فليعط كلّ امرئ ما نوى في قلبه، لا آسفاً ولا مكرهاً، فإن الله يحب المعطي الفرح بعطائه » (٢ كو ٩: ٦ ــ ٨).

ذاك هو شعار الاشتراكية الصحيحة في المسيحية.

وهكذا نرى أن المسيحية هي التي رفعت في العالم الشعارات الحقيقية في الوحدة والحرية والاشتراكية؛ وذلك في ذروة الاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي الذي برز في الإمبراطورية الرومانية، كما عند منافستها الإمبراطورية الفارسية.

وتلك الشعارات في الوحدة والحرية والاشتراكية التي نادت بها المسيحية، تنبع من كونها البعث المسيحي في الإنسانية. فقد قام الإيمان المسيحي على « البلاغ » الرسولي ببعث المسيح (١ كو ١٥: ١ ــ ١١). وإلى اليوم يعيّد المسيحيون كل أحد، وكل فصح لبعث المسيح، « الباعوث » كما ورثوا الكلمة عن لغة المسيح ورسله. **فالبعث هو شعار المسيحية، وعيد المسيحية، وإنجيل المسيحية**. فالمسيحية هي البعث المطلق في تاريخ الإنسانية.

۞ ۞ ۞

سابعاً: جهاد بولس في أزمة كورنثس، مدة أربع سنوات

هذه نظرة إجمالية جامعة لفتنة كورنثس وتغلّب بولس عليها، تظهر لنا جهاد بولس وبطولته وعبقريته. نستجمع فيها لوحة جهاد بولس، وإن كان في ذلك بعض تكرار.

١ ــ ما بين الواقع الأثري والواقع التاريخي

الواقع التاريخي يرينا بولس وقد بدأ رحلته الثالثة الرسولية بإقامته في أفسس، عاصمة آسيا الرومانية. مدة ثلاث سنوات، منها سنتان في مدرسة تيرنس، يعلم الحكمة المسيحية (أع ١٩: ٨ و١٠ و٢٢)؛ وذلك بينما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تقوم فتنة في كورنثس، عاصمة اليونان الرومانية، وتشتعل فيها نار معارضة عنيفة، تتحــول إلى ثورة عليه.

وفي الواقع الأثري ليس لدينا سوى رسالتين قانونيتين إلى أهل كــورنثس مــدة هــذه الأزمة الطويلة. وهما تشيران أيضاً إلى رسالة سبقت الرسالة الأولى القانونية (١ كــو ٥: ٩)؛ وإلى رسالة أخرى « كتبت بدموع كثيرة » (٢ كو ٢: ٤) سبقت الرسالة القانونية الثانية.

فهل اكتفى بولس، مدة أربع سنوات من الفتنة برسالتيْن إلى كورنثس في ثورتها عليه؟ وأين هما الرسالتان المذكورتان في الرسالتيْن القانونيتيْن؟ إذا قيل بأنهما فقدتا، فهل هــذا مــن المعقول أو المقبول أو المنقول؟

الشهادة الأثرية أن بولس كتب في تلك الفتنة **أربع رسائل**، بقــي لنــا منهــا اثنتــان. والدلائل الذاتية تشير إلى أن الرسالتيْن القانونيتيْن هما **مجموعتان** من عدة رسائل في الفتنــة، وعدة مكاتيب لجمع التبرعات لفقراء أورشليم. فإنه لا يعقل أن تضيع رسالة أو يفقــد مكتــوب في مثل ذلك الظرف التاريخي، وفي بيئة مثقفة حريصة على حفظ آثار رسولها ومعلمها؛ وقــد نقلوا لنا في غيرها رسائل ليست من وزنها، حتى المكتوب إلى فيلمون لمصــالحة عبــده. ولا يصح أن نتصور بولس المجاهد حتى الموت كل يوم قد اكتفى برسالتين أو أربع في فتنة دامت أربع سنوات، بينما إنجيله وسلطانه في خطر متزايد. فلا شك أنه أكثر من مبعوثيــه ورســائله ومكاتيبه إلى عاصمة الثقافة والفساد في اليونان لتدارك الفتنة وسحق المعارضة، كما يرشــح من الرسالتين.

لذلك نتصور جهاد بولس ورسائله ومكاتيبه، في أزمة كورنثس مدة أربع سنوات على الوجه الآتي. لقد مرت الفتنة بفترتين، الأولى هادئة كانت الفتنة فيها نائمة مدة سنتين؛ والثانيــة ثائرة على أثر زيارة فاشلة إلى كورنثس عام ٥٧ هي الثانية من زياراته؛ لكنها انتهت بفضــل جهاده وحكمته بسيادة بولس التامة في زيارته الثالثة في شــتاء ٥٧ ــ ٥٨. وكانــت الزيــارة الثانية الفاشلة فاصلاً بين الفتنة والثورة، وبين مجموعتين من الرسائل والمكاتيب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ـ كانت أسباب الفتنة خارجية وداخلية

من الأسباب الخارجية **دعوة أبولّس** الخطيب المفوّه والمتكلم الضليع، بتحريض من أصحاب بولس (أع ١٨: ٢٤ ـ ١٩: ١). لكنها خلبت لب المثقفين بسحر بيانها وحكمة كلامها، فالتفوا حوله وصاروا يفاضلون بينه وبين بولس.

ولا شك أن بطرس مرّ بكورنثس، وهو في طريقه إلى رومة.

فاستغلّ **النصارى من بني إسرائيل** مروره، وهم يتعقبون بولس، بعد مجمع الرسل، من أورشليم إلى أنطاكية إلى غلاطية إلى فيلبي إلى كورنثس، ليشنعوا على عدوهم الأكبر بولس الذي يدعو إلى تحرير المسيحية من الموسوية. فطعنو سراً ثم جهراً بصحة رسالة بولس، وصحة دعوته وصحة سلوكه، خصوصاً في جمع التبرعات إلى أورشليم، فأثاروا الجماعة عليه وقسموها.

ومن الأسباب الداخلية ولع الكورنثيين بالفلسفة ومقارنتها بالحكمة المسيحية، وقد ظنها بعضهم فكرة فلسفية آتية من الشرق كغيرها؛ مع ميلهم المشهور إلى الدعارة والفساد، وهم حديثو عهد بالحياة المسيحية. فنشأ من صراع المسيحية مع الوثنية مسائل ومشاكل كان على بولس أن يحلها ويفتي فيها (١ كو ٧: ١). ويرد على شبهاتهم في عقيدتهم (١ كو ١٥: ١٢).

٣ ـ فعالج بولس الفتنة بمجموعة أولى من الرسائل والمكاتيب

١) لمّا أقام بولس في أفسس يعلّم في مدرسة تيرنس، ويستطلع أخبار الكنائس في اليونان، جاءَته أخبار من كورنثس عن مخالطة المسيحيين للمشركين في معابدهم والأكل من ذبائحهم، بحجة المبدأ الذي تبنّاه بولس عندهم « كل شيء حلٌ لي » ـ لكن ضمن شريعة المسيح ومحبته. فاستباحوا هذه الحرية حتى الإباحية. فكتب إليهم ينهاهم عن الشركة الدينية مع المشركين. قيل إن هذه **الرسالة الأولى** فقدت. لكن بعضهم يراها في (١ كو ٩: ٣ ـ ١٠: ٢٢) وفي (٢ كو ٦: ١٤ ـ ٧: ١)؛ وهما مقطعان ظاهرة الاقحام بادية عليهما.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) ثم وردت على بولس أخبار من كورنثس (١ كو ١٦: ١٧) عن الفوضى في الاجتماعات المسيحية واستخدام المواهب الروحية الخارقة التي تظهر عليهم فيها؛ ثم عن شبهات بعضهم على عقيدة القيامة ومقارنتها بخلود النفس في الفلسفة اليونانية. فكتب إليهم بولس **رسالة ثانية** من أفسس لتنظيم الحياة الدينية، والرد على التنكر لحقيقة القيامة. ونحن نجدها في القسم الأخير من الرسالة الأولى القانونية (١ كو ١١ ــ ١٦).

٣) وبعد مدة جاءَته رسالة من كورنثس (١ كو ٧: ١) يستفتونه بها في الزواج والبتولية التي كان بولس يشيد بها في تلك البيئة الفاسدة؛ وفي الحرية المسيحية في أكل ذبائح الأوثان المعروضة في السوق للبيع. وبلغه تململ العبيد من المسيحيين في كورنثس ــ وكان فيها نحو أربعماية ألف عبد! ــ بحجة التحرير المسيحي. فخشي الثورة والدولة. فكتب إليهم يرد عليهم في الاستفتائين المطلوبين؛ واستطرد بينهما إلى تحريضهم على « أن يبقى كل واحد على ما دعي عليه، إذ دعاه الله » إلى المسيحية (١ كو ٧: ١٧ ــ ٢٤). وهذه **الرسالة الثالثة** نجدها، على ما يظهر، في القسم الثاني من الرسالة الأولى القانونية (١ كو ٧: ١ ــ ١١: ١). وظاهر الاختتام البولسي بادية على خاتمتها (١ كو ١٠: ١١ ــ ٧: ١).

٤) وبعد فترة جاءَ بولس، أولاً بواسطة أبولّس نفسه (أع ١٨: ٢٧؛ ١ كو ١٦: ١٢) ثم بواسطة وفد السيدة النبيلة خلُوئي المخلصة لبولس (١ كو ١: ١١) تقرير عن حالة التحزب الناشئ في كنيسة كورنثس بسبب دعوة أبولّس، ودعوة النصارى من بني إسرائيل باسم بطرس؛ وعن بعض الشكوك في السلوك، من دعارة (١ كو ٦: ١٢ ــ ٢٠) بلغت حد الفحشاء، « فيحوز أحدهم امراة أبيه » (١ كو ٥: ١ ــ ٨)؛ وعن تقاضي الأخوة المسيحيين لدى المحاكم الوثنية (١ كو ٦: ١ ــ ١١). فكتب إليهم بولس يبيّن فضل الحكمة المسيحية على الحكمة اليونانية، ويردع أهل الشكوك عن سلوكهم. وهذه الرسالة الرابعة نجدها في القسم الأول من الرسالة الأولى القانونية (١ كو ١: ١٠ ــ ٦: ١٩).

٥) بعث بولس الرسالة الأخيرة مع تيموتاوس وصحبه ليقوم مقامه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بمعالجة الأزمة، بينما كان هو في محنة شديدة بأفسس حالت دون حضوره بنفسه إلى كورنتش. وزوّد بولس الوفد **بمكتوب خاص لجمع التبرعات** إلى فقراء أورشليم المضطهدين (١ كو ١٦: ١ ــ ١٣).

لكن تيموتاوس فشل ورجع حزيناً إلى معلمه. فكانت زيارة بولس **الثانية الفاشلة** أيضاً. فتحولت الفتنة إلى ثورة على بولس.

وكانت هذه الزيارة فاصلاً بين عهدين من أزمة كورنتش. لذلك عند جمع مراسلات بولس مع كنسة كورنتش، جمعوا مراسلات الفترة الأولى في « الرسالة الأولى إلى كورنتش »، حسماً لضياع تلك الرسالة والمكاتيب، وتسهيلاً لتلاوتها في الصلاة والعبادة. قام بالجمع مجلس الأساقفة والكهنة في كورنتش. وبدأوا بذكر فضل الحكمة المنزلة على الحكمة الوثنية، في تلك البيئة المتفلسفة؛ ثم حمله بولس على شكوكهم في سلوكهم؛ ثم الفتاوي على استفتاءاتهم. فتغلّب الترتيب التنسيقي على الترتيب التاريخي. لكن هذا الترتيب لا يغيّر شيئاً من صحة الرسائل وبلاغتها.

فالرسالة الأولى إلى الكورنثيين **تمثّل العهد الأول من جهاد بولس في أزمة كورنتش.**

٤ ــ وعالج بولس الثورة بمجموعة ثانية من من الرسائل والمكاتيب

نجد في الرسالة الثانية إلى الكورنثيين **دفاعاً لطيفاً** لبولس عن رسالته ودعوته، يستهله بذكر « الضيق الشديد » حتى « خطر الموت الداهم » في أفسس (٢ كو ١: ٨ ــ ١١)؛ **ودفاعاً عنيفاً** يحمل فيه حملة شعواء « على الأخوة الكذبة »، « الرسل الأكابر »، ويستهله بذكر « الضيق من كل جهة: حروب في الخارج، ومخاوف من الداخل » (١ كو ٧: ٥)؛ فهذا الضيق أخف من « الموت الداهم » المذكور بالنسق أولاً، وهو تاريخيّاً لاحق. وما بين الدفاعين نجد مكتوباً إلى أهل كورنتش (٢ كو ٨) ومكتوباً إلى أهل أخائية كلها (٢ كو ٩). فهذه الظواهر تدل على مجموعة ثانية من الرسائل والمكاتيب في أزمة كورنتش.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويظهر أن المضايقة لبولس والثورة عليه كانت موقوته في كورنثس وأفسس معاً للقضاء عليه وعلى دعوته.

على أثر فشل وفد تيموثاوس (١ كو ١٦: ١٠) اشتعلت الثورة على بولس في كورنثس وفي أفسس معاً: « حروب من الخارج، ومخاوف من الداخل » (٢ كو ٧: ٥). لكنّ المخاوف من الداخل أقلقت بولس أكثر من جهة كورنثس. **فقد جهر الأخصام بالطعن** في سلطة بولس الرسولية: فهو دخيل على المسيحية، وليس من « الاثني عشر »، ولا من آل البيت؛ فأين هو من بطرس زعيم الرسل، ومن يعقوب زعيم آل البيت! وبالطعن في «إنجيله» الذي يدعو فيه إلى التحرير من « الشريعة السمحاء »! وبالطعن في سلوكه « بالمكر » مع المؤمنين في كورنثس، يستغلهم لجمع التبرعات باسم كنيسة أورشليم!

وكانت الثورة عليه في أفسس قد زادت حتى تعرّض للوحوش؛ وربما أُسِرَ (رو ١٦: ٧) ونجا بفضل برسكلا وأكيلا « اللذين وضعا عنقهما دون حياتي » (رو ١٦: ٣). فرحل عن أفسس لتهدئة العاصفة، وأتى إلى كورنثس في مطلع العام ٥٧. فكانت زيارته الثانية لكورنثس لترويض المعارضة (٢ كو ١: ٢٣ ـ ٢: ١؛ ١٢: ١٤؛ ١٣: ١)؛ لكنها فشلت في تهدئة الثورة عليه؛ وأُهين (٢ كو ٢: ١؛ ٢: ٥؛ ٧: ١٢). فقد قاومه جهاراً « أولئك الرسل الأكابر » من النصارى من بني إسرائيل (٢ كو ١١: ٥ و١٣)، مستعينين بأوليائهم من الكورنثيين (٢ كو ١٣: ٢) وتولى كِبَر الإهانة أحد المتنفذين (٢ كو ٢: ٥ ـ ١١؛ ٧: ١٢). فاشتعلت الثورة على بولس.

١) رجع بولس، من كورنثس، إلى أفسس ينتفض مرارةً وغيظاً. وكتب إليهم **رسالة أولى تاريخية**، « بدموع كثيرة » (٢ كو ٢: ٣ ـ ٩). فكانت **دفاعاً عنيفاً** عن بولس وحملة شديدة على « الأخوة الكذبة » أولئك « الرسل الأكابر ». فهل ضاعت هذه الرسالة؟ بل نجدها في القسم الثالث من « الرسالة الثالثة » القانونية (٢ كو ١٠: ١ ـ ١٢: ١٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعث الرسالة مع تيطس القوي ومع لوقا الدبلوماسي. فنجح الوفد والرسالة بكسر المعارضة، وحمل الكنيسة للضغط على « المهين » وعلى « الذين خطئوا آنفاً » ليتوبوا. فتابوا جميعهم ورجعوا إلى رسولهم ومعلمهم.

٢) في أثناء بعثة تيطس إلى كورنثس، كان بولس في أفسس يخوض معركة أخرى، ويتغلّب على **ثورة الصاغة** عليه (أع ١٩: ٢٣ ــ ٤١).

فلما نجح، « وهذا البلبال... شخص إلى مقدونية » (أع ٢٠: ١) لملاقاة تيطس، وهو على أحرّ من الجمر، للاطلاع على أخبار كورنثس التي تهدّد مستقبل المسيحية في اليونان. فوافاه تيطس إلى فيلبي الحبيبة، وعلم منه أن الكنيسة كلها في كورنثس رجعت إلى رسولها وأبيها. فطفح قلبه من الفرح (٢ كو ١: ٨ ــ ١٠). وكتب إليهم **رسالة ثانية تاريخية**، يسترضيهم **بدفاع لطيف**، نجده في القسم الأول من الرسالة الثانية القانونية إلى الكورنثيين (٢ كو ١: ١٢ ــ ٧: ١٦). وفيها يعدهم « بزيارة ثالثة » تضع الأمور في نصابها (٢ كو ١٢: ١٤؛ ١٣: ١).

٣) بعث بولس بهذه الرسالة اللطيفة مع تيطس ليكمّل تهدئة الأزمة. وزوده **بمكتوب إلى الكورنثيين** يحثهم فيه على جمع التبرعات لفقراء أورشليم وكان يقصد أيضاً بذلك امتحان محبتهم له ومقدار طاعتهم له وصحة رجوعهم إليه. نجد هذا المكتوب في (٢ كو ٨). فكان له ما أراد.

٤) فكان ما بين الدفاع الأول والثاني قد انقضى صيف ٥٧. وفي الخريف بعث لهم **بمكتوب** يعلمهم به أنه قادم إليهم في « زيارته الثالثة » لتقوم عليهم الحجة التوراتية « بشهادة اثنين أو ثلاثة » (٢ كو ١٣: ١ ــ ٢٠).

٥) وأرفق هذا المكتوب **بمكتوب ثان إلى أهل أخائية كلهم** يحثهم على الاشتراك بالتبرع لكنيسة أورشليم. نجد هذا المكتوب في (٢ كو ٩).

وبإشارته في المكتوبين إلى « العام الماضي » (٢ كو ٨: ١٠؛ ٩: ٢) دليل على أنه مضى عام على بعثة تيموتاوس، وبدء جمع التبرعات (١ كو ١٦: ١٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعث بولس المكتوب مع بعض الأخوة، فقد « رأيت من اللازم أن أطلب من الأخوة أن يسبقونا إليكم... لكي تكونوا على استعداد؛ فإذا قدم المقدونيون معي ووجدوكم غير مستعدين خجلنا نحن ــ ولا أقول أنتم » (٢ كو ٩: ٣ ــ ٥).

وهكذا هدأت الحالة وتغلب بولس على الأزمة. وقام بالزيارة الثالثة إلى كورنثس، مع وفد من المقدونيين ومن الكورنثيين على الرحب والسعة. « فأتى إلى إغريقية وأقام فيها ثلاثة أشهر » الشتاء (أع ٢٠: ٣) عام ٥٧ ــ ٥٨ حيث كتب الرسالة إلى الرومانيين.

وفي أوج عزّه، وقد بشر بالمسيح في العالم الهلنستي الشرقي، أخذ يفكر بنقل دعوته إلى الغرب، وجعل رومة المحور الجديد للرسالة في العالم اللاتيني حتى « أطراف المسكونة » بإسبانيا. فكتب الرسالة إلى الرومانيين يعرض عليهم تعليمه ويهيئ قدومه.

وعند جمع مراسلات بولس مع كورنثس، جمعوا رسائل ومكاتيب هذه الفترة الثانية من الأزمة في « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين ». قام بذلك مجمع الأساقفة والكهنة في كورنثس. فجمعوا الرسالتيْن الأخيرتيْن مع المكتوبيْن أو الثلاثة في وحدة موضوعية وزمانية. لكنهم خالفوا في النسق الترتيب التاريخي، فوضعوا الدفاع اللطيف قبل العنيف، وفصلوا بينهما بالمكتوبين لجمع التبرعات. فكانت « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين » **صورة جهاد بولس في العهد الثاني** من أزمة كنيسة كورنثس.

٥ ــ ما بين الوحدة والصحة

فهذا التحليل العلمي التاريخي للرسالتيْن القانونيتيْن إلى عدة رسائل وعدة مكاتيب، لا يمس وحدتهما القانونية، ولا يطعن في صحتهما. فليست الوحدة الفنية من ضرورة الوحدة القانونية. وقضية الصحة والعصمة لا يمسها التحليل الفني. فكلها من بولس ومن إعجازه في تفصيل الإنجيل.

إنما هو تحليل واقعي وتمثيل صادق، قائم على القرائن الذاتية، لجهاد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بولس في أزمة خطيرة تهدد الإنجيل في اليونان. وهو الحل المعقول لتلكما **الظـاهرتيْن فـي الرسالتيْن:** الإشارة المتواترة إلى رسائل مفقودة؛ وظاهرة التفكك والتعارض في اللهجة والأسلوب والموضوع ما بين الأقسام. **وليس من المعقول، ولا من المقبول، ولا من المنقول،** أن يضيع أبناء بولس المثقفين رسالة أو مكتوباً من أبيهم في محنتهم. وكل الدلائل التاريخية والإنشائية والأسلوبية والبيانية تشهد بأنهما مجموعتين. وما نظنه مفقوداً ينطبق على قسم من الرسالتين.

وبعد فمن يتصور بولس يقيم نحو ثلاث سنوات في أفسس وسنة في مقدونية، والنار تشتعل في كورنثس، « نور اليونان »، يتحرق من بعيد، وهو لا يبدي ولا يعيد؟ ولا يكتب سوى رسالتين! خلق بولس العظيم، والخطر الداهم على الرسالة المسيحية، يأبيان أن نتصوره مكتوف الأيدي يكتفي برسالتين مدى أربع سنوات، في الأزمة المصيرية الناشئة الصاعدة، فالباغية الطاغية. أليس من منطق خلق بولس العظيم، ومن منطق الأحداث. أنه أكثر من المعبوثين ومن الرسائل والمكاتيب، وقد اضطرته ظروفه في أفسس، « نور آسيا » إلى البقاء فيها. وقصة التبرعات لأورشليم، وخطورتها في نظر بولس وفاءً لعهده في مجمع الرسل، ونظراً لإيلافها بين « أهل الختان وأهل القلف » في وحدة صحيحة ــ وتلكؤ اليونانيين في جمعها، بدس من « الأخوة الكذبة »، النصارى من بني إسرائيل، واتهامهم بولس في استغلالها لذاته ــ تقتضي هي أيضاً مبعوثين ومكاتيب تحريض وتعريض.

فواقع الرسالتين، وواقع الأزمة الطويلة، وواقع خلق بولس العظيم، كلها تحملنا على أن نرى في الرسالتين القانونيتين إلى الكورنثيين، مجموعتين من الرسائل والمكاتيب، تمثل جهاد بولس في فتنة كورنثس المصيرية، مدة أربع سنوات (٥٤ ــ ٥٧)، ضدّ التهويد والمتهوّدين، وضد التوثين والمتوثنين، بإظهار فضل الإنجيل على الشريعة وعلى الحكمة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث رابع

الرسالة إلى الرومانيين
(إنجيل بولس الكلامي)

تقديم: فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة، في سبيل الخلاص والبرّ[1]

الرســـالة إلى الرومانيين تتصدّر كل مجموعة لرسائل بولس، لأن الجميع يرون فيهـــا « إنجيل » بولس، أي قصة الخلاص في الإيمان بالإنجيل، لا بالشريعة كما ينادي أهل الكتاب من اليهود، ولا بالحكمة كما ينادي أهل الحكمة من الهلنستيين.

موضوع الرســـالة هو الإنجيل ما بين اليهودية والوثنية: « فإني لا أستحي بالإنجيـــل، فهو قدرة الله لخلاص كل مؤمن، اليهودي أولاً ثم الهلّيني، لأن برّ الله يتجلّى فيه من إيمان إلى إيمان، على ما هو مكتوب: البار بالإيمان يحيا » (١: ١٦ ــ ١٧).

ففي الرسالة إلى الغلاطيين بحث بولس في الإنجيل والشريعة؛ وفي الرســـالتين إلـــى الكورنثيين بحث في الإنجيل والحكمة؛ وهنا في الرسالة إلى الرومانيين يســـتجمع « إنجيلـــه » في تحدّي الشريعة والحكمة معاً بالإنجيل. وهي، ذروة كلامه فـــي الإنجيـــل؛ إنهـــا **الإنجيـــل الكلامي**.

وهذا الإنجيل الكلامي في **سبعة أركان**، تُظهر موقف المسيحية من اليهودية والوثنيـــة العقلانية: قصة الخلاص في تاريخ الإنسان، ما بين عهد

---

(١) يجمع بولس تعبير « البر » الكتابي، إلى تعبير « الخلاص » الهلنستي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الغضب والصبر وعهد النعمة ــ دور الشريعة الموسوية في تاريخ الخلاص ــ معنى موت المسيح في تاريخ الخلاص وقصة الإيمان ــ قيام عهد الروح، على أنقاض عهد الشريعة وعهد الحكمة اللذين فشلا بتحقيق الخلاص، لعوامل مختلفة ــ دور الروح في الحياة المسيحية الجديدة، ينقل الإنسان من الخطيئة إلى النعمة، بفضل الإيمان والعماد ــ فالخلاص من الله وحده، بالإيمان بالمسيح والإنجيل، وذلك مجاناً من دون أعمال الشريعة، أو أعمال الإنسان ابن آدم ــ فالله وحده هو مصدر الاصطفاء، وغايته الإيمان بفداء المسيح. بهذه الأركان السبعة توجز الرسالة « إنجيل » بولس في عهده الأول؛ كما ستوجز الرسالة إلى الأفسسيين إنجيل بولس في عهده الآخر.

يقسم بولس حكمة الإنجيل ثلاثة أقسام، يبحث كل قسم منها ناحية من قصة الخلاص بالإيمان المسيحي: الأول **القضيّة الكلاميّة** في الإنجيل والإنسان (١: ١٨ ــ ٨: ٢٩)، في ذاتها (١: ١٨ ــ ٤: ٢٥) ثم في مفاعيلها (٥: ١ ــ ٨: ٢٩)؛ الثاني **الناحية التاريخية** في إسرائيل والإنجيل، وقصة شريعتهم في تاريخ الخلاص (٩: ١ ــ ١١: ٢٦)؛ الثالث، **الناحية العملية** في المسيحي والإنجيل، أو كيفية الحياة المسيحية في الخلاص بالإيمان.

فالرسالة إلى الرومانيين هي **الرسالة العقائدية الكبرى** في المسيحية، بين الرسائل الأربع الكبرى: إلى الرومانيين، وإلى الأفسسيّين، وإلى العبرانيين، مع رسالة يوحنا الجامعة ــ أناجيل أربعة، ورسائل أربع، في عرض الإنجيل، وبيان حكمته وشرعته. فهي أعظم رسائل بولس، وأكبر كتاب في فهم الإنجيل وعرض حكمته وشريعته وصوفيته على العالمين. وجّهها بولس إلى الرومانيين لتنتشر من العاصمة إلى المسكونة كلها؛ « فعليّ حق للهلّينيين والبرابرة، للحكماء والجاهلين » (١: ١٤).

فلا غرو، إذا ما رأينا في الرسالة إلى الرومانيين **الموجز الأول لإنجيل بولس في تفصيل حكمة الإنجيل، وعرض قصة الخلاص** ــ التي كانت محور علم الكلام والحكمة والغنوص في منتصف القرن الأول الميلادي ــ في الإيمان بالإنجيل؛ حتى صار إنجيل المسيح « إنجيل بولس ».

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول: تمهيد للرسالة الرومانية

أولاً: رومة ــ واليهودية ــ والمسيحية

١ ــ رومة، عاصمة « المسكونة »، كانت عاصمة الدولة والسياسة والثقافة والشرك والفساد. ما كتبه سينيكا عن الأخلاق فيها يزكي ما يقوله بولس (رو ١: ٢٤ ــ ٣٢).

كان الشعب فيها خليطاً من الأمم والبلدان والطبقات.

ويقدّرون سكانها بنحو المليون نسمة، أغلبيتهم من الكادحين والمرتزقة والعبيد. وكانت رومة الحاكمة تحكمهم بقبضة من حديد خشية ثوراتهم.

٢ ــ وكانت الجالية اليهودية في رومة تشكل **دولة خفية ضمن الدولة.**

ترتقي علاقات رومة باليهود إلى مطلع عهد العشمونيين وكفاحهم ضد انطيوكوس الرابع، في منتصف القرن الثاني، ومحاولة السوريين توثين اليهودية. فقام يهوذا المكابي ثم يوناتان وشمعون بعقد معاهدات مع رومة (١ مكا ٨: ١٧ ــ ٣٢؛ ١٢: ١ ــ ٤؛ ١٤: ١٦ ــ ١٩). ولمّا وقعت الخلافات الداخلية بين الحاكمين في أورشليم لجأ هيركان الثاني وارستوبلس الثاني إلى رومة حكماً بينهما. فانتهى الأمر بالإمبراطور بمبايوس إلى احتلال اليهودية عام ٦٣ ق. م. ثم إلى إقامة حكم دخيل فيها، هيرود الكبير الأدومي عام ٤٠ ق. م. فخرج الحكم نهائياً من يد بنى إسرائيل قبل مجيء المسيح، بحسب النبوة.

واعتبر الرومان الدين اليهودي « **ديانة شرعية** » في الدولة، تأليفاً لهم. فساعد ذلك على انتشار اليهود في الإمبراطورية. فكانت الجالية اليهودية تعد في رومة نحو **العشرة آلاف.** ولها نحو ثلاثة عشر معبداً في رومة، مع « جامع المعتقين » في أورشليم (أع ٦: ٩). وكان لهم نفوذ بالغ في الدولة، حتى خطب يوليوس قيصر ودّهم؛ كذلك اغسطوس قيصر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان شيشرون، في دفاعه عن فلاكّس، يشير إلى أنه يخشى إثارة اليهود. فكأنهم صاروا صاروا دولة خفية ضمن الدولة وذلك شأنهم عبر التاريخ.

لذلك عمد طيباريوس قيصر (١٤ ــ ٣٧ ب. م.) إلى طردهم من رومة، ورجع عن ذلك عام (٣١ ب. م.). كذلك كلوديوس (٤١ ــ ٥٤) عام ٤٩ (أع ١٨: ٢)، ثم تراخى الأمر عند موته. وهذا الاضطهاد أدّى إلى الثورة الأولى اليهودية على الرومان (٦٦ ــ ٧٠) فهدموا أورشليم وهيكلها.

٣ ــ **تأسست المسيحية منذ فجرها** في رومة، لأن العلاقات ما بين أورشليم ورومة كانت متواصلة. وكانت سياسة الدعوة المسيحية التغلغل في العواصم ومنها إلى القرى والأرياف. وحين يكتب بولس إليها، في شتاء ٥٨ كان إيمان الرومانيين بالمسيح « يُشاد به في العالم كله » (رو ١: ٨). ففي برهة عشرين سنة ونيّف كانت المسيحية موطدة برومة. **فمن أسسها فيها؟** بولس في رسالته لا يشير إلى أحد. كذلك لوقا في الأعمال. فقد بلغتها الدعوة على يد المسيحيين، الذين أمّوها للرزق والدعوة معاً، أو « الرومانيين المستوطنين » (أع ٢: ٩) المهتدين، أو الحجاج المهتدين الذين رجعوا مبشرين. ثم تزعم بطرس الدعوة برومة في السنة الثانية من ولاية كلوديوس أي عام ٤٢ على حد قول أوسابيوس وجيروم، والأصح عام ٥٦.

بعد تحريم رومة على اليهود (٤٩ ــ ٥٠) شكل الأمميون المهتدون الأغلبية الساحقة من المسيحيين. فكرّس قرار كلوديوس فصل المسيحية عن اليهودية. ولما جاء بولس رومة أسيراً حاول مفاوضة زعماء اليهود الباقين ففشل (أع ٢٨: ١٤). ومنذئذ انفجر الصراع الدائم بين الجامع اليهودي والكنيسة. ولا يخلو اضطهاد نيرون للمسيحية من أصابع يهودية، بواسطة زوجته اليهودية.

تلك حالة المسيحية في رومة، لمّا كتب بولس رسالته إلى الرومانيين، المسيحيين من الأمميين والنصارى من بني إسرائيل. ونسبة الفريقين مجهولة: فمنهم مَن يجعل الأمميين أكثر، ومنهم مَن ينسب الكثرة إلى العنصر اليهودي بعد تراخي الأمر بطردهم. لكن الرسالة موجهة إلى الفريقين على السواء.

•

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثانياً: مناسبة الرسالة

المناسبة الأولى كانت تقديم إنجيل بولس في تفصيل حكمة إنجيل المسيح لعاصمة المسكونة حتى يشع منها إلى حيث « يشاد بإيمانهم في العلم كله » (رو ١: ٨). يقول: « إن الله الذي أخدمه بروحي، في الدعوة **لإنجيل ابنه**، يشهد لي بأني أذكركم بلا انقطاع، ملتمساً دائماً في صلواتي أن يتيسّر لي يوماً بمشيئة الله أن أقدم إليكم. فإني مشتاق أن أراكم لأفيدكم شيئاً من المواهب الروحية لتأييدكم... ليكون لي فيكم ثمر كما في سائر الأمم. فعلي حق للهلينيين والبرابرة، للحكماء والجاهلين. ومن ثمّ منيتي الحارة أن أبشّركم بالإنجيل أنتم الذين في رومة » (رو ١: ٩ ــ ١٥). فبولس يكتب للرومانيين بصفة كونه « رسول الأميين »، ليبشرهم بالإنجيل كتابةً، بما أنه لم يتيسر له بعد ظرف مناسب لزيارتهم.

لقد تمنّع عن الدعوة بينهم حتى الآن لأنه عاهد نفسه ألاّ يبني على أساس من سبقه إلى الدعوة: « اني كتبت إليكم، وفي بعض المواضع بشيء من الجرأة، على سبيل التذكير لكم على مقتضى النعمة التي أولانيها الله لأكون خادماً للمسيح الله لأكون خادماً للمسيح يسوع لدى الأمميين... ففي كل ناحية، من أورشليم إلى إلّيريكون (على حدود إيطاليا) قد أتممت التبشير بإنجيل المسيح. وقد أبت عليّ مروءَتي أن أبشّر بالإنجيل حيث دُعي اسم المسيح، لئلا أبني على أساس غيري... لذلك مُنعت مراراً كثيرة من القدوم إليكم » (١٥: ١٥ ــ ٢٢). فاستعاض عن الدعوة بالرسالة.

المناسبة الثانية كانت نقل دعوته من المشرق إلى المغرب، وجعل رومة مركز الدعوة الثالث، بعد أنطاكية. هذا ما يقوله لوقا: « ولمّا تمت هذه الأمور، وطّن بولس النفس أن يمضي إلى أورشليم، مارّاً بمقدونية وأخائية (للمرة الثالثة) وكان يقول: بعد أن أصير إلى هناك (أورشليم) لا بدّ أن أرى رومة أيضاً » (أع ١٩: ٢١). فبعد نقل تبرعات الأمميين المهتدين إلى أورشليم أم الكنائس، « وقد أتمت التبشير بإنجيل المسيح، في كل ناحية من أورشليم إلى ايليركون »، ينقل بولس دعوته إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رومة ليجعلها مركز رسالته في الغرب: « أما الآن فإذ لم يبق لي مكان بعد في هذه الأقاليم ــ وبما أني مشتاق من سنين كثيرة أن آتيكم ــ فإذا ما **انطلقت إلى أسبانيا** فاني أرجو أن أشاهدكم عند مروري، وأن تشيّعوني إلى هناك، بعد أن أتملاكم ولو بعض الشيء. أما الآن فإني منطلق إلى أورشليم لأخدم القديسين » (رو ١٦: ٢٣ ــ ٢٥). وهكذا يظهر أن الزيارة لرومة لم تكن سبب الرسالة، كما يتوهم بعضهم. إنما كانت مناسبتها تبشيرهم بحكمة الإنجيل، ثم جعل رومة مركزاً لرسالته في الغرب. فكانت الزيارة بحد ذاتها مناسبة ثانوية.

وهناك **مناسبة ثالثة** لم يذكرها أحد، على حدّ علمنا، إنما تظهر من القرائن الذاتية والتاريخية. فما بين حملة بولس على الشريعة الموسوية وأهلها في القسم الأول، واعتبار اليهود « الذين في اليهودية من الكفار » (رو ١٥: ٣١) في القسم الثالث، نجد في القسم الوسيط (رو ٩ ــ ١١)، الذي لا ينسجم مع ما قبله ولا ما بعده، ثناءً عاطراً على بني إسرائيل « أهل التبني، والمجد، والعهود، والشريعة، والعبادة، والمواعيد؛ ولهم الآباء؛ ومنهم المسيح بحسب البشرية الذي هو، على كل شيء، إله مبارك إلى الدهور، آمين » (٩: ٤ ــ ٥). يردفه بفصل في قضية الأطعمة المحرمة عند بني إسرائيل، المتنصرين منهم، يطلب فيه « من الأقوياء احتمال أوهان الضعفاء » (١٥: ١) للحفاظ على وحدة الكنيسة (ف ١٤ ــ ١٥: ١٣). نظن أن هذين الفصلين (٩ ــ ١١ ثم ١٤ ــ ١٥: ١٣) **رسالة مستقلة** أملتها ظروف طرد اليهود من رومة (عام ٤٩: ٥٠)، وانعكاس ذلك على الكنيسة باستعلاء العنصر الروماني على العنصر « النصراني »، والاحتكاك بسبب إباحة الأطعمة المحرمة بالشريعة. فكتب لهم بولس في ذلك ليحملهم على احترام أهل الكتاب وضعاف الإيمان المسيحي منهم. ولمّا جمعوا رسائل بولس دمجوا الرسالتين في واحدة.

ونرى **مناسبة رابعة** في تأثير النصارى من بني إسرائيل على الكنيسة الرومانية، فكتب يحذرهم من عنصر الشقاق، ويبين لهم دور الشريعة في تاريخ الخلاص، التي عجزت مثل الحكمة الأممية عن خلاص الإنسان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فقال لهم في ختام رسالته: « أيها الأخوة، أناشدكم أن تحذروا الذين يثيرون الشقاق ويعيثون فساداً، بخروجهم على التعليم الذي تسلمتموه: فابتعدوا عنهم، فإن أمثال أولئك لا يعملون للمسيح ربنا، بل لبطونهم. ويضلون القلوب السليمة بمعسول كلامهم وتملقهم » (١٦: ١٧ ـ ١٨). لقد سبق الخطر « النصراني » بولس إلى رومة، فكان ذلك السبب الأكبر لرسالته.

تلك هي مناسبات الرسالة إلى الرومانيين.

●

ثالثاً: صحة الرسالة

إن صحة نسبة الرسالة إلى بولس لا يشك فيها أحد. فهي إنجيل بولس الأول. وبولس كله فيها. فلا مجال للطعن بصحتها المتواترة بالإسناد المتصل، والتلاوة العامة.

لكن بعضهم يشك في صحة توجيهها إلى أهل رومة، لأن كلمة « في رومة » (١: ٧ و١٥) غير مذكورة في أحد المخطوطات. لكن ذكرها في أمهات المخطوطات يدحض الشبهة. وقد أظهر العلماء أن المخطوط المذكور، مع آخر مثله، قد أدخلا بعض تعديلات في بعض التعابير لم تأخذ بها جمهرة المخطوطات.

وفي تحريض الرسالة « على الخضوع للسلطات القائمة » (رو ١٣: ١ ـ ٥) إشارة إلى مركز السلطة الرومانية؛ بينما كان يمنع في كورنثس من التقاضي لدى المحاكم الوثنية (١ كو ٦: ١ ـ ٨).

فصحة الرسالة، وتوجيهها إلى الرومانيين، ثابتان لا تقوم عليهما شبهة.

●

رابعاً: وحدة الرسالة

الرأي العام عند العلماء إن وحدة الرسالة قائمة بشهادة المخطوطات.

لكن هناك **ثلاث شبهات** على إقحام وجمع فيها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١ ـ الشبهة الأولى في **مشكل الفصول** (٩ ـ ١١) الذي يتعارض موقفها من موقف الرسالة كلها. وقد رأينا أن الموضوع والمناسبة قد يجعلانها رسالة مستقلة أُدمجت مع الرسالة الكبرى عند الجمع: فألحقوا الفصل الأول من الرسالة المستقلة (ف ٩ ـ ١١) بالقسم العقائدي؛ وألحقوا الفصل الثاني منها (ف ١٤ ـ ١٥: ١٣) بالقسم العملي. فصح الدمج ولو ظلت قرائنه ظاهرة.

٢ ـ الشبهة الثانية في **مشكل الفصل** (١٦). فالدلائل الخارجية والذاتية تشير إلى أنه ملحق بالرسالة. فبعض المخطوطات تجعل المجدلة الختامية (١٦: ٢٥ ـ ٢٧) قبله. ثم ما فيه من خصوصيات وسلامات، التي قد تعني أو لا تعني الرومانيين، لا يتلاءَم مع جلال الرسالة، وقد أرادها بولس مسكونية. وإنّ خصوصيات الفصل (١٦) تناسب أفسس أكثر من رومة التي لا يعرفها بولس.

فذكر أكيلا وبرسكلاّ (١٦: ٣ ـ ٥) إلى الأفسسيين مفهوم لأن بولس استضافهما في أفسس (أع ١٨: ٢٦ مع ١ كو ١٦: ١٩)؛ ولا يعقل أن يعودا إلى رومة، والمنع لم يزل قائماً؛ **ونجدهما في أفسس حين أسر بولس الثاني في رومة** (٢ تيم ٤: ١٩). كذلك ذكر جهاد أكيلا وبرسكلاّ لخلاص بولس من الأسر العابر في أفسس (١٦: ٣ ـ ٤).

وسلام بولس « على أبَيْنتُس حبيبي الذي هو باكورة آسيا للمسيح » (١٦: ٥)؛ « وعلى مريم التي تعبت كثيراً من أجلكم » (١٦: ٦)؛ « وعلى أنذرونيكس ويونيا نسيبي ورفيقيّ في الأسر » (١٦: ٧) ـ لا يُفهم إلاّ عند من شاهد الأسر، لا عند مَن لا يعرفه.

أخيراً إن ذكر أربع وعشرين اسماً في كنيسة لم يعمل فيها بولس أمر مستغرب؛ لكنه مستحب في كنيسة أفسس التي جاهد فيها حتى الأسر وكانوا له فيها أعواناً ومنقذين.

أخيراً أن موقف بولس في الفصل (١٦) من النصارى من بني إسرائيل، حيث يطلب مقاطعة « الذين يثيرون الشقاق ويعيثون فساداً فيما بينكم،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بخروجهم على التعليم الذي تسلمتموه » (١٦: ١٧)، يتعارض مع موقفه في الفصول (١٤: ١ ــ ١٥: ١٣) حيث يطلب إلى المسيحيين الرومانيين احتمال ضعاف الإيمان، النصارى من بني إسرائيل. هذا التعارض في الموقف يقطع بأن الفصل (١٦) ليس للرومانيين، بل للأفسسيين.

لذلك يرى بعضهم، ونحن منهم، أن الفصل (١٦) كان **ملحقاً بنسخة ثانية** من الرسالة بعث بها بولس أيضاً إلى أفسس لتعميمها، فتكون وصيته الدينية وهو يودع كهنة أفسس في ميليتس (أع ٢٠: ١٧ ــ ٣٨). وهذا سبب اضطراب موضع المجدلة الختامية في المخطوطات.

٣ ــ مشكل المجدلة الختامية (١٦: ٢٥ ــ ٢٧) هو موضوع الشبهة الثالثة. وهي مزدوجة: شبهة على صحتها، من الشبهة في موضعها. فبعض المخطوطات تذكر المجدلة الختامة بعد الفصل (١٤)؛ وبعضها مرتين بعد الفصل (١٤) و(١٦)؛ وفي بعضها لا ذكر لها. وأقدم مخطوط، وهو البردي (٤٦) ينقلها بعد الفصل (١٥). والمخطوط اليوناني اللاتيني (**G**) لا يذكرها على الإطلاق، لكنه بعد الفصل (١٤) يترك فراغاً.

فهذه الظواهر الأثرية تدل على أن الفصل (١٤: ١ ــ ١٥: ١٣). كما يظهر من الموضوع نفسه أيضاً، مقحم على الرسالة من رسالة أخرى. كذلك القول في الفصل (١٦) كما رأينا. والصلة المعنوية والموضوعية بين (١٣: ١١ ــ ١٤) وبين (١٥: ١٤) أقرب على المنطق من فوق الاقحام. وبالفعل نجد خاتمة مألوفة للرسالة عند بولس: « وليؤتكم إله الرجاء ملء الفرح والسلام في الإيمان، حتى تفيضوا رجاءً بقوة الروح القدس ». (١٥: ١٣)؛ وورود المجدلة الختامية (١٦: ١٤ ــ ٢٧) بعد هذه الآية منطقي.

أمّا الفصل (١٥: ١٤ ــ ٣٣) فهو من الرسالة الكبرى إلى الرومانيين، لاتصاله المعنوي بختام الفصل (١٣: ١١ ــ ١٤)، لأن من عادة بولس أن يخبر مَن يكتب إليهم بمشاريعه الرسولية كما في ختام الرسالة الجامعة إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأفسسيين نفسها (٦: ١٨ ــ ٢٢). وهنا يخبر أهل رومة بأنه يمر بهم وهو منطلق إلى إسبانيا (١٥: ٢٢ ــ ٢٤ ثم ٢٨ ــ ٢٩)، « فأقدم إليكم مسروراً وأستريح، إن شاء الله، في ما بينكم » (١٥: ٣٢). وهذا ما كتبه في العام نفسه إلى الكورنثيين، « أن نحمل الإنجيل إلى أبعد منكم » (٢ كو ١٠: ١٢ ــ ١٨)، كما نقل لوقا نفسه (أع ١٩: ٢١). فالفصل (رو ١٥: ١٤ ــ ٣٣) هو من صلب الرسالة، وليس مقحماً عليها، بناءً على وحدة الموقف ووحدة الزمان والمكان بين (رو ١٥: ١٤ ــ ٣٣) وبين (٢ كو ١٠: ١٢ ــ ١٨).

أمّا التردّد في **مواضع المجدلة الختامية** (١٦: ٢٥ ــ ٢٧) فليس فيه من شبهة عليها؛ ومردّه إلى محاولات جمع الرسالتين إلى الرومانيين في واحدة، مع الملحق (ف ١٦) الذي أضافه بولس حين رفع نسخة من الرسالة إلى أهل أفسس. فتلك المواضع تدل على عدد محاولات الجمع، حتى شاعت الصيغة الحالية.

بقيت الشبهة القائمة على وجود **ثلاث مجدلات في ختام الرسالة** إلى الرومانيين (١٥: ١٣؛ ١٥: ٣٣؛ ١٦: ٢٠) مع الخاتمة الكبرى (١٦: ٢٥ ــ ٢٧). وقيل في دعم الشبهة على المجدلة الختامية أن أسلوبها معقّد، وهو يذكر « السر المصون » (١٦: ١٥) وليس هذا من عادة بولس في رسائله الكبرى الكلامية، بل هو من ميزات الرسائل الصوفية. وفاتهم أن المجدلة الصغرى (١٥: ١٣) هو ختام رسالة أولى إلى أهل رومة؛ والمجدلة الثانية (١٥: ٣٣) هو ختام الرسالة الكبرى إلى الرومانيين. والثالثة (١٦: ٢٠) دعاء مقحم سقط في أكثر المخطوطات. والمجدلة الختامية (١٦: ٢٥ ــ ٢٧) هي ختام الملحق (ف ١٦) الذي ألحقه بولس بنسخة ثانية من الرسالة إلى الرومانيين، بعث بها إلى الأفسسيين؛ ويفهم فيها ذكر « السر المصون، في بلاغ يسوع المسيح » كما يعلنه « إنجيلي » (١٦: ٢٥) إلى كنائس آسيا بواسطة أفسس، مواطن ديانات « السرّ ». والتعقيد المذكور في المجدلة الختامية الكبرى هو من أساليب بولس، ومن الإعجاز في الإيجاز.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فظاهرة المجدلات الثلاث في الخواتيم دليل على صحة نظرية القائلين بأن الرسالة إلى الرومانيين مجموعة رسالتين إليهم مع ملحق (ف ١٦) إلى أهل أفسس. وفي هذا الملحق وضع بولس نفسه الختم على وحدة الرسالة بأسلوب التصدير في التأليف بين فاتحة الرسالة (١: ١ ـ ٧) وخاتمتها (١٦: ٢٥ ـ ٢٧) تفكيراً وتعبيراً. فكانت النسخة إلى الأفسسيين هي التي شاعت وحفظت.

فهذا التفصيل الفني لا يضير وحدة الرسالة الموضوعية والأسلوبية والبيانية. لكنه يفسر ما فيها من قرائن وما على وحدتها من شبهات، تستند إلى موضع المجدلة الختامية في المخطوطات. ومشكل الرسالة في وحدتها لا يطعن في صحتها.

●

خامساً: غاية الرسالة ـ دفاعية أم تعليمية؟

يميل **الأقدمون** إلى اعتبار الرسالة إلى الرومانيين **دفاعية** عن إنجيل بولس، والإنجيل على الإطلاق، لدى أهل رومة عاصمة المسكونة.

فقد رأى بعضهم أن بولس تبلّغ خبر وصول بعض النصارى من بني إسرائيل، من « الأخوة الكذبة » الذين يقاومونه في كل مدينة، إلى رومة؛ وبلغه دسّهم فيها لتهويد الإنجيل والمسيحيين؛ فكتب إلى الرومانيين يحذرهم ويدافع عن صحة الإنجيل ببيان فضله، كما يدعو به بولس، على اليهودية والوثنية معاً.

ورأى بعضهم، مع أوريجين، أن كنيسة رومة كانت مؤلفة بنسبة كبيرة من يهود وأمميين، وأن الخلاف بدأ يدب فيها بين الفريقين، كما تشير استعارته للأقوياء والضعفاء (رو ١٤: ١) فكتب بولس إليهم جميعاً مبيّناً فضل المسيحية على الحكمة والشريعة، مع فضل الموسوية وبني إسرائيل في تاريخ الخلاص؛ وهذا هو سبب الفصل المخصص لبني إسرائيل (٩ ـ ١١). وهو يدعو بذلك إلى السلام والوحدة بين الفريقين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكلا الهدفين صواب، كما رأينا أن الرسالة مجموعة رسالتين تحملان الهدفين.

لكن **العلماء المحدثين** يرون أن الرسالة إلى الرومانيين **تعليميــة**، كما يبدو من طابعها العام، ومن جامعيتها، ومن شمولها لعقيدة الإنجيل بحسب تفصيل بولس. فهــو؛ بعــد خبــرة عشرين سنة، وعلى مفترق الطرق بين الدعوة في المشرق، ومطلع الدعوة في المغرب، يجمع تعليمه المتواتر في موقف الإنجيل من الموسوية والوثنية، ويظهر فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة، بإعلان الخلاص في الإيمان. لقد فصّل إلى الغلاطيين فضل الإنجيل على الشــريعة؛ وإلى الكورنثيين فضل الإنجيل على الحكمة؛ وها هو هنا يجمع في رسالة طويلــة مدروســة مفصلة تفصيلاً محكماً فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة معاً، كما يظهر مــن الموضــوع المعلن في فاتحتها (١: ١٦: ١٧).

ونحن نرى أنها **تعليمية دفاعية معاً**، بحسب أسلوب بولس المتــواتر، المســمّى **فــن الادماج**، في البيان؛ أي ادماج غرض بغرض: التعليم في معــرض الــدفاع، أو الــدفاع فــي معرض التعليم. هكذا أظهر بولس للغلاطيين فضل الإنجيل على الشريعة والختان في معرض الدفاع عن دعوته؛ كما أظهر للكورنثيين فضل الإنجيل على الحكمة في معرض الــدفاع عــن طريقته في تبشيرهم. كذلك يبيّن للرومانيين فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة معــاً، فــي معرض دعوتهم إلى التفاهم والسلام بين الفريقين المهتدين من اليهود والأمميين؛ مع بيان دور إسرائيل في تاريخ الخلاص والإنجيل. فالرسالة تعليمية دفاعية معاً، كما يظهر من موضوعها المعلن في فاتحتها: « إني لا أستحي بالإنجيل، لأنه قدرة الله لخلاص كل مؤمن، لليهودي أولاً ثم للهليني » (١: ١٦).

●

سادساً: مكان الرسالة وزمانها

النقطة التاريخية الثابتة في تزمين رحلات بولس هي لقاؤه مع غاليون والــي أخائيــة، في كورنثس عام ٥٢، في زيارة بولس الأولى لكورنثس. ودام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رجوع بولس إلى أنطاكية، وقيامه برحلته الرسولية الثالثة، وإقامته في أفسس سنتين ونيف، ثم إقامته ما بين مقدونية وكورنثس نحو سنة: فهذه أربع سنوات تقودنا إلى شتاء عـام ٥٧ ــ ٥٨ في كورنثس. ففي هذا الشتاء، وهذه الإقامة في كورنثس، كتب الرسالة إلى الرومانيين (وفـي نظرنا الثانية الكبرى فيها) كما تدل القرائن عند لوقا (أع ١٩: ٢١؛ ٢٠: ١ ــ ٣) وعند بولس (٢ كو ١: ١٥). وغادر اليونان وآسيا الرومانية في زمن الفصح عام ٥٨، « وكـان يعجـل حتى يكون في أورشـليم يوم العنصرة، إن أمكنه » (أع ٢٠: ١٦). يكتب إلى الـرومانيين: « **أما الآن فأنا منطلق إلى أورشليم**، لأخدم القديسين، لأن أهل مقدونية وأخائية قد استحسـنوا أن يجمعوا صدقة لفقراء القديسين الذين في أورشليم » (رو ١٥: ٢٥).

فيتضح من هذه القرائن أن بولس كتب الرسالة إلى الرومانيين **من كورنثس**، في شتاء ٥٧ ــ ٥٨.

•

سابعاً: أسلوب الرسالة

لا يستغرب أن يكتب بولس باليونانية إلى الرومانيين، ولغتهم القومية اللاتينية، إلاّ من يجهل أن اللغة اليونانية كانت لغة الشعب في عواصم المسكونة مع اللغات القوميـة. وتكـوين العاصمة رومة، الخليط من قوميات مختلفة، كما نعرف من المؤرخين الرومـانيين أنفسـهم، يرغمهم على التخاطب بلغة شائعة في المسكونة كلها. ففـتح الرومـان العسـكري لمخلفـات الإمبراطورية اليونانية، كان انفتاحاً على لغتها وثقافتها الشائعتين في المسكونة.

وبما أن بولس يكتب إلى عاصمة المسكونة، فقد قـدّر المناسبة التي اختارها لتـرويج « إنجيله » في العالم الإغريقي الروماني. فجاءَت **لغة الرسالة من اليونانية الجزلة**، تميل إلى الأناقة أكثر منها إلى الحديث الشعبي، فليس فيها تعابير شعبية. **والأسلوب الإنشائي** فيها يمثـل بولس في أوج التأليف، من بيان وتبيين، وإيجاز وإعجاز.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتمتاز الرسالة بأسلوبها **الكلامي والخطابي**، فهي موجز « إنجيل » بولس. ويبرز فيها أسلوب **الحوار الجدلي** الذي أشاعه أهل الرواق بين المثقفين وكتاب العصر. فاستعارة بولس له طبيعة، ولا تدل على تبعيّة.

كلّم بولس أهل الكتاب بلغة الكتاب، وأهل الحكمة بلغة الحكمة، وبعد قليل أهل الغنوص بلغة الغنوص ــ على سبيل الاستخدام ــ وها هو يكلّم الرومانيين بلغة **القانون**، فيصف المسيحية بأنها « عدل الله »، أو كما يقول الكتاب « برّ الله »، في تعبير يوناني يعني الاثنين معاً. وتنوع الأسلوب في الخطاب يدل على **عبقرية بولس** اللغوية والبيانية النادرة.

فعنده من الإعجاز البياني أسماه، في **فن الادماج**، كما رأينا؛ وفي **الاقتدار الفني** الذي يجمع فنونا أدبية في خطاب واحد.

فالرسالة إلى الرومانيين هي **دُرّة الكلام المسيحي** في نشأته لتفصيل الإنجيل. يتخللها **البرهان** بأسلوب الحوار الجدلي على الطريقة الإغريقية (٢: ١ ــ ٢٥)؛ والاستدلال بالكتاب على الطريقة التلمودية (٣: ١ ــ ٢٠؛ ٤: ١ ــ ١٥؛ ٩ ــ ٦ ــ ١١: ١). فقد جمع الثقافتين.

وإلى الكلام والخطابة والبيان، جمع الشعر المرسل أحياناً، والمنظوم حيناً، ما بين الأناشيد الدينية (٨: ٣١ ــ ٣٩) والتسابيح الإلهية (١: ١ ــ ٧؛ ١٦: ٢٥ ــ ٢٧) والتحريض على الفضيلة (٦: ١ ــ ١٤؛ ١٢: ١ ــ ٢١؛ ١٣: ١١ ــ ١٤). فكان بولس « رب البيان وسيد القلم » بارتجاله هذه الرسالة، « ما بين الاهتمام بجميع الكنائس ».

فكان أسلوب الرسالة العام، « الإنشاء الشفوي السامي، **المنظوم والموزون**، من خلال اللغة اليونانية التي يستخدمها بولس[1] ».

●

---

(1) E. Morden : De Antike Kunsprosa, p 492.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثامناً: موضوع الرسالة

إن الرسالة، بحالتها الراهنة، وحدة بيانية كلامية، كما يدل عليها التصدير والاختتام الواحد (١: ١ ــ ٧ مع ١٦: ٢٥ ــ ٢٧).

وموضوعها الأساسي واحد، وهو فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة، على الموسوية والوثنية، كما يعلن في طرح القضية: « الإنجيل هو قدرة الله لخلاص كل مؤمن، لليهودي أولاً ثم للهليني، لأن برّ الله يتجلّى فيه من إيمان إلى إيمان » (١: ١٦ ــ ١٧)، من إيمان بالوحي وبالعقل، إلى الإيمان بالمسيح، الذي فيه الخلاص، بالحصول على برّ الله وعدله فينا ــ وهذا ما فات الأمميين، ولم يدركه أهل الكتاب اليهود.

وفي الرسالة الجواب الشافي على المشكلة الإنسانية الدائمة، قصة الشر والخلاص بلغة الحكمة، أو الإثم والبر بلغة الشريعة، التي كانت تشغل العقل الإنساني في منتصف القرن الأول ــ وستشغله أبد الدهر.

والموضوع يبحثه بولس من **نواحيه الثلاث**: القضية الكلامية في الإنجيل والإنسان (١: ١٨ ــ ٨ : ٣٦)؛ والقضية التاريخية في الإنجيل وإسرائيل (٩: ١ ــ ١١: ٣٦)؛ والقضية السلوكية في الإنجيل والمسيحي، « الخليقة الجديدة » (١٢: ١ ــ ١٥: ١٤)، كما سنرى في تحليل الرسالة.

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل الرسالة الرومانية

براعة الاستهلال: من موجزٍ في الإيمان إلى طرح الموضوع (١: ١ ــ ١٧).

١) السلام الفخم من رسول إنجيل ابن الله (١: ١ ــ ٧).

٢) التخلص: شوقه لزيارتهم، لإشراكهم بنعمة الإنجيل (١: ٨ ــ ١٥).

٣) الموضوع: الخلاص والبرّ[1] في الإيمان بالإنجيل (١: ١٦ ــ ١٧).

---

(١) تعبير « الخلاص » هلنستي، و« البر » كتابي؛ جمعها بولس ليظهر لأهليهما فضل الإنجيل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القسم الأول: الإنسان والإنجيل (١: ١٨ ــ ٨: ٣٩)

فصل أول[١]: **واقع البشرية**، ما بين عهد النقمة وعهد النعمة (١: ١٨ ــ ٤: ٢٤).

أوّلاً: شقاء الإنسان بدون المسيح في عهد النقمة (١: ١٨ ــ ٣: ٢٠).

١ ــ شقاء الإنسان الأممي ــ **عهد غضب** الله (١: ١٨ ــ ٣٢).

١) الدرك الأول: جهلوا الله وتجاهلوه، فأهملهم في كفرهم (١: ١٨ ــ ٢٣).

٢) الثاني: عبدوا أنفسهم من دون الله، فأسلمهم إلى فضيحة أجسادهم (١: ٢٤ ــ ٢٧).

٣) الثالث: انغمسوا في الإم، فتركهم إلى فساد رأيهم (١: ٢٨ ــ ٣٢).

٢ ــ حكم الله ما بين الأممي واليهودي (٢: ١ ــ ١٦).

١) لا يحق لأحد أنْ دين غيره وهو معه في الإثم سواء (٢: ١ ــ ٤).

٢) ففي يوم الدين سيجازي الله كل إنسان بحسب عمله (٢: ٥ ــ ١١).

٣) يدين ابن الشريعة بموجبها، وابن الناموس الطبيعي بموجبه (٢: ١٢ ــ ١٦).

٣ ــ شقاء الإنسان اليهودي ــ عهد **صبر الله**، في زمن الشريعة (٢: ١٧ ــ ٣: ٢٠).

١) فخر اليهودي بالشريعة والختان لم يعصمه من معصية الله (٢: ١٧ ــ ٢٩).

ــ فخر اليهودي بالتوحيد والشريعة لم يعصمه من المعصية كغيره (٢: ١٧ ــ ٢٤).

ــ فخر اليهودي بالختان لم ينفعه فالأصل ختان القلب (٢: ٢٥ ــ ٢٩).

---

(٢) في هذا الفصل الرائع يصف بولس الواقع المخزي للإنسان الأممي، في عهد الغضب عند الأممي، وعهد الصبر عند الكتابي، فتظهر حاجة البشرية إلى المسيح ــ وذلك بأسلوب شرعي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) لذلك فلا فخر لليهودي بالشريعة والختان (٣: ١ ـ ٩).

ـ فقد أضاع فخره بالشريعة والختان، بسبب معصية الله (٣: ١ ـ ٨).

ـ لقد عمت المعصية البشرية كلها، فلا فخر لليهودي على الأممي (٣: ٩).

٣) تلك شهادة الكتب نفسه (٣: ١٠ ـ ٢٠).

ـ فالكتاب يجعل اليهودي مثل غيره تحت سلطان الخطيئة (٣: ١٠ ـ ١٨).

ـ لأنه بالشريعة زادت معرفة الخطيئة، لا ممارسة البرّ (٣: ١٩ ـ ٢٠).

ثانياً: خلاص الإنسان إنما هو بالمسيح في عهد النعمة (٣: ٢١ ـ ٥: ١١).

١ ـ الآن ظهر برّ الله بالإيمان، لا بالشريعة (٣: ٢١ ـ ٣١).

١) إذ الجميع خطئوا، فهم بحاجة إلى الله (٣: ٢١ ـ ٢٤).

٢) فالمسيح جعله الله فدية بدمه، لننال البر بالإيمان به (٣: ٢٥ ـ ٢٦).

٣) فالإنسان يتبرّر بالإيمان، لا بالشريعة، لأن الله رب العالمين (٣: ٢٧ ـ ٣١).

٢ ـ برهان الكتاب على التبرير بالإيمان: مثل إبراهيم (٤: ١ ـ ٢٥).

١) إبراهيم تبرّر بالإيمان، لا بالشريعة من بعده ـ شهادة المزمور (٤: ١ ـ ٨).

٢) وأخذ سمة الختان، بفضل الإيمان، من قبل الشريعة (٤: ٩ ـ ١٢).

٣) ونال العهد لوراثة العالم، بقوة الإيمان، لا بقوة الشريعة (٤: ١٣ ـ ١٦).

ونال الوعد بأن « يكون أباً لأمم كثيرة » بالإيمان لا بالشريعة (٤: ١٥ ـ ٢١).

٣ ـ فالسلام والمصالحة مع الله هما بالإيمان بالمسيح (٥: ١ ـ ١١).

١) فلنا السلام مع الله، بالمسيح، في الروح القدس المقيم فينا (٥: ١ ـ ٥).

٢) فموت المسيح لأجلنا، برهان محبة الله لنا (٥: ٦ ـ ٩).

٣) وهكذا نلنا المصالحة مع الله، بموت ابنه عنّا (٥: ١٠ ـ ١١).

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فصل ثان[1]: سبب واقع البشرية ما بين عهد النقمة وعهد النعمة (٥: ١١ ــ ٢١)

(أصل الشر والخير في البشرية)

استهلال: فضل المصالحة مع الله ليسوع المسيح (٥: ١١).

١ ــ أصل شقاء الإنسان في خطيئة آدم الأول (٥: ١٢ ــ ١٤).

٢ ــ استطراد وتخلّص: مقارنة ثلاثية بين الخطيئة والنعمة (٥: ١٥ ــ ١٧).

٣ ــ أصل خلاص الإنسان بفداء المسيح، آدم الجديد (٥: ١٨ ــ ٢٠).

ختام: سيادة الخطيئة بالموت، وسيادة النعمة بالحياة في المسيح (٥: ٢١).

●

فصل ثالث[2]: حالة الخلاص والبرّ في المسيح (٦: ١ ــ ٨: ٣٩)

أولاً: سلبيّاً، في التحرير من الموت والخطيئة والشريعة (٦ ــ ٧).

١ ــ التحرير من الموت إلى حياة جديدة في المسيح (٦: ١ ــ ١٤).

١) بالعماد نموت مع المسيح لنقوم معه إلى حياة جديدة (٦: ١ ــ ٨).

٢) فالمسيح الحي لا سلطان للموت عليه، كذلك المسيحي (٦: ٩ ــ ١١).

٣) فلا تخضعوا للموت بتسلط الخطيئة عليكم (٦: ١٢ ــ ١٤).

٢ ــ التحرير من الخطيئة إلى البر والقداسة (٦: ١٥ ــ ٢٣).

١) الخادم عبد سيده كذلك من يسلك سبيل الإثم أو البر (٦: ١٥ ــ ١٦).

٢) فالحمد لله الذي حررنا من عبودية الخطيئة إلى القداسة (٦: ١٧ ــ ١٩).

٣) فأثمروا ثمار القداسة التي تقود إلى الحياة الأبدية (٦: ٢٠ ــ ٢٣).

---

(١) هذا الفصل الصغير حير موقعه العلماء، برده إلى ما قبله أو ما بعده. إنه مستقل، يعطي السبب الأصيل لواقع البشرية ما بين عهد النقمة وعهد النعمة؛ فهو محور ما قبله وما بعده ــ وذلك بأسلوب صوفي.

(٢) في هذا الفصل يستخدم بولس الأسلوب الروحي لبيان ماهية التدبير بالمسيح ومفاعيله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ــ التحرير من الشريعة[١] إلى نظام النعمة (٧: ١ ــ ٢٥).

١) تحرر الإنسان من الشريعة كما تتحرر المرأة بموت زوجها (٧: ١ ــ ٦).

٢) فالشريعة، مع قداستها بذاتها، ساعدت بالمعرفة على الخطيئة (٧: ٧ ــ ١٢).

٣) فلم تكن الشريعة فاسدة، بل عاجزة بعجز الطبيعة (٧: ١٣ ــ ٢٥).

ثانياً: إيجابياً، في الحياة بالروح القدس (٨: ١ ــ ٣٠).

١ ــ شريعة الروح تحررنا من شريعة الخطيئة والموت (٨: ١ ــ ١١).

١) ما عجزت عنه الشريعة فعله المسيح لينقلنا إلى عهد الروح (٨: ١ ــ ٤).

٢) لأن سلطان الجسد يقود إلى الموت والروح إلى الحياة (٨: ٥ ــ ٨).

٣) فلستم بعد في حكم الجسد بل صرتم في حكم الروح (٨: ٩ ــ ١١).

٢ ــ الحياة في الروح تقتضي السلوك بحسب الروح (٨: ١٢ ــ ١٧).

١) من يسلك بحسب الجسد يموت، ومن يسلك بحسب الروح يحيا (٨: ١٢ ــ ١٣).

٢) فإن أبناء الله يقودهم روح الله (٨: ١٤ ــ ١٥).

٣) والروح عينه يشهد لأرواحنا أنا أبناء الله وورثته (٨: ١٦ ــ ١٧).

٣ ــ ننتظر بالروح، مع الخليقة كلها، تجلّي أبناء الله (٨: ١٨ ــ ٣١).

١) الخليقة تنتظر معنا تجلي أبناء الله، لتخلص من الفساد (٨: ١٨ ــ ٢١).

٢) فإنها تئن بانتظار تحريرها، كما ننتظر فداء أجسادنا (٨: ٢٢ ــ ٢٥).

٣) والروح يعضد ضعفنا بأنات معجزة لتجلّي أبناء الله في المجد (٨: ٢٦ ــ ٣٠).

خاتمة القسم الأول: نشيد الحمد لمحبة الله في المسيح (٨: ٣١ ــ ٣٩).

۞ ۞ ۞

---

(١) في الفصلين (٧ و٨) مقابلة ثالثة: شقاء الإنسان تحت شريعة الحرف (٧) خلاص الإنسان بشريعة الروح (٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القسم الثاني: إسرائيل والإنجيل (٩: ١ ــ ١١: ٣٢)

فاتحة: فضل بني إسرائيل، أهل الكتاب، على العالمين[١] (٩: ١ ــ ٥).

فصل أول: واقع كفر إسرائيل بالمسيح وانتباذه مسطور في الكتاب (٩: ٦ ــ ٣٣)

١ ــ مواعيد الله ليست لبني إسرائيل كلهم، بل للبقية المؤمنة بالمسيح (٩: ٦ ــ ١٣).

٢ ــ كفرهم لا يطعن بعدل الله في نبذهم، فهو حر في اصطفائه (٩: ١٤ ــ ١٧).

٣ ــ ولا اعتراض على حكم الله في تفضيل الأمميين، واختيار القلة من بني إسرائيل (٩: ١٨ ــ ٢٩).

ختام وتخلّص: سقط إسرائيل لكفره بالمسيح، صخرة الإيمان (٩: ٣٠ ــ ٣٣).

●

فصل ثان: سبب انتباذ إسرائيل هو كفرهم بالمسيح، غاية الشريعة (١٠: ١ ــ ٢)

١ ــ غاية الشريعة المسيح ففضلوا الكفر على الإيمان به (١٠: ١ ــ ١١).

٢ ــ لم يفهموا بأن الشريعة قومية، والإيمان للجميع (١٠: ١٢ ــ ١٥).

٣ ــ لم يؤمن أكثرهم بالإنجيل، وتمردوا على دعوة المسيح العالمية (١٠: ١٦ ــ ٢١).

●

فصل ثالث: سر انتباذ إسرائيل مرهون بهداية الأمميين (١١: ١ ــ ٣٢)

١ ــ الله لم يرفض شعبه، بل اصطفى منه البقية الناجية (١١: ١ ــ ١٠).

---

(١) هذه الفاتحة، بعد بيان عجز الشريعة ونسخها، تبدو نافرة في الرسالة، خصوصاً قبل التحذير من النصارى من بني إسرائيل الذي يلي (١٦: ١٧ ــ ٢٠). لذلك فالقسم كله (٩ ــ ١١) رسالة مستقلة أدمجت هنا ــ فيها أسلوب رابع تاريخي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ـ إيمان الأمميين تطعيم لهم مكان الفروع المقطوعة: فلا فخر (١١: ١١ ـ ٢٤).

٣ ـ سر الله في مصير إسرائيل: سيرجعون إلى المسيح متى آمن ملء الأمميين (١١: ٢٥ ـ ٣٢).

خاتمة القسم الثاني: نشيد الحمد لحكمة الله المعجزة (١١: ٣٣ ـ ٣٦).

۞ ۞ ۞

القسم الثالث: المسيحي والإنجيل

فاتحة: الحياة المسيحية هي تقديم الذات عبادة روحية لله (١٢: ١ ـ ٢).

فصل أول: حياة الفرد المسيحي (١٢: ٣ ـ ٢١).

١ ـ التواضع في تقدير الذات (١٢: ٣ ـ ٥).

٢ ـ استخدام المواهب الروحية عند الفرد لصالح الجماعة (١٢: ٦ ـ ٨).

٣ ـ المعاملة المتبادلة بروح المحبة في كل شيء (١٢: ٩ ـ ٢٠).

●

فصل ثان: علاقة المسيحي بالدولة الكافرة (١٣: ١ ـ ٧).

١ ـ لا سلطان إلاّ من الله، والسلطات القائمة أرادها الله (١٣: ١ ـ ٢).

٢ ـ السلطان خادم الله للخير، فلا يخافه إلاّ أهل الشر (١٣: ٣ ـ ٥).

٣ ـ فيجب أداء الواجبات المدنية للسلطات القائمة (١٣: ٦ ـ ٧).

●

فصل ثالث: حياة المجتمع المسيحي (١٣: ٨ ـ ١٤)

١ ـ تقوم على شرعة المحبة، لأنها كمال الشريعة[1] (١٣: ٨ ـ ١٠).

---

(١) بولس، مثل المسيح، يقتصر الشريعة على الوصايا العشر، ويوجزها مثله في شريعة المحبة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ــ الحياة المسيحية جهاد، فالبسوا لها أسلحة النور (٣: ١١ ــ ١٢).

٣ ــ ولنسلكنّ السلوك اللائق بالذين لبسوا المسيح (١٣: ١٣ ــ ١٤).

●

استطراد: مشكل الحلال والحرام في الأطعمة والأزمنة (١٤: ١ ــ ١٥: ١٣).

١ ــ لا جدال مع الضعيف[٢] في الإيمان في ما أباحه الإنجيل (١٤: ١ ــ ٩).

٢ ــ فالله هو الذي يدين كل واحد بحسب ضميره (١٤: ١٠ ــ ٢٣).

٣ ــ فلنحتمل بعضنا بعضاً على مثال السيد المسيح (١٥: ١ ــ ٦).

خاتمة خاصة: دعوة للوحدة، في نشيد لها (١٥: ٧ ــ ٣).

●

خاتمة الرسالة: أخبار بولس ومشاريعه (١٥: ١٤ ــ ٣٣).

استهلال: رسالتي إليكم خدمة كهنوتية لإنجيل الله (١٥: ١٤ ــ ١٦).

١ ــ بعد التبشير من أورشليم إلى إيليريكون كتبت إليكم (١٥: ١٧ ــ ٢١).

٢ ــ نقل الدعوة إلى الغرب يحملني على المرور بكم (١٥: ٢٢ ــ ٢٤).

٣ ــ الآن أذهب إلى أورشليم، فصلوا لأنجو من كفارها (١٥: ٢٥ ــ ٢٢).

ختام: « فليكن إله السلام معكم أجمعين. آمين » (١٥: ٢٣).

---

(١) استطراد مقحم بين (١٣: ١٤) وبين (١٥: ١٤) حيث ختام الرسالة. فهذا الاستطراد فصل من رسالة سابقة.

(٢) الأقوياء في الإيمان هم المسيحيون من الأمميين الذين تحرروا من شريعة موسى؛ والضعفاء في الإيمان هم النصارى من بني إسرائيل الذين يعملون بها مع الإنجيل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ملحق بالرسالة[١]: تحيات وتحذير (١٦: ١ ــ ٢٣).

استهلال: توصية بالسيدة فيبة (١٦: ١ ــ ٢).

١ ــ تحيات بولس إلى أشخاص وجماعات (١٦: ٣ ــ ١٦).

٢ ــ تحذير من أهل الشقاق، النصارى من بني إسرائيل (١٦: ١٧ ــ ٢٠).

ختام الملحق: « نعمة ربنا يسوع المسيح معكم » (١٦: ٢٠).

ختام الرسالة الأصيلة: تحيات كاتب الرسالة وأعوان بولس (١٦: ٢١ ــ ٢٤).

فصل الخطاب[٢]: المجدلة **الختامية** الفخمة لإعلان سر ابن الله (١٦: ٢٥ ــ ٢٧).

۞ ۞ ۞

(١) ختم بولس الرسالة في (١٥: ٢٣) فالفصل (١٦) ملحق بها. وغرائبه في تحياته إلى ٢٧ شخصاً في كنيسة لم يعمل فيها؛ وفي تحذيره من النصارى من بني إسرائيل المبلبلين، وهو يختلف عن دعوته لاحتمال الضعفاء في الإيمان (١٤: ١ ــ ١٥: ٢٣) التي تقصدهم. فالتحيات والتحذيرات تنطبق على أفسس أكثر منها إلى رومة؛ لذلك نرى أن هذا الملحق أضيف إلى الرسالة الرومانية، في نسخة ثانية منها إلى أهل أفسس، سلمها إلى كهنتها ورعاتها لما استدعاهم إلى ميليتس ليودعهم، وهو في طريقه إلى أورشليم.

(٢) هذه الخاتمة إعادة لفاتحة الرسالة، في سر إنجيل ابن الله. وبسبب الخواتيم الثلاثة (١٥: ١٣؛ ١٥: ٢٣؛ ١٦: ٢٠) لا ندري أي رسالة إلى رومة نختمها (١٦: ٢٥ ــ ٢٧). لكن جلالها وتعقيدها شبيهان بالفاتحة. وبما أن آية الختام (١٦: ٢٠) ساقطة في كثير من المخطوطات، فإن المجدلة الختامية الكبرى (١٦: ٢٥ ــ ٢٧) هي على الأرجح خاتمة النسخة التي سلمها بولس إلى أهل أفسس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثالث: تعليم الرسالة الرومانية

توطئة: الرسالة الرومانية أول تفصيل للإنجيل

تفصيل الإنجيل نجده في **أربع رسائل:** الرومانية والأفسسية والعبرانية والحناوية. وكل واحدة منها تُظهر ناحية من الدعوة الإنجيلية في أعماقها وأبعادها. والرسالة الرومانية هي **المحاولة الأولى والكبرى** لفهم سر الإنجيل وعرْضه، بوحي الروح القدس وعبقرية بولس.

ففيها يبين بولس موقف المسيحية من الوثنية الحاكمة المتحكمة ومن الموسوية القائمة شريعة مغلقة؛ ويظهر فضلها على الأديان قاطبة في قضية الخلاص وقصة الإيمان على الأرض. فإن المسيحية وحدها: تعطي الخلاص الحقيقي ــ في سر الله الحق ــ بالإيمان بالمسيح الفادي، ابن الله وابن داود معاً ــ وذلك بالفداء بصليبه وقيامته ــ اللذان نشترك فيهما بالإيمان والعماد ــ ونحيا فيهما بالروح القدس ــ لمجد الله الآب. **دستور إيمان من سبع مواد.**

هذا ما يسميه بولس « إنجيلي ». وقد ورث جوهره عن الرسل، بعد أن كشف له الله الآب « ابنه » في رؤية المسيح في مجده السماوي على طريق دمشق، وأوضحه له من بعد « بالرؤى والإيحاءات » المتواترة، خصوصاً في إسرائه إلى الفردوس في السماء الثالثة. فقد ظل عشر سنوات ونيف في خلوتين يتأمله، وأمضى خمس عشرة سنة في الدعوة له في عوالم متعددة مختلفة: العالم الإسرائيلي والعالم السوري، والعالم الأسيوي، والعالم الإغريقي؛ على ثقافتين مختلفتين متكاملتين فيه، الكتابية والهلنستية.

إن حصيلة الوحي والتأمل والدعوة مدة خمس وعشرين سنة يزقها بولس إلى عاصمة المسكونة لتشع منها على المسكونة كلها، في رسالة كلامية بليغة، هي أكمل تفصيل للإنجيل وعلى أساسه بنيت الرسائل الأفسسية والعبرانية والحناويّة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فنقدر أن نسمّيها بحق: « الإنجيل الكلامي » أو حكمة الإنجيل بحسب بولس.

●

أولاً: فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة

الديانتان اللتان كانتا سائدتيْن في المسكونة هما الوثنية الحاكمة بحكمتها، وقد بلغت أوجها في تلقيح الفكر اليوناني بالحكمة المشرقية فتولدت منهما الغنوص؛ والموسوية المتغلغلة بشريعتها في زواياها، دولة ضمن الدولة في كل مكان. وها المسيحية تحاول السيطرة عليهما بالدعوة الإنجيلية متحديةً عجزهما عن توفير الخلاص الحقيقي الذي تنشده البشرية كلها.

فأظهر بولس في **ثلاث لوحات:** عجز الوثنية والموسوية عن تقديم الخلاص المنشود؛ مع قصة الإيمان على الأرض؛ ودور الشريعة الموقوت القاصر عن الخلاص.

١ ـ عجز الشريعة والحكمة عن توفير الخلاص للإنسان

يفتتح بولس رسالته بصورة رائعة لواقع البشرية بدون المسيح، وخلاصها المنشود بالمسيح. ففي تاريخ الإنسان بدون المسيح عهدُ الشقاء واللعنة، يلمس فيه حاجته إلى المسيح المخلص، سواءٌ عند أهل الكتاب أم عند « الأمّيين ».

١) ففي **كتاب الخلق** كشف الله للإنسان بالتكوين والكون، ما يمكن أن يعرفه عنه بعقله: فإن صفاته غير المنظورة، من وحدانية وقدرة أزلية، تُبصر منذ خلق العالم مدركة من خلال المخلوقات » (رو ١: ١٩ ــ ٢٠). لكن الإنسان، حتى في العقل الإغريقي الروماني الذي أدرك ذلك الوحي الطبيعي لله لم يمجده كإله، بل عبد المخلوق من دون الخالق، وذلك في صور يستحي منها عقل الإنسان.

وسقط الإنسان، مع حكمته، إلى دركات ثلاث: جهلوا وتجاهلوا الله، فأهملهم إلى ضلال فكرهم (١: ١٨ ــ ٣٣)؛ ركّزوا اهتمامهم على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أنفسهم، فأسلمهم إلى فضيحة أجسادهم بأنفسهم (١: ٢٤ ــ ٢٧)؛ انغمسوا في كل الرذائل، فتركهم يتخبطون خبط عشواء في تقدير الحلال والحرم، وصحة السلوك القويم (١: ٢٨ ــ ٣٢).

تلك اللوحة المظلمة (١: ٢٩ ــ ٣٠) لجرائم الوثنية والشرك، نجد لها مثيلاً لدى فلاسفة العصر. فحالهم في تفكيرهم وسلوكهم برهان قاطع على عجز الحكمة البشرية عن الخلاص المنشود.

فأبرز بولس من خلالها هذا الوصف **ثلاث حقائق:**

قدرة العقل في المخلوق على معرفة الخالق، من كتاب الخلق. وهو تعليم متواتر منذ « حكمة سليمان »، كان يدعو به حكماء اليهود، مثل فيلون، في البيئات الوثنية والمشركة. ولكن بولس امتاز عليهم بتبيان تأثير السلوك الفاسد على العقل السليم.

صوت الضمير الذي يعمل بالفطرة. استخدم بولس عن الهلنستية تعبير « الضمير » ــ وإن وصف الكتاب صوت الضمير منذ قايين ــ لكن تعليم بولس في **شريعة الضمير** المغروزة في الفطرة هو إحدى عبقريات عقله الجبار المستنير بنور الله. فهو يقول: « إذا ما عمل الأمميون، الذين ليس عندهم الشريعة (الموسوية)، بما هو في الشريعة، فهؤلاء الذين لا شريعة لهم، هم شريعة لأنفسهم: إذ يُظهرون أن **أحكام الشريعة مكتوبة** في قلوبهم؛ **وضميرهم يشهد؛** وأفكارهم تشكوهم أو تحتج عليهم » (٢: ١٤ ــ ١٥). فكما أن لله كتاب الخلق، فله أيضاً شريعة الفطرة؛ والضمير الإنساني شاهد عدل على وجودها؛ والعقل يؤيدها بسنن التحليل والتحريم.

صلة السلوك بالحقيقة، وتفاعلها سلباً وإيجاباً، شراً أو خيراً. كان سقراط يعلّم أن أصل الخطيئة خطأ في الرأي. لكن بولس تخطى سقراط فأبان تأثير السلوك على الحقيقة بالتأييد أو الانحراف. وهذا تعليم الوحي الإنجيلي (يوحنا ٣: ١٩ ــ ٢١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فالوثنيون والمشركون هم « تحت سلطان الخطيئة » (٣: ٩) ويعيشون في جاهليتهم **عهد غضب الله** ولعنته.

٢) **وفي كتاب الوحي** نال إسرائيل الشريعة، فصار « يدّعي أنه قائد العميان، ونور المظلمين، ومؤدب الجاهلين، ومعلم الصبيان؛ لأن له في الشريعة صورة العلم والحق » (٢: ٩ ـ ١٠). أجل يجد إسرائيل في الشريعة قانون معرفة الله وأحكامه؛ لكنه سلك، على خلاف الشريعة، سلوك الوثنيين، فاستحق مثلهم غضب الله. أمّا الله، « بسبب الآباء » صبر عليهم حتى يأتي المسيح المصطفى. فلما أتى وكفروا به، باؤوا بغضب على غضب؛ وانتهى **عهد الصبر**.

ونشعر بثورة اليهود، أهل الكتاب، على تحدي بولس لهم بمساواتهم في سلوكهم بالمشركين، الذين لا كتاب لهم ولا شريعة منزلة. فيجيب: إن الله تعالى كما فطر على معرفته في كتاب الخلق، وأنزلها في كتاب الوحي؛ كذلك فطر شريعته في الطبيعة البشرية كما يشهد الضمير الإنساني، ويؤيدها عقله في التحليل والتحريم؛ وأوضحها بالشريعة المنزلة على موسى في سيناء. فقد كتب الله وصاياه العشر في الفطرة قبل أن يكتبها على الألواح. لذلك: « فكل الذين خطئوا بمعزل عن الشريعة؛ فبمعزل عن الشريعة يهلكون؛ وكل الذين خطئوا وهم تحت الشريعة، فبمقتضى الشريعة يدانون. لأنه ليس السامعون للشريعة هم عند الله المبرّرون، إنما العاملون بالشريعة يبرّرون » (٢: ١٢ ـ ١٣). فسلوك اليهود، أهل الشريعة، على خلاف الشريعة، هو ظلم أكبر من ظلم المشركين، وغضب الله عليهم أكبر من غضبه على المشركين.

ويهتف بولس بوجه أهل الكتاب والشريعة: « فماذا إذن؟ أو نحن أفضل؟ كلا، فقد برهنّا على أن أهل الكتاب و« الأميين » هم جميعاً تحت الخطيئة... وصار العالم كله خاضعاً لقضاء الله. وما من أحد يبرّر أمامه بأعمال الشريعة، لأنها بالشريعة قد عُرفت الخطيئة » (أكثر من الفطرة) (٣: ٩ و١٩ ـ ٢٠). فعهد الشريعة، زمن الصبر الإلهي، مثل الوثنية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والشرك، زمن الغضب الإلهي، هما جميعاً عهد الخطيئة التي يصرخ جورها إلى الله.

فواقع البشرية برهان قاطع على ضرورة الإيمان بالمسيح للخلاص.

٣) لكن **ما سر هذا الواقع البشري** القائم على الفساد؟ ما سر عجز الإنسان وقد نال شريعة منزلة من الله ــ عن الخير؟ حار بولس في أمره، وفي سر ميل الإنسان الفطري إلى الشر. تخطى بولس نظام الشريعة العاجزة ونظام الوثنية في حكمتها المشلولة، إلى الفطرة في كل إنسان، فشعر « ان النفس أمّارة بالسوء »! ومثّل في نفسه الميل البشري الفطري إلى الشر أحسن تمثيل. قال: « نحن نعلم أن الشريعة الإلهية روحية. لكني أنا جسدي، عبد لحكم الخطيئة. فإني لا أفهم ما أفعل! وما أريده لا أفعله! وما أكرهه إياه أفعل! ومن ثمّ فلستُ أنا بعدُ مَن يفعل، بل الخطيئة المقيمة فيّ تعمل! أجل اعلم أن الصلاح لا يسكن فيّ، أي في بشريتي، إذ في وسعي أن أريد الخير، وأمّا أن أفعله، فلا! لأن ما أريده من الصلاح لا أفعله، أمّا ما لا أريده من الشر فإني أفعله! فإن كنت أفعل ما لا أريد، فلست أنا بعد مَن يفعل هذا، بل الخطيئة المقيمة فيّ!... فإني أرى في أعضائي ناموساً آخر يحارب ناموس عقلي، ويأسرني **لناموس الخطيئة الذي في أعضائي**... فمن ثمّ أنا بالعقل عبد لشريعة الله، وبالبشرية عبد لناموس الخطيئة » (رو ٧: ١٤ ــ ٢٥ [١]) يظهر بولس كأنه السبّاق إلى التحليل السيكولوجي العصري.

أجل أن هذا **الصراع بين الخير والشر فينا**، بين الواجب والشهوة، كان موضوع البطولة في الأدب اليوناني؛ وقد عبّر عنه الشاعر الروماني بقوله: « أرى الأفضل وأؤيده، لكني اتبع الأسوأ [٢] »! وقد حاول أنبياء الحكمة عند بني إسرائيل، منذ سفر الجامعة، تصوير هذه الحالة السيكولوجية البشرية المؤلمة. لكن لم يصف أديب في آداب الدين والدنيا حالة الفطرة الأمّارة بالسوء بمثل هذا الإعجاز الذي وصفها به بولس. فأظهر أن

---

(١) نلاحظ أن بولس يأخذ تعبير « ناموس » بمعانٍ مختلفة تظهرها قرائن المضاف إليه.

(2) Ovide : video meliora proloque, deteriora sequor.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشريعة والحكمة، في عجزهما عن خلاص الإنسان من حال الخطيئة، ومن سلطان الخطيئة القائم فيه يميله الفطري إلى الشر، يستمدان عجزهما من عجز فطري موروث في الإنسان منذ أصله الآدمي. **فاكتشاف** « **ناموس الخطيئة** » في « النفس الأمارة بالسوء » إنما هو **عبقرية ثانية** عند بولس.

و« ناموس الخطيئة الذي في أعضائي »، حيث « النفس أمّارة بالسوء » يسميه بولس **الخطيئة الآدمية** الموروثة عن آدم، بصفة كونه أصل الجنس البشري وممثّله: « إنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة العالم، وبالخطيئة الموت وهكذا عبر الموت إلى جميع الناس، لأن جميعهم خطئوا » (فيه أو معه)... (٥: ١٢). لقد أطلق آدم شرارة الشر فألهبت نسله كله، إلاّ من عصم ربك.

أجل، بين الأفراد، « لا تزر وازرة في وزر أخرى »؛ لكن عند **الشخص التمثيلي**، تزر وازرة وزر أخرى، كما كان الحال عند آدم الأول، ومع آدم الجديد السيد المسيح[١]: « فكما أنه بزلة واحد كان القضاء على جميع الناس؛ كذلك ببرّ واحد يكون لجميع الناس تبرير الحياة. لأنه كما جُعل الجمهور خطأة بمعصية إنسان واحد، كذلك بطاعة واحد يجعل الجمهور أبراراً » (٥: ١٨ ــ ١٩).

واكتشاف هذا **الأصل الآدمي** « لناموس الخطيئة » في « النفس الأمارة بالسوء » إنما هو **عبقرية ثالثة** عند بولس، في رسالته الرومانية العظيمة.

فعجز كل نظام عقلي، أو نظام تنزيلي، عن تبرير الإنسان، للعجز الفطري فيه عن الخير والصلاح اللذين يعرفهما بعقله، ويحكم فيهما بضميره، برهان قاطع على ضرورة الإيمان بالمسيح للخلاص. لا ينتصر على « ناموس الخطيئة »، إلاّ ناموس الروح، روح الله، الذي يعطيه السيد المسيح، للخلاص، عند ملء الزمان في تاريخ الخلاص.

●

---

(١) نجد صورة الشخصية التمثيلية في قول الله لإبراهيم: « قد جعلتك أباً لأمم كثيرة »، غير أمته من نسله: فكل أمم التوحيد الإبراهيمي هم نسل إبراهيم الروحي بوراثة إيمانه. فكم بالحري الشخصية التمثيلية في آدم، أصل الجنس البشري، فدوره التمثيلي، كما يكشف لنا الوحي، هو أصل وراثة خطيئته في نسله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ـ تاريخ الخلاص في العالم

تاريخ الخلاص في العالم له **خمسة عهود:** العهد الآدمي، والعهد النوحي، والعهد الإبراهيمي، والعهد الموسوي، والعهد المسيحي إلى يوم الدين.

١) بدأ الله يعد بالخلاص منذ زلة آدم، « فإنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة العالم، وبالخطيئة الموت، فعبر الموت إلى جميع الناس لأنهم جميعاً قد خطئوا » (٥: ١٢). لاحظ تشخيص فكرة الخطيئة وفكرة الموت؛ وهذا يدل على الشخصية التمثيلية عند آدم. لكن الله بفضله ولطفه لم يهمل الإنسان، بل أمهله ووعده بالخلاص، قال تعالى لإبليس في شخص الحية: « وأجعل عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها: فهو يسحق رأسك، وأنت ترصدين عقبه » (التكوين ٣: ١٥). وفي نسبة العداوة للمرأة ـ مع أن المسئول الأول هو آدم ـ إشارة لطيفة إلى حواء الجديدة، مريم العذراء، ونسلها المصطفى السيد المسيح.

٢) وتجدّد الوعد بالخلاص، بعد الطوفان، لنوح: « وكلّم الله نوحاً وبنيه معه. قال: ها أنا مقيم عهدي معكم ومع نسلكم من بعدكم » (التكوين ٩: ٩). إنها دائمة قصة النسل الموعود، النسل القومي، وثمرته وذروته النسل المصطفى.

٣) وبدأت دائرة حملة الوعد والعهد تضيق. وجاءَ عهد إبراهيم، فاصطفاه الله ليحمل راية التوحيد في العالم. وجدّد الله له العهد: « جعلتك أبا لأمم كثيرة » (رو ٤: ١٨)؛ وجدّد له الوعد: « بنسلك تتبارك أمم الأرض كلها » (رو ٤: ١٨). وهذا النسل الموعود هو النسل القومي لنشر التوحيد، وزهرته النسل المصطفى لنقل بركة إبراهيم إلى العالمين.

ويصف بولس العهد الإبراهيمي حتى موسى بقوله: « كانت الخطيئة في العالم إلى الشريعة. بيد أن الخطيئة لا يُسأل عنها إذا لم يكن شريعة. أما الموت فقد ملك منذ آدم إلى موسى، حتى على الذين لم يخطأوا على مثل خطيئة آدم، الذي هو رمز الآتي » أي المسيح الموعود (٥: ١٣ ـ ١٤) فالموت واحد، لكن الخطيئة قبل الشريعة أخف من بعد الشريعة « لأن الشريعة تنشئ المخالفة؛ وحيث لا شريعة، لا تعدّ عليها » (٤: ١٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٤) وجاءَ العهد الموسوي. وظهرت الشريعة والميثاق المقرون بالختان، تمكيناً للعهد الإلهي، وتوكيداً للوعد الإبراهيمي بالخلاص الموعود؛ وفي هذا فضل من الله على شعبه: « ففضل اليهودي وفضل الختان جزيل على كل شيء؛ وقبل كل شيء لأنهم ائتمنوا على أقوال الله » (٣: ١ ــ ٢). فصاروا أهل الكتاب، وبه اصطفاهم الله على العالمين: « فلهم التبنّي، والمجد، والعهد، والشريعة، والعبادة، والمواعيد! ولهم أيضاً الآباء! ومنهم المسيح بحسب البشرية، الذي هو فوق الكل إله مبارك إلى الدهور. آمين » (٩: ٤ ــ ٥).

لكن عهد الشريعة كان موقوتاً ومشروطاً: كان **عهد تأديب** حتى يأتي المعلّم الموعود (غلا ٣: ٤٢)؛ والشريعة صالحة شرط العمل بها: « لا جرم أن الختان ينفع بشرط أن تعمل بالشريعة. لكن، إن كنت تتعدى الشريعة، فختانك ليس إلاّ قلفاً... والختان ختان القلب بحسب الروح لا بحسب الحرف » (رو ٢: ٢٥ ــ ٢٩) ــ عهد تأديب يعلم الخير والشر ويحكم فيهما.

فالشريعة معلّم للسلوك، وحَكَم فيه. بسبب ذلك، فهي **فرصة للخطيئة**، لأنها تدل على الشر ولا تعصم منه. فصارت « الشريعة الصالحة القديسة العادلة » (رو ٧: ١٢) « خادمة للموت... خادمة للقضاء » (٢ كو ٣: ٧ و٩)، « كثمر الغضب » الإلهي (رو ٤: ١٥)، وتجعل « أهل الشريعة تحت اللعنة » (غلا ٣: ١٠) لعجزهم عن إقامتها واستحقاقهم لذلك غضب الله. هذا ما يفسر **أحكام بولس المتعارضة** ظاهرياً في دور الشريعة، ما بين غايتها وواقعها، والميل الفطري للشر الذي يعطل الغاية المقدسة بالواقع الشرير.

وظهر عجز الشريعة عن خلاص الإنسان من الخطيئة، لأن الشريعة من ذاتها عاجزة عن إقامة الصلاح، بسبب الفطرة الشريرة الموروثة، والنفس الأمارة بالسوء. فقام **الصراع بين الشريعة والشهوة.** وبولس يصفه أبلغ وصف: « فلما جاءَت الوصية عاشت الخطيئة؛ أما أنا فمتّ! والوصية المعطاة لي للحياة، صارت هي نفسها للموت! لأن الخطيئة التي فيّ أخذت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بالوصية سبيلاً فأغوتني عنها وقتلتني بها. فالشريعة إذن مقدسة، والوصية فيها مقدسة وعادلة وصالحة »، لكنها عاجزة (٧: ١٣ ـ ١٧).

ففي نظر الله كانت الشريعة الموسوية **عهداً عابراً** يقود إلى المسيح، « غاية الشريعة » (رو ١٠: ٤).

٥) أخيراً ظهر النبي الأعظم الذي تنبّأ عنه موسى. وبدأ العهد المسيحي مع المسيح: « لمّا تمّ ملء الزمان أرسل الله ابنه... لكي ننال التبني ووراثة الموعد » (غلا ٤: ٤). ففي المسيح يتم تاريخ الخلاص، ويقوم إلى يوم الدين، « لأنه حيث كثرت الخطيئة طفحت النعمة » (رو ٥: ٢٠). فانتقلنا بالمسيح من عهد الغضب على المشركين، ومن عهد الصبر على اليهود المخالفين، إلى عهد النعمة، الذي أسسه المسيح، وأنشأ كنيسته لتحققه في ملكوت الله والمسيح، وذلك بالروح القدس الذي يعمل في النفوس الخلاص بالمسيح.

فتاريخ الخلاص بدأ مرحلته الأخيرة، « الأيام الأخيرة » بحسب الأنبياء وفتح « العهد الجديد » **بعهد الروح القدس في الكنيسة** (رو ٨ كله)، إلى اليوم الآخر، حيث يتساقط أعداء الخلاص واحداً فواحداً، حتى يسقط في القيامة العامة العدو الأخير، الموت (١ كو ١٥: ٢٤ ـ ٢٨).

فتاريخ الخلاص له **خمسة عهود** من آدم، إلى نوح، إلى إبراهيم، إلى موسى، إلى السيد المسيح، خاتمة الكتاب والنبوة والحكمة، ومحقق المواعيد الإلهية والعهود.

وتاريخ الخلاص مبني على اصطفاء الله وحده، « وهو لا يُسأل عمّا يفعل ». **وهذا الاصطفاء له محوران**: الأول اصطفاء بني إسرائيل، بسبب الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب؛ وبما أن اصطفاء الله لا رجوع عنه، فإن إسرائيل الكافر بمسيحه، سيؤمن به يوماً « متى دخل في الإيمان ملء الأمميين » (رو ١٠: ٦ ـ ١٣). والمحور الثاني هو اصطفاء الأمميين بالإيمان بالمسيح، على مثال إيمان إبراهيم، من فوق الشريعة والختان.

وتاريخ الخلاص له **قطبان**: آدم الأول، « مثال الآتي » (٥: ٤)،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وآدم الجديد السيد المسيح، « فإنه بزلة واحد كان القضاء على جميع الناس » (٥: ١٨) وذلك بسيطرة الخطيئة على البشرية وما قبلها من استعباد وعذاب وفساد (٨: ١٩ ــ ٢٢) « فالجميع قد خطئوا وحُرموا مجد الله » (٣: ٢٣)؛ « فإنها بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، فعبر الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعاً قد خطئوا » (٥: ١٢). وبآدم الجديد، السيد المسيح، نلنا النعمة والبر والحرية والحياة (رو ٦ ــ ٨). « فكما أنه بزلة واحد كان القضاء على جميع الناس؛ كذلك ببرّ واحد يكون لجميع الناس تبرير الحياة... حتى أنه كما أن الخطيئة ملكت للموت، كذلك النعمة تملك بالبرّ للحياة الأبدية، بيسوع المسيح، ربنا » (٥: ١٨ ــ ٢١). فمحور تاريخ الخلاص هو المسيح وحده.

تلك هي قضية الخلاص في العالم. وهي مبنية على قصة الإيمان في الأرض.

●

٣ ــ قصة الإيمان على الأرض

تُقسم قصة الإيمان على الأرض إلى **أربع مراحل**، على **أربعة نُظُم**: مرحلة الرجاء ونظامها من آدم ــ مروراً بنوح ــ إلى إبراهيم؛ مرحلة الوعد ونظامها من إبراهيم إلى موسى؛ ومرحلة الشريعة ونظامها الطاعة من موسى إلى المسيح؛ ومرحلة الإيمان ونظام المحبة مع المسيح.

١) **بدأت قصة الإيمان بآدم.** بعد خطيئته، وعده الله بمخلص من نسله يسحق رأس الحية، رمز الشيطان الغاوي المغوي. فآمن بوعد الله وتاب. فكان **نظام الرجاء** إلى نوح، وإلى إبراهيم.

٢) تجربة الطوفان لم تردع العالم عن الإلحاد والفساد، فاصطفى الله إبراهيم على العالمين، ليبدأ **قصة الإيمان المنزل**. وبحسب بولس، إن إبراهيم، جد الأنبياء والمسيح، هو مثال الإيمان، وعهد الإيمان على الإطلاق: « لقد حسب الإيمان لإبراهيم براً » (رو ٤: ٩)؛ لأنه أمن بوعد الله: « بنسلك تتبارك أمم الأرض جميعها »، « فقد جعلتك أباً لأمم كثيرة » (٤: ١٧)

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فقام **نظام الوعد** مع إبراهيم على **نظام الإيمان:** « آمن إبراهيم بالله فحسب ذلك له بــرّاً » (رو ٤: ٣ قابل تك ١٥: ٦). فعبقرية بولس أنه علّق « برّ الله » على إيمان إبراهيم، فــالبرّ هــو بالإيمان، لا بالعمل الشخصي، ولا بالعمل الشرعي. فأبوة إبراهيم من الإيمان؛ وكذلك البنــوة لإبراهيم هي « بالإيمان بنسل » إبراهيم أي المسيح؛ بنوة روحية أكثر منها جسدية أو قوميــة: لقد صار إبراهيم أباً لجميع الذين يؤمنون، سواءٌ كانوا من أهل القلف فيحسب لهم البرّ أيضــاً، وسواء كانوا من أهل الختان، بما أنهم يقتفون آثار إيمان إبراهيم أبينا، وهو بعد علــى القلــف (٤: ١١ ــ ١٦). فإبراهيم هو مثال الإيمان الأعظم.

٣) ومع موسى جــاء **نظام الطاعــة** للشريعة، وشعارهما الختان، والختان والشــريعة هما المشكل الأكبر في جدلية بولس مع أهل الكتــاب اليهود. فــدور الشريعة في الإيمان أنها « **المربّي** » على الطاعة لله وللمسيح الموعود[1]، « لأن المسيح هو **غاية الشريعة** » (غلا ٣: ٢٤ ــ ٢٥؛ رو ١٠: ٤). لكن نظام الشريعة والطاعة لم ينسخ نظام الإيمان والوعد الذي ظل قائماً إلى المسيح، « مُبدِئ الإيمان ومكمله » (عبر ١٢: ٢). لذلك يتحدّى بولس أهل الختــان: إن الموعد نفسه هو لأهل إيمان إبراهيم، لا لأهل الشريعة والختان وحدهم أي « للذرية كلهــا، لا التي على الشريعة فقط، بل للتي على إيمان إبراهيم أيضاً، الذي هو أب لنا أجمعــين » (رو ٤: ١٦). ويزيد التحدي بقوله: « إن جميع الذين من إسرائيل ليسوا بإسرائيل؛ ولا لكونهم نسل إبراهيم هم كلهم أولاد له؛ لا، بل « بإسحاق يكون لك نسل » أي **ليس أبناء الجسد هم أبنــاء الله**، بل إنما أبناء الموعد هم الذين يحسبون نسلاً » (رو ٩: ٦ ــ ٨). فنظام الإيمان بالوعــد أسمى من نظام الطاعة للشريعة.

٤) تلك المراحل الثلاث، ونظمها الثلاثة هيأت المرحلة الأخيرة والنظام الخالــد فــي قصة الإيمان على الأرض، مع المسيح، في عهد البشرية الجديد، « عهــد الإيمــان العامــل بالمحبة ». يصف بولس « العهد الجديد » بالمسيح

---

(١) هذه الطاعة لله ومسيحه في لغة العهد الجديد، هي الإسلام لله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفي المسيح، **عهد الروح:** لقد انتقلنا من عهد الحرف إلى عهد الروح الذي جمع رجاء آدم ونوح، إلى إيمان إبراهيم، إلى طاعة موسى، إلى المحبة في المسيح: « فإن جميع الذين يقتادهم روح الله هم أبناء الله. والحال إنكم لم تأخذوا روح العبودية، فتخافوا؛ بل أخذتم روح التبني الذي ندعو به « أبّاً » أي « أبتا ». فهذا الروح عينه يشهد مع روحنا بأنا أولاد الله، أولاد فنحن ورثة أيضاً، ورثة الله، ووارثون مع المسيح » (رو ٨: ١٤ ــ ١٧). وعهد المسيح والروح، عهد التبنّي لله الآب، أنشأ **نظام المحبة البنوية** لله تعالى، فرفع الدين من علاقة عبد ربه، إلى علاقة ابن بأبيه السماوي؛ « لأن الذين عرفهم من قبل، حدّد من قبل أيضاً أن يكونوا **على مثال صورة ابنه** » (٨: ٢٩). ففي نظام المحبة ذروة الإيمان والرجاء والطاعة، لأن المسيح في ذاته هو برهان محبة الله لنا، كما هو برهان محبتنا لله. لذلك أنهى بولس عرض تاريخ الخلاص في العالم، وقصة الإيمان على الأرض **بنشيد المحبة**، النازلة من الله الآب بالروح في المسيح، والصاعدة إلى الله بالروح في المسيح (رو ٨: ٣١ ــ ٣٩).

ذاك هو فضل الإنجيل على الشريعة وعلى الحكمة، **بالنظام المسيحي** الذي أقامه على الحياة في المسيح، بعمل الروح القدس المقيم في المسيحي، لإقامة « بر الله » والخلاص[١].

●

ثانياً: الخلاص في « بر الله » بالمسيح والإنجيل

أعلن بولس مبدأ الثورة الإنجيلية على نظام « النفس الأمارة بالسوء »، منذ مطلع الرسالة: « إني لا أستحي بالإنجيل لأنه قدرة الله لخلاص كل مؤمن... لأن برّ الله يتجلّى فيه » (١: ١٦ ــ ١٧). وبعد وصف واقع البشرية الغارقة ــ دون أمل بالنجاة ــ في الشقاء والفساد، يفصّل مبدأ الخلاص

(١) بولس يوجز البند الأول، الحياة في المسيح، والبند الثاني، عمل الروح في المسيحي في الرسالة الرومانية، لأنه فصلهما في الرسائل الكورنثية. وجعل البند الثالث « بر الله »، والخلاص موضوع الرسالة الرومانية وحلله بأسلوبهم القانوني.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيحي: « أما الآن فقد اعتلن برّ الله ــ بمعزل عن الشريعة، تشهد له الشريعة والنبيّون ــ **برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح**. لجميع الذين يؤمنون على السواء؛ فالجميع قد خطئوا فحُرموا مجد الله: والجميع بنعمته يبرّرون مجاناً بالفداء الذي بالمسيح يسوع » (رو ٣: ٢١ ــ ٢٤).

١ ــ فالإيمان والبر والخلاص هي **القيم الثلاث** المتكافلة المتضامنة في النظام المسيحي: فالإيمان هو الباب؛ والبرّ هو الصراط، والخلاص هو الهدف والمقام.

يشير بولس إلى شهادة التوراة والنبيين لهذا النظام المسيحي في مثله الثلاث. وقد صوّرها أشعيا أجمل تصوير في نبوّته: إن خلاص الله (٤٩: ٦) هو في بر الله (٤٦: ١٣) يأتي في « يوم الله » (٢٥: ٩) بحلول « ملكوت الله » (٥٢: ٧) بفداء « عبد الله » لشعبه، والضحية بنفسه في سبيلهم (٥٣ كله). لذلك فإن سفر أشعيا هو البشرى بالإنجيل.

وهذا النظام الموعود المعهود، صار بالمسيح النظام المعقود المشهود (رو ١: ١٦ ــ ١٧). فالخلاص القائم على برّ الله، قد تطور بالإنجيل « من إيمان إلى إيمان » من الموسوية إلى المسيحية. فقد عجز نظام الشريعة والختان، كما عجز نظام العقل والحكمة، عن البلوغ بالبشر إلى الخلاص. أما الآن فقد اعتلن الخلاص في بر الله بالإيمان بالإنجيل (٣: ٢١ ــ ٢٤).

١) **فالخلاص** يقوم على الفداء بالمسيح يسوع (٣: ٢٣). إن المسيح بتضحية ذاته، في استشهاده على الصليب ــ وقبول الله هذه الضحية بقيامة المسيح وارتفاعه حيّاً إلى السماء ــ كان الفداء لنا: « **فليس بعد الآن من قضاء على الذين في المسيح يسوع**: لأن ناموس روح الحياة، في المسيح يسوع، قد أعتقك من ناموس الخطيئة والموت. فإن ما لم تستطعه الشريعة، لعجزها بسبب البشرية، قد حققه الله، إذ أرسل ابنه، من أجل الخطيئة، في جسد يشبه جسدنا الخاطئ، فقضى على الخطيئة في الجسد، لكي يتم برّ الشريعة فينا، نحن السالكين، لا بحسب البشرية، بل بحسب الروح » (٨: ١ ــ ٤).

فالتجسد والاستشهاد هما عملا الفداء، الذي يتم فينا بواسطة روح الله، في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الإيمان والعماد؛ فهو يعتقنا من عبودية الخطيئة والخوف من الموت، إذا سلكنا بحسب الـروح كأبناء الله.

٢) **فبر الله** ننالـه، سلباً بالانعتاق من الخطيئة والخوف من الموت، وإيجاباً « بنـاموس روح الحياة في المسيح يسوع »، لأجل « حياة الله في المسيح يسوع »: فيعمل الروح القـدس المقيم فينا بالإيمان والعماد كناموس الحياة، بدل ناموس الخطيئة، « والروح حياة لأجل البرّ » (٨: ٩ ـ ١١).

٣) **والإيمان** بالإنجيل، والمسيح في موته وقيامته، هو الصراط المستقيم للبلـوغ إلـى الخلاص، بالحصول على « برّ الله ». هذا ما نراه في البحث اللاحق.

فالإيمان بالإنجيل يقودنا إلى الخلاص القائم على « بر الله » ونعمته فينا.

٢ ـ ثم يصف بولس **مقوّمات البرّ والخلاص**، ومفاعليهما في أربعة فصول (٥ ـ ٨) نميّز فيها المقوّمات ثم المفاعيل.

١) يقوم النظام المسيحي في البر والخلاص، من الناحية السلبية، على **المصالحة مـع الله**: « وإذ قد بُرّرنا بالإيمان، فنحن في صلح مع الله، بربنا يسوع المسيح »..هذا الصلح يقوم على الإيمان بالمسيح، والرجاء في مجد الله، « ومحبة الله التي أفاضها في قلوبنا الروح القدس الذي أوتيناه » (٥: ١ ـ ٣).

فالإيمان والرجاء والمحبة مقوّمات الصلح والسلام مع الله. فقد قام العهد القديم علـى تنفيذ شروط العهد بإقامة وصايا الله العشر، محور أحكام الشريعة. وأتى العهد الجديد فقام على الحياة في الإيمان والرجاء والمحبة؛ « تلك الثلاثة، وأعظمهن المحبة »، كما أنشد بولس فـي (١ كو ١٣) لقد تبدّلت الحياة التشريعية، بالحياة الوجودية.

٢) وجوهر تلك المصالحة بين العبد وربه، يقوم على المحبة المتبادلـة بـين الخـالق والمخلوق، بواسطة المسيح: « أمّا الله فقد برهن على محبته لنا بأن المسيح قـد مـات عنّـا، ونحن بعد خطأة! فكم بالأحرى، وقد بُرّرنا الآن بدمه، نخلص به من الغضب » (٥: ٦ ـ ٩). ومحبتنا لله قد أفاضها في قلوبنا الروح القدس ـ فهي إلهية وليست بشرية (٥: ٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣) ويقوم النظام المسيحي، إيجابياً ووجوديّاً، على الحياة بالروح القدس، « روح الحياة في المسيح يسوع » (٨: ١ ـ ٣). فبولس يؤكد **أن الحياة المسيحية هي « حياة في الروح »**، و« الروح حياة لأجل البر » (٨: ١٠). وهذه الحياة الجديدة بروح الله تمتد إلى الجسد نفسه عاجلاً وآجلاً: « وإن كان روح الذي أقام يسوع من بين الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام يسوع من بين الأموات يحيي أيضاً أجسادكم المائتة، بروحه الساكن فيكم » (٨: ١١).

فالروح الذي نناله بالعماد والميرون يصير فينا **ناموس الحياة الجديدة:** « إن الذين هم بحسب الجسد ينزعون إلى ما هو للجسد، والذين هم بحسب الروح إلى ما للروح. والحال إن نزعات الجسد موت، **ونزعات الروح حياة وسلام** » (٨: ٥).

أخيراً يؤكد بولس أن هذه الحياة بحسب الروح الإلهي هي شركة في حياة المسيح نفسها، وعلى صورتها: « فقد حدّد من قبل أيضاً أن يكونوا على مثال صورة ابنه » (٨: ٣٩).

●

٣ ـ ويستفيض بولس في تفصيل **مفاعيل الخلاص والبر**، في خطاب عام للإنسان الأممي (ف ٦) وفي خطاب خاص لأهل الشريعة (ف ٧).

١) الخلاص هو أولاً **التحرير من عبودية الخطيئة** (٦: ١ ـ ٢٣). وقد تم هذا التحرير مبدئيّاً بموت المسيح، ونكتسبه بالعماد الذي هو موت مع المسيح عن الخطيئة وقيامة معه « لحياة جديدة »، « لأنا إذ كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً على شبه قيامته » (٦: ٥) لحياة إلهية تبدأ على الأرض وتكتمل في السماء: « فإنا، إن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أنا سنحيا أيضاً معه... فكذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً للخطيئة، أحياءً لله في المسيح يسوع » (٦: ٨ ـ ١١).

٢) والتحرير من سلطان الخطيئة هو **تحرير أيضاً من سلطان الموت ورعبه**، لأن الموت عاقبة الخطيئة، في نظر الوحي. وهذا التحرير يحمل معه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثمار الخلاص، القداسة والحياة الأبدية: « الآن قد أُعتقتم من الخطيئة فصرتم عبيداً لله، وتحوزون ثمار ذلك القداسة؛ والعاقبة هي الحياة الأبدية. لأن أجرة الخطيئة هي الموت، وأمّا موهبة الله فهي الحياة الأبدية، في المسيح يسوع ربنا » (٦: ٢٢).

٣) والخلاص هو أيضاً **التحرير من عبودية الشريعة** (٧: ١ ـ ٢٥). كانت الشريعة الموسوية عبودية لأنها تدل بأحكامها على الخطيئة، وتعجز أن تحمينا منها. فقد كانت الشريعة بحد ذاتها مقدسة، والوصية فيها مقدسة وعادلة وصالحة؛ لكنها بسبب ناموس الخطيئة الكامن في « النفس الأمارة بالسوء »، كانت الشريعة عاجزة عن التحرير والتبرير، والتقديس والاحياء. وبالإيمان بالمسيح، وبالعماد في موته وقيامته، ننال الروح القدس، كناموس إلهي فينا يغلب ناموس الخطيئة وعجز الشريعة.

●

٤ ـ أخيراً الخلاص والبرّ، بالتحرير والتقديس هما « **هبة مجانية من الله** »، فلا أجرة، ولا أجر، على أعمال شرعية مفروضة (٤: ٥؛ ٩: ٦). إنها « نعمة نحن فيها مقيمون » (٥: ٢). فنعمة الله عطاء، لا جزاء، في الإنسان؛ لكنها عطاء باستحقاق دم المسيح.

النعمة فضل من الله وعطاء لأنها شركة في « برّ الله » نفسه، بالمشاركة في برّ المسيح الذي يبرّرنا بروح الله: فالله، في المسيح، بروحه، « اعتلن باراً ومبرّراً من آمن بيسوع » (٣: ٢١).

فبالمسيح وحده الخلاص والبر، لأنا « قد صولحنا مع الله بموت ابنه » (٥: ١٠)، « الذي أُسلم لأجل زلاتنا وأقيم لأجل تبريرنا » (٤: ٢٥) فالفداء بموت المسيح والبر بقيامته. وننال التطهير والتحرير، والتقديس والتبرير، بالإيمان بالمسيح والإنجيل.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً: الإيمان شرط الخلاص والبرّ (رو ١٠: ١٠)

هذا هو الإعلان الصارخ، في الرسالة الرومانية: « إني لا أستحي بالإنجيل، لأنه قدرة الله لخلاص كل مؤمن » (١: ١٦). ويطلق بولس هذا الإعلان باعتزاز: « الآن اعتلن برّ الله، بالإيمان بيسوع المسيح » (٣: ٢١). فقد تمت نبؤة الكتاب: « البار بالإيمان يحيا » (رو ١: ١٧؛ غلا ٣: ١١). ففي لغة بولس ما الإيمان، وما موضوعه؟

١ ـ الإيمان في لغة بولس

يستخدم بولس تعبير « الإيمان » ١٣٧ مرة. وهو بذلك يصف عناصر الإيمان وصفاته، ومصادره ومفاعيله. لكنه لا يعطي تعريفاً عنه مثل الرسالة العبرية (١١: ١).

فالإيمان عنده هو **قبول الإنجيل**، البشرى بالخلاص (رو ١: ٨؛ ١٠: ١٧). فهو **الاعتقاد** أن يسوع هو المسيح ابن الله، الحي الخالد، وملك يوم الدين (رو ١٠: ٩ قابل ١ كو ١٥: ١ و١١ ـ ١٤؛ ١ تس ١: ١٠؛ ٤: ١٤؛ ٥: ٩). **فهو قبول عقلي وحياتي معاً** لكلام الله، يرتكز على سلطان الله (٢ تس ٢: ١٣)، لذلك نسير إلى الله بالإيمان، لا بالعيان (٢ كو ٥: ٧).

لذلك في الإيمان « **الرجاء** الذي لا يخزى » (رو ٥: ٥)، لأننا مع الكون كله « نئن في أنفسنا منتظرين التبني، افتداءَ ذواتنا، لأننا بالرجاء خُلصنا » (٨: ٢٣ ـ ٢٤). فالخلاص والتبني تحقيق في اليوم الحاضر، واكتمال في اليوم الآخر.

وفي الإيمان فعل إرادة، مع فعل معرفة، يسميه بولس « **طاعة الإيمان** » (١: ٥؛ ١٠: ١٦؛ ١٥: ١٧؛ ١٦: ٢٦)، وفي لغة أخرى **الإسلام**. فطاعة الإيمان، **والإسلام** الحق، هما « **الأذعان للإنجيل** » (رو ١٠: ١٦) أي التسليم لله ومسيحه. فالإسلام الأصلي هو نظام الدين الذي بناه المسيح في الإنجيل (رو ٦: ٨؛ ١٠: ٩)؛ وجاء غيره للتصديق والتفصيل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتكتمل « طاعة الإيمان »، « بالإيمان العامل **بالمحبة** » (غلا ٥: ٦ و٢١ و٢٤؛ ٦: ٨ ـ ١٠؛ ١ كو ٧: ١٩). فتعبير « الإيمـان » شامل عند بولس، هو **النظام المسيحي كلـه**، « دعوة الإيمان الذي نبشر به » (رو ١٠: ٨).

تلك هي عناصر « الإيمان » الكامل. وهذا التحليل لها، في عرْف بولس، ينهي الجدل في ماهية الخلاص: هل هو بالإيمان وحده، أم بالإيمان وأعماله ـ إنـه « الإيمـان العامـل بالمحبة ».

وقام جدل آخر بين المتكلمين من مسيحيين وغيرهم، في ماهيـة الإيمـان وعناصـر تكوينه: هل هو تصديق بالقلب فقط؟ أم قول (شهادة) بلا نية ولا عمل؟ في عرف بـولس، إن الإيمان تصديق بالقلب وشهادة بالفم: « إن شهدت بفمك أن يسوع هو الرب، وأيقنت في قلبـك أن الله أقامه من بين الأموات، فإنك تخلص؛ لأن التصديق بالقلب يقود إلى البر، والشهادة بالفم إلى الخلاص » (رو ١٠: ١٠).

فمفعول الإيمان المسيحي هو مغفرة الخطايا (١ كو ١٥: ١٧)؛ والمصالحة مـع الله؛ بالتبرير بنعمته: « فالجميع بنعمته يُبرّرون مجاناً، بالفداء بالمسيح يسوع، الذي جعله الله مـن قبل كفارة، بالإيمان في دمه، لإظهاره برّه » (رو ٣: ٢٥). وغاية الإيمان كلـه هـي التبنّـي (غلا ٤: ٤ ـ ٦) أي نصير « مشابهين لصورة ابنه » (رو ٨: ٢٩).

ومصدر هذا الإيمان نعمة الله وعمل روح الله فينا (١ تس ١: ٤؛ ١ كو ٢: ٤). وقـد يكون عمل نعمة الروح فينا عن طريق المعجزة كما في هداية بولس (غـلا ١: ١٦) أو عـن طريق الدعوة العادية: « فالإيمان بالبشارة، والبشارة بأمر المسـيح » (رو ١٠: ١٧). لـذلك فقبول الحقيقة والعقيدة لا يقوم على بيانها وتبيانها في ذاتها، بل على قبـول شـهادة الله بهـا بواسطة المسيح ورسله. تلك هي « طاعة الإيمان » أي الإسلام لله ولمسيحه (رو ١: ٥؛ ١٠: ١٦؛ ١٥: ١٨؛ ١٦: ٢٦).

لذلك فالإيمان فضل من الله وعطاء، أي **نعمة خاصة**، « لأن الإيمان ليس للجميـع »، بل « للمدعويين بحسب قصده: لأن الذين عرفهم من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قبل، حدّد أيضاً من قبل أن يكونوا على مثال صورة ابنه... والذين حدّدهم من قبل، إياهم دعا أيضاً؛ والذين دعاهم، إياهم برّر أيضاً؛ والذين برّرهم إياهم مجّد أيضاً » (رو ٨: ٢٨ ــ ٣٠).

تلك هي ميزة المسيحية: « فأنتم بالنعمة مخلّصون، بواسطة الإيمان » (١ فس ٢: ٨ ــ ٩). « فالجميع بنعمته يبرّرون مجانا » (رو ٣: ٢٥) لا بأعمال الشريعة؛ ولا بأعمال الطبيعة. فالإيمان نعمة من الله، وطاعة من العبد. فالإيمان المسيحي هو الإسلام الحق الكامل لله، « طاعة الإيمان ».

٢ ــ موضوع الإيمان المسيحي

بما أن « الإيمان » نظام الإنجيل، فموضوعه الدعوة المسيحية.

وهذه الدعوة هي الإيمان بالله الواحد الأحد، باسمه الإنجيلي « الآب »، أي التوحيد الإنجيلي (١ كو ٨: ٥؛ ١ تس ١: ٨؛ فيلمون ٥)؛ وهي أيضاً الإيمان « بالرب يسوع »، ابن الله (رو ١٠: ٨؛ ١ كو ١٢: ٣؛ غلا ٢: ١٦). وقد تقتصر الشهادة المسيحية على الإيمان بيسوع إنه ابن الله (رو ١٠: ٦ ــ ١٠ قابل ١ كو ١٥: ١ و ١١ ــ ١٤؛ ١ تس ١: ١٠؛ ٤: ١٤؛ ٥: ٩) هكذا كانت هداية بولس (غلا ١: ١٦)؛ وهكذا يستفتح رسالته الجامعة الرومانية: أنه الرسول بدعوة « لإنجيل الله بشأن ابنه... يسوع المسيح ربنا » (١: ١ ــ ٤).

١) يتأمل بولس **شخصية المسيح** على نطاقيْن مختلفيْن: « المسيح بحسب البشرية »، و« المسيح بحسب الروح ». وقد جمع الناحيتين في المطلع المعجز بإيجازه: إن المسيح هو « ابنه المولود بحسب البشرية من ذرية داود، والمُقام في قدرة ابن الله، بحسب روح القداسة » (رو ١: ١ ــ ٤). ففي القيامة، يحيا « بحسب الروح »؛ وهكذا يظهر على حقيقته « في قدرة ابن الله ».

فهو بحسب البشرية « من ذرية داود » أي المسيح الموعود، وبحسب « روح القداسة » الذي في شخصيته، هو ابن الله على الحقيقة، لا على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المجاز، كما ظهر في مجد قيامته. فبولس بهذه **الثنائية** يحدّد شخصية المسيح تحديداً كاملاً: إنه إنسان وإله معاً! ولادته من ذرية داود دليل على بشريته، وقيامته « بروح القداسة » الذي فيه دليل على إلهيته. وقوله « بحسب روح القداسة » لا يقصد الروح القدس، الذي لا ينسب إليه قيامة المسيح أبداً؛ بل هو تعبير عن طبيعته الروحية القدْسية المنزهة عن المخلوق، والتي تجلت بالقيامة والرفع حياً إلى السماء والجلوس عن يمين الله الآب على العرش الإلهي. بينما جميع الأنبياء والأولياء يموتون ولا يعودون، إلى حين يُبعثون.

والمسيح « من ذرية داود » بحسب بشريته؛ ومن الله نفسه بصفة كونه « **ابن الله الذاتي** » (رو ٨: ٣ و٣١)، « بحسب روح القداسة » أي الروح القدسي في كيانه. ليس إن القداسة الإلهية المنزهة عن المخلوق تجعل المسيح « ابن الله » على المجاز؛ أو إن القيامة أظهرته فقط « في قدرة ابن الله »؛ إنما فيه « طبيعة الله الروحية القدْسية » المنزهة عن المخلوق، وإنْ اتّحد ببشرية مخلوقة في مريم، بالتأنس والتجسّد. وهذا التأنس والتجسد، ليس تجسيداً لله، ولا تأليهاً لابن مريم. إنما هو اتحاد « روح القداسة »، « ابن الله الذاتي » بذرية من داود في كامل التنزيه والتجريد.

ففي المسيح **وحدانية وثنائية**، وحدانية الذات، وثنائية الكيان؛ أو كما يقولون في علم الكلام، أقنوم واحد في طبيعتين، إلهية وإنسانية. وبولس يصرّح بوحدانية الذات وثنائية الكيان في شخصية المسيح، بأجلى بيان: فالمسيحيون في إيمانهم « يمجدون بنفس واحدة وفم واحد الله وأبَ ربنا يسوع المسيح » (رو ٥: ٦). **فالله هو إله المسيح** من حيث بشريته « من ذرية داود »؛ **والله أبو المسيح** من حيث هو « ابنه الذاتي » (رو ٨: ٣ و٣١). فهو « إله من اله » ولو ظهر من إسرائيل، « ومنهم المسيح الذي هو فوق الكل إله مبارك إلى الدهور. آمين» (رو ٩: ٥).

٢) وشخصية المسيح دليل **رسالته السامية**، كما أن رسالته برهان شخصيته. وبولس ينوه برسالة المسيح التي تكشف سرّ الله، بذاته وإنجيله؛ لذلك هو « لا يستحي بالإنجيل لأنه قوة الله لخلاص كل مؤمن » (رو ١: ١٦). لكن بولس، بخلاف يوحنا، يركّز دعوته، ويحصر رسالة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح بعمل الفداء باستشهاده. فالبلاغ الإنجيلي، والحقيقة الجديدة في المسيحية هي « إن الجميع يُبرّرون مجاناً، **بالفداء** بالمسيح يسوع الذي أقامه من قبل **كفّارة**، بالإيمان بدمه، لإظهار بره » (رو ٣: ٢٤).

فالمسيح « كفّارة » عن خطيئة المخلوق. وهذا التكفير حصل « بدمه ». إن قضاء الله اقتضى استشهاد المسيح تكفيراً لفداء البشرية، « إذ الجميع قد خطئوا وحُرموا مجد الله؛ والجميع يبرّرون مجاناً بالفداء بالمسيح يسوع » (٣: ٢٣ ــ ٢٤).

وموت المسيح له معنى الفداء، لأن الاستشهاد أسمى أنواع العبادة والمحبة والضحية. ولاستشهاد المسيح قيمة الفداء بسبب شخصيته الثنائية؛ فهو بذاته الوسيط بين الخالق والمخلوق، قبل أن يحقق ذلك بموته. فرسالة المسيح هي رسالة الفداء بالاستشهاد.

٣) ومن شخصية المسيح ورسالته تتّضح **أسماؤه الحسنى** الثلاثة: الرب يسوع، ملك يوم الدين، الشفيع الأوحد.

المسيح هو دائماً « **الرب يسوع** ». بولس يستفتح رسائله باسم « الله أبينا والرب يسوع المسيح » (رو ١: ٧). فهو « ربنا يسوع المسيح » (١: ٤؛ ٧: ٢٥)؛ « المسيح يسوع ربنا » (٦: ٢٣؛ ٨: ٣٩). وظهرت ربوبيته على العالمين بالخلاص الذي أجراه لهم.

كان « الرب » اسم الجلالة لله الواحد الأحد، في العهد القديم، بحسب الترجمة السبعينية لاسم « يهوه ». وكان « كل من يدعو باسم الله يخلص » (يوئيل ٣: ٥)، و« كل مَن يؤمن به لا يخزى » (أشعيا ٢٨: ١٦). فتحوّل الاسم الكريم للمسيح في العهد الجديد، كما عند بولس: « لا فرق بين اليهودي والهليني، إذ هو **رب العالمين**، يفيض من فضله على جميع الذين يدعونه، لأن (كل مَن يدعو باسم الرب يخلص). ولكن كيف يدعونه، ما لم يؤمنوا به » (رو ١٠: ١٢ ــ ١٤). « فالرب يسوع » هو « رب العالمين » بشخصيته ورسالته، « لهذا مات المسيح وعاد حيّاً ليسود الاحياء والأموات » (١٤: ٩).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومن أسماء المسيح الحسنى أنه « ملك يوم الدين ». إن اللقب الكريم ميزة الخالق على المخلوق: « إنـّا جميعاً **سنقف أمام منبر الله**... ومن ثم كل واحد منّا يؤدي حساباً لله عن نفسه » (١٤: ١٠ ــ ١٢). لكن الله أعطى مسيحه اللقب الكريم عينه بصفة كونه « ابنه الذاتي » و« رب العالمين »: « فإنه لا بدّ لنا أن **نظهر أمام منبر المسيح**، يوم يدين الله سرائر الناس، على حسب إنجيلي، بيسوع المسيح » (٢: ١٦).

وبما أن المسيح رب العالمين وملك يوم الدين، فهو **الشفيع الأوحد**. إن رسالة المسيح لا تقتصر على الأرض، إنما هي قائمة في السماء أيضاً: « فمن يشكو مختاري الله، والله هو الذي برّرهم؟! ومَن يقضي عليهم، والمسيح الذي مات، بل بالحري قام، وهو عن يمين الله، هو الذي يشفع فيهم؟! » (٨: ٣٣ ــ ٣٤).

٤) وهكذا تظهر أبعاد الإيمان المسيحي: **توحيد في تثليث**.

فهذا الإيمان بالمسيح « الرب يسوع » يكشف سر المسيح في ذاته: إنه « ابنه الذاتي » (٨: ٣ و٣١). وبنوة المسيح الابن تكشف سر الله في حياته الذاتية: فالله هو الآب في ذاته، من ذاته « لابنه الذاتي » (٨: ٣١).

والفداء بالمسيح هو منه وله تعالى أولاً وأخيراً: « الكل منه وبه وإليه: فله الحمد إلى الدهور. آمين » (١١: ٣٦). وفداء الله بالمسيح، « ابنه الذاتي »، يتم فينا « بالروح القدس الذي آتانا » (٥: ٥)، « روح المسيح... وروح الذي أقام المسيح يسوع من بين الأموات » (٨: ٩ و١١) فهو روح الآب والابن معاً.

تثليث في توحيد، وتوحيد في تثليث، يظهر في عمل الخلاص المسيحي.

وهذا الخلاص نكسبه بالتبني لله الآب، والتطعيم في « جسد المسيح »، والاحياء بالروح القدس. وهذا كله بواسطة الإيمان والعماد والقربان.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رابعاً: العماد المسيحي هو واسطة الخلاص والبرّ

ورث بولس عن الدعوة الإنجيلية طريقة العماد المسيحي للخلاص والبرّ، التي حـدّدها السيد المسيح قبل ارتفاعه إلى السماء، فكان العماد طليعة تعاليمه (يو ٣: ١ ــ ١٢) وخاتمـة مؤسساته: « اذهبوا في العالم أجمع، وادعوا بالإنجيل الخليقة كلها: فمن آمن واعتمد يخلص » (خاتمة مرقس)، فالخلاص قائم على الإيمان المسيحي، وشعاره العماد. وفي (خاتمـة متـى) نرى أن العماد يجب أن يتم « باسم الآب والابن والروح القدس »؛ وهذا الإعلان في العمـاد عقيدةً وصوفيةً، يدل على أنه يتم « بالماء والروح » (يو ٣: ٥) للولادة إلى « خليقة جديـدة » في ملكوت الله، لأن « المولود من الروح إنما هو روح » (رو ٣: ٦).

وعبقرية بولس أنه أظهر ارتباط العماد وفاعليته بسر الفـداء، أي بمـوت المسـيح وقيامته؛ ثم بسر الثالوث الأقدس.

١ ــ **فالعماد شركة في موت المسيح وقيامته،** في وحدة كيان، ووحدة حياة، يجعـل المسيح والمسيحي واحداً.

١) للعماد المسيحي قيمة الخلاص وعمل الخلاص لأنه **اشتراك رمزي** بموت المسـيح وقيامته: « إنّا، جميعَ من اعتمدوا في المسيح، قد اعتمدنا في موته. فقد دُفنا إذن معه للمـوت، حتى إنا، كما أقيم المسيح من بين الأموات لمجد الله، نسلك نحن أيضاً كذلك في حياة جديدة » (رو ٦: ٣ ــ ٤). فالعماد موت وقيامة مع المسيح، كما يرمز إلى ذلك العبور بمـاء العمـاد، والقيامة منه.

والعماد **رمز وحقيقة** معاً للشركة في موت المسيح وقيامته: « لأنا، إذا كنّا قد صـرنا متحدين معه بشبه موته، نصير كذلك بشبه قيامته » (رو ٦: ٥). فالعماد **اتحاد رمزي وفعلـي** معاً في موت المسيح وقيامته للاشتراك بحياته الجديدة: « إنا إن كنا قد متنا مع المسيح نـؤمن أنا نحيا أيضاً معه » (رو ٦: ٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) فالعماد يحيي فينا **مفعول موت المسيح وقيامته**. وهذا هو سره. فبالعماد يتحقق في المعمود مفعول استشهاد المسيح وفدائه، « الذي أُسلم لأجل زلاتنا، وأقيم لأجل تبريرنا » (رو ٤: ٢٥)، لأننا بالعماد نصير كياناً واحداً مع المسيح (رو ٦: ٥): « فإن كنا قد متنا مع المسيح (بالعماد) نؤمن أنا سنحيا أيضاً معه... فكذلك أنتم احسبوا أنفسكم أمواتاً للخطيئة، أحياء لله في المسيح يسوع » (٦: ٨ و١١).

٣) فالعماد يقيم **وحدة كيان، ووحدة حياة**، بين المسيح والمعمود، حيث يصير المسيحي « عضواً » في « جسد المسيح » (١ كو ١٣: ٢٧)، يحيا من حياته: « فإن حيينا، فللرب نحيا، وإنْ متنا فللرب نموت. فسواء حيينا أو متنا فنحن للرب » (رو ٤: ٧ قابل غلا ٢: ٢٠؛ فيل ١: ٢٠).

وهذا التوحيد الكياني والحياتي مع المسيح، هو أيضاً توحيد مع الكنيسة « جسد المسيح » الاجتماعي الإنساني الكلّي: « فإنا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد، لجسد واحد... وسقينا جميعاً من روح واحد » (١ كو ١٢: ١٣).

فصار **تعبير** « **المسيح** » له عند بولس معنى المسيح الشخصي، والمسيح الكلّي، كما في قوله: « فكما أن الجسد واحد، وله أعضاء كثيرة، وأن جميع أعضاء الجسد مع كونها كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح » (١ كو ١٢: ١٢)، المسيح الكلي، الجماعي في الكنيسة. فالكنيسة هي المسيح الكامل الذي يصل إلى « ملء قامته » (أفس ٤: ١٣).

●

٢ ـ العماد يصير « باسم الاب والابن والروح القدس ». هذه هي وصية المسيح الأخيرة قبل صعوده إلى السماء (خاتمة متى). فالعماد يقيم بين الله الثالوث والمعمود صلة **كيانية وجودية حياتية**، في التبني للآب، والتجسيد في الابن المتجسد، والاحياء بروح الآب والابن.

١) بالعماد ننال « **التبنّي** » **لله الآب**، على الحقيقة، لا على المجاز فقط. هذا هو هدف بعثة المسيح: « لمّا تم ملء الزمان أرسل الله ابنه... لننال التبني. والدليل على أنكم أبناء كون الله أرسل إلى قلوبنا روح ابنه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ينادي فيها « أبّا » أي « يا أبتا ». فأنت، لست بعد عبداً، بل أنت ابن. وإذ أنت ابن فأنت وريث الله » (غلا ٤ ـ ٧). إنها بنوة حقيقية، وإن كانت عن طريق « التبني »؛ لأنّا « نصير على مثال صورة ابنه » (رو ٨: ٣٩)؛ ولأن « روح ابنه » يحلّ فينا فينقل المسيحي من حال عبد بالفطرة، إلى حال ابن « بالتبني » الإلهي؛ فيستطيع المعمود أن يخاطب الله كما يخاطبه المسيح: « أبّا ». وهنا ينقل بولس صوت المسيح نفسه بالأرامية، كما ينادي الطفل « بابا[1] ». وبرهان آخر أن المعمود يصير وريثاً شرعيّاً لله في سمائه وخلوده، كما يرث الابن أباه.

فالتبني الإلهي هو « الخلق الجديد » الذي تجترحه المعجزة المسيحية، فترفع الإنسان من حال العبد إلى حال ابن الله، وذلك بقدرة روح الله والمسيح المقيم في المعمود، كما يؤكد ذلك بولس مرة ثانية: « فإن جميع الذين يقتادهم روح الله هم أبناء الله، والحال أنكم لم تأخذوا روح العبودية فتخافون، بل، **أخذتم روح التبنّي** الذي به ندعو « أبّا » أي « يا أبتا ». فهذا الروح عينه يشهد لأرواحنا أنّا أولاد الله. فنحن أولاد، إذن ورثة، ورثة الله، ووارثون مع المسيح ــ ان كنا نتألم معه، لنتمجد معه » (رو ٨: ١٤ ــ ١٧).

إن تعبير « التبني » (غلو ٤: ٦؛ رو ٨: ٢٣) استعاره بولس من الشرع الهلنستي، لتأدية حقيقة مسيحية. ويظهر هذا « التبني » قائماً في اليوم الحاضر، وأملاً في اليوم الآخر: « تتوقع البرية مترقبة تجلّي أبناء الله » (رو ٨: ١٩). ويصوّر ذلك بقوله: « فنحن نعلم أن الخليقة كلها معاً تئن حتى الآن وتتمخّض، وليس هي فقط، بل نحن أيضاً الذين لهم **الروح باكورة**، نحن أيضاً نئن في أنفسنا، منتظرين التبني، افتداء أجسادنا. فإنا قد خلصنا، لكن بالرجاء » (رو ٨: ٢٢ ــ ٢٣). **فهل من تعارض** بين الحصول على التبني بالعماد، وانتظاره في اليوم الآخر؟ إنه تعارض ظاهري،

---

(١) هذا هو التفسير الحقيقي لكلمة « أباً » كما نقله عن بيئتهم الأرامية في أنطاكية الفم الذهبي، وتيودور المبسوستي، وتيودوريتس الكورشي، وكلهم من مواليدها. ونعرف من التلمود (بركوت ٢٠؛ سنهدرين ٧٠) إن أول كلمة ينطق بها الطفل ويتعلمها هي كلمة « إباي »، « إماي » أي بابا وماما.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا باطني. ولدفعه، ذهب المفسرون منذ الآباء ثلاثة مذاهب: إنه التبني المبدئي فالكامل! أو التبني الناقص في النفس وحدها، والكامل بالجسد أيضاً؛ والتبني كفعل حصل وكحال يدوم. ونحن نرى النظريات الثلاث تأتلف في واحدة، بحسب تعابير بولس، كحبة الخردل تصير شجرة، في استعارة المسيح نفسه: لقد نلنا « الروح باكورة » للتبني، والكمال في « تجلي أبناء الله » في اليوم الآخر؛ وهذا التكميل يكون « بافتداء أجسادنا » في اليوم الآخر، بعد افتداء نفوسنا في اليوم الحاضر. فليس من تعارض بين التبني الحاصل في الدهر الحاضر (٨: ١٥)، والتبني المأمول في اليوم الآخر (٨: ٢٣)، لأن هذا الأخير « تجلي أبناء الله »، باكتمال التبني « في افتداء أجسادنا ». فالخلاص قد أحرزناه مثل « باكورة » على الأرض لكنه معرض فيها للفشل بسبب خطيئة المعمود، لذلك فالخلاص مشفوع بالرجاء حتى يكتمل في السماء. إنه اكتمال ذاتي للبنوة تصير فيه الحبة شجرة.

٢) بالعماد أيضاً يتم **تجسيدنا في المسيح**، فنصير معه « جسداً واحداً » و« روحاً واحداً »، في وحدة كيان ووجود وحياة: « فإنا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد، لجسد واحد... فأنتم جسد المسيح، وكل واحد منكم عضو منه » (١ كو ١٢: ١٣ و٢٧). وحدة في الكيان بالروح الواحد والجسد الواحد، ووحدة في الحياة: « لأنا، إن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أن نحيا أيضاً معه » (رو ٦: ٨). وبولس يفصل ذلك بتعبيرين الأول مجازي، كأننا قد لبسنا المسيح لباساً! « أنتم الذين اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح، فالحمد لله » (غلا ٣: ٣٦)؛ والثاني حقيقي، « نصير على مثال صورة ابنه » (٨: ٣٩). فالعماد زرع للمسيحي في جسد المسيح نفسه[1]: إنه تجسيد في المسيح الشخصي والكلي.

٣) والعماد أخيراً **إحياء بروح الله والمسيح**. إن ميزة المسيحية على الأديان قاطبة، ما وُجد منها، وما لم يوجد، إنها تحل الروح القدس في المعمود المسيحي، فينال « الروح باكورة » (٨: ٢٣)، ومعه محبة الله، لأن محبة الله قد أفاضها في قلوبنا « الروح القدس الذي أوتيناه » (٥: ٥).

---

(1) Benoit : Exégèse et théologie II p 112 et 114.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فكأن روح الله والمسيح يصير روح روحنا: « فإنا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد... وسُقينا جميعاً من روح واحد » (١ كو ١٢: ١٣). استعارة للتعبير عن الاحياء كأننا بالعماد نُسقى الروح شراباً إلهياً. والتعبير الأول، « اعتمدنا بروح واحد »، يصرّح بالعماد؛ ولعل الثاني، « سقينا من روح واحد » يشير إلى اقتران العماد بالقربان.

إن ميزة المسيحي على المخلوقين أن روح الله مقيم فيه: « أما أنتم فلستم في الجسد، بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم » (رو ٨: ٩). لاحظ هذا التفاعل الإلهي المعجز: الروح يسكن في المسيحي، والمسيحي يُقيم في الروح. لذلك « مَن ليس فيه روح المسيح، فليس له » (رو ٨: ٩).

وهو احياء على الأرض: « إن كان المسيح فيكم، فالجسد ميّت عن الخطيئة، أما الروح **فحياة لأجل البر** ». واحياء في السماء للروح والجسد: « وإن كان روح الذي أقام المسيح من بين الأموات ساكنا فيكم، فالذي أقام المسيح يسوع من بين الأموات يحيي أيضاً أجسادكم المائتة، بروحه الساكن فيكم » (رو ٨: ١١).

وهكذا فالعماد المقرون بالميرون يسكن روح الله فينا، فيجعلنا نحيا من حياة الله، التي في المسيح. احياء في الروح، بالتجسيد في المسيح، للتبني لله الآب.

●

٣ ــ هذا التكوين الجديد للإنسان يجعله « خليقة جديدة »، يحيا « حياة جديدة »، في « بنوة إلهية » ليس كمثلها شيء.

١) فالمسيحي « **خليقة جديدة** ». هذا ما يردده بولس ويتحدّى به أهل الشريعة وأهل الحكمة وأهل الغنوص: « مَن هو في المسيح (أي المسيحي)، فهو خليقة جديدة. فإن القديم قد اضمحل، والكل قد تجدّد » (٢ كو ٥: ١٧؛ قابل غلا ٦: ١٥). وهذا « الخلق الجديد » للمسيحي، يجعله « إنساناً جديداً » (كول ٣: ١٠؛ أفس ٤: ٢٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) هذا « الخلق الجديد » في المسيحي، بالإيمان والعماد، يبعث فيه « **حياة جديدة** »، على شبه حياة المسيح في قيامته وخلوده (رو ٦: ٤)، في حياة واحدة معه ومنه (رو ٦: ٨؛ قابل ١ كو ١٠: ١ ــ ١٤؛ كول ٣: ١ ــ ١٥؛ عبر ١٠: ١٩ ــ ٢٥)؛ حيث يصير المسيح حياة المسيحي (رو ١٤: ٧ قابل غلا ٢: ٢٠؛ فيل ١: ٢٠).

٣) وهذه « الحياة الجديدة »، في الخليقة الجديدة »، هي « التبنّي »، أي « **البنوة الإلهية** » على « صورة ابنه » (٨: ٩). وهي من فعل روح الله في المسيحي، « لأن جميع الذين يقتادهم روح الله هم أبناء الله » (رو ٨: ١٤).

فحياة المسيحي « **إلهية، بنوية، روحية** » على صورة الله الثالوث. إن العماد يخلق وحدة كيان، ووحدة حياة، في المسيح، لله الآب، بفعل الروح القدس المقيم في المسيحي.

وهذا التعليم في ماهية العماد ومفاعيله الإلهية في المسيح، ليس من بولس. إنما هو تراث الرسل عن المسيح نفسه. فبولس الذي لم يبشر الرومانيين، يخاطبهم: « هل **تجهلون** أنّا جميع من اعتمدنا في المسيح، قد اعتمدنا في موته » (رو ٦: ٣). إنه استفهام انكاري، فهو يذكرهم بما تعلموه من غيره. إنما فضل بولس وعبقريته أنه فصّل إنجيل العماد أفضل تفصيل.

۞ ۞ ۞

خامساً: الحياة المسيحية

فليست الحياة المسيحية حياة تشريعية كالموسوية، أو أخلاقية كما عند الفلاسفة والمصلحين. إنما هي حياة إلهية بنوية روحية، في صلة كيانية وجودية حياتية، مع الله الآب، في المسيح الابن، بواسطة الروح القدس، روح الآب والابن.

فميزة العهد المسيحي، في التاريخ كله، حتى بالنسبة للعهد الموسوي، فالإبراهيمي من قبله، هي إنه **عهد الروح القدس، وحياة** الروح القدس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في المؤمنين. فالمسيح وحده استحق للبشرية وأعطاها روح الله. فالحياة المسيحية هي حياة بروح الله، من حياة المسيح المجيدة نفسها.

فالإيمان بالمسيح، والعماد فيه، يُسكن الروح القدس في المعمود. هذه هي الحقيقة الإنجيلية الجديدة في البشرية. وبولس كما قلنا يؤكد عليها، ويركز عليها « الحياة الجديدة » في « الخليقة الجديدة » في المسيح (رو ٨: ٩ ــ ١١).

والروح القدس هو الذي ينشئ في المسيحي البنوة الإلهية، على « صورة ابن الله » (رو ٨: ٢٩)، لأنه « روح التبني » (٨: ١٥).

وهو الذي يقود أبناء الله في حياتهم الإلهية البنوية: « فإن جميع الذين يقتادهم روح الله هم أبناء الله » (٨: ١٤). وفي هذه القيادة « الروحية » فضل المسيحي على غيره: « إن الذين هم بحسب الجسد ينزعون إلى ما للجسد، والذين هم بحسب الروح إلى ما للروح... **ونزعات الروح حياة وسلام** » (رو ٨: ٥ و٧). فالسلوك بحسب روح الله نزوع دائم إلى ما للروح الإلهي.

وهو يسكب في المسيحي الإيمان والرجاء والمحبة، « **تلك الثلاثة** ــ (جوهرة المسيحية) ــ وأعظمهن المحبة » (٢ كو ١٣: ١٣)، « وإن محبة الله قد أفاضها فينا الروح القدس الذي أُوتيناه » (رو ٥: ٥).

ويسكب في نفس المعمود أيضاً **مواهبه الروحية** (رو ١٢: ٦ ــ ٨). تلك المواهب، بمظاهرها المعجزة، كانت في بدء الدعوة المظهر الجذاب إلى الإيمان، مع المعجزات. وتظل بمفعولها الباطني مصدر القداسة في المسيحية، وقوة الاستشهاد في سبيل الدين والإيمان.

والروح يفيض في نفس المسيحي المحبة الإلهية نفسها، **شرعة الدين الجديد** (رو ٥: ٥). وهذه المحبة، بفعل الروح، هي مصدر **الفضائل المسيحية كلها** (رو ١٢: ١ ــ ١٣: ١٣)؛ وهي **روح السلوك المسيحي كله** (رو ١٢: ٩ ــ ٢١). وهذه اللائحة للسلوك المسيحي تعارض اللائحة السابقة للروح الوثنية وجرائمها (رو ١: ٢٨ ــ ٣٢)، وللروح الشرعية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونقائصها (رو ٢: ١٧ ــ ٢٤). وهذه المعارضة تظهر **إعجاز المسيحية**، والحياة فيها بحسب روح الله، على الحياة بحسب الحكمة وبحسب الشريعة التوراتية.

والروح الإلهي الساكن فينا بالعماد والميرون « **يعضد ضعفنا.** فإننا لا نعرف كيف نصلّي كما ينبغي؛ لكن الروح نفسه **يشفع فينا** بأنات معجزة! والذي يفحص القلوب يعلم ما رغبة الروح لأنه بحسب الله يشفع في القديسين » (رو ٨: ٢٦ ــ ٢٨).

وهكذا فالحياة المسيحية هي **حياة إلهية**، من حياة المسيح نفسه، بفعل الروح القدس نفسه. وهذا هو **إعجاز المسيحية** على سواها. لذلك يسميها بولس « بر الله الذي اعتلن بالمسيح » (رو ٣: ٢١)، وهو تحرير وتبرير وتقديس بالإيمان والعماد، للحياة في المسيح، بالروح القدس.

بهذا يظهر « الإنجيل قدرة الله لخلاص كل مؤمن... لأن بر الله يتجلّى فيه من إيمان إلى إيمان » (رو ١: ١٦ ــ ١٧)، من الإيمان الإبراهيمي، فالموسوي، إلى الإيمان المسيحي، مصدر الخلاص والبر والقداسة، ومحور الحياة الإلهية، في المسيح، بروح الله،

فالعهد المسيحي هو أيضاً عهد الروح القدس.

وفي هذا « العهد الجديد » الخالد نعيش في نظام الروح.

ونحيا بحسب ناموس الروح.

هذه هي الحياة المسيحية.

۞ ۞ ۞

سادساً: مشكل كفر إسرائيل بيسوع المسيح

بيئة الدعوة المسيحية ما بين الحكمة الهلنستية والشريعة الموسوية، حملت بولس في أوج تفكيره بمصير المسيحية أن يعرض **للناحية التاريخية** في موقف إسرائيل من الإنجيل: ما هو سرّ كفر اليهود بالمسيح؟ كان السؤال حاجة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شخصية عند بولس الذي لا ينسى قوميته في مسيحيته. وكان السوآل مشكلة للدعوة المسيحية عند أهل الكتاب وعند الأمميين أنفسهم؛ ولولا طرحها في رومة وغيرها لما تعرّض لها.

في الرسائل إلى غلاطية وكورنثس وقف بولس موقف الدفاع عن الإنجيل تجاه اليهود الذين يعارضون الإنجيل، والنصارى من بني إسرائيل الذين يحرّفون معناه، بفرض الشريعة والختان على المسيحيين من الأمميين لتهويدهم. فكان دفاعه حملة عنيفة في ظاهرها، مريرة في نفسه لحبه لأمته ولأخوته المؤمنين منهم بالمسيح. في هذه الأثناء كشف الله لبولس «سر» هداية اليهود أخيراً إلى المسيح بعد هداية « ملء الأمميين » (رو ١١: ٢٥). فانتقل من الدفاع إلى البيان التاريخي والإيماني لموقف إسرائيل ومصيره من الإنجيل. ويظهر أن العنصر الروماني المسيحي كان أكثر وأفعل من العنصر النصراني الإسرائيلي، ويستعلي عليه وعلى اليهود. لذلك استفتح بذكر فضل إسرائيل على العالمين، من حيث هم أهل الكتاب، بثمان ميزات: « لهم التبنّي! والمجد (الشخينة أي سكنى الله في بيته وتابوت عهده)! والعهود! والشريعة المنزلة! والعبادة! والمواعيد! ولهم الآباء! ومنهم المسيح الذي هو إله مبارك إلى الدهور. آمين » (٩: ٢ ــ ٥). وتأتي ثلاثة فصول تعرض مشكل كفرهم بالمسيح.

في فصل أول (رو ٩: ٦ ــ ٣٣) يعرض الواقع التاريخي: إن كفر إسرائيل بالمسيح، وانتباذهم، مسطور في الكتاب. ولم يخلف الله مواعيده لأن الوعد هو « للنسل الأعظم » أي المسيح، و« للبقية الناجية »، التي آمنت بالمسيح.

وفي فصل ثان (١٠: ١ ــ ٢١) يبيّن سبب كفرهم ونبذ الله لهم: تمسكوا بشريعتهم، وفاتهم أن « غاية الشريعة هي المسيح »؛ كما فاتهم أن شريعتهم قومية، ودعوة المسيح عالمية.

وفي فصل ثالث (١١: ١ ــ ٣٢) يظهر أن « سر » انتباذ إسرائيل مرهون بهداية الأمميين؛ فالله لم يرفض شعبه، بل اختار منه « البقية » الصالحة بحسب النبوة؛ وإيمان الأمميين بالمسيح هو تطعيم لهم مكان الفروع المقطوعة،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فلا فخر لهم في ذلك عليهم. وسر الله في مصير إسرائيل إنهم سيرجعون إلى المسيح متى آمن « ملء الأمميين ».

هذا هو الموقف المسيحي الحق الذي على المسيحيين الرومانيين، « الأقوياء في الإيمان »، أن يقفوه من اليهود الكافرين بالمسيح، ومن النصارى من بني إسرائيل، « الضعفاء في الإيمان »، للحفاظ على وحدة الإيمان بالله مع اليهود، وعلى وحدة الإيمان بالمسيح والكنيسة مع النصارى من بني إسرائيل. والمعنى البعيد لهذه الفصول الثلاثة هو أن «إسرائيل الله» الحقيقي، الوارث لميزات إسرائيل التاريخي الكافر، هو الكنيسة المسيحية التي أنشأها المسيح يسوع، « النسل » الأعظم لإبراهيم، من « البقية الناجية » من بني إسرائيل.

۞ ۞ ۞

سابعاً: نظام الشريعة ونظام النعمة

تتجلّى عبقرية بولس أيضاً بمقابلة رائعة بين العهد الجديد والعهد القديم، عهد الإنجيل وعهد الشريعة؛ نظام الشريعة، ونظام النعمة.

١ ــ العهد القديم هو **نظام الشريعة**، والعهد الجديد **نظام النعمة**. يهتف بولس باعتزاز: « فلستم بعد في نظام الشريعة؛ ولكنكم في نظام النعمة » (رو ٦: ١٤).

٢ ــ وهذان النظامان هما عهد الحرف في التوراة، وعهد الروح في الإنجيل (رو ٦: ١٤)؛ **عهد الحرف** في نظام الشريعة، **وعهد الروح** في نظام النعمة. يعلن بولس بفخر: « لقد قدّرنا الله أن نكون خداماً لعهد جديد، لا عهد الحرف، بل عهد الروح، والحرف يقتل والروح يحيي » (غلا ٣: ٦)

٣ ــ العهد القديم كان عند الأمميين **عهد الغضب**، « فإن غضب الله يعتلن من السماء على كل كفر وظلم بين الناس الذين يعوقون الحق بالظلم » (رو ١: ١٨)، وكان عند بني إسرائيل « **عهد صبره الإلهي** » (رو ٣: ٢٦). « أمّا الآن فقد اعتلن برّ الله ــ بمعزل عن الشريعة، لكن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تشهد له الشريعة والنبيّون ــ برّ الله بيسوع المسيح »، هذا **عهد الرضى** الإلهــي (رو ٣: ٢١ ــ ٢٢).

٤ ــ عهد الشريعة كان **عهد الخطيئة**، وعهد الإنجيل هو **عهد النعمة:** « فكما أن زلّة واحد جرّت الهلاك على جميع الناس، كذلك ببرّ واحد يكون برّ الحياة لجميع النـاس... وقـد جاءَت الشريعة لتكثر الزلّة، ولكن حيث كثرت الزلة طفحت النعمة، حتى أنـه كمـا سـادت الخطيئة للموت، كذلك تسود النعمة بالبرّ للحياة الأبدية، بيسوع المسيح ربنـا » (رو ٥: ١٨ ــ ٢١)؛ « فإن الخطيئة لن تسودكم بعد، لأنكم لستم بعد في نظام الشريعة، بل أنـتم فـي نظـام النعمة » (٦: ١٤).

٥ ــ وعهد الشريعة والخطيئة هو **عهد العبوديّة**، بينما عهد الإنجيل والنعمة هو **عهد الحرية**، حرية أبنـاء الله: « فإذ قد بُرّرنا بالإيمـان فنحن في صلح مـع الله، بربنـا يسـوع المسيح » (رو ٥: ١)، « فليس بعد من قضاء على الذين في المسيح يسوع؛ لأن شرعة روح الحياة، في يسوع المسيح، قد حرّرتني من شرعة الخطيئة والموت » (رو ٨: ١ ــ ٢).

٦ ــ لذلك كان العهد القديم **عهد الموعد**، والعهد الجديد **عهد التحقيق**. « فإن الموعد لإبراهيم ونسله بأن يكون وارثاً للعالم، لم يقم على الشريعة، بل على البرّ الذي فـي الإيمـان. لأنه لو كان أصحاب الشريعة هم الوارثون، لأبُطل الإيمان وأُلغي الموعد » (٤: ١٣ ــ ١٤)، « فإن ما لم تستطعه الشريعة لعجزها بسبب الضعف البشري، قد حققـه الله إذ أرسـل ابنـه بالذات، من أجل الخطيئة، في جسد يشبه الجسد الخاطئ، كفّارة للخطيئة، فحكم على الخطيئـة في الجسد، ليتمّ البرّ الـذي تنشده الشريعة فينـا، نحن السالكين لا سبيل الجسـد، بـل سـبيل الروح » (رو ٨: ٣ ــ ٤).

٧ ــ فكانت الشريعة **عهد الفترة**، والإنجيل **عهد الخلود:** « قبل أن يأتي الإيمان كـان مُغلقاً علينا تحت الشريعة، إلى أن يتجلى الإيمان الموعود. فالشريعة كانت حارسـاً لنـا إلـى مجيء المسيح، لننال البرّ بالإيمان. فلمّا جاء الإيمان، لم نبقَ تحت الحراسـة. فالشـريعة إذن كانت حارساً يرشدنا إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح لكي نبرّر بالإيمان » (غلا ٣: ٢٣ ــ ٢٤). فلما جاء المسيح انتهى عهد الشريعة، عهد الفترة، عهد الوصاية، عهد الحراسة، « لأن غاية الشريعة هي المسيح الذي يبرّر كل مَن يؤمن » (رو ١٠: ٤).

٨ ــ فالعهد القديم، عهد الشريعة، كان **زمن روح العبودية**؛ أما العهد الجديد، عهد الإنجيل فهو **زمن البنوّة لله**: « إنكم لم تأخذوا روحاً يستعبدكم في الخوف؛ بل أخذتم روح التبنّي، به ننادي « أبّا » « يا أبتا »! وهذا الروح عينه يشهد مع أرواحنا بأننا أبناء الله. فنحن أبناء، إذن نحن الورثة، ورثة الله، ووارثون مع المسيح » (رو ٨: ١٥ ــ ١٧).

ذاك هو نظام الشريعة! وهذا هو نظام النعمة، عهد الإيمان!

۞ ۞ ۞

خاتمة الفصل: إعجاز المسيحية في حكمتها

هدف الرسالة إلى الرومانيين هو بيان إعجاز المسيحية على الشريعة الموسوية وعلى الحكمة البشرية. ويظهر فضل الإنجيل بأسلوب المقابلة.

فهو يقابل بين الحكمة البشرية العاجزة وبين الحكمة المسيحية المنزلة المعجزة للحصول على الخلاص؛ وبين الشريعة القاصرة عن التبرير، و« الإنجيل قدرة الله لخلاص كل مؤمن، لأن برّ الله يتجلى فيه » (١: ١٦ ــ ١٧)، وبه « الآن اعتلن برّ الله بمعزل عن الشريعة ــ تشهد له الشريعة والنبيّون » (٣: ٢١).

ويقارن بين آدم الأول، سبب شقاء البشرية؛ وبين المسيح، آدم الجديد، مصدر خلاص البشرية (٥: ١٢ ــ ٢١). فيظهر المسيح محور الخلق، ومصدر « الخليقة الجديدة ».

ويوازن بين العهد القديم، عهد الشريعة، والعهد الجديد عهد النعمة؛ بين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عهد الحرف وعهد الروح؛ بين الوصية الشرعية المغلوبة، والموهبة الإلهية الغلاّبة؛ بين البرّ المحدود بأعمال الشريعة، والبرّ المحمود بالإيمان.

ويستعلي بالمفاضلة بين أعمال الشريعة والحكمة والغنوص (رو ٣: ٢٠) التي لا تأتي بالخلاص، وبين أعمال الإيمان والمحبة والعماد التي تعطي الخلاص؛ وبين حياة الشريعة أو الحكمة ونتائجهما الفاشلة، وبين حياة الإيمان والمحبة ومفاعيلهما الباهرة؛ بين السلوك بحسب البشرية في الشريعة والحكمة، والسلوك بحسب الروح في الإيمان بالمسيح؛ بين الخطيئة المفسدة والنعمة المبرّرة.

ولا يجد مثالاً للإيمان المسيحي سوى إيمان إبراهيم، خليل الله، من فوق الشريعة ومن فوق الحكمة لأنه جاءَ قبلهما بألفي سنة أو ما دونها. ففي المسيح، النسل الأعظم لإبراهيم، يتم الوعد والعهد والبركة والميراث. فأقرب الناس لإبراهيم، ليس نسله الجسدي، بل المسيحي نسله الروحي.

بتلك المقابلات يُظهر بولس إعجاز المسيحية على العالمين. ويضع على الرسالة خاتم الوحدة الفنية بإظهار إعجاز المسيحية في براعة الاستهلال وحسن الختام، بوحدة التصدير والاختتام.

هذا الإعجاز يظهر في **فاتحة الرسالة:** « من بولس، عبد يسوع المسيح الرسول بدعوة، المصطفى لإنجيل الله ـ الذي وعد به من قبل على لسان أنبيائه في الكتب المقدسة ـ في ابنه المولود بحسب البشرية من ذرية داود، المُقام بحسب روح القداسة في قدرة ابن الله، بقيامته من بين الأموات، يسوع المسيح ربنا الذي به نلنا النعمة والرسالة، لكي يطيع جميع الأمميين للإيمان، لأجل مجد اسمه ـ إلى جميع أحباء الله الذين من رومة، أهل الدعوة القديسين: النعمة لكم والسلام عليكم من الله أبينا والرب يسوع المسيح » (١: ١ ـ ٧).

هذه الفاتحة موجز لإنجيل بولس الكلامي.

والإعجاز يظهر أيضاً في خاتمة الرسالة: « فللقادر أن يثبتكم بحسب إنجيلي وبلاغ يسوع المسيح، لكشف السر المحجوب منذ الأزمنة الأزلية، لكن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المعلن الآن في كتب الأنبياء، بناءً على أمر الله الأزلي، لأجل الطاعة للإيمان، والمبلّغ إلى الأمميين أجمعين، لله الحكيم وحده المجد بيسوع السميح إلى دهر الدهور. آمين » (١٦: ٢٥ ـ ٢٧).

فالإنجيل بحسب تفصيل بولس هو « إعلان السر المحجوب » أي « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦)، السيد المسيح، سر الله في خلقه وخلاصه. وما « إنجيل » بولس في ذلك سوى تفصيلٍ « للبلاغ في يسوع المسيح » الذي يدعو به الرسل، ويفسره أنبياء العهد الجديد في كتبهم.

إن تلك المقابلات الموضوعية، والمقارنات البيانية، التي أقامتها الرسالة الرومانية، تُظهر إعجاز المسيحية في دعوتها، ومعجزة المسيح في حكمة إنجيله وسر شخصيته.

وتأتي خاتمة الرسالة الرومانية، في ختام الرسالة الكلامية، فاتحة للرسائل الصوفية في « سر المسيح »: في شخصه، وفي كنيسته، وفي الكون.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثاني

الرسائل الصوفية

تقديم: الرسائل الصوفية هي العرضة الثانية لتفصيل الإنجيل

بحث أول: الرسالة إلى الفيلبيين
(سر المسيح في ذاته)

بحث ثان: الرسالة إلى الكولوسيين
(سر المسيح في الكون)

بحث ثالث: الرسالة إلى الأفسسيين
(سر المسيح في الكنيسة والإنسان)

خاتمة: معجزة المسيحية بحسب إنجيل بولس الصوفي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تقديم:

الرسائل الصوفية هي العرضة الثانية لتفصيل الإنجيل

في الرسائل الكلامية كانت العَرْضة الأولى في تفصيل الإنجيل. وفي الرسائل إلى الفيليبيين وإلى الكولوسيين وإلى الأفسسيين، **العَرْضة الثانية**. وفيها يوصف المسيح والإنجيل بأنهما « **سر** »، وهي كشف « لسر المسيح » و« سر الإنجيل ». لذلك درجت تسميتها **بالرسائل الصوفية**.

إن تلك الرسائل الثلاث تكشف عن أبعاد جديدة **لسر المسيح الكنسي والكوني والإلهي**، لم يظهر منها في الرسائل الكبرى الكلامية، سوى إشارات. لقد نضجت الثمرة فصارت شجرة.

وبسبب هذا التطور في وصف شخصية المسيح، بإظهار سره ودوره في الخالق والمخلوق، وفي الإعلان الصريح لإلهية المسيح ــ وإن كانت ظاهرة في الرسائل الكلامية ــ عمد بعضهم إلى التشكيك في صحتها، للطعن في عقيدتها. وحجتهم الكبرى، مع فارق العقيدة، فارق اللغة، خصوصاً استخدام تعابير الغنوص التي لم تظهر على حدّ قولهم إلاّ في القرن الثاني.

وفاتهم إن الاكتشافات الأخيرة أظهرت أن الغنوص كانت منتشرة منذ القرن الأول. والبرهان **وجود الغنوص في مخطوطات قمران** ذلك الدير الشهير لجماعة الاسينيين الرهبان الذي انقرض في الحرب السبعينية. ونعرف أن النصارى من بني إسرائيل يُدعون في القرآن « أولي العلم » أي أهل الغنوص، الصفة التي فاخروا بها، وعليها بنوا كلامهم في الإنجيل. فحاربوا سُنّة بولس بتشيعهم للتوراة، وبناء كلامهم في الإنجيل على الغنوص. فهذا الواقع التاريخي **حجة لصحة الرسائل الصوفية**.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتركيز أخصام بولس على الغنوص حمله على إعلان « الغنوص السامية » في الإنجيل وفي سر المسيح. وتحوّل الصراع من الشريعة إلى الغنوص جعل بولس يتطور، في تفصيل الإنجيل، **من الإنجيل الكلامي، إلى الإنجيل الصوفي**.

١ ــ الإنجيل يتحدّى الغنوص الناشئة

في عهد بولس وفيلون كان يتجاذب الفكر والدين نزعتان: الحكمة اليونانية، والغنوص الهلنستية التي نشأت من تلقيح الفكر اليوناني بالحكمة المشرقية الصوفية، في المسكونة الرومانية.

في الرسائل الكلامية كان صراع الإنجيل مع الشريعة والحكمة، فعَرَّض بولس بهما، وعَرَض الحكمة المنزلة في المسيح، وشرعة الروح. فأعطانا فلسفة المسيحية في **عرْضة أولى لتفصيل الإنجيل**.

وكانت طلائع الغنوص والأديان السريّة التي تعتمدها قد غزت العالم الهلنستي، ووصلت إلى العالم اليهودي، حتى في دير قمران. فعمدت اليهودية الهلنستية والنصرانية الإسرائيلية إلى الغنوص لتحدّا من نشوة الدعوة المسيحية التي يقودها بولس. وتركزت حركتهم في كولوسي، وشملت آسيا الرومانية حتى عاصمتها أفسس، وظهر تأثيرها على المسيحيين، في كنائس بولس، بسبب غيابه في أسره عن مسرح الجهاد.

كان بولس في **أسر طويل**، مدة خمس سنوات، ما بين قيصرية فلسطين ورومة (٥٨ ــ ٦٣). فخلى فيها بولس لنفسه يتأمل في سر المسيح والإنجيل. وكانت تتوالى عليه أخبار مؤامرات اليهود، ومناورات النصارى من بني إسرائيل، مع سحر الغنوص الهلنستية على الناس. وقد لفت نظره اعتماد أخصام المسيحية على الغنوص للحد من سحر الإنجيل. وقد تولّت « النصرانية الغنوصية » استغلال غيابه في أسره لبلبلة كنائس « آسيا ».

فكتب بولس بمناسبات مختلفة يردّ تحدّي الغنوص للمسيحية، بعرض « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦)، « سر المسيح المحجوب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

منذ الأزمنة الأزلية » (رو ١٦: ٢٥). أخيراً في أسره تعمّق في سر الإنجيل والمسيح، بوحي الروح، فعرض « الغنوص السامية » في المسيحية (فيل ١: ٩؛ كول ١: ٩؛ أفس ١: ١٧) ردّاً على الغنوص « النصرانية »، ومن ورائها اليهودية والهلنستية. فكانت **العرْضة الثانية لتفصيل الإنجيل.**

كانت العرضة الأولى كلامية للرد على الشريعة والحكمة. وجاءت العرضة الثانية صوفية، استخدم فيها بولس تعابير الغنوص من « سر » و« ملء » للقضاء عليها بسلاحها، ولبيان « الغنوص السامية » في سر الإنجيل وسر المسيح.

٢ ـ الوحدة اللغوية والتعليمية والزمانية والمكانية بين الرسائل الصوفية

تمتاز الرسائل الثلاث بلغتها المتشابهة والسهلة، وإنشائها المسهب الذي يختلف عن النظم المقتضب في الرسائل الكلامية. وهذا الواقع اللغوي يشير إلى فترة حياتية غير فترة الرسائل الكلامية، وإلى **قربى لغوية حياتية** بين الرسائل الصوفية.

وموضوعها، « الغنوص السامية » في « سر » المسيح، يكشف لنا سره في ذاته (إلى الفيليبيين)، وسره في الكون (إلى الكولوسيين)، وسره في الكنيسة والإنسان (إلى الأفسسيين). فهذه **قربى تعليمية** توحّد بينها، وتدل على قربى زمانية ومكانية.

فالرسائل الصوفية الثلاث تشير إلى « **أسر** » يكابده بولس (فيل ١: ٧ و٩ و٢٣؛ كول ١: ٢٤؛ ٤: ٣ و١٠ و١٨؛ أفس ٣: ١؛ ٦: ٢٠). ونعرف أسره الطويل في قيصرية ثم في رومة. وربما تعرّض قبله إلى أسر عابر في أفسس (رو ١٦: ٧) وصل فيه إلى « خطر الموت الداهم » (٢ كو ١: ٨)؛ لكن هذا الأسر العابر في أفسس ليس المذكور في الرسائل الصوفية لأنه قبلها. بقي الأسر الكبير ما بين قيصرية ورومة. والقرائن الذاتية التي سنراها تدل على الأسر في رومة. وهذا دليل **القربى المكانية والزمانية** للرسائل الثلاث.

وتلك الرسائل الثلاث تردّ على الغنوص التي بها يتشدقون، « بالغنوص

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السامية » في سر الإنجيل وسر المسيح. وهذه **قربى أسلوبية** تجمع بينها في صوفية واحدة.

فتلك الوحدات اللغوية والتعليمية والزمانية والمكانية والأسلوبية تجعل من الرسائل الثلاث **مجموعة واحدة متميّزة**، هي الإنجيل الصوفي لبولس.

لكن يرى بعضهم أن هذا الجامع، بالنسبة **للرسالة الفيليبية**، ليس بقاطع. فهناك **فارق البيئة:** فالرسالة الفيليبية موجهة إلى عاصمة مقدونية في شمال اليونان؛ بينما الرسالتان إلى كولوسي وإلى أفسس موجهتان إلى آسية الرومانية. وهناك **فارق الموضوع:** ففي الفيليبية لا يأتي ذكر المسيحية بتعبير « السر » بل بتعبير « الإنجيل » كما في الرسائل الكبرى ــ وهذا دليل وحدة لغوية وزمانية معها. وتعليمها يذكر الخلاص والبرّ بالشركة في موت المسيح، كما في الرسائل الكلامية ــ وهذا دليل وحدة تعليمية معها. والحملة على « أهل البتر » (فيل ٣: ٢) أي أهل الختان، هي مثل الحملة على « المعلمين الكاذبين » كما في الرسائل الغلاطية والكورنثية ــ وهذه إشارة إلى وحدة الخصوم والأسلوب. لذلك فهم يرون في الفيليبية رسالة مستقلة عن مجموعة الرسالتين إلى الكولوسيين والأفسسيين؛ ومن زمن أقرب إلى الرسائل الكلامية منه إلى الصوفية، ومن مكان في الأسر غير الأسر المذكور في الكولوسية والأفسسية. إنها في نظرهم **رسالة مخضرمة** بين المجموعتين، وصلة وصل بينهما. وقد كتبها بولس من أسره بأفسس، بينما الأخريات من أسره برومة. وهناك من يجعل الثلاث من الأسر بقيصرية.

لكن الاجماع على كون الرسالتين إلى كولوسي وإلى أفسس من الأسر برومة. والخلاف في الرسالة الفيليبية يزول متى عرفنا **أنها مجموعة ثلاث رسائل**، منها من الأسر في أفسس تدل عليه دلائل القربى مع الرسائل الصوفية الأخرى فهي **رسالة متبعّضعة من عهدين**. يؤيد ذلك شواهد أخرى. إن العنوان واحد فيها كما في الرسائل الصوفية، « إلى القديسين في المسيح يسوع الذين في... »، لا إلى « كنيسة الله التي في... » كما في الرسائل الأولى. وفي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الثـــلاث موضوع واحد وهـــو « سر المسيح »، وبأســلوب واحــد، تحت شعار واحـــد هـــو « الغنوص الســـامية » (فيل ١: ٩؛ كول ١: ٩ أفس ١: ١٧) ومــــا يصفه بولس من أحـــوال « أسره الحر » ينطبق على الأسر برومة، لا على الأسر في أفسس ثم في قيصرية حيث كان في « الأسر الشديد » لا يصل إليه أحد (أع ٢٧: ٢: فيل ١: ١٢ و٢١، أفس ٦: ١٩؛ فيليمون ١٠ و٢٤). يؤيد ذلك وجود أعوان بولس معه في أسره، أمثال أرسترخس ولوقا (كـــو ٤: ١٠ و١٤؛ فيلمون ٢٤ قابل أع ٢٧: ٢)، ولوقا لم يكن مع بولس فـــي أفســـس (أع ١٦: ١٧؛ ٢٠: ٦)؛ وهو لا يذكر أسراً لبولس في أفسس، مما يدل على أنه لم يكن معه فيها. فوجود لوقا مـــع بولس في أسره الذي تذكره الرسائل الثلاث، الفيليبية والكولوسية والأفسسية، دليل علـــى أنهـــا جميعاً من زمن الأسر برومة. لذلك فالرسالة الفيليبية ـــ ما عدا المكتوب فيهـــا مـــن أفســـس ويقربها من الرسائل الكلامية ـــ هي أيضاً من الرسائل الصوفية التي تجمعها الوحدة اللغويـــة والتعليمية والأسلوبية والزمانية والمكانية. لكن واقع التبعيض في الفيليبية يجعلها مخضرمة ما بين أسرين وأسلوبين وعهدين. فهي **صلة الوصل** ما بين الرسائل الكلامية والرسائل الصوفية.

٣ ـــ صحة الرسائل الصوفية الثلاث على الإجمال

لقد طعن بعضهم في صحة الرسائل الصوفية الثلاث لاختلافها فـــي اللغـــة والإنشـــاء والأسلوب والموضوع، عن الرسائل الكبرى الكلامية. والطعن موجه خصوصاً إلى الرســـالة الجامعة، باسم الأفسسيين، لأن بعض تعابيرها اقتباس يكاد يكون حرفيّاً لتعابير الرســـالة إلـــى الكولوسيين، مع تعديل بمعنى تلـــك التعـــابير (أفـــس ٣: ٣ ـــ ١٣ = كـــول ١: ٢٤ ـــ ٢٩). والأفسسية تصرح عن نفسها بأنها تفصيل لموجز الكولوسية (أفس ٣: ٢).

ولكن سموّ الرسالة لا نعرف له صاحباً إلاّ عبقرية بولس. وقرابتها مـــن الكولوســـية شاهد على صحتها، لا على انتحالها. وبولس وحده كان كفوءاً ليمثـــل نفســـه ويكـــرر فكـــره بالتفصيل. وهذا لا يمنع استخدام كاتبين مختلفين لإملاء الرسالتين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الشبهة الكبرى على صحة الرسائل الصوفية الثلاث هي صفتها الغنوصية، لأن الغنوص في عرْف المعترضين لم تظهر إلاّ في القرن الثاني. ومخطوطات قمران العابقة بالغنوص قضت على هذه الشبهة. وبرهان آخر هو أن غلاة النصارى من بني إسرائيل، خصوم بولس في المسيحية المتحررة من الشريعة، كان اعتمادهم، مثل الاحياء من جماعة قمران الذين انضموا إليهم بعد الحرب السبعينية وانقراض ديرهم، على الغنوص بكلامهم في الإنجيل. فتسموا « بأولي العلم » أي أهل الغنوص في المسيحية؛ وقد عبرت صفتهم هذه إلى القرآن. فواقع خصوم بولس، وصفة كلامهم في الإنجيل، شاهد على قيام الغنوص منذ العهد الرسولي، وبالتالي على الصحة الشخصية والزمانية للرسائل الصوفية.

وشبهة **الفارق في اللغة والأسلوب** ما بين الرسائل الكلامية والصوفية كأنهما عالمان متميزان، تزول باختلاف الموضوع الذي يجرّ اختلاف اللغة والأسلوب. فبولس في الرسائل الصوفية يردّ « بالغنوص السامية » في المسيحية على الغنوص الهلنستية واليهودية والنصرانية الإسرائيلية. وهذا يجرّ حتماً تغيّر اللغة والأسلوب من الرسائل الكلامية. وليس بعسير على عبقرية جبارة مثل بولس أن يجمع الفوارق في اللغة والأسلوب بحسب اختلاف الموضوع. وتنوّع الأسلوب ليس نادراً عن العبقريات.

الشبهة الثالثة في تطور العقيدة، ما بين الرسائل الكلامية والصوفية. إن تطوير العقيدة، بحسب تطور ظروف الدعوة، إلى أبعادها الكامنة في الرسائل الكلامية (١ كو ٢: ٦؛ رو ١٦: ٢٥ ـ ٢٧) شيء طبيعي فلا يطعن في صحة الرسائل الصوفية. فهل كان على بولس أن يجمد على رؤيته الأولى للمسيحية، ويحول دون تطور الوحي في تفصيل الإنجيل؛ فكما تطوّر تصوّره لأحوال القيامة ما بين الرسائل التسالونيكية والكورنثية، كذلك يتطور تصوّره لسر المسيح ما بين الكلامية والصوفية. فما الصوفية سوى تفصيل لموجز سر المسيح الذي عرض له في الكلامية (١ كو ٢: ٦ ـ ١٧؛ رو ١٦: ٢٥ ـ ٢٧). وخاتمة الرسالة الرومانية (١٦: ٢٥ ـ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢٧) التي تدل على تركيز جديد لفكر بولس في سر المسيح، إنما هي فاتحة الرسائل الصوفية، التي نضجت في التأمل، بالأسر، تحت الوحي الإلهي.

إن **الشبهة الضخمة**، في نظر أصحابها، هي الفارق العظيم في الموضوع والأسلوب معاً، ما بين الرسائل الكلامية والرسائل الصوفية، كأنهما عالمان مختلفان، لا ينبثقان من صانع واحد. فموضوع الرسائل الصوفية هو « سر المسيح » في ذاته وفي الإنسان والكون والله، بينما موضوع الرسائل الكلامية هو موقف الإنجيل من الشريعة والحكمة. لكن فاتهم تطور الدعوة، وتغيّر الموضوع عند الخصوم. ففي الرسائل الكلامية يرد بولس على أهل الشريعة وعلى أهل الحكمة بإعجاز الإنجيل في الشريعة والحكمة. بينما في الرسائل الصوفية فهو يرد على أهل الغنوص الهلنستية واليهودية والنصرانية الإسرائيلية، « بالغنوص السامية » (فيل ١: ٩؛ كول ١: ٩؛ أفس ١: ١٧) في إعجاز الإنجيل، بالكشف الكامل عن « سر المسيح ». لقد تغيّر موضوع الجدال، فجرّ معه اختلاف اللغة والأسلوب. فكان لا بدّ من استخدام تعابير الغنوص، مثل « السر »، « الملء »، « الإنسان الجديد »، للرد على الغنوص بسلاحها. وبولس ابن بجدتها، لا تقتصر عبقريته على ناحية واحدة. فكان الإنجيل الصوفي، إلى جانب الإنجيل الكلامي، في تعليم بولس لتفصيل الإنجيل. فالعالمان المختلفان، ما بين الكلامية والصوفية، تجمعهما عبقرية صانع واحد.

وليست الشبهة في قيام الرسائل الصوفية، إلى جانب الرسائل الكلامية، كأنهما عالمان مختلفان. إنما الشبهة كلها تكون في عدم تعرض بولس للغنوص في بيئة تعج بها وتضج، في وجه المسيحية. فكما أظهر بولس فضل الإنجيل على الشريعة وعلى الحكمة، كان عليه تبيان فضله على الغنوص. إن الإنجيل « حكمة سامية » و« شرعة الروح »؛ وهو أيضاً « غنوص سامية » يكشف سر الله والكون والإنسان بالكشف عن « سر المسيح »، ويتحدى الغنوص على أنواعها. فصحة الرسائل الصوفية تقتضيها بيئة الدعوة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٤ ـ موضوع الرسائل الصوفية

موضوعها الكشف عن « سر المسيح » في « سر الإنجيل »، بأسلوب شخصي في الفيليبية، ودفاعي في الكولوسية، وتعليمي في الأفسسية. والثلاث متكاملة في موضوعها، وتؤلف واحدة الإنجيل الصوفي:

الرسالة إلى الفيليبيين: سر المسيح في ذاته

الرسالة إلى الكولوسيين: سر المسيح في الكون

الرسالة إلى الأفسسيين: سر المسيح في الكنيسة والإنسان

۞ ۞ ۞

بحث أول

الرسالة إلى الفيليبيين

(سرّ المسيح في ذاته)

توطئة: مكانة الرسالة من المجموعة البولسية

إن الرسالة إلى الفيليبيّين تقع على مفترق الطرق بين الرسائل الكلامية، والرسائل الصوفية، بأسلوبها وموضوعها. فهي تتكلم في **الخلاص والغنوص معاً**، بلغة الكتاب والرسائل الكبرى، وبلغة الغنوص جميعاً.

لذلك فهي رسالة **مخضرمة**، وهي فاتحة الرسائل الصوفية.

وأسلوبها أقرب إلى المكتوب العائلي، منه إلى رسالة جامعة.

لكنها أول رسالة تتكلم عن المسيحية بأنها « غنوص سامية » (١: ٩) وفيها **النشيد الرائع** لسر المسيح في ذاته وفي سيرته وفي رسالته.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول: تمهيد للرسالة الفيلبية

أولاً: فيليبي وكنيستها

تحمل المدينة اسم فيلبس المقدوني، أبي الاسكندر ذي القرنين، الذي أعاد بناءَها على مدينة قديمة من القرن السابع كانت تسمى « فرينيذة » أي أم « العيون ».

وفي عام ١٤٦ ق. م. احتلتها رومة وحولتها إلى ولاية رومانية؛ وفي عام ٤٢ ق. م. جعلها أوغسطوس قيصر **مستعمرة حرة** للمتقاعدين من الجيش الروماني، تتمتع وتحكم « بالقانون الإيطالي » (أع ١٦: ٢١). لذلك كان أكثر من نصفها رومانيين، والبلدة كلها تعتبر نفسها رومانية. وهذا ما يفسر اهتمام بولس بنقل أخبار « الحرس الإمبراطوري » (١: ١٣) « لا سيّما الذين هم من دار القيصر » (٤: ٢٢)، إلى أهل فيلبي المسيحيين.

كانت فيليبي العاصمة قبل أن ينقل الرومان الإدارة إلى امفيبوليس؛ لكنها ظلت العاصمة التاريخية في نظر المواطنين (أع ١٦: ١٢). وكانت موقعاً ستراتيجيّاً ممتازاً بين جبلين؛ وعلى الطريق الأغناطسية الدولية كانت سوقاً تجارية.

لذلك قصدتها **جالية يهودية**، ظل نفوذها محدوداً، بما أنه لم يكن لهم فيها جامع، بل زاوية على النهر. وبسبب طغيان العنصر الروماني والعسكري فيها، لم يقدر اليهود أن يخلقوا فيها متاعب لبولس، إلاّ بعد أسره.

أسّس بولس **كنيسة فيليبي**، في مطلع رحلته الرسولية الثانية عام ٥٠ ــ ٥١ فقد كان يتهيّب اقتحام اليونان وأوربّا، معقل الحكمة والعقل. لكن حمله على الاقتحام « رؤيا » ظهر له فيها رجل مقدوني يطلب إليه: « أعبر إلينا وأغثنا » (أع ١٦: ٩). فقرّر افتتاح الرسالة في اليونان بفيليبّي،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المستعمرة الحرة الرومانية (أع ١٦ كله) وفي رحلته الرسولية الثالثة، بمناسبة مشاكل كورنثس، مر بولس بفيليبي مرتين في خريف ٥٧. وفي فصح ٥٨. فأحب أن يختم دعوته، كما افتتحها، بفيليبي.

فقد كانت كنيسة فيلبي أحب الكنائس الإغريقية إلى قلب بولس الذي « **أحبهم جميعاً بقلب المسيح يسوع** » (١: ٨)، فشعروا بذلك ووثقوا به ثقة عمياء (فيل ٤: ١٦؛ ٢ كو ١١: ٩). ولم يقبل **مساعدة مالية** من أحد، إلاّ من أهل فيليبي، الذين ساعدوه في تسالونيكية مرتين (فيل ٤: ١٦)، ثم في كورنثس حيث حضر وحيداً في حرج بعد فشله في أثينا (٢ كو ١١: ٩)، أخيراً في أفسس ــ أو في رومة؟ ــ (فيل ٤: ١٠ ــ ٢٠)؛ وذلك غير تبرعاتهم الضخمة إلى فقراء أورشليم؛ فقد كانوا يرفعون شيئاً من مرتباتهم التقاعدية للمساهمة في نشر الإنجيل (١: ٥) لذلك يصف بولس تبرّعاتهم بأنه « عطرٌ عرْفه طيب، وذبيحة راضية مرضية عند الله » (٤: ١٨).

•

ثانياً: مناسبات الرسالة ووحدتها البيانية

١ ــ إن **واقع الرسالة** في معطياته المتعارضة حيّر العلماء في مناسباتها ووحدتها. لكن هذا الواقع نفسه يفسّر مناسبات الرسالة.

١) فهو يدل على أسر بولس في « القيود » (١: ٧ و١٣ و١٧ و٢١ ــ ٢٦؛ ٢: ٢٣ ــ ٢٤) وله صورتان: في الأولى فرح بالاستشهاد (٢: ١٧ ــ ١٨)؛ وفي الثانية فرح بالفرج القريب وقدومه إليهم (٢: ٢٣: ٢٤). وهذا يدل على أسرين مختلفين.

٢) وفي دعوتهم إلى الفرح معه بالأسر في سبيل الإنجيل (٢: ١٧ ــ ١٨ مع ٣: ١) **استطراد أول** يشير إلى بعثة تيموتاوس إليهم (٢: ١٩ ــ ٢٤) ثم إلى بعثة ابفروديتس (٢: ٢٥ ــ ٣٠)، وهو الذي حمل إليه تبرّعهم الأخير. لكن بولس لن يبعث تيموتاوس إليهم إلاّ « حالما يتضح ما يكون من أمري » (٢: ٢٣)، فلا يترك نفسه بلا معين قربه. وقد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تمت بعثة تيموتاوس إليهم (أع ١٩: ٢١ ــ ٢٢). وهذا دليل على بعثتين ورسالتين.

٣) وهناك **استطراد ثان** يقطع مرة أخرى الدعوة إلى الفرح (٣: ١ مع ٤: ٤)، حيث ينتقل بولس إلى حملة عنيفة أولاً على النصارى من بني إسرائيل (٣: ١ ــ ١٦) ثم على أهل الغنوص « النصرانية » (٣: ١٧ ــ ٢١)؛ وإلى حملة لطيفة على أصحاب بلبلة الكنيسة، بسبب سيدتين مسيحيتين لهما نفوذ وفضل (٤: ١ ــ ٣). نفهم الحملة على اليهود النصارى من زمن حملته عليهم في غلاطية وكورنثس؛ والحملة على أهل الغنوص « النصرانية » من زمن حملته عليهم في كولوسي وأفسس. وقضية الخلاف بين السيدتين نظنها سبب بعثة تيموتاوس إليهم. وهذه دلائل على ثلاث رسائل.

٤) وفي مطلع الحملة على اليهود النصارى يشير إلى الكتابة إليهم مرة ثانية (٣: ١)؛ وفي مطلع الحملة على أهل الغنوص « النصرانية » نجد الإشارة نفسها (٣: ١٨). وهذان المطلعان يدلان على رسالتين غير الرسالة التي تحتضنهما وهذا دليل قاطع على أن الرسالة القانونية إلى الفيليبيين هي مجموعة ثلاث رسائل. ولا يعقل أن يضيع أهل فيلبي رسالة من معلمهم المحبوب؛ وفيهم خصوصاً أساقفة وشمامسة (١: ١).

٢ ــ والمشكل في تحديد التعدّد والمكان، قائم على وجود **أسر لبولس في أفسس** أم لا. فإن أسره في قيصرية فلسطين، ثم في رومة، لا خلاف فيه. فأيّ أسر يقصد بولس في رسالته إلى الفيليبيين؟

كان الأقدمون يؤكّدون أن بولس قصد **أسره في رومة**، بسبب ذكر « الحرس الإمبراطوري » (١: ١٣). لكن هذه الإشارة، وإنْ **دلت** بالحري على رومة، ليست قاطعة، لأنه كان حرس امبراطوري في المدن الكبرى كلها، خصوصاً في عواصم الولايات مثل أفسس، كما في رومة. أما الإشارة إلى « الذين من بيت قيصر » (٤: ٢٢) فلا تعني إلاّ القصر الإمبراطوري برومة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وليس من شيء يشير فيها، كما زعم أحدهم، إلى أسر بولس في قيصرية فلسطين، حيث كان بولس في شغل شاغل للنجاة من « الكفار الذين في اليهودية » (رو ١٥: ٣١).

لذلك قام رأي معاصر، حتى بين الكاثوليكيين أنفسهم، يقول بأن بولس في الرسالة إلى الفيليبيين بذكر **أسره في أفسس**، كما يتضح من « خطر الموت الداهم » الذي أفلت منه، وينقل خبره إلى الكورنثيين حالاً بعد نجاته (٢ كو ١: ١٠)؛ ويعود إليه، ويصرّح به إلى الرومانيين ــ أو إلى الأفسسيين، إذا اعتبرنا الفصل (رو ١٦) ملحق على الرسالة في نسخة ثانية إليهم ــ (رو ١٦: ٧).

وهذا الوضع يفسر الأحداث فيها على أحسن وجه: رحلة أبفروديتس من فيلبي إلى أفسس يحمل إليه التبرّع، ويقوم بخدمته، ثم يعود إلى فيلبي (٢: ٢٥ ــ ٣٠)؛ ثم بعثة تيموتاوس إلى فيلبي يستطلع أخبارها (٢: ١٩ ــ ٢٤). وكان السفر بين أفسس وفيلبي ينقضي في عشرة أيام؛ بينما كان يقتضي إلى قيصرية عشرين يوماً، وإلى رومة شهراً كاملاً؛ ولا تدل سرعة المواصلات على ذلك. أخيراً خبر قدوم بولس على آثار تلميذه « عن قريب » (٢: ٢٤)، ولا يُعقل هذا من رومة؛ وكان بولس ينوي الذهاب من رومة إلى أسبانيا (أع ١٩: ٢١ ــ ٢٢، رو ١٥: ٢٢ ــ ٢٣). أخيراً لا تفهم حملته على « أهل البتر » (٣: ٢) بعد رسالة المهادنة إلى الرومانيين.

ويقولون: إن **سكوت لوقا عن ذكر أسر بولس في أفسس** ليس بحجة قاطعة؛ إنما هو دليل على أمانته الكاملة في روايته، فإن لوقا لم يكن مع بولس في أفسس، بل التقيا في فيلبي للسفر الأخير إلى آسيا الرومانية ثم إلى أورشليم (أع ٢٠: ٥ ــ ٦)؛ لذلك أهمل ذكره، كما أهمل ذكر « خطر الموت الداهم » (٢ كو ١: ١٠) أو اخضاع بولس « للصراع مع الوحوش » (١ كو ١٥: ٢ ــ ٣)، في أفسس كما ينص بولس ــ ترك لوقا ذلك كفنان للأسر الأكبر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونحن نرى حجج الفريقين على صواب. فمهما يكن من صواب حجج أهل السر في أفسس، فإن حجة الموضوع في الرسالة قاطعة، وهو سرّ المسيح في شخصيته وسيرته؛ تدعمها حجة الأسلوب واللغة، « للغنوص السامية » (١: ٩) في معرفة المسيح؛ والحجتان لا مثيل لهما في رسائل ما قبل الأسر الروماني. صحيح أن بولس يسمي الدعوة المسيحية « إنجيلاً »، كذي قبل، لا « سراً » كما فيما بعد؛ لكن هذا الإنجيل فيه « الغنوص السامية » (فيل ١: ٩)، كما في (كول ١: ٩) وفي (أفس ١: ١٧)؛ وهذا دليل الأسلوب الجديد في عرض المسيحية والإنجيل. كذلك نرى في إخبار أهل فيلبي أخبار المسيحية التي غزت الحرس الإمبراطوري، وتغلغلت حتى « بيت القيصر »، إشارة إلى الأسر الروماني أكثر منها إلى الأسر الأفسسي، لأنه يثلج قلب الجند المتقاعدين والمهتدين في فيلبي، أكثر من هداية جند الأقاليم؛ ولا إشارة إلى هؤلاء، في الرسائل الأخرى؛ خصوصاً أن بولس لم يتمتع بالأسر الحر خارج القلعة العسكرية إلاّ برومة، « في بيت استأجره ».

٣ ـ فهذا **الواقع المزدوج** الذي يفرض وجود الأسرين في الرسالة؛ مع الإشارة الصريحة إلى رسائل غيرها إلى أهل فيلبي في مطلع الحملة على النصارى من بني إسرائيل (٣: ١ ـ ١٦) ثم في مطلع الحملة على أهل الغنوص « النصرانية » (٣: ١٧ ـ ١٨)؛ كذلك التصريح ببعثتين، بعثة تيموتاوس (٢: ١٩ ـ ٢٤)، وقبلها بعثة ابفروديتس (٢: ٢٥ ـ ٣٠) ـ كل هذا يحملنا على تحليل الرسالة القانونية إلى **ثلاثة مكاتيب**، اثنان من أفسس، والرسالة التي تضمهما من رومة.

١) علم أهل فيليبي بأسر بولس وضيقه في أفسس فأرسلوا إليه أبفروديتس مع إعانة مالية؛ فكتب بولس يشكرهم ويعتذر عن تأخر أبفروديتس عنده لمرض ألـمّ بـه؛ فكان هذا موضوع **المكتوب الأول** من أفسس (٤: ١٠ ـ ٢٠ مع ٢: ٢٥ ـ ٣٠).

٢) ثم وصلت إلى بولس أخبار الفتنة التي يزرعها النصارى من بني إسرائيل في كنيسة فيلبي. فكتب إليهم يحذرهم منها، ويذكرهم بأنه هو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أولى من أولئك بالشريعة والإنجيل معاً. ثم يخبرهم بأنه سيبعث إليهم تيموتاوس « عن قريب » « متى اتضح لي ما يكون من أمري ». فالفرج من الأسر قريب. فكان هذا موضوع **المكتوب الثاني** من أفسس (٣: ١ ــ ١٦ مع ٢: ١٩ ــ ٢٤ مع ٤: ٨ ــ ٩).

٣) وانهمك بولس في مشاكل كورنش، ثم في الرحلة إلى أورشليم لحمل التبرعات إلى فقرائها، فكان الأسر، واستأنف بولس دعواه إلى قيصر. وأقام بروم في « أسر حرّ » خارج القلعة العسكرية يبث دعوته في عاصمة المسكونة. في هذه الأثناء جاءَته أخبار فيلبي عن تأثير أهل الغنوص « النصرانية » على أحبائه وانحراف البعض في إثرهم؛ وساءَه خبر خلاف السيدتين الزعيمتين في فيلبي فكتب إليهم **الرسالة في** « **الغنوص السامية** » التي فيها سر المسيح، والنشيد « لاسمه الأعظم » (١: ١ ــ ٣: ١ مع ٣: ١٧ ــ ٤: مع الخاتمة ٤: ٢١ ــ ٢٣). فتكون هذه الرسالة من رومة هي الثالثة تاريخياً؛ وهي تدعو إلى وحدة الرأي تجاه دس أهل الغنوص ومن وراءَهم ومن معهم لأن الإنجيل هو « الغنوص السامية ».

هذا التحليل البياني للرسالة القانونية الواحدة أقرب إلى معطيات واقعها المختلفة، ويحسم الحجج المتعارضة، في مناسبات الرسالة ووحدتها البيانية. وعند جمع رسائل بولس، جمعوا مكاتيبه إلى أهل فيلبي في رسالة واحدة قانونية.

●

رابعاً: وحدة الرسالة القانونية، وزمانها ومكانها

إن وحدة الرسالة القانونية قائمة في جميع المخطوطات. لكن الوحدة القانونية لا تقتضي حتماً الوحدة البيانية.

وقصة زمان الرسالة ومكانها تتبع قضية وحدتها البيانية.

فمن يعتبر الرسالة الفيليبية من زمن أسر بولس في أفسس، يجعلها من آخر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

دعوته في عاصمة آسيا، عام ٥٦ ــ ٥٧، لأنه علّم حراً طليقاً مدة سنتين في مدرسة تيــرنّس (أع ١٩: ١٠).

ومن يعتبرها من زمن الأسر الروماني فيجعلها من عام ٦١.

والصواب عندنا أنها ثلاثة مكاتيب من زمانين ومكانين مختلفين، من أفسس قبل الأسر الأكبر، ثم من رومة في بداية سجنه الحر خارج القلعة العسكرية، كما تبيّن لنا مــن التحليــل السابق؛ وخير شاهد قول بولس في « الجهاد عينه الذي رأيتموه فيّ (بأفسس) وتســمعون بــه عني الآن » في رومة (١: ٣). وهذا العرض في تعدّد الرسالة إلى ثلاثــة مكاتيــب لا يمنــع وحدتها القانونية القائمة.

●

خامساً: صحة الرسالة وأسلوبها الشخصي

صحتها تقوم على إجماع السُنّة المسيحية المتواتر؛ وعلى تواتر المخطوطات؛ وعلــى تواتر تلاوتها في الكنائس منذ عهد بولس.

أثار عليها بعضهم **شبهة أولى** على أسلوبها في اعتبار الإنجيل « غنوصــاً ســامية » (١: ٩). وفاتهم أن الشبهة تكون إذا سكت بولس على تحدي الغنــوص الناشــئة فــي البيئــة الهلنستية المسيحية الصاعدة. فالتحدي قائم، ولا بدّ من الرد عليه. وفي الرسالة الفيليبيّــة بــدء الردّ البولس والمسيحي على الغنوص الهلنستية التي تقمصتها « النصرانية ».

وأثار عليها بعضهم **شبهة ثانية** على تعليمها في النشيد « للاسم الأعظــم »، الــرب المسيح (٢: ٦ ــ ١١)، لأنه يقطع سلسلة تعاليم أخلاقية (٢: ١ ــ ٥ ثم ١٢: ١٨)؛ والاقحــام الكلامي على الخطاب الأخلاقي ظاهر. أجل هذا واقع؛ لكن ما يمنع بولس أن يعطي نشيداً في سر المسيح وسر تنازله الخارق مثالاً لأحبائه في التواضع الذي ذر قرنه بين سيدات المجتمــع الفيلبي، وانحراف بعضهم وراء سحر الغنوص؟ فكان النشيد تعليماً يصيب الهدفين معاً وهمــا هدفا الرسالة. لكن هل النشيد من بولس أم مقحم على رسالته

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من غيره؟ إن النشيد من بولس نفسه، لأنه عندما يستشهد أو يقتبس من غيره يشير إلى ذلك؛ وما اعتاد أن يفخر بأعمال غيره ولا بأقوالهم خلسةً، كما لم يعتبر في المسيح « مساواته لله خلسة » (٢: ٦).

والبرهان الواقعي على صحة الرسالة هو **أسلوبها الشخصي**. فبولس يستخدم ضمير المتكلم في فصولها الأربعة الموجزة مائة مرة ونيّف؛ ويعطينا عن ظروف سجنه ودعوته في أسره معلومات شخصية لا نراها في غير رسالة. والدعوة العارمة فيها إلى **الفرح المسيحي**، ينبع من الأسر في السجن، بانتظار الاستشهاد المحتمل، دليل على بطولة بولس وقداسته في خلقه العظيم. لا ينشد للفرح على حافة الاستشهاد إلاّ أمثال بولس. وتطوير عرض الإنجيل من صيغة الحكمة في الرسائل الكلامية، إلى صيغة الغنوص في الرسائل الصوفية، قد اقتضته ظروف البيئة وواقع الحال، فلا غرابة في ذلك.

وهناك دليل أثري ملموس على صحة الرسالة، في وحدة الأسلوب والإنشاء والشخصية بين مكتوب الشكر فيها لأهل فيلبي على تبرّعهم لبولس (٤: ١٠ ــ ٢٠) والمكتوب إلى فيلمون.

فالأسلوب الشخصي البولسي في الرسالة برهان على صحتها.

●

خامساً: أخصام بولس في الرسالة

مع مناسبة الشكر على تبرّع أحباء بولس له في أسره، إن المناسبة الكبرى هي دخول أخصام إلى كنيسة فيلبي يعارضون دعوته. فمن هم؟

يقول **أولاً**: « احذروا الكلاب[١]! احذروا أهل الشر! احذروا أهل البتر! فإن أهل الختان إنما هم نحن العابدين بحسب روح الله، المستمدين الفخر من المسيح يسوع، الغير المعتمدين على الجسد » (٣: ٢ ــ ٣). فهل يقصد اليهود أم غلاة النصارى من بني إسرائيل الذين يلاحقونه في كل

---

(١) تعبير « الكلاب » كناية عند اليهود من الأمميين، فيردها بولس إلى نحرهم، وقد استعار المسيح الكناية نفسها مع الكنعانية لإثارة إيمانها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مكان؟ يظهر من براهين الحملة عليهم أنه يقصد النصارى من بني إسرائيل: اعتداد بولس مثلهم بإسرائيليته (٣: ٤ ــ ٦)؛ فخره بصليب المسيح الذي يخجلون من عاره (٣: ٧ ــ ٨)؛ تفضيل البر بالإيمان على البرّ بالشريعة (٣: ٩). وهذا كان موقف النصارى من بني إسرائيل، وسبب حملة بولس عليهم في غلاطية (٦: ١٣ ــ ١٦) وفي كورنثس (٢ كو ١١: ١١ ــ ١٥). المواقف واحدة تعبيراً وتفكيراً. فتكون معارضتهم لبولس قد لحقته من أنطاكية إلى غلاطية فإلى كورنثس وفيلبي حيث استفحلت مدة أسره العابر في آخر عهد بأفسس؛ ثم لحقته إلى رومة حيث قاموا « يبشرون بالمسيح عن حسد وخصام » (٦: ١٥). وبرهان البيئة يقطع بأنهم النصارى لا اليهود الذين ما كانوا ليجرؤوا على بولس وهو « روماني » في مستعمرة رومانية.

ويقول **ثانياً:** « إن كثيرين ــ وقد قلت لكم ذلك مراراً، وأقوله الآن باكياً ــ يسلكون كأعداء صليب المسيح! إن الهلاك عاقبتهم! فهم إلههم بطنهم! ومجدهم في ما فيه خزيهم! في الأرضيات همهم »! (٣: ١٨ ــ ١٩). فمن يقصد؟ قيل اليهود؛ وقيل النصارى من بني إسرائيل؛ وقيل أهل الغنوص الهلنستية. نعرف أن الغنوص قد تسربت من الهلنستية إلى اليهودية فالنصرانية الإسرائيلية. فلا شك أن النصارى من بني إسرائيل **يبرزون هنا من جديد في ثياب الغنوص**. يدل على ذلك قوله: « قد قلت لكم ذلك مراراً وأقوله الآن باكياً ». إن خصومة اليهودية والهلنستية للمسيحية مفروضة، فلا يكافحهما بولس إلاّ بعرض سمو المسيحية. أما التنديد المتواتر فهو بخصومه من أهل البيت، النصارى من بني إسرائيل: إن تمسكهم بفرض الختان على المسيحيين يجعلهم أعداء صليب المسيح، كأن الخلاص في الختان والشريعة، لا في الإيمان بدم المسيح.

إن الفئة الأولى كانوا من النصارى المحافظين؛ والفئة الثانية من النصارى المنحرفين على الغنوص.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سادساً: موضوع الرسالة

موضوعها يتضح من مناسباتها الثلاث:

١ ـ الشكر لأهل فيلبي على حبهم لبولس وتبرعهم له في ضيقه.

٢ ـ الحملة الأولى على النصارى من بني إسرائيل لتحرير المسيحية من الموسوية وامتيازاتها المزعومة في الشريعة والختان. وهذه من الأسر العابر في أفسس.

٣ ـ الحملة الثانية على النصارى من بني إسرائيل، المتلبسين بثياب الغنوص ـ ومعهم من ورائهم أهل الغنوص الهلنستية التي تدغدغ بعض النبيلات ـ يعرض « الغنوص السامية » في سر المسيح، المثال الأعلى في السلوك.

ينتج عن ذلك دعوة إلى **الجهاد المسيحي** في الفتنة المحيقة بهم من خارج ومن داخل، على مثال بولس؛ ودعوة إلى **الفرح المسيحي** أمام الاستشهاد، بصوت يجلجل من أعمال الأسر والسجن.

وهذا كله يرتكز إلى الكشف عن **سر المسيح في ذاته**، كما نرى في تحليل الرسالة.

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل الرسالة الفيليبية

فاتحة ١) العنوان: « إلى القديسين في فيليبي، مع أساقفتهم وشمامستهم » (١: ١ ـ ٢).

٢) حسن التخلص: شكر ودعاء لاسهامهم في الإنجيل (١: ٣ ـ ١١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قسم أول[1]: الجهاد في سبيل الإنجيل حتى الاستشهاد (١: ١٢ ــ ٣: ٢)

١ ــ جهاد بولس في سجنه كسب بعض الحرس الإمبراطوري وزاد الدعوة نجاحاً (١: ١٢ ــ ٢٦).

٢ ــ جهاده مثال لجهادهم، وسط الاضطهاد المحيق بهم (١: ٢٧ ــ ٣٠).

٣ ــ شروط الجهاد الجميل: الاتحاد مع التواضع على مثال المسيح (٢: ١ ــ ١٨).

ختام ١) بعثة تيموتاوس الموعودة (٢: ١٩ ــ ٢٤).

٢) بعثة ابفروديتس الحالية (٢: ٢٥ ــ ٣٠).

قسم ثان[2]: تحذير من النصارى من بني إسرائيل

١ ــ حملة عنيفة على النصارى من بني إسرائيل المحافظين (٣: ١ ــ ١٦).

٢ ــ حملة أخرى على النصارى أهل الغنوص (٣: ١٧ ــ ١٩).

٣ ــ الإيمان الحق هو في « المخلص يسوع المسيح » (٣: ٢٠ ــ ٤: ١).

ختام: مناشدة السيدتين على الاتفاق، بمعاونة صديق له (٤: ٢ ــ ٣).

قسم ثالث: رسالة الشكر على تبرّعهم له (٤: ٤ ــ ٢٠)

١ ــ دعوة إلى الفرح والسلام والصلاة[3] (٤: ٤ ــ ٧).

٢ ــ دعوة إلى الخلق الكريم، على مثال بولس[4] (٤: ٨ ــ ٩).

٣ ــ الشكر على إسعافهم له (٤: ١٥ ــ ٢٠).

خاتمة: السلام المتبادل بين « القديسين » (٤: ٢١ ــ ٢٣).

۞ ۞ ۞

---

(١) وفيه الرسالة الأولى لهم، بخبر بعثة تيموتاوس المؤجلة، وبعثة ابفروديتس المعجلة.

(٢) فيه تحذيرات من النصارى الإسرائيليين، فهو من مكتوبين، الأول من أفسس، والثاني من رومة، تختمها بتحريض السيدتين على الاتفاق.

(٣) يظهر أنها ختام مكتوب.

(٤) يظهر أنه ختام مكتوب أيضاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثالث: تعليم الرسالة الفيليبية

إن الرسالة إلى الفيليبيين دعوة للجهاد حتى الاستشهاد، على مثال بولس في أسره وسجنه. وهي دعوة إلى الفرح والسلام والصلاة في كل الأحوال حتى في الجهاد والاستشهاد. وما بينهما تحذير من انحراف النصارى من بني إسرائيل في ميلهم إلى التهويد، ثم في ميلهم إلى الغنوص. والجهاد والفرح معاً في سبيل المسيح يقومان على مثال « القائم في حال الله » الذي « أخذ حال العبد ». هذا ما تعلّمنا إياه « الغنوص السامية » (١: ٩) في إدراك « سر المسيح ».

أولاً: « سر المسيح » في ذاته

في الرسائل الصوفية الثلاث، ثلاثة أناشيد (فيل ٢: ٦ ــ ١١؛ كول ١: ١٥ ــ ٢١؛ أفس ١: ٣ ــ ١٤)، هي ذروة الصوفية المسيحية في « سر المسيح ». وفي الرسالة الفيليبية النشيد الأول لسر المسيح في ذاته. وهو أول تعريف تاريخي منزل لسر التجسد، وسر الفداء، تبرز منهما حقيقة سر المسيح في ذاته. وطابع المدرسة البولسية ظاهر عليه، في اعتبار سر التجسد سبيلاً إلى سر الفداء، أكثر ممّا هو هدف لذاته، كما في مدرسة يوحنا.

عنوان النشيد: « تخلّقوا بأخلاق المسيح يسوع » (٢: ٤)

« القائم في حال الله لم يعتدّ خلسة[١] مساواته لله
بل تجرّد من ذاته متّخذاً حال العبد!
وصائراً على مثال البشر! وإذ ظهر بمظهر بشر
وضع نفسه، وصار طائعاً حتى الموت، الموت على الصليب

(١) ترجمة « خلسة » للتعبير اليوناني أصح من « غنيمة »، لأن فيه إشارة إلى محاولة إبليس في السماء، ومحاولة آدم في الجنة اختلاس التشبه بالله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لـــــذلك رفعـــــه الله عـــاليــاً   وآتـاه الاسـم الأعظـم
لكـــي تجثـــو لاسـم يســوع   كل ركبـــة بين الســماويين
وبين الأرضيين وبين السفليين   ويشـــهد كــل لســان
بأن يسوع المسيح هــو الرب   فــي مجــد الله الآب » (فيل ٢: ٦ ــ ١١)

١ ــ **الظاهرة البيانية والأسلوبية** على هذه الفقرة أنها تختلف عن الرسالة لغة ونظماً: إنها نشيد لسر « يسوع المسيح » (٢: ٥)، المثال الأعظم للمسيحي فـــي طاعـــة الله. ويـــأتي النشيد خاتمة رائعة لتطور الفكر عند بولس. فقد بدأ يتأمل « حكمة الله في السر المصـــون ». الذي يكشفه لنا الله بروحه القدوس » (١ كو ٢: ٦ و١٠). ثم أوجز صورته بقولـــه: « وأنـــتم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، كيف أنه وهو الغني قد افتقر من أجلكم لتستغنوا أنتم أيضـــاً بفقره » (٢ كو ٨: ٩). فلاحظ المقابلة بين التعبيرين « افتقر » و« تجرّد من ذاتـــه ». وبلـــغ تأمل بولس في سر المسيح ذروته في فاتحة الرسالة إلـــى الرومـــانيين (١: ١ ــ ٤). أخيـــراً فصّل تأملاته وجمعها في هذا النشيد. فما قاله نثراً في الفاتحة الرومانية، يقوله نظماً في هـــذا النشيد. وهذا برهان أول على صحته، مهما بدا مقحماً في ظاهره على الرسالة، ومهما اختلـــف عنها لغة ونظماً.

فموضوعه هو تعليم بولس المتواتر: ١) أزلية المسيح يسوع في « حـــال الله » وفـــي كونه « مساوياً لله » ٢) بشريته الظاهرة التي تخفي إلهيته، في تواضع تجسده ٣) طاعتـــه لله حتى الموت، الموت على الصليب ٤) رفعه إلى الله وتمجيده ٥) تمتّعـــه بالاســـم الأعظـــم ٦) عبادة الكون له ٧) إعلان اسمه الإلهي: « الرب » وتعبير « الرب » هو ترجمـــة « يهـــوه » أي الله في السبعينية. فالاسم « الرب » مرادف لاسم الله تعالى، لذلك يسميه «الاسم الأعظم».

٢ ــ **مصادر النشيد**. قد يجدون لهذا النشيد المعجز **أمثالاً أدبية** في الأدب اليوناني، أو الأدب الإيراني، أو الغنوص في « الإنسان السماوي » أو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« الإنسان الكامل ». لكن شتان ما بين الصورتين، من تجسيد فيها للفيض الإلهي، ومن تنزيه في التوحيد، مع الجمع في المسيح بين « حال الله » و« حال العبد ».

وقد يجدون في الكتاب جذوراً للنشيد في « سقوط نجم الصبح، ابن الفجر، على الأرض » (أشعيا ١٤: ١٢)؛ وفي إغراء آدم بأن « يصير شبيهاً بالعلي » (تك ٣: ٥)، ولعلّ في قول بولس « خلسةً » إشارة إلى ذلك.

لكن **المصدر الحقيقي البياني للنشيد** هو شهادة المسيح لنفسه في محاكمته: «وسترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة، وآتيا على سحاب السماء» ليوم الدين (متى ٢٦: ٦٤)، حيث استجمع صورته في أشعيا، « عبد الله » الذي يفدي شعبه بموته لأجلهم (أشعيا ٥٢: ١٣ ــ ٥٣: ١٢)؛ وصورته في دانيال (ف ٧)، حيث يأتي ابن البشر على سحاب السماء ليقيم ملكوت الله على أنقاض ممالك العالم. وقد ردّد الرسل في دعوتهم الصورتين للمسيح. وعن المسيح وعن صحابته أخذ بولس الجمع بين الصورتين.

فصورة المسيح الموعود في أشعيا، وصورته الأخرى في دانيال ــ وهما لوحتان مختلفتان قد ائتلفتا في شخصية المسيح، بحسب شهادته، وتُظهران صورته الإلهية وصورته الإنسانية، باستخدام المسيح لهما وتطبيقهما على ذاته عند محاكمته في مسيحيته وإلهيته ــ هما المصدر البياني والإيماني، نبوءةً وتحقيقاً للنشيد العظيم.

وصيغة تحديد سر المسيح الذي يجمع بين « حال الله » وبين « حال العبد » معاً قد شاهدها بولس في شخص المسيح الذي ظهر له في مجد قيامته على طريق دمشق (غلا ١: ١٦) فعاين « مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦). وفهم أن المسيح هو « حكمة الله في السر المصون » (٢ كو ٢: ٦) كما وصفها سفر الأمثال (ف ١٤) وسفر الحكمة (ف ٧). تلك هي مصادر النشيد في النبوة والحكمة والإنجيل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ـ فالنشيد إعلان **لإلهية المسيح وبشريته معاً**

إنه إعلان **لإلهية المسيح** في أزليته ومساواته لله، بتعبيرين متكاملين: إنه « القائم في حال الله[1] » قبل اتخاذه « حال العبد ». و« حال الله » فيه يعني كيانه الإلهي، جوهره، طبيعته، صورة الله الذاتية. ويفسره بالتعبير الآخر، « كونه مساوياً لله » في الذات الواحدة. فليست إلهية المسيح تأليهاً، و« خلسة » لمجد الله.

والنشيد إعلان أيضاً **لبشرية المسيح**، في كل حقيقتها. إنه « أخذ حال العبد »، البشر المخلوق، أي حال الطبيعة البشرية. « فصار على مثال البشر » كواحد منهم. « وعاش بين ظهرانيهم كبشر » بكل ما ظهر منه. تعابير ثلاثة مترادفة متكاملة تؤكد حقيقة بشرية المسيح، وبالتالي حقيقة التجسّد الإلهي. لقد صار المسيح، « القائم في حال الله »، وفي « كونه مساوياً لله » إنساناً مثل سائر البشر، وتصرف بين ظهرانيهم كبشر. والبرهان الأكبر على حقيقة تجسده وبشريته هو طاعته لله « حتى الموت، الموت على الصليب » الذي يجعل الإنسان يشك في إلهيته، وحتى في مسيحيته ـ كما حدث لليهود ـ لولا قيامته وارتفاعه إلى عرش الله في السماء، حيث يتمتع باسم الله الخاص، « الرب »، « الاسم الأعظم »، بين عبادة المخلوقين له في السماوات وفي الأرض، وتحت الأرض!

في صورة سابقة لسر التجسد، وصفه بولس بأنه « افتقار » اختياري من « غنى » اللاهوت، إلى « فقر » الناسوت (٢ كو ٨: ٩). والصورة التي يبرزها في النشيد، إن المسيح بتجسده « تخلّى من نفسه » طوعاً، أي تنازل عن مجده الإلهي فحجب إلهيته في بشريته حتى قيامته. صورتان

---

(١) يستخدم بولس في وصف إلهية المسيح ثلاثة تعابير، فلا يصح ترجمتها بحرف واحد كما يفعلون. هنا يقول μορφὴ Θεοῦ (فيل ٢: ٦) أي حال الله؛ وفي (كول ١: ١٥) εἰκὼν τοῦ Θεοῦ أيقونة الله أي صورته؛ وفي (عبر ١: ٣) Χαρακτὴρ τῆς ὑπωστάσεως أي ختم جوهره. والتعبير المتواتر عنده هو « صورة الله » (رو ٨: ٢٩؛ ٢ كو ٣: ١٨؛ قابل ١ كو ١٥: ٤٩). ومصدر التعبيرين، الصورة والمثال أي الحال هما عن التوراة: « على صورته كمثاله ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

متكاملتان تصف التجسد بالتخلّي والافتقار، في احتجاب إلهيته في بشريته، الذي إنما كان لأجل « طاعته حتى الموت، الموت على الصليب ». فرسالة المسيح الكبرى هي الفداء بالاستشهاد على الصليب.

فالسيد المسيح حجب إلهيته فتنازل عن مجده الإلهي على دفعتين يعبر عنهما بولس **بتعبيرين:** في التجسد « تخلّى من ذاته »؛ وفي الفداء « وضع نفسه »، فبلغ في طاعة الله آخر دركات التنازل « فصار طائعاً حتى الموت، الموت على الصليب ». ففي التجسد ميزة التنازل الإلهي؛ وفي الفداء ميزة الطاعة لله حتى الموت المشين.

وتم التجسد والموت على الصليب، والمسيح في « حال الله » و« حال العبد » معاً؛ وإنْ كانت « حال الله » محجوبة في « حال العبد ». فأعمال المسيح في « حال العبد » كسْب له في « حال الله ». فلم يفارق « كلمة الله وروح منه » المسيح قبل استشهاده، بل كان « حال الله » فيه محجوباً في « حال العبد ». لذلك كان لاستشهاده معنى الفداء.

٤ ــ وفي قيامة المسيح **ظهرت إلهيته في بشريته**

يصف بولس ذلك بتعبيرين، كناية عن الله نفسه: « الاسم الأعظم »، « والرب »، بلغة الترجمة السبعينية.

إن الله تعالى « **آتاه الاسم الأعظم** ». في علم الكلام الإسرائيلي كان «الاسم الأعظم» بين أسماء الله الحسنى كناية عن « يهوه » أي الله، اسم الجلالة الخاص في الكتاب. فبهذا الاسناد يعطي بولس المسيح اسم « الله » نفسه: فيعلن بصراحة إلهية المسيح في بشريته المجيدة. وبرهان ذلك إن « كل ركبة بين السماويين وبين الأرضيين وبين السفليين ــ أي الملائكة والبشر والشياطين ــ تسجد له مثل الله ».

و« كل لسان يشهد بأن يسوع المسيح هو **الرب في مجد الله الآب** ». وتعبير «الرب» هو الترجمة السبعينية لاسم الجلالة « يهوه ». فالرب هنا مأخوذ على الإطلاق فوق المخلوقين. وبترادفه مع « الاسم الأعظم » يعلن بولس إلهية المسيح من ربوبيته على المخلوقين. إن يسوع المسيح هو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« الرب في مجد الله الآب » **فليس إلهاً من دون الله**، إنما هو إله « في مجد الله الآب »، في وحدة المجد والاسم والحال والجلوس على عرش الجلالة.

فالمسيح « الرب »، ذو « الاسم الأعظم » هو الإله المتجسد، « القائم في حال الله » وفي « حال العبد » معاً. والنشيد يشيد بإلهية المسيح قبل تجسده وفي بشريته، وبعد قيامته، على أحوال ثلاث؛ وإنْ حجبت بشريته إلهيته، « على أيام بشريته ».

فالنشيد الفيلبي يصور تنازل المسيح؛ بينما النشيد الكولوسي سيصور ارتفاع المسيح. في الأول سر المسيح في ذاته؛ وفي الثاني سر المسيح في الكون. في الأول تعريف أول لسر التجسد الذي يجمع بين « حال الله » و« حال العبد »! وفي الثاني تعريف ثانٍ أوفى: « فيه يحل جسديّاً ملء اللاهوت كله » (كول ٣: ٩). لقد فتح بولس الطريق ليوحنا بعد خمسين سنة للتعريف الكامل: « والكلمة صار بشراً » (١: ١٤).

٥ ــ وليس من تعارض بين الرسائل الصوفية والكلامية في العقيدة

فليس من تعارض بين صفة المسيح « القائم في حال الله » قبل تجسده (فيل ٢: ٦)، وبين صفته « الإنسان » السماوي (١ كو ١٥: ٤٧ ــ ٤٨). وذلك لأن بولس يصف للفيليبيين حال المسيح قبل تجسده، بينما يصف للكورنثيين حال المسيح بعد قيامته ورفعه إلى السماء، حيث صار « إنساناً سماوياً » و« روحاً محيياً »، من خلال بشريته المجيدة التي تحررت من قيود المادة، وتمتعت بقدرة الروح.

وليس من مقابلة بين « التخلّي » الذاتي، في تجسد المسيح، والإخلاء القسري الذي تصوّروه في تشخيص « الغنوص » أو « الحكمة »، آخر الكائنات الصادرة من فيض الله المتسلسل، الذي أراد، في زعمهم، أن يكتشف سر « الأحد المطلق »، فسقط من « الملء » إلى « الفراغ » المخلوق. فالمسيح، « القائم في حال الله، لم يعتد خلسةً كونه مساوياً لله »، كما في أسطورة الغنوص أو الحكمة؛ إنما هي حال قائمة فيه. ولم يكن « التخلّي » الذاتي في المسيح قصاصاً، كما في الأسطورة، بل عملاً طوعيّاً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إذ « أخذ حـــال العبد » من تلقـــاء نفسه. فالتخلي عن مظـــاهر المجد الإلهي ليس سقوطاً في « الفراغ » المخلوق، بل « أخذ حال العبد » أي تجسّد. وبهذه المفارقات يردّ النشيد « للسر » في المسيحية، على « السر » في الغنوص، أو الحكمة السرّية.

وليس تعليم بولس في إلهية المسيح وأزليته في هذا النشيد **بجديد**. فتعبيره « القائم فـــي حال الله »، « كونه مساوياً لله » له ما يقابله في (غلا ٤: ٤؛ ١ كـــو ١٠: ٤؛ رو ١: ٣ ــ ٤؛ ٨: ٣): فهما تفسير لوصف المسيح « ابنه الذاتي » (رو ٨: ٣ و٣٢). وما وصفه «بـــالتخلّي» (فيل ٢: ٦) في النشيد، وصفه من قبل « بالافتقار »: « وهو الغني (عـــن العـــالمين) افتقـــر (بالتجسد) لأجلكم » (٢ كو ٨: ٩). وصراحة النشيد لإلهية المسيح سبقتها إعلانـــات متـــواترة لإلهيته وبنوته (رو ١: ٣ ــ ٤؛ ٨: ٣ و٣٢؛ ٩: ٥). وربوبيته الخلاقة تجمعها شهادة واحـــدة لله الواحد الأحد، المبدإ والمعاد: « فنحن لنا إله واحد، الآب، **الذي منه الكـــل، ونحـــن إليـــه**؛ ورب واحد، يسوع المسيح، **الذي به الكل، ونحن به** » (١ كو ٨: ٦). وإلهية المســـيح معلنـــة صريحة في صيغة التثليث إلى الكورنثيين (٢ كو ١٣: ١٣). وأبدية المسيح صـــفة ملازمـــة لأزليته تتواتر الإعلانات عنها (٢ تس ١: ٧؛ غلا ٢: ٢٠؛ ١ كو ١٥: ٤؛ رو ١: ٤)، لأنـــه وإنْ « أخذ حـــال العبد » فهو الحي القيوم، « القائم في حال الله » يتمتع في بشريته المجيـــدة « بالاسم الأعظم »: « الرب ».

٦ ــ سؤال أخير في **صحة النشيد**. بسبب اختلاف اللغة والنظم بين النشيد والرســـالة، وبسبب الاقحام الظاهر على النشيد في الرسالة، يتساءَلون: هل النشيد منها أو من قبلها؟ هـــل هو من بولس أو اقتباس من غيره؟

كانت الأناشيد الدينية مألوفة عند أهل الكتـــاب، كـــالمزامير؛ وشـــائعة فـــي طقـــوس الهلنستية. ونراها ظاهرة في المسيحية الأولى (كول ٣: ١٦؛ أفس ٥: ١٨ ــ ٢٠). وما كـــان لبولس، رسول المسيحية في العالم الهلنستي، إلاّ أن يوجز لكنائسه في تلك البيئة عقيدتهم، فـــي أناشيد مسيحية. ونعرف مقدرته على ذلك من نشيد المحبة الأول (٢ كـــو ١٣ كلـــه) ونشـــيد المحبة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الثاني (رو ٨: ٣١ ــ ٣٩) اللذين لا يشك أحد في صحتهما. فنظمهما وتعليمه في إلهية المسيح، برهان على مقدرة بولس، بنظمه وكلامه، على مثل الأناشيد الظاهرة في الرسائل الصوفية. وقد يكون بولس قد نظمها وأطلقها في كنائسه للترنيم بها في صلاتهم، والدعوة بها في محافلهم، قبل استخدامها في رسائله. وقد يكون قد نظمها في أسره، وأدخلها في رسائله الصوفية، لتكون رداً معجزاً على أناشيد الغنوص. وأسره الحر برومة يساعد على التأمل والانشاد.

وهب أن النشيد الفيلبي ليس من بولس نفسه، بل اقتباساً من غيره ــ وليس من دليل قاطع على ذلك، كما ليس من عادة بولس الاقتباس دون إشارة ــ فاستخدام بولس له جعله صورة إيمانه الملهم بشخصية المسيح، وكشفاً لسر المسيح، « القائم في حال الله » و« حال العبد » معاً.

بذلك برهن أن « الغنوص السامية » هي في المسيحية.

●

ثانياً: الغنوص « السامية » في المسيحية

بولس، قبل أن يقدم لأهل فيلبي نشيده في سر المسيح، موجز « الغنوص السامية » في المسيحية، يذكرهم بأن « صلاتي إليه أن تزداد محبتكم في المعرفة والغنوص السامية، حتى يكون في وسعكم أن تميّزوا ما هو الأكمل » (١: ٩ ــ ١٠). فالغنوص المسيحية، أي المعرفة الذوقية لسر المسيح، تساعدهم على تمييز « ما هو الأكمل » في إيمانهم. فهي مبنية على المبادئ الأولى: الإيمان بالله، ويوم الرب، في سبيل الخلاص، والامتلاء « من ثمار البرّ » (١: ١٠ ــ ١١). فالصوفية المسيحية الصحيحة التي « تدرك ما هو الأكمل » تقوم على البرّ المسيحي، أي المبادئ الأولى: فبدون « ثمار البرّ » لا صوفية حقيقية، بل انحراف عنها وعثار فيها.

لذلك على المسيحيين أولاً « أن يعملوا لخلاصهم بخوف ورعدة، لكي يصيروا بغير لوم، أطهاراً، أولاد الله، أذكياء في جبل متعوج فاسد، يضيئون في العالم كالنيرات، وهم يبذلون له كلمة الحياة » (٢: ١٢ ــ ١٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وعليهم أيضاً أن تكون غايتهم مثل غاية بولس، « أن أعرفه وقدرة قيامته، والشركة في آلامه، **فأصير على صورته في الموت**، على أمل البلوغ إلى القيامة من بين الأموات » (٣: ١٠). فالشركة في آلام المسيح شرط لتذوق سر المسيح.

فبعد « ثمار البر » تأتي ثمار « الغنوص السامية »، الصوفية المسيحية، المعرفة الذوقية لسر المسيح، على مثال بولس: « وبعد، أيها الأخوة، فكل ما هو حق وكرامة، عدل ونقاوة، لطف وشرف، كل ما هو فضيلة وفضل، كل هذا فليكن هدف أفكاركم. وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه مني ورأيتموه فيّ فليكن دأبكم. وعندئذ إله السلام يكون معكم » (٤: ٨ ــ ٩). بهذا السلوك اللائق « بالكاملين » يقتدون ببولس الذي « يواصل السعي ليدرك المسيح يسوع، كما أدركه هو » (٣: ١٢).

فالغنوص السامية هي إدراك المسيح، معرفة وسلوكاً، كما أدركنا هو. لذلك فهي من نصيب « **الكاملين** » في الإيمان. وبولس لم يعلمها « **للمبتدئين** » في الإيمان حين « بلّغهم » الدعوة المسيحية. ولمّا صاروا « **بالغين** » في معرفة المسيح، « نطق بالحكمة بين البالغين » (١ كو ٢: ٦). أما الآن وقد صاروا « كاملين » في الإيمان فهو يعلمهم « الغنوص السامية » في المسيحية (١: ٩ مع ٣: ١٥) بالنشيد لسر المسيح.

فالمسيحية، كما هي « حكمة للبالغين »، هي أيضاً «غنوص سامية» لأجل «الكاملين» في الإيمان. بهذين التعبيرين، وهذين الأسلوبين، في فهم المسيحية وعرضها، يردّ بولس على الحكمة الهلينية، ثم على الغنوص الهلنستية. فيتحداهما بحكمة الإنجيل وغنوص الإنجيل، في « السر المصون » منذ الأزل، والمعلن اليوم بالدعوة المسيحية، بتأييد « روح الله الذي يفحص الكل، حتى أعماق الله » (١ كو ٢: ٧ ــ ١١).

وتلك الأطوار الثلاثة في الكشف المسيحي، نراها بمناسبة معرفة « يوم الرب »، « يوم المسيح ». ففي الرسالتين إلى التسالونيكيين، « يوم الرب قريب » وإليه تتجه الآمال. وفي الرسالتين إلى الكورنثيين، يقبل استيطاناً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

روحياً، خلوداً للنفس مع المسيح بانتظار البعث والقيامة: « فنثق ونؤثر أن نتغرّب عن الجسد، ونستوطن عند الرب » (٢ كو ٥: ٨). إن « يوم الرب » يتباعد، وفي الرسائل الصوفية يسبق لقاء المسيح « يوم الرب » في اليوم الآخر: « إن الحياة، في عرفي، هي المسيح، والموت ربح لي... فأرغب في الانطلاق لأكون مع المسيح » (فيل ١: ٢١ و٢٣). إن هدف الحياة المسيحية هي لقاء المسيح. وقد تستبق هذا اللقاء السامي « الغنوص السامية » في المسيحية، أي المعرفة الذوقية لسر المسيح.

بذلك ننال الفرح والسلام، في الجهاد حتى الاستشهاد.

●

ثالثاً: الجهاد حتى الاستشهاد

الرسالة إلى الفيليبيين هي **رسالة الجهاد المسيحي**، « في الدفاع عن الإنجيل وتأييده حتى القيود » (١: ٧). بهذا العنوان يعلن موضوع الرسالة.

والجهاد في سبيل الإنجيل يقوم أولاً على « بذل كلمة الحياة » للعالم، بالتعليم المسيحي (٢: ١٦)؛ ثم « بالسلوك المسيحي كأبناء الله، يضيئون في العالم مثل النيرات » (٢: ١٥).

وقد يقودهم **الجهاد إلى الاستشهاد**، على مثال بولس: « لو أُرقتُ سكيباً على ذبيحة إيمانكم وقربانه، لفرحت وابتهجت معكم جميعاً » (٢: ١٧). فالاستشهاد المسيحي ضحية وقربان. وهذا التعليم الحي سيدفع بملايين المسيحيين للشهادة بالاستشهاد، للاشتراك في شهادة المسيح واستشهاده: « أحبني وبذل نفسه لأجلي »! إن الطموح في الاستشهاد، على مثال بولس، هو ذروة الجهاد المسيحي الحق.

فأسر بولس « بالقيود » هو مثال للجهاد، « للجهاد عينه الذي رأيتموه فيّ، وتسمعون به عني الآن » (١: ٣). وقد ظهرت ثماره الطيبة بازدياد الدعوة للمسيح (١: ١٤ ـ ١٧)، حتى بلغت الحرس الإمبراطوري (١: ١٣)، وحاشية الطاغية نيرون نفسه، « الذين من دار القيصر »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

(٤: ٢٢). وكم هلّل الجند الرومانيون المتقاعدون في مستعمرة فيلبي لهذا الخبر ولهذا السّلام!

وجهاد بولس حتى الاستشهاد يشترك فيه أهل فيلبي: « فقد وهب الله لكم، لا أن تؤمنوا به فحسب، بل أن تتألموا أيضاً لأجله، فتجاهدوا الجهاد عينه الذي رأيتموه فيّ (بأفسس) وتسمعون به عني الآن » برومة (١: ٢٧ ــ ٢٨).

وهذا الجهاد حتى الاستشهاد، وسط الاضطهاد، « بنفس واحدة » لأجل الإيمان بالإنجيل، « إنما هو نعمة من الله » (١: ٢٩ ــ ٣٠). هذا هو « السلوك على ما يليق بإنجيل الله » (١: ٢٧).

وهدف بولس من الأسر وحب الاستشهاد « أن يمجّد المسيح في جسدي، أبالحياة كان أم بالممات؛ لأن الحياة، في عرفي، هي المسيح، والموت ربح لي »! (١: ٢٠ ــ ٢١)؛ و« لأن ذلك يؤول إلى خلاصي بفضل صلاتكم وتأييد روح يسوع المسيح » (١: ١٨).

ويجهد بولس بنفسه ثم بمبعوثيه ليحملهم على الجهاد الجميل. وما بعثة رسولهم أبفروديتس الحاضرة، وبعثة تيموتاوس الموعودة، إلاّ لتقويتهم في الجهاد المطلوب (٢: ١٧ ــ ٢١). وما حملة بولس على « أهل البتر »، ثم على المنحرفين منهم وراء الغنوص من كل نوع، سوى تحذير لهم من **الانحراف في جهادهم**، حتى يكونوا على مثال بولس، « في كل شيء لا أرى سوى أقذار، لأربح المسيح! فاقتدوا بي جميعكم، أيها الأخوة، وتبصّروا في المثال الذي لكم فينا »!

والجهاد الحق، قبل بذلك الدم، يقتضي المجاهدة في الفضائل المسيحية التي تحولنا إلى صورة المسيح (٤: ٨ ــ ٩)، وتؤهلنا للاستشهاد في سبيله.

ومع الجهاد بالنفس، هناك الجهاد بالمال. وبذل المال في سبيل الإنجيل هو « عطر عرفه طيب، وذبيحة راضية مرضية لدى الله » (٤: ١٨).

وعاقبة الجهاد الجنة ولقاء المسيح في المجد السماوي: « أما نحن فموطننا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في السماوات التي منها ننتظر الرب يسوع المسيح، الذي سيحوّل جسدنا في هوانه إلى جسد على صورة جسده المجيد، بتلك القدرة التي تمكنه من أن يخضع لنفسه الكل » (٣: ١٩ ــ ٢١).

والإيمان والمحبة هما روح الجهاد والمجاهدة. وروح الجهاد، بالمجاهدة بالنفس والمال حتى الاستشهاد، يملأ المؤمن من الفرح المسيحي.

●

رابعاً: الفرح المسيحي في الجهاد والاضطهاد

إن الرسالة إلى الفيليبيين هي أيضاً رسالة الفرح المسيحي. فبولس ينادي من أسره تلاميذه: « افرحوا بالرب على الدوام! وأقول أيضاً: افرحوا! » (٤: ٤).

وتأخذ الدعوة للفرح في المسيح روعة إلهية، وهي تصدر من السجن في القيود، بانتظار الاستشهاد في اليوم الموعود: « بل لو أُرقت سكيباً على ضحية إيمانكم وقربانه، لَفرحت وابتهجت معكم جميعاً: فافرحوا أنتم بذلك وابتهجوا معي! » (٢: ١٧ ــ ١٨).

ذاك الفرح العامر ينبع من **الثقة الكاملة بالمسيح**، أولاً في هذه الحياة: « وإني لواثق بأن الذي ابتدأ فيكم هذا العمل الصالح (الهداية إلى المسيحية) سوف يواصل تتميمه حتى يوم المسيح يسوع » (١: ٦)؛ ثم عند الوفاة، لأن « الرب يسوع المسيح هو مخلصنا، الذي سيحول جسدنا في هوانه، إلى جسد على صورة جسده المجيد » (٣٤: ٢١).

ومن عوامل الفرح المسيحي **انتشار الإيمان والإنجيل**، « حتى صارت قيودي، في المسيح، مشهورة في دار السلطان كلها، وفي سائر الأنحاء » (١: ١٣).

ومن شروط الفرح المسيحي **وحدة الرأي بين المسيحيين**: « ومن ثمّ أناشدكم، بما في المسيح من دعوة ملحة، ومن قوة مقنعة؛ وفي الروح، من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شركة، ومن حنان ورحمة؛ أن أتموا فرحي بأن تكونوا على رأي واحد: فتكون لكم محبة واحدة، ونفس واحدة، وفكرة واحدة » (٢: ١ ـ ٢).

والصلاة، روح الإيمان والدين، هي سبيل الفرح المسيحي الذي يقود إلى **السلام المسيحي**: لا تهتموا بشيء! بل في كل حال اعرضوا حاجاتكم على الله، بالصلاة والابتهال، مع الحمد، وعندئذٍ فسلام الله الذي يفوق كل فهم يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع » (٤: ٦ ـ ٧).

وهكذا نجد الدعوة للفرح المسيحي، وسط الجهاد والاضطهاد، عند منعطف كل فصل من الرسالة: « وبعد، أيها الأخوة، افرحوا في الرب »! (٣: ١)؛ « فافرحوا أنتم بذلك وابتهجوا معي »! (٢: ١٨)؛ « ولقد فرحت في الرب فرحاً عظيماً، إذ رأيت أن عواطفكم نحوي قد أزهرت مرة أخرى » (٤: ١٠) ـ فقد تبرعوا له في أسره الأول بأفسس؛ ويتبرعون له أيضاً في أسره برومة ـ فينادي بالفرح كل حين: « افرحوا بالرب على الدوام! وأقول أيضاً: افرحوا » (٤: ٤).

ومصدر الفرح المسيحي على الدوام هو « معرفة المسيح يسوع، ربي، الذي لأجله نبذت الكل، وفي الكل لا أرى سوى أقذار، حتى أربح المسيح »! (٤: ٨).

فالمسيحية مصدر الفرح، ودعوة إلى الفرح، حتى في الجهاد والاضطهاد، إلى الاستشهاد.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثان

الرسالة إلى الكولوسيين
(سرّ المسيح في الكون)

توطئة: الرسالة ذروة الكلام الصوفي عند بولس

كتب بولس إلى ولاية آسيا الرومانية رسالة خاصة إلى أهل كولوسي، يغلب عليها طابع الدفاع؛ ورسالة عامة باسم أهل اللاذقية، عرفت فيما بعد باسم أهل أفسس، من نسخة عنها إليهم، يغلب عليها طابع التعليم. وهما مع الرسالة إلى أهل فيلبي، في مقدونية، مجموعة تمتاز بأسلوبها وعقيدتها في الكشف عن « سر المسيح ». لذلك نسميها الرسائل الصوفية.

والرسالة الكولوسية، **بنشيدها للمسيح الكوني**، ترفع الكلام الصوفي عند بولس إلى الذروة ــ وإن أخذ أبعاده كلها في الأفسسية. جميع رسائل بولس حتى الآن تقتصر دور المسيح على البشرية. أما الكولوسية فترينا دور المسيح في الخلق الأول، ثم في تجديد الخلق **بالخلاص الكوني**، في المسيح رأس الكنيسة، جسده، في البشرية، ورئيس الكون كله، « إذ به وله وفيه يقوم الكل » (١: ١٧)، « فهو الأول في الكل » (١: ١٨).

إنها أصرح تصريح بألوهية المسيح، خصوصاً في نشيدها، مع التعريف الأسمى في سر شخصيته (٢: ٩). لذلك حاول بعضهم الطعن بصحتها، خصوصاً بصحة النشيد فيها. وهبهما ليسا من حرف بولس نفسه، فإنهما من تراثه الذي حفظته لنا مدرسته، وريثة تعليمه.

إن محور الرسالة هو شخصية المسيح، ملء الكون.

•

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول: تمهيد للرسالة الكولوسية

أولاً: ولاية « آسيا » الرومانية، والدعوة المسيحية.

١ ــ على أيام السلوقيين والمكابيين كاتب كلمة « آسيا » كناية عن مملكة السلوقيين، مع عاصمتهم المسماة باسم « أنطاكية العظمى » ــ لأنه كان هناك في الأقاليم أنطاكيات أخرى.

واقتصر المعنى مع الأيام على ما نسميه: « آسيا الصغرى »؛ وكان اليونان يسمونها « الأناضول » أي « المشرق » بالنسبة إليهم.

وفي عام ١٣٣ ق. م. قدّم أتال الثالث، ملك برغامس، مملكته بوصية إلى الرومان. فجمعت رومة المدن اليونانية، مع الجزر القريبة منها على الشاطئ الغربي من الأناضول، وجعلتها عام ١٢٩ ق. م. « ولاية آسيا » الرومانية. وانتقلت العاصمة من برغامس إلى أفسس التي ازدهرت وبلغ حينئذ عدد سكانها نحو المئتي ألف نسمة.

كانت هذه الولاية من أغنى بقاع الأرض، ومن أكثرها حواضر. وأهمها المدن السبع التي بعث إليها صاحب الرؤيا رسائله السبع، وهي أفسس، وسميرنة، وبرغاس، وثياتيرة، وسردس، وفِلَذلفية، واللاذقية. وكانت كولوسي، في وادي الذئب « ليكوس » من بينها.

ثم اضطرّ انطيوخوس الثالث الكبير أن يسلم آسيا الصغرى كلها إلى رومة. والعهد الجديد عند ما يذكر « آسيا » يعني فقط الولاية الرومانية، غرب الأناضول.

وكانت « آسيا الصغرى »، الأناضول، صلة الوصل بين عالمين، آسيا الكبرى وأوربا، بين الشرق والغرب، في تفاعل القوميات والحضارات والثقافات والديانات.

٢ ــ لقد أغرى الأناضول طموح بولس الرسولي منذ رحلته الثانية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لكن روح الرب منعه مراراً « من الدعوة في آسيا » (أع ١٥: ٦ ــ ٧). فأكمل رحلتــه إلــى الغرب، من مقدونية إلى أخائية حتى استقر في كورنثس.

لكنه في الرحلة الرسولية الثالثة استقرّ في أفسس عاصمة « آسيا » الرومانية واتخــذ من مدرسة تيرنّس فيها منبراً للدعوة المسيحية في أفسس و« آسيا » كلها، مدة سنتين (أع ١٩: ٩ ــ ١٠). بهذه الطريقة كانت دعوته تنتشر في الولاية كلها، بواســطة تلاميــذه، ومبعوثيــه والتجار الذين يحملون تجارة وثقافة وديناً.

ونجحت دعوة بولس في « آسيا » نجاحــاً بــاهراً (أع ١٩: ٢١). فبلغــت أطــراف الولاية، حتى وادي الذئب، « ليكوس » ومدنه الكبرى، اللاذقية وهيرابوليس وكولوسي، حيث كانت الجوالي اليهودية عامرة مزدهرة. ولما حضر يوحنا الرسول، بعد الحــرب الســبعينية، يتزعم الدعوة في « آسيا » كانت المسيحية قد شاعت في مدنها الكبرى.

٣ ــ في ولاية « آسيا » حيث التفاعل القومي والثقافي في أوجه، في حركــة تلفيقيــة عارمة، « سينكرتزم »، كانت دعوات الغنوص منتشرة بتفاعــل الفكــر اليونــاني والحكمــة المشرقية، اللذين تولدت منهما **الغنوص، أي « العلم » السرّي**، أو الحكمة الصوفية.

وتولدت عن الغنوص الوثنية غنوص يهودية، وفيما بعد غنوص نصرانية فــي بنــي إسرائيل، نرى أماراتها في الرسالتين إلى كولوسي وأفسس.

وكان **التحدّي الأكبر للمسيحية** من دعوات الغنــوص وطقوســها وأســرارها. فلمــا انتشرت المسيحية في « آسيا » انبرت لها الغنوص على أشــكالها تهــددها وتتحــداها. لكــن الخصومة لمسيحية بولس كانت من الغنوص « النصرانية » بنت الغنوص اليهودية، وحفيــدة الغنوص الوثنية. وكل قرائن الرسالتين تشير إليها. وكان النصارى من بني إسرائيل يعتــزون باسم « أولي العلم » أو « الذين يعلمون » كما يشهد القرآن عليهم. وشهادة القرآن مع شــهادة العهد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الجديد تكفيان لتحديد هوية أخصام بولس في الرسالتين الكولوسية والأفسسية تلك التي حار العلماء في تحديدها.

ويظهر أن إشارة الخطر « النصراني » الغنوصي جاء من كولوسي.

●

ثانياً: كنيسة كولوسي

تقع كولوسي في وادي الذئب « ليكوس »، من إقليم فريجيا إلى الشرق من ولاية « آسيا » الرومانية. وكان فيها جالية يهودية عامرة، كما في جارتها اللاذقية. وكانت المواصلات والتجارة والثقافة متوفرة في مدن الوادي، بسبب الطريق السلطانية التجارية العابرة فيها من أفسس إلى طرسوس إلى سوريا.

بولس لم يأتِ إلى كولوسي، وأهلها « لم يروا وجهه » (كول ٢: ١). لكن مواطنهم أبفراس (٤: ١٢) اهتدى إلى المسيحية في أفسس على يد بولس. وهو الذي حمل الدعوة المسيحية إلى كولوسي وأسس كنيستها، « على حسب ما تعلمتم من أبفراس الحبيب، وهو رفيق لنا في الخدمة، وخادم أمين للمسيح، من أجلكم » (١: ٧).

ويظهر أن أبفراس كان مبعوث بولس إلى وادي الليكوس كله: « فإني أشهد له بأنه يتعب كثيراً لأجلكم، ولأجل الذين في اللاذقية وفي هيرابليس »، أي في مدن الوادي كلها (٤: ١٣).

فشاعت المسيحية في إقليم فريجيا، وخصوصاً في واديها الكبير.

ومدة أسر بولس في فلسطين وفي رومة، تغلغل النصارى من بني إسرائيل إلى الوادي، وتقمصوا الغنوص، الثقافة الدينية الشائعة في المنطقة، وأخذوا في « تنصير » المسيحيين فيها. فهال الأمر راعيها أبفراس فهرول مسرعاً إلى معلمه بولس في رومة يزوره في أسره ويطلعه على التعليم الجديد الذي بدأ يتسرب إلى المسيحيين.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً: مناسبة الرسالة

كانت زيارة أبفراس، راعي كنيسة كولوسي، لبولس برومة « في الأسر » (٤: ٣ و١٠). « وفي القيود » (٤: ١٨)، وهو « يفرح في الآلام التي يقاسيها لأجلهم » (١: ٢٤) مناسبة الرسالة، « فهو الذي أخبرنا بمحبتكم لنا في الروح » (١: ٨). لقد أطلع الراعي بولس على الخطر الغنوصي « النصراني » يهدّد كولوسي واللاذقية و« آسيا » كلها. فكتب إليهم بولس الرسالة إلى الكولوسيين يحذرهم فيها « من أن يقتنصكم أحد بباطل غرور الحكمة المستقى من سنّة الناس » أو من « أركان العالم »، وهو « ليس بحسب المسيح » (٢: ٨). في هذه التعابير الثلاثة قرائن لتحديد مصدر الخطر. فالتعليم المنحرف الذي يدسونه بينهم « ليس بحسب المسيح »: فإنه في المسيح لكن « ليس بحسب المسيح »! وهذا يعني أنه ليس من الغنوص الوثنية، كما يظن بعضهم؛ وليس من الغنوص اليهودية، كما يظن بعض آخرون؛ بل من الغنوص « النصرانية » التي تلفق « عملها » في المسيح من « سنة الناس » اليهودية، ومن « أركان العالم » الوثنية.

فالخطر على المسيحية هو من الغنوص « النصرانية »، بنت الغنوص اليهودية، وحفيدة الغنوص الوثنية، في تلفيق على تلفيق وهو « ليس بحسب المسيح ».

فالخطر الأبعد كان من الغنوص الهلنستية التي بدّلت آلهة الوثنية بعبادة « الأركان الكونية » التي تحكم الأفلاك السماوية، وتتحكم بعناصر الأرض الأربعة: التراب والماء والهواء والنار. وكانت، على أثر حكمة أفلاطون، تتصور الكون جسماً واحداً لروح الوجود، الروح الكلّي. وتقوم ديانتها على « أسرار » و« تطهيرات » و« أعياد » من أهمها عيد « مترا، الأم العظيمة » وإشارة الرسالة إلى « أركان العالم » تدل على هذا الأصل البعيد.

والخطر القريب من الغنوص اليهودية التي دمجت روح التوحيد بتصورات الغنوص الهلنستية؛ فصارت « أركان الكون » عندها « الملائكة » الذين بهم يحكم الله الكون كله. وتلاقت الأعياد الشمسية والقمرية في الغنوص الهلنستية، بأعياد اليهود وسبوتهم. وتقاربت تحريمات التلمود من تحريمات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الغنوص. وكان هذا أسلوب فيلون لنشر اليهودية في العالم الهلنستي. وإشارة الرسالة إلى « سنّة الناس » تدل على هذا الأصل القريب.

والخطر المباشر كان من « النصرانية » الغنوصية، أو الغنوص « النصرانية »، المتأثرة بالغنوص اليهودية والهلنستية. فقد وجد النصارى من بني إسرائيل الفرصة جميلة للدعوة « لنصرانيتهم » الغنوصية، على حساب دعوة بولس. أخذوا ينحرفون في تيار الغنوص كما يظهر من مؤلفاتهم في أواخر القرن الأول وطوال القرن الثاني، ويجرفون معهم بعض المسيحيين من كنيسة كولوسي وسائر كنائس وادي الليكوس، وكنائس « آسيا » حتى أفسس. ومحور دعوتهم المفاضلة بين « الملائكة المقربين »، « أركان الكون » وبين المسيح. وتفضيل « الملائكة المقربين » على المسيح ستكون ميزة « النصرانية » في صراعها مع المسيحية حتى الإسلام الذي ذابت فيه (سورة النساء ١٧١).

اقتبست « النصرانية » من الغنوص الهلنستية تعابير « السر » و« الملء » و« الإنسان الكامل »، والكون « جسد » الروح الكلي؛ وأخذت تستعلي بها، وتستولي على عقول بعض المسيحيين. فردّ بولس عليها باستخدام تعابيرها نفسها، التي كانت شائعة في البيئة. وبتطبيقها على المسيح والمسيحية لا يشعر بولس بحاجة إلى تفسيرها، فالبيئة تفهمها.

إن السيادة المطلقة في الكون هي للمسيح، لا « لأركان الكون » بحسب تعبير الغنوص الهلنستية، أو « للملائكة المقربين » بحسب تعبير الغنوص اليهودية، وقد دمجت الغنوص « النصرانية » التعبيرين. وإن « السر » الأكبر في الكون هو « سر المسيح » الذي يوحّد الكون تحت سلطانه كرأس له، ويصالحه مع نفسه (كول ١: ١٩ ـ ٢٠؛ أفس ١: ١٠؛ ٢: ١٦)، إن المسيح يحل فيه « كل ملء » (كول ١: ١٩)، ملء الله، وملء الكون، وملء الإنسان.

إن الخصم الأكبر للمسيحية بحسب بولس هو « النصرانية » برواسبها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليهودية والهلنستية بأسلوب الغنوص. وإن استخدام الرسالة لتلك التعابير جعل بعضهم يشكون في صحتها.

•

ثالثاً: صحة الرسالة

بسبب التعابير الغنوصية المستخدمة، وبسبب عقيدة المسيح الكوني، في الرسالة إلى الكولوسيين، حاول فريق من العلماء الطعن في صحة الرسالة، وانصبّ اهتمامهم على إبطال صحة النشيد المعجز فيها (١: ١٥ ــ ٢٠) الذي يصف دور المسيح الكوني في الخلق وفي تجديده بالفداء الذي جعل المسيح رب العالمين، رئيس الكون، ورأس الكنيسة.

وصحة الرسالة تقوم على تلاوتها المتواترة بالإجماع في الكنائس كلها باسم بولس منذ العهد الرسولي، وبموافقة يوحنا الرسول، رسول « آسيا » بعد بولس. وقد استشهد بها آباء الكنيسة منذ القرن الثاني. واعتمدها، باسم كنيسة رومة، قانون « موراتوري »؛ وباسم العلم والشقاق، قانون مرقيون. ولم يشك أحد بصحتها حتى القرن التاسع عشر.

وفي القرن الماضي **شك في صحتها بعضهم** لغايات متفاوتة، بسبب تعابيرها الغنوصية ــ وقد زعموا أن الغنوص لم تظهر إلاّ في القرن الثاني؛ وبسبب عقيدتها في المسيح الكوني والمصالحة الكونية، وهو تعليم، على حدّ زعمهم، يختلف عن تعليم بولس في رسائله الكلامية المعتبرة صحيحة.

وبعد الدرس والتمحيص رجع اليوم أكثرهم عن التطرّف، وقالوا بصحة الرسالة مع التوقف عند صحة **النشيد الكولوسي** (١: ١٥ ــ ٢٠) ونسبته إلى بولس.

١ ــ ردّاً على المشكّكين، **نبدأ بصحة النشيد من الرسالة نفسها.**

١) ظاهرة الاقحام على النشيد تزول متى ذكرنا أنه **قطعة من ليترجيا العماد** التي ينقلها بولس في الرسالة (١: ٩ ــ ٢٣) ويوقع خدمة العماد باسمه: « خادمه بولس » (١: ٢٣) وقد أدرجها في الرسالة رداً حاسماً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يحياه المسيحيون، وللذكرى والتاريخ. والنشيد جواب المعمدين المستنيرين على خطاب الأسقف الذي يدعوهم إلى « حمد الله الآب بفرح على الشركة في النور بميراث القديسين » (١: ١٢ ــ ١٣)؛ حينئذ ينشد المستنيرون « لابنه الحبيب الذي لنا فيه الفداء، مغفرة الخطايا » (١: ١٤) النشيد الجميل (١: ١٥ ــ ٢٠).

٢ ــ **وظاهرة الأناشيد** ليست غريبة عن بولس، ولا عن كنائسه. فهو يحرضهم: « رتلوا لله من صميم قلوبكم شاكرين بمزامير وتسابيح وأناشيد روحية (كول ٣: ١٦). والنشيد الكولوسي، مثل سابقه الفيليبي (٢: ٦ ــ ١١) ولاحقه الأفسسي (١: ٣ ــ ١٤) هو من النظم المرسل بحسب أسلوب المقابلة العبرية رباعيات، تصير في العربية ثنائيات؛ وله نظائر عديدة في رسائل بولس[1]. فلا مجال لاتهام بولس بالاقتباس المختلس أو المدسوس. وله خير مثال في أسفار الحكمة (الأمثال ٨؛ ابن سيراخ ٢٤؛ الحكمة ٨) على دور المسيح، « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦) في التكوين والتنزيل والخلاص.

٣ ــ **والنشيد ليس اقتباساً**، بل من بولس نفسه، فإنه عندما يقتبس نشيداً يصرح بذلك (أفس ٥: ١٤). وعنوان النشيد « لابن محبته » أي الابن الحبيب (كول ١: ١٣) صدى لصوت الله في عماد المسيح ثم في تجليه: « هذا هو ابني الحبيب ». والانشاء قبل النشيد (١: ٩ ــ ١٤) وبعده (١: ٢١ ــ ٢٣) هو واحد من حيث اللغة والنظم.

ومفاعيل الاستنارة المسيحية بالعماد (كول ١: ١٣ ــ ١٤) كمفاعيل تلك الاستنارة في هداية بولس وعماده (أع ٢٦؛ ١٨): الخلاص من سلطان الظلمة، والانتقال من سلطان إبليس، إلى ملكوت الله والمسيح،

---

(١) أشار إليها B. Bigaux : Saint Paul et ses lettres p. 184.
وهي (١ تس ٥: ١٤ ــ ٢٢؛ غلا ٥: ١٦ ــ ٢٦؛ ١ كو ١: ١٨ ــ ٣١؛ رو ١: ١ ــ ٧؛ ٨: ٣١ ــ ٣٩؛ ١١: ٣٣ ــ ٣٦؛ ١٦: ٢٥ ــ ٢٧؛ ٢ كور ٤: ٧ ــ ١٠؛ ٦: ٣ ــ ١٠؛ ١١: ٢٣ ــ ٣١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ودخول « المقدّسين » في « ميراث القديسين » الذي لنا فيه الفداء، غفران الخطايا.

٤ ـ العقيدة في النشيد، مثلها في الرسالة، فقوله إن المسيح « صورة الله اللامدرك » (١: ١٥) مثل قوله: « لبستم الإنسان الجديد الذي يتجدّد بالمعرفة (الغنوص: الاستنارة بالمعمودية) على صورة خالقه » (كول ٣: ١٠)؛ « ولبْس الإنسان الجديد » هو « لبْس المسيح » (غلا ٣: ٢٧؛ رو ١٣: ١٤). وسلطة المسيح المطلقة على القوات الملائكية (١: ١٦ و٢٠) هي سلطته عينها على « كل رئاسة وسلطنة » (٢: ١٠ و١٥). والموضوع الثنائي، الكنيسة جسد المسيح، وهو رأس الجسد (١: ١٨) يرد في الكولوسية بإيجاز (١: ٢٤؛ ٢: ١٩) وفي الأفسسية بالتفصيل. وتعبير « المصالحة » الشاملة (١: ٢٠) ـ وهو من الافراد القلائل ـ يرجع في (كول ١: ٢٢) كما في (أفس ٢: ١٦). والسلام بصليب المسيح (كول ١: ٢٠) هو سلام المسيح في (كول ٣: ١٥) كما في (أفس ٢: ١٤ و١٥ و١٧؛ ٤: ٣؛ ٦: ١٥ و٢٣). أخيراً تعبير « الملء » الذي يظهر للمرة الأولى بمعناه الكوني في (كول ١: ١٩)، ظهر بمعناه اللغوي في الرسائل الكلامية، ويظهر بمعناه الكوني في الرسالتين الكولوسية والأفسسية بمدلولاته المختلفه.

فهذا الواقع برهان قائم على أن صحة النشيد من صحة الرسالة.

٢ ـ إن صحة الرسالة الكولوسية، وأختها الأفسسية، لا تطعن فيها **الفوارق الظاهرة عليها**، بالنسبة للرسائل الكلامية.

١) **حجتهم التاريخية** إن الغنوص التي تظهر تعابيرها في الرسائل الصوفية لم تظهر وتزدهر إلاّ في القرن الثاني؛ لذلك فهي منحولة باسم بولس. نقول إن ظاهرة الغنوص موجودة في مخطوطات قمران، وهي من قبل رسائل بولس؛ كما هي ظاهرة في مؤلفات فيلون، المتكلم اليهودي في عصر يسوع وبولس. فتعابير الغنوص وصلت إلى البيئة الإسرائيلية الرهبانية والكلامية؛ وقد استغلتها « النصرانية » الإسرائيلية لمحاربة المسيحية بحسب بولس. فردّ عليها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بسلاحها. ثم قد انتحلوا باسم بولس إنجيلاً ورؤيا وسفر أعمال، لكنها لم تستوطن في المسيحية، ولم تُتلَ في الكنائس، مثل رسائل بولس الصوفية التي تواتر صحتها عن العهد الرسولي. وما كان لأحد أن يرقى إلى عبقرية بولس التي نراها في الرسائل الصوفية، وأن يفرض قبولها في القانون الكنسي كتباً مقدسة! فحجتهم التاريخية وشبهتها ساقطة.

٢) **حجتهم البيانية** من اللغة والإنشاء أيضاً لا تقوم.

أجل في الرسالة الكولوسية نحو ٨٦ كلمة لا توجد في الرسائل الكبرى المعتبرة صحيحة. لكن هذا الفارق اللغوي تستدعيه دعوة الغنوص « النصرانية » المعارضة للمسيحية، كما تقتضيه لغة البيئة التي يرد عليها بولس بلغتها وأسلوبها. أسلوب جديد في الهجوم على المسيحية يستوجب أسلوباً مثله في الرد عليه.

أجل كذلك يختلف إنشاء بولس في رسائل الأسر، عنه في رسائل الجهاد. فهو في الصوفية أثقل وأعقد منه في الكلامية. وهل يكتب شيخ أسير، كما يكتب رجل بطل في ساحة الجهاد وحريتها وحيويتها؟ والأناشيد الثلاثة في الرسائل الصوفية أثر من الاستجابة إلى تأثير البيئة، أوجز فيها بولس الإيمان المسيحي للرد على الغنوص الهلنستية واليهودية و« النصرانية » فهو يخاطب البيئة والدعوة المعارضة بلغتها وأسلوبها. وهكذا تسقط أيضاً حجتهم البيانية وشبهتها.

٣) **حجتهم الموضوعية** إن « إنجيل » بولس الصوفي غير « إنجيله » الكلامي. فهو يختلف موضوعاً وأبعاداً: كان تعليم بولس يحصر رسالة المسيح بالبشرية وخلاصها، فإذا بها « مصالحة » كونية (كول ١: ٢٠). وتوحيد الكون في المسيح رأساً له (أفس ١: ١٠). كان تعليم بولس يجعل الكنيسة جسماً اجتماعيّاً للمسيح، بحسب الاستعارة المألوفة في الهلنستية، فإذا بها « جسد المسيح» كيانيّاً وعضويّاً، والمسيح نفسه « رأس الجسد » (كول ١: ١٨). كانت الكنيسة المسيح الكلّي (١ كو ١٢: ١٢) فصارت « جسد المسيح » وهو الرأس (كول ١: ١٨؛ أفس ١: ٢٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كانت الرسائل الكلامية تشيد بربوبية المسيح، فإذا بالرسائل الصوفية تعلن إلهيته الصريحة. ولا عهد لنا بتعابير « السر » و« الملء » و« أركان الكون » التي تبني عليها الرسائل الصوفية نظرية جديدة في المسيح الكوني والمصالحة الكونية. هذا إنجيل صوفي غير الإنجيل الكلامي.

أجل في الرسائل الصوفية، خصوصاً في أناشيدها الثلاثة، تعليم جديد ينقلنا من « **المسيح الكلي** » في الإنسانية بكنيسته، إلى « **المسيح الكوني** » في الخلْق كله؛ لكنه على سبيل التوسّع في التعليم نفسه. فبولس يذكر هذا التعليم الجديد بالإشارة في رسائله الأولى، لكن المناسبة والبيئة استدعيتا التسوع المشهود. كان « إنجيل » بولس بيان فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة، بسبب الصراع فيهما، فصار « إنجيل » بولس بيان فضل « الغنوص السامية » في المسيحية، على « الغنوص » المشبوهة في أشكالها الثلاثة. فبيّن أن ما تزعمه من « سر » و« ملء » و« رأس »، و« جسد كوني » هو في المسيح نفسه، لا في ما يزعمون. وقد ذكر من قبل « أركان العالم » (غلا ٤: ٩ و٩)، وأشار إلى أن المسيح « هو السر المحجوب منذ الأزمنة الأزلية » (رو ١٦: ٢٥) « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦). فلا نستغرب من بولس هذه الصيغة الجديدة في العرضة الجديدة للإنجيل، كما تقتضيه المناسبة والبيئة والموضوع. إنما نستغرب من عبقرية بولس الجبارة ألاّ ينسجم مع معارضيه الجدد، « النصارى » الغنوصيين، في نفسيتهم وعقليتهم، في فلسفتهم وصوفيتهم، في أسلوبهم ومواضيعهم.

فليس « إنجيل » بولس الصوفي سوى « إنجيله » الكلامي نفسه في جوهره، مع اختلاف في الأسلوب بحسب الموضوع. واختلاف الأسلوب ليس خلافاً في الموضوع. إن **هذا الإنجيل الصوفي عرض جديد** لأبعاد الإنجيل الكلامي نفسه اقتضته ظروف طارئة من خطر الغنوص « النصرانية ». فإنجيل بولس واحد في أركانه، ما بين الأسلوب الصوفي والأسلوب الكلامي. فلا يكتب رسائل الأسر إلاّ الذي كتب فاتحة الرسالة الرومانية وخاتمتها مع النشيدين فيها للحب الإلهي. والذي تحدّى الحكمة « بحكمة الله في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السر المصون » (١ كو ٢: ٦)، يتحدى الغنوص « النصرانية » بما في المسيحية من « غنوص سامية ». والذي تحدّى الكلام اليهودي في عبادة الملائكة، يتحدى الغنوص « النصرانية » في عبادتهم باسم « أركان الكون ». وليس من تطور في عقيدة إلهية المسيح، فهي قائمة في الرسائل الكلامية، إنما هناك بيان لأبعادها في الرد على الغنوص «النصرانية» بتفضيل الملائكة، « أركان الكون » على المسيح (كول ٢: ٨ و١٨ و٢٠)، أو اعتباره «روحاً منه» تعالى، مثل « الملائكة المقربين »، كما سيعلّمون حتى الإسلام (سورة النساء ١٧١). فالمسيح في الإنجيل الصوفي هو المسيح عينه في الإنجيل الكلامي، « الصورة المنظورة لله الغير المنظور » (كول ١: ١٥ مع ٢ كو ٤: ٤ ــ ٥). فالحجة الموضوعية التعليمية هي أيضاً ساقطة.

ولا ننس **أثر الكاتب** في الرسائل. نعرف أن لوقا رافقه في سفره وفي أسره الأول برومة. ونتلو أن تيموتاوس مرسل الرسالة الكولوسية مع بولس. ونعلم أن أبفراس راعي كنيسة كولوسي ورسول المنطقة كلها، وهو الذي حمل إلى بولس خبر الخطر الغنوصي « النصراني »، وهو « الآن أسير معي » (فيلمون ٢٣) بدل « تيخيكس أخي الحبيب ومعاوني الأمين وصاحبي في العمل للرب » (كول ٣: ٧) الذي حمل الرسالة لأهلها. ومن اليقين أن بولس لا يكتب رسائله بيده، بل بواسطة كاتب، خصوصاً في أسره: أفلا يكون لهؤلاء الأعوان يد في كتابة هذه الرسائل الصوفية المختلفة المؤتلفة؟ هذا هو الظاهر من الدلائل. وأثر الكاتب ملحوظ في اللغة والإنشاء والأسلوب. في « الأسر الحر » يفكر بولس في الخطر الجديد مع أعوانه؛ ثم يملي الرسالة، ويكتبها أحدهم بأسلوبه. فالرسائل الصوفية الثلاث من بولس وله، بواسطة كتبته من أعوانه.

فالفوارق اللغوية والإنشائية والأسلوبية والتعليمية، بين الرسائل الصوفية والكلامية، نابعة من فارق البيئة، وفارق الموضوع، وفارق الكاتب تحت يد بولس. فليست تلك الفوارق الظاهرة بحجة قاطعة على عدم صحة الرسالة الكولوسية، واختيها الفيليبية والأفسسية. وهكذا تسقط حججهم التاريخية والبيانية والموضوعية مع شبهاتها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ـ وصحة الرسالة الكولوسية ـ مع اختيها ـ **تظهر من المقارنة التفصيلية بالرسائل الكلامية**، حتى في الأناشيد الثلاثة الصوفية[1].

١) لا حاجة ببولس إلى مصدر غريب مشبوه يلفق منه رسائله الصوفية وأناشيدها. تكفيه **مصادره الكتابية والإنجيلية.**

يعتبر بعضهم مثلاً أن النشيد الكولوسي اقتباس ملفق من نشيد غنوصي للإنسان الأول، الإنسان السماوي. مع أن بولس كان في غنى عن نشيد مشبوه في شركه، بما عنده في الكتاب، وفي الطقوس الإسرائيلية عينها. فإن بني إسرائيل، إلى عشوراء (١٠ تشرين الأول)، يوم « كِبّور » أي عيد التكفير، قد أضافوا ما تسميه المشنة « روشن هاشنة » أي رأس السنة، عيد العام الجديد الواقع في ٢١ تشرين الأول. فيه كانوا يحتفلون بخلق الله للكون. ونعرف أن كتبة العهد الجديد كانوا ينقلون أسماء الله الحسنى، وأوصافه الجلّى، إلى المسيح نفسه لبيان إلهيته، مثل اسم « الرب »، وهو في السبعينية ترجمة « يهوه »، اسم الجلالة الأعظم. فلا غرو إذا نقل بولس دور الله في الخلق إلى المسيح في التكوين (كول ١: ١٥ ـ ١٧) ـ كما سيفعل يوحنا في فاتحته. وكانوا ينقلون ألقاب الملوك المؤلهين والأرباب مثل « رب » و« مخلص »، بعد تنزيهها من رواسب الشرك، إلى المسيح نفسه. فكان « الرب قيصر » عندهم « الرب يسوع ». فلا غرو أيضاً أن ينسب بولس إلى المسيح دور الربوبية والخلاص والمصالحة في تجديد الخلق (كول ١: ١٨ ـ ٢٠). وله في الحالين خير مثال في أسفار الحكمة المنزلة حيث تبرز حكمة الله واسطة التكوين والتنزيل والهداية. ونعرف أن بولس يرى في المسيح « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦). فهذه المصادر، وطريقة السُنّة الرسولية، تكفي بولس في تأليف النشيد الكولوسي، ومثله الفيلبي والأفسسي. وعبقريته المتجلية في الرسائل الكلامية خير شاهد.

---

(١) نقتبس بعض التفاصيل من بحث قيم للعلامة:
Feuillet : Le Christ Sagesse de Dieu p 254-273 dans Collection «Etudes Bibliques».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) **وأسلوب بولس في الرسائل الصوفية** له في مثيل في الكلامية؛ وهو دليل على صحتها جميعاً. إن أسلوب التفصيل بعد الإيجاز، والتعداد بعد الإجمال ـ وهو نادر في العهد الجديد عند غيره ـ هو أسلوب بولس المتواتر (١ كول ٣: ١١ مع ١ كو ٣: ٢١ ـ ٢٣؛ ١٢: ١٣). ونجد التفصيل نفسه في الموضوع نفسه بين (كول ٣: ١١) وبين (غلا ٣: ٢٦ ـ ٢٨). وتعداد أصناف الملائكة في (كول ١: ١٦) هو نفسه في (رو ٨: ٣٥ ـ ٣٩)؛ فأسلوب التفصيل متواتر عنده (١ كو ٧: ١٨ و٢٧؛ رو ١: ٢٩ ـ ٣٢). كذلك أسلوب الإيجاز بالحروف المتراكمة: « إذ فيه... وبه وإليه خُلق الكل » (كول ١: ١٦) هو نفسه وارد في قوله: « إن الكل منه وبه وإليه » (رو ١١: ٣٦) حيث ينسب إلى الله، ما ينسبه إلى المسيح (١ كو ٨: ٦؛ ١٢: ٨). فالتلاعب بالحروف لتمييز الصلات القائمة (كما في كول ١: ١٦ و٢٠؛ وغلا ١: ١) براعة من بولس اقتبسها عن الأدب الرواقي، ولا يجيدها أحد مثله في العهد الجديد. فوحدة الأسلوب الفريد بين الرسائل الصوفية والكلامية برهان واحدة الصحة.

٣) **كذلك وحدة العقيدة** بين الرسائل الصوفية والكلامية ظاهرة، وعلى التخصيص في النشيد الكولوسي « للمسيح الكوني ». إنه « صورة الله الغير المنظور » (كول ١: ١٥)، وهي استعارة ناطقة متواترة عند بولس (٢ كو ٣: ٨؛ ٤: ٦)؛ إنه صورة الله في ذاته الإلهية، وصورة الله في بشريته أكثر من الإنسان الأول « المخلوق على صورة الله كمثاله ». وتعليم النشيد في المسيح واسطة الخلق الأول، وواسطة تجديده في خلق جديد، هو تعليم بولس المتواتر (١ كو ٨: ٦). فما النشيد، والرسائل الصوفية، سوى تفصيل لأبعاد قوله: « هناك كثير من الآلهة، وكثير من الأرباب! أما عندنا نحن، فليس إلاّ إله واحد، الآب، منه الكل، وإليه نحن راجعون! ورب واحد، يسوع المسيح، به الكل، وبه نحن قائمون » (١ كو ٨: ٦). فالمسيح الكوني هو رب العالمين، بسلطانه المطلق على الملائكة وسائر المخلوقين؛ وهذا تعليم متواتر عند بولس (١ كول ١٥: ٢٤؛ كول ١: ٢؛ ٢: ١٠ و١٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وصورة « المسيح الكلّي »، من المسيح والمسيحيين، في كيان واحد وجودي، هو أيضاً تعليم متواتر عند بولس: في تصميم الله، إنه « بكر الخليقة كلها » (كول ١: ١٥) أي المولود الأول قبل الخلق، بحسب الحرف اليوناني، لا « أول خلق الله »؛ كذلك في قوله: « حدّد من قبل أن يكونوا على مثال صورة ابنه، فيكون هو البكر بين أخوة عديدين » (رو ٨: ٢٩)؛ في التحقيق بالزمن، إنه « رأس الجسد » أي جسد المسيح الاجتماعي، الكنيسة (كول ١: ١٨)، كذلك في قوله: « أنتم جسد المسيح » (١ كو ١٢: ٢٣)؛ أخيراً في كمال تجديد الخلق في اليوم الآخر، إنه منذ قيامته « البكر من بين الموتى » (كول ١: ١٨)، أي « باكورة الراقدين » (١ كو ١٥: ٢٠). الفارق الوحيد هو تحديد منزلة المسيح شخصيّاً من الكنيسة « جسد المسيح »: كان المسيح والمسيحيون « المسيح الكلّي » (١ كو ١٢: ١٢)، فاتضح أن « المسيح رأس الجسد، أي الكنيسة » (كول ١: ١٨). وأتت الرسالة الأفسسية فجمعت الاستعارتين: « وأقامه على الكل رأساً للكنيسة التي هي جسده » (١: ٢٢ ـ ٢٣). فالعقيدة ما بين الرسائل الصوفية والكلامية واحدة، مع إيضاح لأبعادها في الرسائل الصوفية.

فتلك المقارنة بين الرسائل الصوفية والكلامية، خصوصاً في الأنشاد الثلاثة المتهمة، من حيث وحدة العقيدة ووحدة الأسلوب ووحدة المصادر، هي برهان صحة الرسائل الصوفية، ومنها الكولوسية.

●

رابعاً: وحدة الرسالة

إن **وحدتها القانونية** قائمة في كل المخطوطات.

أما **الوحدة البيانية** فيظهر عليها ظاهرة الاقحام في موضعين:

١ ـ على النشيد نفسه (كول ١: ١٥ ـ ٢٠)، وعلى الفصل كله (١: ٩ ـ ٢٣)؛ حيث الارتباك قائم بين (١: ٨) وبين (١: ١٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهذا ليس إقحاماً مشبوهاً، إنما هو من بولس نفسه. فبسبب ظاهرة الإقحام على النشيد وعلى الفصل كله، يحق لنا أن نرى فيهما صيغة العماد والاستنارة التي وضعها بولس من قبل لكنائس « آسيا »، ويدرجها اليوم في الرسالة، شهادة لهم أن « الغنوص السامية » هي في « الاستنارة » المسيحية. وظاهرة الاقحام على النشيد والفصل كله تأتي من كونها **صلاة من خطاب وجواب:**

تحريض من الأسقف بعد العماد والاستنارة، يختمه بطلب الحمد لله (١: ٩ ــ ١٢).

فيأتي جواب المعمدين المستنيرين في حمد الله، الذي نقلهم إلى «ملكوت ابنه الحبيب» (١: ١٣ ــ ١٤).

حينئذ يطلقون نشيد الحمد (١: ١٥ ــ ٢٠).

ويختم الأسقف بتحريض ثان وأخير (١: ٢١ ــ ٢٣).

ويظهر توقيع بولس على الخدمة كلها في قوله: « وصرت أنا بولس خادماً له » (١: ٢٣).

٢ ــ ويرى بعضهم إقحاماً آخر من بولس نفسه، في **عظة للعماد والاستنارة** في (٣: ١ ــ ٤: ٢) تذكر مفاعيل الاستنارة وصفاتها في « الإنسان الجديد ». في خدمة العماد (١: ٩ ــ ٢٣) أوجز؛ وهنا في العظة أعطى نموذجاً.

ويظهر أنها عظة في الاستنارة المسيحية من مطلعها: « لقد قمتم مع المسيح، فانشدوا ما في العلى حيث المسيح جالس عن يمين الله » (٣: ١)؛ ومن ختامها: « واظبوا على الصلاة، واسهروا فيها للشكر » (٤: ١)، مما يشير إلى متابعة ليترجيا الافخارستيا (الشكر)، للترجيا العماد، في سهرات الأعياد الكبرى التي كانت تبدأ بعماد المستنيرين، وتنتهي عند الفجر بصلاة القداس، صلاة الافخارستيا، أي دعاء الحمد الأكبر، في « العشاء الرباني ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ـ فيكون جسم الرسالة الجديدة هكذا: الفاتحة (١: ١ ـ ٨)؛ الموضوع: إن «السر» هو في المسيحية، « كلام الله الكامل » (١: ٢٥ ـ ٢٦)، « السر الذي هو المسيح فيكم » (١: ١٧)، أي « سر الله، المسيح الكامنة فيه كنوز الحكمة والغنوص كلها » (٢: ٢ ـ ٣)؛ هذا هو « سر المسيح » الذي نبشر به (٤: ٣)؛ « وفيه يحل جسديّاً ملء الألوهية كله » (٣: ٩)، فهو ملء الله، وملء الكون (١: ١٩) وملء الإنسان المسيحي (٢: ١٠). وتأتي الخاتمة (٤: ٣ ـ ١٨). هذا ما يشهد به **سر الاستنارة بالعماد**، الذي ينقل لهم خدمته، **وسر الاستنارة بالافخارستيا**، وهو ينقل لهم عظتها التي تجمع بين خدمة العماد وخدمة القربان.

تلك هي « الغنوص السامية » في المسيحية، كما يحياها المسيحيون بسرّي العماد والقربان. أما الغنوص « النصرانية » التي تبلبلهم فهي « ليست بحسب المسيح ».

●

خامساً: مكان الرسالة وزمانها وحاملها

واقع الرسالة الكولوسية يشهد بأنها موجهة من الأسر، وبولس في القيود (١: ٢؛ ٤: ٣ و١٠ و١٨). وهو يفخر « بالآلام التي أقاسيها لأجلكم؛ وإني أتمّ في جسدي ما ينقص من شدائد المسيح لأجل جسده، أي الكنيسة التي صرت أنا لها خادماً بموجب تدبير الله » (١: ٢٤ ـ ٢٥). ونعرف أن بولس مرّ بالسجن في أفسس وفي قيصرية فلسطين وفي رومة: فأيّ أسر يقصد؟

١ ـ يرى بعضهم أن الرسالة الكولوسية مع أختها الأفسسية، والمكتوب إلى فيلمون، كلها من زمن **الأسر في أفسس** عام ٥٧ ـ على اعتبار أن الأفسسية عامة لا خاصة. وحجتهم قرب المكان بين العاصمة والحاضرتين كولوسي واللاذقية الصاحبة الأولى للرسالة الأفسسية (كول ٤: ١٦). ولا يعقل أن تُفقد رسالة من بولس ويحفظ مكتوب صغير إلى فيلمون.

لكن ظروف الأسر في أفسس ـ إذا صحّ أن هناك أسر ـ تأبى ذلك. فالأسر قصير، لكنه خطير، فقد كان بولس « في ضيق شديد » مع « خطر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الموت الداهم » (٢ كو ١: ٨ ــ ١٠)؛ وهذا لا يساعد على كتابة مثل تلك الرسائل الصوفية. ثم لم يكن بولس بحاجة إلى الاحتفاظ براعي كنيسة كولوسي أبفراس، معه في أفسس، والأصحاب فيها كثيرون.

والفارق الكبير في الأسلوب والموضوع ما بين الرسائل الصوفية والرسائل الكلامية يمنع من كتابة الصوفية ما بين الرسائل إلى الكورنثيين والرسالة إلى الرومانيين. فتفصيل الإنجيل في الرسالة الرومانية هو غيره في الرسالتين الأفسسية والكولوسية. ولا يعقل أن تكون جميعاً من زمن واحد. كما يأبى الواقع المشهود أن تكتب الأفسسية قبل الرومانية، أي الإنجيل الصوفي قبل الإنجيل الكلامي فيهما. فكل القرائن ترد نظرية الأسر الأفسسي لكتابتها.

٢ ــ لذلك فضّل بعضهم أنها من **الأسر في قيصرية فلسطين** عام ٥٨ ــ ٦٠! وحجتهم هي أيضاً قرب المكان، مع سقوط الافتراض السابق.

لكن ظروف الأسر بقلعة هيرود في قيصرية لا تسمح لبولس بالمقابلة والمراسلة، خصوصاً ووفود السنهدرين تلاحقه للقضاء عليه. ويظهر أن بولس يتمتع في أسره المذكور بحرية للدعوة (كول ٤: ٣) لا تتوفر له في قيصرية فلسطين.

والرسالة إلى الكولوسيين يصحبها إرجاع العبد أونسيموس إلى سيده فيلمون، مع مكتوب توصية به (كول ٤: ٩؛ فيلمون ١٢). وكلاهما يذكران رفاق بولس في أسره (فيلمون ٢٣ ــ ٢٤؛ كول ٤: ١٠ ــ ١١)، ولوقا في تقريره التاريخي لا يذكر أحداً منهم. وبولس يدعو فيلمون (٢٢) أن يعدّ له منزلاً لأنه سيوافيهم عن قريب؛ ونعرف أنه رفع دعواه إلى قيصر منذ سنة، فلا بدّ من ذهابه إلى رومة. فكل القرائن تعترض افتراض الأسر بقيصرية لكتابة تلك الرسائل.

٣ ــ بناءً عليه، فالرأي العام قديما وحديثا يرى أن الرسائل الصوفية الثلاث مع المكتوب إلى فيلمون كانت **من زمن الأسر في رومة**، عام ٦١ ــ ٦٣. وبما أن بولس يذكر فيها الإفراج القريب عنه، فهي كلها من آخر أسره عام ٦٢ ــ ٦٣.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ونعرف أن بولس بأسره في رومة « بالأسر الحر » في « بيت استأجره »، لا في القلعة العسكرية كما كان الأمر في قيصرية وأفسس (أع ٢٨: ٢٦ ـ ٣٠): وهذا الوضع وحده يسمح له بالتأمل والمقابلة والمراسلة. ولن يتبعه السنهدرين إلى رومة، فيحق له، بعد التحقيق معه، أن ينتظر الفرج القريب ليعود إلى فيلمون (٢٢) وإلى سائر أحبائه في « المشرق ».

وأعوان بولس الذين يحيطون به في أسره برومة، لا نجدهم في أفسس ولا في قيصرية. فمرقس (كول ٤: ١٠) فارقه من زمن بعيد، ولا وجود له بقربه في أفسس أو في قيصرية؛ بل تبع بطرس إلى رومة، وفيها اتصل ببولس، ربما بأمر من بطرس زعيم الدعوة المتخفي. ولوقا (كول ٤: ١٤) لم يكن مع بولس في أفسس، بل بقي في فيلبي (أع ١٦: ٢ ـ ١٧؛ ٢٠: ٥)؛ ورافق بولس إلى أورشليم، لكنه لم يرافقه إلى سجن القلعة في قيصرية. وبانتظار العاقبة، انصرف إلى جمع مصادره لتدوين الإنجيل. ولمّا تقرّر السفر إلى رومة رافق بولس إلى أسره فيها.

وهناك سبب آخر سيكولوجي واجتماعي. كان لا بدّ من مضي زمن طويل على أسر بولس، حتى يستفحل خطر « النصرانية » الغنوصية على المسيحية في كولوسي، ويهدّد معها اللاذقية وهيرابوليس، فيضطرّ راعيها أبفراس إلى مغادرتها واللحاق بالمعلم الأسير يطلعه ويسترشده. وإبقاء أبفراس مع بولس، وإرسال تيخيكس مكانه، دليل على حرية بولس في « الأسر الحر »؛ وهذا لا يصح إلاّ في رومة، بحسب القرائن المشهودة.

فمكان كتابة الرسالة الكولوسية، مع أختها الأفسسية، والمكتوب إلى فيلمون، هو رومة.

وزمان كتابتها جميعاً هو أواخر الأسر أي عام ٦٢ ـ ٦٣.

وحامل هذه الرسائل كان تيخيكس، يصحبه العبد فيلمون.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سادساً: موضوع الرسالة

هو « سر المسيح » في الكون (٤: ٣)؛ الذي هو « سر الله » (٢: ٢)؛ و« سر المسيح فيكم » (١: ٢٧)؛ والسر المطلق المحجوب في الله عن العالمين حتى الدعوة المسيحية، « كلام الله الكامل » (١: ٢٥) في « الغنوص السامية » (١: ٩). هذا ما يظهر في التحليل الآتي.

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل الرسالة الكولوسية

فاتحة: ١) العنوان: « إلى القديسين، الأخوة الأمناء في كولوسي » (١: ١ ــ ٢).

٢) التخلص إلى الموضوع: بحمد الله على قبولهم دين الحق من ابفراس (١: ٣ ــ ٨).

قسم أول: المسيح هو « الأول في الكل » ــ من (خدمة العماد)

١ ــ خطاب أول: دعاء للنمو في « الغنوص السامية » (١: ٩ ــ ١٢).

جوابه: نقلنا إلى ملكوت ابنه الحبيب (١: ١٣ ــ ١٤).

٢ ــ نشيد للابن الحبيب، « الأول في الكل » (١: ١٥ ــ ٢٠).

فيه وبه وله كان الخلق الأول (١: ١٥ ــ ١٧).

فيه وبه وله كان تجديد الخلق بالمصالحة الكونية (١: ١٨ ــ ٢٠).

٣ ــ خطاب ختامي: مصالحة الأمميين ليكونوا قديسين (١: ٢١ ــ ٢٣).

قسم ثان: كلام الله الكامل في « السر » وفي « الملء »

مطلع: فرح بولس بآلامه لأجلهم ولأجل الكنيسة (١: ٢٤ ــ ٢٥).

١ ــ « كلام الله الكامل في السر المحجوب »:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١) السر هو « المسيح فيكم » (١: ٢٦ ــ ٢٩).

٢) المسيح هو « سر الله » (٢: ١ ــ ٣).

٣) السلوك بحسب المسيحية. لا بحسب الغنوص « النصرانية[1] » (٢: ٤ ــ ٨).

٢ ــ كلام الله الكامل في « الملء »:

١) نشيد للمسيح « ملء اللاهوت » رأس الكون (٢: ٩ ــ ١٥).

ــ فتعاليم « النصرانية » ظل، والحقيقة هي المسيح كما عندنا (٢: ١٦ ــ ١٨).

٢) المسيح هو « رأس الجسد » أي الكنيسة (٢: ١٩).

ــ فتحريمات الغنوص « النصرانية[2] » سُنّة باطلة (٢: ٢٠ ــ ٢٣).

قسم ثالث: المسيح سر « الإنسان الجديد » وهو (عظة العماد)

مطلع: « لقد قمتم مع المسيح... وحياتكم محتجبة مع المسيح في الله » (٣: ١ ــ ٤).

١ ــ « البسوا الإنسان الجديد » (٣: ٥ ــ ١١).

٢ ــ شعاره المحبة رباط الكمال »؛ والحمد لله في الصلاة والعمل (٣: ١٢ ــ ١٧).

٣ ــ سُننه الصلات الطيبة:

بين النساء ورجالهن (٣: ١٨ ــ ١٩).

بين الأبناء ووالديهم (٣: ٢٠ ــ ٢١).

بين العبيد وساداتهم (٣: ٢٢ ــ ٤: ١).

ختام: « واظبوا على الصلاة؛ واسهروا فيها للشكر » (٤: ١ ــ ٨).

خاتمة الرسالة: خصوصيات (٤: ٣ ــ ١٨).

١ ــ طلب: الصلاة لأجله ليبشر « بسر المسيح » في أسره (٤: ٣ ــ ٤).

---

(١) يسميها بولس « فلسفة باطلة » مبنية على « سنة الناس »، وعلى « أركان الكون ». وهذا الجمع صفة الغنوص « النصرانية ».

(٢) يشير إليها بوصف زهدها المفرط، وبصفتها « سنن الناس ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والسلوك بفطنة مع غير المسيحيين (٤: ٥ ـ ٦).

٢ ـ خبر: بعثة تيخيكس إليهم مع أونيسيموس (٤: ٧ ـ ٩).

٣ ـ سلام من أعوانه؛ وسلام على أهل اللاذقية (٤: ١٠ ـ ١٤).

٤ ـ أمر رسولي: تبادل الرسالتين بين كولوسي واللاذقية (٤: ١٥ ـ ١٧).

توقيع الرسالة: « السلام بخط يدي. اذكروا قيودي » (٤: ١٨).

۞ ۞ ۞

باب ثالث: تعليم الرسالة الكولوسية

كانت الرسالة الفيلبية كشفاً « لسر المسيح » في ذاته. وتأتي الرسالة الكولوسية كشفاً « لسر المسيح » في الكون: إنه **المسيح الكوني** في تكوين الخلق، وفي تجديده بالمصالحة الكونية.

« سر المسيح » في الكون يظهر في دورتي الخلق: دورة التكوين «فيه، وبه، وله»؛ ودورة التجديد « فيه، وبه، وله ». ففي المسيح « سر الله »، و« سر الكون »، و« سر الإنسان الجديد ».

كان « **السر** » عند أهل الرؤيا تصميم الله في خلقه. ويكشف لنا بولس أن هذا «السر» قد تحقق بالمسيح، فيه عرفنا قصد الله كاملاً.

ومعرفة « سر المسيح » هي « الغنوص السامية » المسيحية (٢: ٩ و١٠)، التي بها نبلغ « إلى الفهم الكامل بكل غناه إلى معرفة سر الله، المسيح الكامنة فيه كنوز الحكمة والغنوص كلها » (٢: ٨).

●

أولاً: « سر المسيح » في الكون (كول ٣: ٣؛ أفس ٣: ٣)

يكشف عنه بولس بأسمى نشيد، بعد نشيد الكلمة في فاتحة الإنجيل بحسب يوحنا. ولا شك أن نشيد بولس كان من مصادر نشيد يوحنا، كما يدل عليه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اللقب في العنوان « ابن محبته » حيث يقوم المضاف إليه مقام الصفة، أي « الابن الحبيب ». إن « سر المسيح » في الكون يوجزه بولس في هذا النشيد.

« الابن الحبيب » (١: ١٣)

« هـو صورة الله اللامدرَك بكـر الخليـقة كلهـا،
إذ فيـه خُلـق الكـل ما في السماوات وما في الأرض[١].

بـه، ولـه، يخلـق الكل! وهـو الكـائن قبـل الكـل!
وفيـه يقـوم الكـل! وهـو رأس الجسـد، الكنيسـة

وهـو أيضـاً المبـدأ، البكـر مـن بيـن الأمـوات
ليكون هـو الأول في الكل، إذ فيه ارتضى أن يحل الملء كله

وأن يصالح تمامـاً به، وله، الكـل، بتحقيـق السـلام
بـدم صليـبه؛ أجـل بـه ما في الأرض وما في السماوات »

هذا النشيد المعجز أكمل صيغة لإلهية المسيح عند بولس. وهو الذي سبق يوحنا إلى تعبير « الابن الحبيب » بصيغة « ابن محبته » (١: ١٤)؛ وإلى لقب « الابن الوحيد » μονογεής بصيغة « المولود الأوّل » πρωτοτόκος ولا يقول πρωτοκτίστος أي « أول الخلق » ــ كما يقولون: « **أول خلق الله** ».

والنشيد محكم التأليف تتقابل تعابيره في أطوار النشيد بحرفها، وقلّما ينتبهون لذلك في الترجمات. في بحث سابق درسنا ميزاته البيانية. والآن نرى مضامين تعليمه في الكشف عن « سر المسيح ».

إن النشيد الكولوسي أجمل مظهر لدور المسيح في الكون، سواء في تكوين الخلق، أم في تجديد الخلق. وهو يقصد في دورتي الخلق المسيح نفسه في إلهيته وفي بشريته معاً. نوضح مضامين النشيد بهذا الرسم:

---

(١) أسقطنا آية نظنها مقحمة على النشيد كما يظهر من رباعياته.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١ ــ في الخلق الأول: ١) هو « صورة الله اللامدرك » بالنسبة للخالق « بكـر الخليقة كلها » بالنسبة للمخلوق.
٢) لأنه « فيه خُلق الكل »
« وبه وله يخلق الكل »
٣) فهو « قبل الكل »
« وبه يقوم الكل »

٢ ــ صلة الوصل بين الخالقين: « وهو نفسه رأس الجسد » الكنسية

٣ ــ في الخلْق الجديد: ١) هو « المبدأ » بالنسبة للخالق
« والبكر من بين الأموات » بالنسبة للمخلوق
٢) لأنه « الأول في الكل »
« وفيه يحل الملء كله »
٣) فيه « صالح الكل »
« وحقق السلام بدم صليبه » في الكون

فللخلق دورتان: دورة تكوينية، ودورة تجديدية؛ وصلة الوصل بين التكوين والتجديـد، قيام الكنيسة، جسد المسيح، « وهو رأس الجسد ».

تعبيران في دورتي الخلق يدلان على شخصية المسيح بالنسبة لله: إنه « صورة الله »، وبلفظ حرفي « **أيقونة الله** » التي تمثله أصدق تمثيل؛ وإنه « **المبدأ** ».

وتعبيران في دورتيْ الخلق يدلان على شخصية المسيح بالنسبة للكون: إنـه « **بكـر الخليقة كلها** »، وبالحرف اليوناني « المولود الأول قبل الخليقة كلها »؛ وإنه « **بكر القـائمين من الموت** » أي « المولود الأول من بين الأموات ».

وتعبيران ينجمان عن دور المسيح في الخلق وتجديده، ويدلان على سر شخصيته: إنه « **الأول في الكل** »، « **وفيه يحلُ الملءُ كله** »، ملء الإنسان، وملء الكون، وملء الله، كمـا ستفصله الرسالة كلها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعد كل تعبير من التعابير الستة يأتي التعليل، الذي يظهر فيه **المسيح الكوني**، بدوره في تكوين الخلق « فيه وبه وله »؛ وبدوره في **المصالحة الكونية**، لأن الله « به ولـه صـالح الكل، من على الأرض ومَن في السماوات على السواء ». وإليك التفصيل.

١ ـ المسيح بالنسبة لله

١) إنه « **ايقونة الله** » أي صورته تعالى، الصورة المنظورة « لله الغير المنظـور ». أجل « إن الله لم يره أحد قط »، « وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ». لكنـه تعـالى صار منظوراً بالمسيح صورته المنظورة. هذا تعريف بذات المسيح في سره، وإشارة صريحة إلى سرّ التجسد.

أجل أن الإنسان « صورة الله ومجده » (١ كو ١١: ٧) كما في التوراة (تـك ١: ٢٦ ـ ٢٧) ـ لكن على المجاز. وهنا المسيح « صورة الله » على الحقيقة كما يتضح مـن دوره في الخلق والتكوين: « لأن فيه خُلق الكل »، « وبه وله يخلق الكل »، « وبه يقـوم الكـل ». لذلك « فهو قبل الكل »، تدل أزليته على إلهيته. إنه « صورة الله » في قدرته الخلاّقة، لا في « الصورة » المخلوقة.

أجل أيضاً إن المسيحي هو أيضاً « صورة الله » بنوع خاص، فقد أعدّنا الله « لنكـون على مثال صورة ابنه » (رو ٨: ٢٩). وبولس يدعو المسـيحي لكـي « يلـبس صـورة آدم السماوي » (١ كو ١٥: ٤٩)، أي إن « يلبس المسيح » (غـلا ٣: ٢٧؛ رو ١٣: ١٤)، لكـي يكون « على شبه جسده المجيد » (فيل ٢: ٢١). فيتضح من هذه التعابير أن المسيحي صورة مخلوقة عن المسيح، والمسيح هو « صورة الله » الذاتية.

فالشبهة ناجمة عن المقابلة بين التعابير: المسيح « صورة الله »؛ والإنسـان « علـى صورة الله كمثاله » (تلك ١: ٢٦ و٢٨)؛ والمسيحي على « صورة الإنسـان السـماوي » (١ كو ١٥: ٤٩)، أي المسيح في مجده بالسماء. فيستنتجون من تلك **المقابلة في التعابير مطابقة في المعاني**. لكن فاتتهم **المفارقة في المعاني**: إن المسيحي يصير علـى « شـبه صـورة » المسيح:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« إن الذين عرفهم من قبل، حدّد أيضاً من قبل أن يكونوا على شبه صورة ابنه، فيكون هو بكراً لأخوة كثيرين » (رو ٨: ٢٩). بلبس صورة المسيح يسترد المسيحي صورة الله: « إذ إنكم خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الإنسان الجديد، الذي يتجدد بالمعرفة (المسيحية) على صورة خالقه » (كول ٣: ١٠). كما **فاتتهم المفارقة في التعبير**: فالمسيح هو في ذاته « صورة الله الغير المنظور »، بينما الإنسان « خُلق على صورة الله، كمثاله »؛ والمسيحي يصير « على شبه صورة ابنه » تعالى، حتى يصير « على صورة خالقه ». ففي الإنسان، كما في المسيحي « شبه » ما في المسيح وما في الخالق. بينما المسيح هو ذاته « صورة الله الغير المنظور » أي الصورة المنظورة للذات الغير المنظورة. كما **فاتهم أيضاً المفارقة في التعليل**: المسيح هو « صورة الله » الخلاقة، « لأنه فيه وبه وله يخلق الكل »؛ بينما الإنسان « صورة الله » المخلوقة؛ والمسيحي « صورة » المسيح المخلوقة « على شبهه ».

إن تعبير المسيح « **صورة الله** » هو عند بولس تفسير لتعبير « **ابن محبته** » (٢: ١٤ و١٥)، فهو مرادف لتعبير المسيح، « **كلمة الله** » عند يوحنا. والتعبيران « كلمة الله » و« صورة الله » تفسيران لمعنى البنوة الإلهية في المسيح « ابن محبته » كما يقول بولس، أو « الابن الحبيب » كما يقول يوحنا. **فالتعابير الثلاثة** « كلمة الله » و« صورة الله » و« ابن الله » متواترة في الكلام الهلنستي وفي الكلام العبراني كما عند فيلون؛ لكن بولس، ومن بعده يوحنا، أعطياها **معنى جديداً** يدل على البنوة الذاتية في الله: فالمسيح هو « صورة الله » الذاتية لأنه « ابن محبته... في النور » الإلهي (كول ١: ١٤)، « ابن الله بالذات » (رو ٨: ٣ و٣٢) ــ لا عن طريق الخلق كما عند فيلون. فإن فيلون، على آثار أفلاطون، يسمي « كلمة الله »: « صورة الله » و« ابن الله » عن طريق الخلق، فهي تعابير مجازية. أجل إن « كلمة الله » عنده هو « الصورة غير المنظورة وغير المدركة لله » أي « العالم المعقول » لا المحسوس. و« العالم المعقول » مرادف عنده للكلمة (قابل: خلق العالم ٢٤ ــ ٢٥)؛ والكلمة هو « **ملاك كلمة الله** » (قابل: في الأحلام: ٢٣٩)، فهو « أول خلق الله »، مخلوق قبل الخلق، وصار

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واسطة الخلق. بذلك يحافظ فيلون على التنزيه والتجريد ما بين الخالق والمخلوق، في عمل الخلق. وبهذه النظرية في الكلام الفيلوني فسّر النصارى من بني إسرائيل « صورة الله » أو « كلمة الله »، بخلاف بولس ويوحنا، بأنه « ملاك كلمة الله » أي « كلمته وروح منه »: فالمسيح « صورة الله » هو عندهم ملاك مخلوق اسمه « كلمة الله ». وعلى الغنوص « النصرانية » واليهودية والهلنستية يردّ بولس بالنشيد الأول (١: ١٥ ــ ٢١) وبالنشيد الثاني (٢: ٩ ــ ١٥).

فمصادر بولس لتفسير البنوة الإلهية في المسيح أنه « صورة الله » أو « حكمة الله »، ليست من الكلام العبراني، ولا من الكلام الهلنستي ــ مع استخدام التعابير ذاتها ــ بل من **الإنجيل على ضوء أسفار الحكمة** (الأمثال ٨: ٢٢ ــ ٢٥؛ ابن سيراخ ١: ٤؛ ١٤: ٩؛ الحكمة ٧: ٢٦؛ ٩: ١)! فطبّق ما جاء بها في الحكمة الأزلية على المسيح نفسه. قال الحكيم في حكمة الله الذاتية: « إنها أسرع حركة من كل متحرك، فهي لطهارتها (عن المخلوق) تلج وتنفذ في الكل. إنها أثير قوة الله، وصورة المجد الخالص عند القدير لذلك لا يشوبها نجسٌ لأنها ضياء النور الأزلي، ومرآة الله النقية، وصورة جودته » (الحكمة ٢٧: ٢٥ ــ ٢٦). يحاول النبي أن يصف « حكمة الله »، « صورة جودته » بتعابير حسية، مع التركيز المتواتر على تنزيهها عن المحسوس والمخلوق. وبولس ينقل التعابير نفسها: إن المسيح هو « صورة الله » لكونه « صورة المجد الخالص في القدير ». إنه « ابن محبته » كما الحكمة بنت العلي (قابل كول ١: ١٣ مع الحكمة ٤: ١٠؛ ١٦: ٢٦)؛ ينتزعنا من سلطان الظلمة إلى ملكوته (كول ١: ١٣ ــ الحكمة ١٠: ٦ و٩ و١٣ و١٥)؛ للشركة في ميراث القديسين (كول ١: ١٢ ــ الحكمة ١: ١٦؛ ٢: ٩ و٢٤). فبولس هو ابن الكتاب أكثر مما هو صدى الكلام الفيلوني والفلسفة الهلنستية. إن تعبير « صورة الله » (كول ١: ١٥) مرادف عنده لتعبير « حكمة الله في السر المصون » (٢ كو ٢: ٦)؛ كما يرادف بين « صورة الله... ومجد الله » (٢ كو ٤: ٤ و٦)، و« مجد الله » في لغة الكتاب والإنجيل كناية عن ذاته. إن المسيح هو « صورة الله » الذاتية، لأنه « حكمة الله » الأزلية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أشكل على بعضهم أن الصورة الذاتية « **لله الغير المنظور** » يجب أن تكون غير منظورة، لتصير طبق الأصل: والمسيح صورة منظورة، فلا يمكن أن تكون طبق الأصل الغير المنظور. إنها شبهة؛ وفاتهم سر التجسد في المسيح، « وهو القائم في حال الله، أخذ حال العبد » (فيل ٢: ٦) كما يقول بولس؛ أو كما يقول يوحنا: « إن الله لم يره أحد قط، إلاّ الوليد الوحيد الذي في حضن (ذات) الآب، فهو الذي أظهره » (يو ١: ١٨) لأنه بتجسده « صار الكلمة بشراً، وسكن فيما بيننا، وقد شاهدنا مجده، مجد الآب على وليده الوحيد » (يو ١: ١٤). فالمسيح في « حال الله » صورة ذاتية غير منظورة لله الغير المنظور؛ والمسيح في « حال العبد » صورة منظورة للغير المنظور. فالمسيح هو « صورة الله » الذاتية والمنظورة معاً. إذا كانت « صفات الله غير المنظورة تُبصر منذ خلق العالم مدركة بمبروءاته » (رو ١: ٢٠)، فكم بالحري في المسيح، « صورة الله » الذاتية والمنظورة معاً.

٢) « **إنه المبدأ** » (كول ١: ١٨)

في الخلق الأول، إن المسيح هو « صورة الله » بالنسبة للخالق؛ و«بكر الخليقة كلها» بالنسبة للمخلوق. كذلك في تجديد الخلق، بالتجسد، وإنشاء كنيسته « جسداً » اجتماعياً له، هو « المبدأ » بالنسبة للخالق، « والبكر من بين الأموات » (كول ١: ١٨) بالنسبة للمخلوق المبعوث.

فالمسيح هو « **المبدأ** » **المطلق** في تجديد الخلق. ويأتي التعليل: « لأن فيه ارتضى (الله) أن يحل الملء كله »؛ « وأن يصالح به، وله، الكل » (١: ١٩ ــ ٢٠).

فتجديد الخلق يتم « به، وله »: فهو المبدأ والمعاد في الخلق الجديد.

و« فيه » يتم التجديد: فهو الوسط، والوسيط، والواسطة في المصالحة البشرية والكونية.

وبولس يأخذ صفة « المبدأ » للمسيح في تجديد الخلق، من صفة الكتاب للخلق الأول: « في البدء خلق الله السماوات والأرض » (تك ١: ١). والتعبير اليوناني Ἀρχή يعني البدء والمبدأ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ذانك هما التعبيران في وصف المسيح بالنسبة لله، في الخلق الأول، وفي الخلق الثاني، أي في دورتي الخلق.

●

٢ ـ المسيح بالنسبة للخلق

١) بالنسبة لتكوين الخلق: « إنه بكر الخليقة كلها » (١: ١٥)؛ وبحسب الحرف اليوناني « **إنه المولود الأول قبل الخليقة كلها** ». فهو « الوليد الأول » πρωτοτόκος «أول خلق الله» πρωτοκτίστος أي المخلوق الأول بين الخلق كلهم، كما فسره النصارى من بني إسرائيل، وعبر منهم إلى غيره.

وبولس يجعل مقابلة ـ لا مطابقة ـ بين التعبيرين: « صورة الله الغير المنظور، وبكر الخليقة كلها » (١: ١٥). وذلك في وصف شخصية المسيح في إلهيته كما في بشريته. فهو بالنسبة للخالق « صورة الله »؛ وبالنسبة للمخلوق، « البكر »، « الوليد الأول قبل الخليقة كلها ». بهذين التصريحين يصف بولس سر المسيح في ذاته ثم في الكون.

وليس من **تعارض** بين كون المسيح « صورة الله » وبين كونه « بكر الخليقة كلها ». والمقابلة التي يجعلها بولس بين التعبيرين ليست مطابقة، فلا يعني قوله « بكر الخليقة كلها » إن المسيح مخلوق على « صورة الله »، لأن التعليل الذي يورده بولس للحال ويجعل المسيح علة الخلق وواسطته وغايته يرفع كل شبهة وتشبيه. أجل إن كلمة « بكر » في لغة الكتاب تعني « فاتح الرحم » (الخروج ١٣: ٢؛ العدد ٣: ١٢)؛ وهو « عربون رجولة الرجل » (التكوين ٤٩: ٣؛ التثنية ٢١: ١٧). لكن التعبير لا يعني بالضرورة وجود أخوة له على شبهه. قد يكون « البكر » بفعل وجوده، سواء كان له أخوة أم لم يكن. وقد يُستخدم على الحقيقة أو على المجاز. فتسمية بني إسرائيل « أبكار الله »، وابن داود « بكر الله » (الخروج ٤: ٢٢؛ المزمور ٨٩: ٢٨)؛ والمسيح نفسه « البكر بين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أخوة كثيرين » (رو ٨: ٢٩)، أو « البكر من بين الأموات » (كول ١: ١٨؛ الرؤيا ١: ٥)، كلها تعابير مجازية. كذلك في قوله: المسيح، « بكر الخليقة كلها » هو تعبير مجازي، لا يعني فرداً من جماعة، كما يتضح من مرادفته مع « صورة الله » ومن تعليل الاستعارتين بأنه « فيه، وبه، وله يخلق الكل ».

قيل: **الصورة ليست الذات، ولا مثل الذات**، بل شبه لها من جنس آخر. وقوله بالترادف بين « صورة الله... وبكر الخليقة كلها » توكيد لذلك لأن البكر من جنس من يليه. ونقول إنها شبهة لا غير، للسبب الذي يعطيه للتعبيرين على الفور: « لأنه فيه خُلق الكل... وبه وله يخلق الكل » (١: ١٦). فهذا التعليل يرفع كل شبهة وتشبيه عن التعبيرين. وقوله « فيه خلق الكل » يجعل المسيح الوسَط الكوني للخلق، وعلته الصورية. وقوله الموجز المعجز « به وله يخلق الكل » يجعل المسيح المبدأ والمعاد في الكون، أي علته المصدرية وعلته الغائية. كما يجعله حافظ الخلق بقوله: « وفيه يقوم الكل ». وتظهر أيضاً إلهيته من أزليته في قوله: « فهو كائن قبل الكل ». نلاحظ إنه يقول مرتين: « فيه خُلق الكل... وبه وله يخلق الكل » (١: ١٦) وذلك على المجهول، بأدب جم، يحفظ لله الخالق منزلته، كما يعلن المسيح واسطة الخلق الخلاّقة، لا الآلية. ويلاحظ القديس باسيليوس إنه يقول « يخلق » على الحاضر (١: ١٦ ب)، لا « خُلق » على الماضي (١: ١٦)، لأن حفظ الخلق، خلق متواصل. ومن البديهي أن مَن يشترك في عمل من عمل الذات، **يشترك في الذات عينها**؛ وصفة الله الأولى المنسوبة للمسيح إنه الحي القيوم والخلاق. والمسيح بأزليته في الله، ووساطته في الخلق، يشترك مع الله في الذات، كما يشترك معه في التكوين. وسيأتي تفصيل ذلك. فشبهة الخلق للمسيح في كونه « بكر الخليقة كلها » تزول في تعليلها (١: ١٦ ــ ١٧).

وبسبب تلك الشبهة على التعبير، « بكر الخليقة كلها » أي « **الوليد الأول** » بحسب الحرف اليوناني؛ فقد فضل يوحنا تعبير « **الوليد الوحيد** » (يو ١: ١٨). فالتعبيران مترادفان يفسر بعضهما بعضاً. وعلى قول

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« بكر الخليقة كلها » فضّل سفر الرؤيا تعبير « مبدأ خلــق الله » (٣: ١٤) الــذي يســتخدمه أيضاً بولس (كول ١: ١٨). وتعبير « المبدأ » عند بولس ويوحنا مصدره سفر الأمثــال فــي حكمة الله (٨: ٢٢). وقول بولس بعد التعبيرين « البكر » و« المبدأ »: « ليكــون الأول فــي الكل » (١: ١٨) يعني أنه يقصد فيهما الأولية المطلقة » لأنه قبل الكل » (١: ٦).

٢) بالنسبة لتجديد الخلق: « إنــه البكر من بين الأموات » (١: ١٨) فالمسيح هــو « البكر » في الخلق الأول، كما هو « البكر » في الخلق الجديد. ولكن القرائن تدل على فارق في المعنى. فقد تكون البكرية **مطلقة أو نسبية**. فبكرية المسيح في الخلق الأول مطلقة، « لأنه كائن قبل الكل »؛ أما بكريته في تجديد الخلق، بالتجسد والفداء والرفع إلى السماء، فهي نسبية، إذ صار المسيح « البكر بين أخوة كثيرين » (رو ٨: ٢٩) أي « صار باكورة الراقــدين » (١ كو ١٥: ٢٠) لكونه الأول بين القائمين من الموت، أي « البكر من بين الأموات » (كــول ١: ١٨).

هذه البكرية النسبية في تجديد الخلق مرتبطة بكون المسيح « رأس الجسد، الكنسية ». فالبشرية الخالصة « جسد »؛ والمسيح « رأسه » على الحقيقــة، لا علــى المجــاز. وبهــذا الارتباط الكياني، العضوي، بالبشرية، يتم الارتباط الكياني الوجودي بالكون كله. على أســاس الارتباط الكياني بالإنسان والكون يقوم سر التجسد، حيث « القائم في حال الله... أخــذ حــال العبد ».

في الخلق الجديد، إن المسيح **هو** « **البكر** » **في الزمن** لأنه أول من قام مــن المــوت للحياة والخلود، **وهو البكر في المنزلة** لأن قيامته سبب وأصل ومثــال لقيامــة المــوتى فــي المسيح.

هذا ما يظهر أيضاً جليّاً في التعبيرين اللذين يصفان « أولية » المسيح، كما يأتي.

•

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ـ **المسيح بالنسبة لذاته:** الأولية المطلقة، والملء كله

يستنتج بولس من بكرية المسيح المطلقة في الخلق الأول، والنسبية في الخلق الجديد أولية المسيح المطلقة، ويعلن سببها وأصلها بأن « فيه يحل الملء كله ».

١) « المسيح هو الأول في الكل » و« والكل في الكل ».

إن **أولية المسيح المطلقة** في الكون تقوم على كونه « **المبدأ** » في الخلق الأول وفي الخلق الجديد الذي بدأ بالتجسد ويبلغ ذروته في يوم الدين.

وتلك الأولية المطلقة تعني **السيادة المطلقة** على الكون. وبما أن « فيه خلق الكل »، « وبه وله يخلق الكل »، « وبه يقوم الكل »، فسيادته تشمل « ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يرى: عروشاً أم سيادات، رئاسات أم سلطنات » (١: ١٦). وبما أنه « به وله يُصالح الله الكل »، فسيادته المطلقة تشمل « مَن على الأرض ومَن في السماوات على السواء » (١: ٢٠). فبسلطان الخلق، وبسلطان الفداء والمصالحة الكونية يظهر المسيح بحق « **رب العالمين** ».

فلا أولية، ولا سيادة، لغيره على الإطلاق في الكون كله، في السماوات وفي الأرضين؛ في الخلق الأول كما في الخلق الجديد.

وبموجز معجز ثلاثي أعجز بولس فأوجز التعبير عن أولية المسيح المطلقة في الكون كله، بسلطان الخلق وسلطان الفداء:

إنه « الأول في الكل » (١: ١٨).

إنه « الكل في الكل » (٣: ١١).

لأنه « الكائن قبل الكل » (١: ١٦).

تلك التعابير الثلاثة ذروة الكشف عن « سر المسيح »، التي يتوجها تعبير المسيح « الملء كله ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) المسيح هو الملء كله (١: ١٩)

استخدم بولس تعبير « ملء الزمان » مرتين (غلا ٣: ٤؛ أفسس ١: ١٠). هذا «ملء» نسبي. لكنّ تعبير « الملء » يأتي على الإطلاق في خمسة مواضع (كول ١: ١٩؛ ٢: ٩؛ أفس ١: ٢٣؛ ٣: ١٩؛ ٤: ١٣).

ترجم بعضهم تعبير « الملء » τὸ πλήρωμα بالكمال. وهذا تقصير في معناه. ولفظ « الكمال » له تعبير آخر في اليونانية.

التعبير العربي المرادف « **للملء** » هو « **السعة** ». فالله يملأ الكون بسعته الإلهية، في وجوده الإلهي وفي قدرته الشاملة (قابل أشعيا ٦: ٣؛ ارميا ٣٣: ٣٤؛ ابن سيراخ ١٦: ٢٩؛ ٤٣؛ ٢٧؛ الحكمة ١: ٧؛ ٨: ١). وكما أطلق بولس على المسيح « الاسم الأعظم »، اسم الجلالة، « الرب في مجد الله الآب »؛ أطلق عليه صفة الله، « السعة »، « الملء ».

فالسيد المسيح، بالخلق والتجسد والفداء، استجمع في ذاته العالم الإلهي، والعالم الإنساني، والعالم الكوني. لذلك « ارتضى الله أن يحلّ فيه الملء كله » أي **الملء المطلق**[1]، ملء الله، وملء الكون، وملء الإنسان.

١) **المسيح هو ملء الله**: « إذ فيه يحل ملء الألوهية كله جسديّاً » (كول ٢: ٩). هذا أسمى تحديد في العهد الجديد لسر المسيح في ذاته. « ملء الألوهية كله » فيه؛ وليس عن طريق الحلول العابر، أو عن طريق الاتحاد الروحي فقط، بل يحل فيه « **جسديّاً** »: إنه اتحاد كامل بطبيعته البشرية ذاتها، وعلى طريق الحال والدوام والإطلاق. هذا أوفى تعريف لسر التجسد، وهو أدق من تعريف النشيد الفيلبي: « القائم في حال الله، أخذ حال العبد ».

---

(١) لقد فسر بعض العلماء « الملء كله » في (كول ١: ١٩) بملء الكون، كتعبير مقابل للمسيح، « رأس الجسد، الكنيسة » (١: ١٨). فأعطاه معنى نسبياً؛ بينما هذا المعنى النسبي نراه في المواضع الأخرى، عند تفصيل « الملء كله »؛ وفاته صفة « الكل ». راجع

Benoit : Exégèse et théologie II p 138 sq.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) **المسيح هو ملء الكون:** « لقد أخضع الكل تحت قدميه؛ وأقامه على الكل، **رأساً** للكنيسة التي هي جسده، **وملء المالئ الكل في الكل** » (أفس ١: ٢٢ ٢٣). صيغة المضاف إليه في اليونانية تعني « المالئ » على الفاعل، و« الممتلئ » على المفعول. وكلاهما مقصودان. والتعريف تفسير لإيجاز رائع آخر: « إن تدبير الله عند ملء الأزمنة أن **يجمع في المسيح كرأس الكل**، ما في السماوات وما في الأرض » (أفس ١: ١٠). فالمسيح، ملء الكون، يملأه ويمتلئ به. إن الكنيسة، في البشرية، هي « جسد المسيح »، وهو فيها «الرأس»، في **وحدة كيانية عضوية** كالوحدة بين الرأس والجسد. أما الوحدة بين المسيح والكون فهي وحدة **كونية وجودية**، تجمع الكون وتوحده في المسيح رأساً له. فالمسيح رأس الإنسانية ورأس الكون، على نوعين من الاتحاد بهما؛ فالكنيسة امتداد أول للمسيح، والكون امتداد ثان له. لذلك فالمسيح هو ملء الكون، يملأه ويمتلئ به.

٣) **المسيح هو ملء الإنسانية.** أوجز بولس ذلك في الرسالة الكولوسية: « هو نفسه رأس الجسد، الكنيسة » (١: ١٨). وفصله في الأفسسية: « وأقامه رأساً على الكل للكنيسة، التي هي جسده » (١: ٢٢). فمنزلة الإنسانية، بواسطة الكنيسة، أنها « جسده » الاجتماعي، وهو بمنزلة « الرأس من هذا الجسد. فالوحدة بين المسيح والكنيسة **وحدة كيانية عضوية**، يفصلها بقوله: « في سبيل بنيان جسد المسيح، إلى أن نبلغ جميعنا إلى الوحدة في الإيمان، وفي الغنوص السامية لابن الله، إلى الإنسان الكامل، على قياس قامة ملء المسيح... نحو من هو الرأس، المسيح، الذي به الجسد كله منسّق وملتحم، وبتعاون جميع الأوصال، على حسب القدرة المناسبة لكل عضو يُتم نمو الجسد بنيانه في المحبة » (أفس ٤: ١٣ ــ ١٦).

في الرسائل الكلامية كان يقتصر تعليم بولس على صلة المسيح بالإنسانية. وفي الرسائل الصوفية، في الردّ على تحدّي الغنوص على أشكالها الثلاثة الهلنستية واليهودية، وخصوصاً « النصرانية »، يرتفع بولس إلى صلة المسيح بالكون كله. فيظهر المسيح ملء الإنسان، وملء الكون، وملء الله: « فالذي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

نزل هو نفسه الذي ارتفع إلى ما فوق السماوات كلها ليملأ الكل » (أفس ٤: ١٠).

تلك العقيدة **لم يقتبسها بولس من الرواقية**، كما يزعم بعضهم، وذلك لسبب بسيط أن تعبير « الملء » لا يوجد في كتاباتهم[1]. إنما التعبير من عبقرية بولس نفسه، الذي استخلصه من وصف « سعة » الله، كما رأينا، ووجد فيه تعبيراً هلنستياً لعقيدة « الشخينة » في الكتاب، أي « سكينة » الله في الكون (ارميا ٨: ١٦؛ ٢٩؛ ٢؛ حزقيال ١٢: ١٩؛ ١٩؛ ٧؛ المزمور ٣٣: ٣٤). فجعلها مثالاً للمسيح، ملء الكون.

وتلك العقيدة تتضح أيضاً من دور المسيح ومنزلته من الإنسان والكون.

●

٤ ـ المسيح بالنسبة لدوره ومنزلته من الإنسان والكون

في الرسائل الصوفية، يجمع بولس دائماً دور المسيح ومنزلته في الإنسانية، إلى دوره ومنزلته في الكون. فتظهر الإنسانية، بواسطة الكنيسة، امتداداً أولاً للمسيح، والكون امتداداً آخر له، يبلغ فيه كل مداه، فتتجلى لنا منه صورة المسيح الكوني.

١) « **المسيح الرأس** » (كول ١: ١٨؛ أفسس ٤: ١٥)

في الرسائل الكلامية ينظر بولس إلى المسيح المقيم في كنيسته فيراها « جسداً » واحداً، فتظهر الكنيسة « **جسد المسيح** » الكياني الاجتماعي (١ كو ٦: ١٥؛ ١١: ١٦ ـ ١٧؛ ١٢: ١٢ ـ ٢٧؛ رو ١٢: ٤ ـ ٥)، أما في الرسائل الصوفية فهو يتأمل المسيح السماوي في دوره ومنزلته من « الكنيسة التي هي جسده » (أفس ١: ٢٣) في الإنسانية، فيرى أن المسيح، « **رأس الجسد**، الكنيسة » (كول ١: ١٨). يرد التعبير، « رأس الجسد » ثلاث مرات في الرسالة الكولوسية (١: ١٨؛ ٢: ١٠

---

(1) Feuillet : Le Christ, Sagesse de Dieu, p. 234.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

و١٩) وثلاث مرات في الرسالة الأفسسية (١: ٢٢؛ ٤: ١٥؛ ٥: ٢٣). وهذا التواتر يدل على أن **عقيدة المسيح** « **الرأس** » ثابتة نهائية عنده.

في النشيد الكولوسي يقسم الخلق إلى دورتين، يبدأهما بتعبيرين متواترين، في التكوين وفي التجديد. في دورة التكوين: « الذي هو أيقونة الله الغير المنظور، بكر الخليقة كلها » (١: ١٥). وفي دورة التجديد: « الذي هو المبدأ، البكر من بين الأموات » (١: ١٨). فيأتي التعبير « فهو نفسه رأس الجسد، الكنيسة » صلة الوصل بين دورتي الخلق، وعلى أساس تجديد الخلق يجعل الكنيسة في البشرية « جسداً » له هو « الرأس » منه. فيخطأ الذين يجعلون قوله « هو رأس الجسد » مطلع دورة الخلق الثانية. إنما هو صلة الوصل بين دورتي الخلق. « هو نفسه رأس الجسد، الكنيسة » في ختام دورة التكوين، كما « هو نفسه رأس الجسد، الكنيسة » في مطلع دورة التجديد.

فالنظرة الجديدة للمسيح أنه « **الرأس** » (أفس ١: ٢٢؛ ٤: ١٥؛ ٥: ٢٣): « رأس الجسد، الكنيسة » (كول ١: ١٨)؛ « رأس كل رئاسة وسلطنة » بين الملائكة (كول ٢: ١٠)، ورأس الكون. لكن تعبير « الرأس » يختلف بالمعنى في المواطن الثلاثة.

تعبير « **الرأس** » في الكتاب حقيقي، أو مجازي بمعنى « **الرئيس** »، كما تدل عليه القرائن. والمعنى المجازي متواتر: « لقد قطع الله من إسرائيل الرأس والذنب » (أشعيا ٩: ١٣). فالحبر الأعظم هو رأس الأحبار (أشعيا ١٩: ١٥؛ ٢ ملوك ١٥: ١٨)، بمعنى رئيسهم، وتعابير رأس الأمة، رأس الجيش، رأس الشعب (هوشع ٢: ٢؛ قضاة ١١: ٨) رأس العائلة (الأيام ٢٦: ١٠). هكذا يأتي « رأس » بمعنى « رئيس » في قوله: « إن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح هو رأس الكنيسة » (أفس ٥: ٢٣).

في هذا التعبير وحده، « رأس الكنيسة » (أفس ٥: ٢٣) يأتي التعبير بمعنى « الرئيس »؛ أما في سائر المواطن فيأتي بمعنى « الرأس » العضوي في الكنيسة، « جسد المسيح ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

آ) **المسيح**، « **رأس الجسد، الكنيسة** » (كول ١: ١٨؛ أفس ١: ٢٢)

هذا التعبير يأتي على الحقيقة، لا على المجاز، كما يتضح من القرائن: يجب التمسك « بالرأس الذي به يتغذى الجسد كله، ويتوحد بالمفاصل والمواصل، فيبلغ إلى ملء نموه في الله » (كول ٢: ١٩)؛ « نعتصم بالحقيقة في المحبة، فننمو من كل وجه، في مَن هو الرأس، المسيح، الذي به الجسد كله منسّق وملتحم » (أفس ٤: ١٣)؛ « فإنه ما من أحد أبغض قط جسده، بل إنما يغذيه ويعتني به، كما يفعل المسيح بالكنيسة: أولسنا أعضاء جسده » (٥: ٣٩ ـ ٣٠). فالوحدة بين المسيح الرأس، والكنيسة جسده، هي وحدة **كيانية عضوية حياتية**.

فالمسيح « رأس الكنيسة التي هي جسده » (أفس ١: ٢٢ ـ ٢٣)، والمسيحيون هم « أعضاء جسده » (أفس ٥: ٣٠). والمسيح، بمنزلته « رأس الجسد » أي الكنيسة، يقوم بدور التكوين فيها، ودور النمو، ودور التنسيق والالتحام في الوحدة، ودور الغذاء والتنمية. فدور المسيح في « جسده، الكنيسة » هو على الحقيقة دور الرأس في الجسد؛ فصلة المسيح بكنيسته، وبها في الإنسانية، صلة **كيانية، وجودية، حياتية**.

فوحدة الكنيسة، جسد المسيح، **وحدة عضوية، حياتية**، تقود إلى كمال « وحدة الجسد » (كول ٣: ١٥). فتصير أعمال وآلام المسيحي أعمال وآلام المسيح نفسها: « وإني لأفرح بالآلام التي أقاسيها لأجلكم، وأتمّ في جسدي ما ينقص من شدائد المسيح، لأجل جسده، الكنيسة » (كول ١: ٤).

فعقيدة الكنيسة، « جسد المسيح »، في الرسائل الكلامية، تكتمل في الرسائل الصوفية بعقيدة المسيح، « رأس الجسد » على الحقيقة، و« رأس الكنيسة » (أفس ٥: ٢٣) على المجاز أي رئيسها.

وهذا التعليم الملهم من عبقرية بولس الفذة، في تفصيل الإنجيل. وليس في الأديان، ولا في علوم الاجتماع في سائر الآداب، من نظير لهذه العقيدة الإنجيلية الفريدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فالكنيسة، « جسد المسيح »؛ والمسيح، « رأس الجسد » محور الوجود في دورتي الخلق؛ والكنيسة فاتحة الخلق الجديد في الإنسان والكون.

ب) المسيح، « رأس » الملائكة (كول ٢: ١٠)

في الرسالة الكولوسية أوجز بولس ذلك بهذه العبارة: « **وهو رأس كل رئاسة وسلطنة** » (كول ٢: ١٠). وفصله في الرسالة الأفسسية: لقد تجلت قدرة الله العظمى « في المسيح، إذ أقامه من بين الأموات وأجلسه عن يمينه في السماوات العلى، فوق كل رئاسة وسلطنة، وقوة وسيادة؛ بل فوق كل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط، بل في الآتي أيضاً. لقد أخضع الكل تحت قدميه » (أفس ١: ٢٠ ــ ٢٢). فيتضح أن المسيح هو « **رأس** » الملائكة على المجاز أي « **رئيسهم** »: « لقد أخضع الكل تحت قدميه » فسيادته على الملائكة مطلقة. قبل تجسده كان للملائكة سلطان في الكون وتاريخ البشرية، لكن المسيح بقيامته ورفعه إلى السماء « جرّد الرئاسات والسلطنات، وشهرهم إذ سيّرهم في موكبه الظافر » (كول ٢: ١٥) فصار السلطان في الكون « لله ومسيحه ».

ج) المسيح « رأس » لكون كله (أفس ١: ١٠)

أشار بولس إلى هذا الدور الكوني في الرسالة الكولوسية: لقد أقام الله المسيح « فوق كل اسم يسمى ليس في هذا الدهر، بل في الآتي أيضاً. **لقد أخضع الكل تحت قدميه** » (كول ١: ٢١ ــ ٢٢). فمن سلطة المسيح المطلقة على عالم الملائكة، يتطرق إلى سلطته المطلقة على العالمين، « كل اسم يسمى »، وعلى الكون كله: « لقد أخضع الكل تحت قدميه ». أما في الرسالة الأفسسية فقد أوجزه بهذا التعبير المعجز: « **ليجمع في المسيح كرأس الكل**، ما في السماوات وما في الأرض، أجل فيه » (أفس ١: ١٠) هنا يظهر المسيح بجلاء « رأس » الكون كله. على المجاز « كرئيس » له، لا شك في ذلك. فهل المسيح « رأس » الكون أيضاً على الحقيقة، فيكون **الكون جسده الأكبر**؟ يظهر من التعبير اليوناني الذي لا يترجم بحرف واحد أن المسيح هو أيضاً الرأس الكياني للكون. ففي هذا التصريح تظهر « وحدة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الوجود » الحقيقية في المسيح الكوني؛ وتتجلّى حقيقة « المسيح الرأس » (أفس ٤: ١٥) في كل أبعادها.

٢) المصالحة الكونية بالمسيح

في الرسائل الكلامية كان الفداء والمصالحة مع الله مدروسة من جهة الإنسان، وعلاقته المسيحية بربه (٢ كو ٥: ١٨ ــ ٢٠؛ رو ٥: ١٠ ــ ١١) أما في الرسائل الصوفية فقد تجلت المصالحة بالمسيح كونية، تشمل الكون كله « الكل، ما على الأرض، وما في السماوات » (كول ١: ٢٠، أفس ١: ١٠).

لكن شمول مصالحة الإنسان مع ربه للكون كله **أشار بولس إليه في رسائله الأولى**: « إن البرية ستُعتق هي أيضاً من عبودية الفساد، إلى حرية أبناء الله. فنحن نعلم أن الخليقة كلها معاً تئن حتى الآن وتتمخّص... لذلك تتوقع البرية مترقبةً تجلّي أبناء الله » لتشترك معهم (رو ٨: ١٩ ــ ٢٣) في سماء جديدة وأرض جديدة، أي في **كون جديد**. وفي الرسائل الصوفية، خصوصاً الكولوسية، صارت المصالحة الكونية محور البحث بسبب تحدّي الغنوص. فالعقيدة كانت كامنة تنتظر مناسبةً لظهورها بجلاء. فليس من تعليم جديد غريب عن بولس.

الرسالة الأفسسية تدرس **المصالحة الإنسانية** الشاملة بين أهل الكتاب والأمميين، الذين تضعهم على قدم المساواة في « الإنسان الجديد » بالمسيح. والرسالة الكولوسية تكشف أن المصالحة مع الله بالمسيح كونية. فتظهر الرسالة الكولوسية قمة الإنجيل الصوفي عند بولس.

المصالحة كونية، يأتي التعبير عنها أولاً على إطلاقه فيشمل الكون كله، ثم على التخصيص عند الملائكة والبشر: « لقد ارتضى الله أن يصالح به، وله الكل... أجل به، مَن على الأرض، ومن في السماوات » (كول ١: ٢٠). فالمصالحة تمتد من البشر والملائكة، لتشمل الكون كله. هذا ما يجزم به بولس في هذا الموجز المعجز: « ليجمع في المسيح كرأس الكل،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ما في السماوات وما على الأرض » (أفس ١: ١٠). فشموال الفداء أولاً للملائكة، ثم للكـون كله، عبقرية ثنائية جديدة للفكر البولسي.

وهل المصالحة الكونية تشمل العالمين بمعنى واحد؟ بولس يصف المصالحة الإنسانية بالفداء من الخطيئة: « الذي لنا فيه الفداء، مغفرة الخطايا » (كول ١: ١٤). بينما هي ملائكية وكونية « بتحقيق السلام » (كول ١: ٢٠) بين أهل السـماء وأهـل الأرض، بـين الملائكـة الغاضبين وبين البشر الخاطئين. وهذا السلام بين الملائكة والبشر هو أيضـاً **سـلام كـوني**، يشمل الكون كله، الذي عاد إلى فطرته.

وتلك المصالحة كان يتم التعبير عنها حيناً بالصليب (غلا ٥: ١١؛ ١ كو ١: ١٨؛ فيل ٢: ٨)؛ وحيناً بدم المسيح (١ كو ١٠: ١٦؛ رو ٣: ٢٥؛ ٥؛ ٩). وفي الرسالة الكولوسية تأتي بصيغة جامعة: « بدم صليبه » (١: ٢٠)، أي بدمه على الصليب.

في الرسالة الكلامية كانت **المصالحة مع الله**؛ وفي الرسائل الصوفية يصـير المسـيح نفسه **واسطة المصالحة وغايتها:** « أن يصالح به، وله، الكل » (كول ١: ٢٠).

وهـذه المصالحة تتم على نوعين: مع الإنسان بجعل أهل الكتاب والأميـين جسـداً واحداً للمسيح: « ليصالحهما كليهما في جسد واحـد » (أفـس ٢: ١٦) وهـذا هـو **السـلام الإنساني:** « فلقد جاء وبشر بالسلام، بالسلام لكم أنتم البعيدين وبالسلام للذين كـانوا قـريبين؛ لأن به، لنا كلينا، الوصول إلى الآب، بروح واحد » (أفس ٢: ١٧ ــ ١٨). **والسلام الملائكي فالكوني** يتم بسيادة المسيح المطلقة على العالمين، « لأنه هو رأس كل رئاسة وسلطنة » (كول ٢: ١٠).

وهذه المصالحة تخلق « الإنسان الجديد » (كول ٣: ١٠؛ أفس ٤: ٢٤) في « الخليقـة الجديدة » (غلا ٦: ١٥؛ ٢ كو ٥: ١٧). والمسيح هـو « الإنسـان الجديـد »، « الإنسـان السماوي »: فالذي يلبس المسيح (غلا ٣: ٢١) يلبس « الإنسان الجديد » في المسيح (كول ٣:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١٠؛ أفس ٤: ٢٤) كما أنها تخلق الكون الجديد الذي يتوحد في المسيح كرأس لــه (أفــس ١: ١٠). فالعهد المسيحي هو حقاً « العهد الجديد » الخالد في الإنسان والملاك والكون.

فكما كان الخلق الأول « في المسيح، وبه، وله » (كول ١: ١٦)؛ كذلك الخلق الجديــد هو « في المسيح، وبه، وله » (كول ١: ٢٠). فالمسيح في دورتـــي الخلــق، دورة التكــوين، ودورة التجديد، هو العلة السببية، والواسطة، والعلة الغائية. هذا هو المسيح الكوني، « الكــل في الكل » (كول ٣: ١١).

●

٥ ــ المسيح الكوني

في الرسالة الكولوسية يبلغ بولس الكشف عن « سر المسيح » إلى قمته، في ذاته وفي منزلته: إنه المسيح الكوني في شخصيته ورسالته، في دورتي الكون. أربعة تعابير تظهره فــي التكوين، وثلاثة تعابير في التجديد. لقد أشرنا إلى ذلك سابقاً، ونستجمعها الآن ونفصلها.

نفصل **أولاً** عمل المسيح في دورة التكوين.

١) « **فيه يُخلق الكل** » (١: ٦). قامت نظريات مختلفة لتفسير هذا التعبير.

الفم الذهبي فسّرها بما بعدها: « به وله يخلق الكل »، أي لأجله، فهو العلّة الغائية مع الله، لكن النص يميّز بين التعبيرين ويباعد بينهما.

قال بعضهم: معنى « فيه » إنه الواسطة. لكنه يختلف عن « به ».

قارن بعضهم بين « فيه يخلق » (كول ١: ١٦) وبين « فيه اختارنا » (أفــس ١: ٤) كأن الخلق والاصطفاء يتمان في المسيح. لكن القرائن بين الخلق وبين الاصطفاء تختلف، وفي دورين مختلفين.

فسّر بعضهم « فيه يخلق الكل » بما يقوله عن المسيحيين « في المسيح »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وعن المسيح « في المسيحيين » أي « فيه كانت الحياة » كما سيقول يوحنا (١: ٤). لكن في الاثنين فارق في التعبير وفي الزمان.

فما المعنى إذن؟ **للتعبير معنيان:**

بولس يقابل بين تصميم الله في الخلاص (أفس ١: ٣ ــ ١٢) وتصميمه في التكوين (كول ١: ١٥ ــ ١٧). بما أن المسيح هو المرآة التي نستطلع فيها مجد الله (٢ كو ٣: ١٨)، فهو كذلك المرآة التي على مثالها خلق الكون. (كول ١: ١٦). فالمسيح هو **العلّة المثالية** للخلق. فكما أن المسيح هو « صورة الله »، كذلك أيضاً هو « صورة الكون »، في دورين مختلفين. وذلك بحسب قوله إن المسيح هو « حكمة الله ذات الوجوه المتعددة » (أفس ٣: ١٠) التي بموجبها خُلق « ما في السماوات وما على الأرض » بحسب التعبير الكتابي؛ أو « ما يُرى وما لا يُرى » بحسب التعبير الأفلاطوني.

والمعنى الآخر لقوله « فيه يخلق الكل » إن المسيح هو **الوسط الكوني** للخلق، كما أن واجب الوجود هو **الوسط الوجودي** للوجود، في كامل التنزيه والتجريد.

تلك عبقرية أولى لبولس، في الكشف عن دور المسيح في التكوين.

٢) « **وبه يخلق الكل** » (١: ١٧): التعبير صريح بأن المسيح **واسطة الخلق**.

عند فيلون، « كلمة الله » هو **الآلة الوسيطة** في الخلق. بينما بولس يعني **الواسطة العاقلة**، نقلاً عن دور « حكمة الله » في الخلق بحسب الكتاب: الحكمة الإلهية هي الواسطة العاقلة (في الأمثال ٨: ٣٠)، الحكمة « صانعة الكل » (الأمثال ٨: ١٥) حيث « بي » يعني دور الحكمة القائم على الدوام في حكم الكون (الأمثال ٨: ١٦). والحكمة تمثل نفسها « القائمة بالعمل » في خلق الله (الحكمة ٧: ٢١؛ ٨: ٦). وبولس يطبق الاسم والدور على المسيح، « حكمة الله في السر المصون » (٢ كو ٢: ٦). فهو واسطة الخلق العاقلة، العاملة، القائمة. إنه **العلة السببية** في التكوين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تلك عبقرية ثانية لبولس، في دور المسيح الكوني.

٣) « **وله يخلق الكل** » (١: ١٧): المسيح هو غاية الخلق. بهذا الإعلان يتميز بولس عن الوحي الحكمي، وعن الكلام الإسرائيلي. فليس في تصاريح « الحكمة » قول يدل على أنها غاية الخلق؛ والكلام العبراني الذي لا يعتبر المسيح الموعود إلهاً، لا يفكر بمثل ذلك. والكلام الهلنستي يجعل « الكلمة » الفيض الأول عن الله، الواسطة الآلية كناموس للخلق. لكنا بما أن المسيح « حكمة الله في السر المصون » (٢ كو ٢: ٦) أي الحكمة الذاتية في الله، فهو العلة الغائية للخلق، كما أنه العلة المثالية. بولس يحتفظ بالعلة السببية الأولى لله الآب وحده بقوله « يُخلق ».

في الرسائل الكلامية، الله هو العلة الغائية: « نحن لنا إله واحد، الآب، الذي منه الكل، ونحن إليه » (١ كو ٨: ٦)؛ بل العلة المطلقة: « الكل منه، وبه، وإليه » (رو ١١: ٣٦). لكن تلك الغاية السامية لا تتم حتى « يصير الله الكل في الكل » (١ كو ١٥: ٢٨). وهذه الغاية السامية تتحقق « بجمع الكل تحت المسيح رأساً للكون » (أفس ١: ١٠). لذلك « له يُخلق الكل »: فالمسيح **هو العلة الغائية مع الله**. وبسبب الفاعل المتجاهل في « له يخلق الكل » يكون المسيح العلة الغائية المباشرة، والله تعالى العلة الغائية الأخيرة.

دور **المسيح الفادي** صورة عن دور **المسيح الكوني**: ففي تاريخ الإنسان، وفي تاريخ الخلاص، إن المسيح هو مبدأ الخلاص ومتممه وغايته؛ كما أنه في تكوين الكون هو **الوسيط والواسطة والوسط**، والغاية أيضاً فالمسيح هو غاية تاريخ الخلاص، وغاية الدهر الحاضر، وبالفعل ذاته غاية الكون. **إنه العلة الغائية في التكوين، كما أنه العلة السببية المباشرة.**

تلك عبقرية ثالثة لبولس، في دور المسيح الكوني.

هنا يتبادر إلى الذهن سوآل: ما هو الأول في تصميم الله، هل دور المسيح الفدائي، أم دور المسيح الكوني؟ يظهر أن تجسد الكلمة، وتجميع الكون فيه، في وحدة الوجود الحقيقية، سابق في تصميم الله على حدوث

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الخطيئة والفداء منها. بولس يؤكد ذلك في الرسائل الكلامية: « إن الذين عرفهم من قبل، حدّد أيضاً من قبل أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه » (رو ٨: ٢٩)؛ كما في الرسائل الصوفية، في مطلع الأفسسية، « تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي غمرنا من السماوات العلى بكل بركة روحية في المسيح: إذ فيه قد اختارنا قبل إنشاء الكون لنكون قديسين وبغير عيب أمامه؛ وحدّد من قبل برضاه أن نكون له أبناء في يسوع المسيح لحمد مجد نعمته التي أنعم بها علينا في الحبيب، وفيه لنا الفداء بدمه... » (١: ٣ ــ ٧) فصفة الفداء غاية طارئة، في سر الكون والإنسان، بعد التصميم الإلهي الأول، التبني في المسيح، قبل التكوين.

فالمسيح هو **المسيح الكوني**، قبل أن يكون **المسيح المخلص**.

٤) « **وفيه يقوم الكل** » (١: ١٧): إنه العلة الحافظة للكون. بهذا الإعلان يُسند ببولس للمسيح دور الله تعالى في حفظ الكون. والفعل « يقوم » بصيغة المضارع الذي يدل على دوام الحال. وحفظ الكون في الوجود قدرة إلهية، مثل خلقه؛ والحفظ خلق متواصل. باسيليوس الكبير[١] يلاحظ أن الرسول يستعمل الحاضر الدائم، لا الماضي العابر: فعمل التكوين والحفظ عمل متواصل.

وقوله « فيه يقوم الكل » لا يدل فقط على حفظ الكون، بل يعني أيضاً توحيد الكون فيه، كما يصرح في (أفس ١: ١٠)؛ وكما يتوحد الكون بالحكمة المشرفة على تكوينه وحفظه (ابن سيراخ ٤٢ ــ ٤٣، أيوب ٤٠).

فبولس هو ابن الكتاب قبل أن يكون تلميذ الفلسفة الرواقية والكلام الفيلوني، حيث يرد التعبير « فيه يقوم الكل » بالنسبة إلى اللوغس ناموس الكون. ففي الهلنستية، الروح الكلي، الفائض من الله، هو نفس الكون توحده وتحييه: فالتعبير مشوب بالشرك. وعند فيلون « كلمة الله » هو الرباط الذي يوحد الكون: فالتعبير مشوب بالحلولية. أما عند بولس فليس من شرك ولا حلولية. إنه ينقل للمسيح دور الحكمة الإلهية ــ حيث **تعابير**

---

(١) الرد على افنوميون ف ٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الحكمة. والكلمة والروح مترادفة ــ في حفظ الكائنات: « روح الرب مالئ الكون، وواسع الكل » (الحكمة ١: ٧). وتعبير بولس هو تعبير ابن سيراخ نفسه. « بكلمته يقوم الكل » (٤٣: ٢٨). فكما يحفظ روح الله وكلمته وحكمته الكون في الوجود، كذلك « في المسيح يقوم الكل » (كول ١: ١٧): إنه العلة الحافظة للكون.

تلك عبقرية رابعة لبولس، في دور المسيح الكوني.

بتلك التعابير الأربعة أوضح بولس دور المسيح الكوني، فأظهر إلهيته من عمله في التكوين حيث جعله مثل الله **العلة المثالية والسببية والغائية والحافظة** للكائنات. ما قاله في الله الآب: « الكل منه وبه وإليه » (رو ١١: ٢٦)، يقوله في المسيح: « فيه، وبه، وله يخلق الكل. وفيه يقوم الكل ».

والفارق بين دور الله في التكوين، ودور المسيح، « ابن محبته » و« صورة الله الغير المنظور » (كول ١: ١٣ و١٥) هو أن يحتفظ لله الآب بتعابير « منه وإليه »، فهو المبدأ والمعاد الأسمى. بينما يقول في المسيح « فيه، وبه، وله، يخلق الكل » فهو المبدأ والمعاد مع الله الآب.

وصفة المسيح الكوني مصدرها عند بولس تفصيل الإنجيل على ضوء الكتاب، في أسفار الحكمة، مثل قول ابن سيراخ الذي يجمع صورة المسيح الموعود، ابن داود، إلى صورة الحكمة الأزلية: « إن الله وعد داود عبده أن يقيم منه الملك القدير، الجالس على عرش المجد إلى الأبد. وهو يفيض الحكمة... الحكمة لا يستوفي معرفتها سابق، ولا يستقصيها لاحق، لأن فكرها أوسع من البحر، ومشورتها أعمق من الغمر العظيم. أنا الحكمة » (٢٤: ٣٣ ــ ٤٠). فعنه وعن (سفر الحكمة) أخذ بولس مطابقة الحكمة الإلهية الذاتية للمسيح في دوره الكوني لأنه « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦). فالمسيح الكوني عند بولس هو الحكمة الإلهية الذاتية في الكتاب.

والآن نفصل **عمل المسيح في دورة تجديد** الكون. يمثل بولس دور المسيح في ثلاثة تعابير:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١) « **وهو نفسه قبل الكل** » (١: ١٧): أولية المسيح في الكون أزلية. هذا التصريح يأتي في ختام تفصيل دور المسيح في التكوين: فهو يعني **أولية أزلية** على الكائنات كلها، في تفسير قوله « بكر الخليقة كلها » (١: ١٥)؛ لا أولية زمانية كما سيأتي في دورة التجديد (١: ١٨).

فلا يعني التعبير **التقدم في المنزلة على الخلق** فقط؛ بل **الأزلية قبل الزمن والتكوين**؛ لأن التقدم في المنزلة يعبّر عنه بقوله « فوق الجميع » (رو ٩: ٥؛ أفس ٤: ٦)، أو « على الجميع » (أفس ١: ٢٢).

وهذا التعبير « فهو نفسه قبل الكل » اقتبسه بولس عن أزلية الحكمة الإلهية، كقول الأمثال: « الله حازني في مبدإ طريقه؛ قبل ما عمله منذ البدء من الأزل مسحت، من الأول، من قبل أن كانت الأرض، وُلدت حين لم تكن... حين هيأ السماوات كنت هناك » (٨: ٢٢ ـ ٣٢)؛ وكقول ابن سيراخ على لسان الله: « قبل الكل حزت الحكمة » (١: ٤)، وعلى لسان الحكمة: « من الأول حازني، وإلى الدهر لا أزول؛ وقد عملت أمامه في القدس »، مسكن الله قبل الكون (٢٤: ١٤).

فأزلية المسيح هي أزلية الحكمة الإلهية في الله.

٢) « **لكي يكون هو الأول في الكل** » (١: ١٨): أولية زمانية.

لقد مرّ بنا تفسيره. التعبير يأتي في دورة تجديد الخلق، في كون المسيح « البكر من بين الأموات » (١: ١٨). فهو « المبدأ » في الخلق الجديد (١: ١٨). وهو مصدر المصالحة الكونية، «لقد ارتضى الله... أن يصالح به، وله، الكل... ما على الأرض، وما في السماوات» (١: ٢٠).

إنها **أولية زمانية** في الخلق الجديد، ومصدر المصالحة الكونية؛ فهي تعني أيضاً **السيادة المطلقة** على الكون الجديد الذي بدأ بتجسده وقيامته.

٣) « **المسيح هو الكل في الكل** » (كول ٢: ١١).

يرد التعبير بمناسبة توحيد الأقوام والأجناس في « الإنسان الجديد الذي يتجدد بالمعرفة (بالغنوص) على صورة خالقه » (٢: ١٠). « فالمسيح

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هو الكل في الكل »، في تجديد الخلق، وقيام الإنسان الجديد في الكون على « صورة خالقه » بعد أن فقدها.

وما يقوله عن دور المسيح إنه « الكل في الكل »، في دورة تجديد الخلق، يقابل قولـه « فيه يقوم الكل » في دورة التكوين. ما قـاله في الرسائل الكلامية عن الله إنه « الكـل فـي الكل » (١ كو ١٥: ٢٩) يقوله عن المسيح في الرسائل الصوفية.

بتلك التعابير الثلاثة يصف منزلة المسيح في تجديد الخلق. وهـي عبقريـات ثـلاث أخرى تصف « سر المسيح » في المصالحة الكونية لتجديد الخلق.

« سر المسيح » إنه **المسيح الكوني** في دورتي الخلق، التكوين والتجديد. ومـا أروع الصورة، لإثبات إلهية المسيح، في هذه التعابير السبعة مجتمعة:

« فيه يخلق الكل »

« به يخلق الكل »

« له يخلق الكل »

« فيه يقوم الكل »

« فهو نفسه قبل الكل »

« وهو الأول في الكل »

« وهو الكل في الكل »

أجل قد اقتبس بولس تلك الحروف عن الرواقيين وعن فيلون[١]. لكنها كانـت عنـدهم تعبيراً عن « الكلمة » « ناموس » الكون، في وحدة الوجود: فهي غارقة في التشبيه والمادية. أما عند بولس فهي قائمة **بمعنى جديد**، في كامل التنزيه والتجريد، مع خالص التوحيـد. إنهـا صورة المسيح الكـوني، في دورتي الخلق، التكـوين والتجديد، بالمسـيح « صـورة الله » و« المبدأ ». فهي تصف وصفاً معجزاً « سر المسيح » في الكون.

۞ ۞ ۞

---

(١) سينيكا: الرسائل الأخلاقية ٧: ٣؛ فيلون: في الكروبيم ص ١٢٥ ـ ١٢٧.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثانياً: في المسيح « سر الله » وسرّ « الإنسان الجديد »

إن السيد المسيح، كما هو سر الكون، هو « **سر الله** »: فبالغنوص السامية في المسيحية نبلغ « إلى معرفة سر الله، المسيح، المكنونة فيه جميع كنوز الحكمة والغنوص » (٢: ٢ ــ ٣)؛ وسر « الإنسان الجديد، الذي يتجدّد بالغنوص (المسيحية) على صورة خالقه » (٣: ١٠).

هذا ما يظهره بولس في النشيد الثاني، من القسم الثاني، من الرسالة الكولوسية. وهو القسم الجديد فيها ــ إذا ما اعتبرنا القسمين الأول والثالث من قبلها، طقس عماد وعظة نموذجية لبولس نفسه، أدرجهما فيها بعد تنقيح، للذكرى والتاريخ.

المسيح، ملء الله، وملء الإنسان

« ففي المسيح يحل جسدياً ملء الألوهية كله!
وأنتم فيه أيضاً ممتلئون! وهو رأس كل رئاسة وسلطنة!

وفيه ختُنتم ختاناً بغير يدٍ به تخلعون جسدكم البشري كله
فهذا هو الختان في المسيح: بالعماد تُدفنون معه وتقومون معه!

فقد آمنتم بقدرة الله الذي أقامه من بين الأموات
وكنتم أمواتاً بزلاتكم وقلف أجسادكم فأحياكم معه، وصفح لنا عنها كلها

لقد محا صكّ الأحكام علينا وألغاه مسمراً إياه على الصليب
وخلع الرئاسات والسلطنات عن سلطانهم، وسيرهم في موكبه الظافر »
(كول ٢: ٩ ــ ١٥)

قدّم بولس لهذا النشيد بهذا التحذير: « احذروا أن يضلكم أحد بباطل الفلسفة، القائم على « سنة الناس » وعلى « أركان العالم »، « لا على المسيح » (٢: ٨). بذلك يشير إلى الغنوص الهلنستية وحكمتها، وإلى الغنوص الإسرائيلية وتعليمها في الملائكة « رؤساء وسلاطين » « الأفلاك السماوية »؛ وإلى الغنوص « النصرانية » في « سنة الناس » التي يتبعون. وكلها تتفاعل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في تحدي المسيحية. ونظرياتها كلها تدور حول نظرية « الملء »، ونظرية « الرأس » في الكون كله. فأجاب بولس في النشيد الأول بأن المسيح هو « الملء كله » في الكون، و« رأس الجسد » أي الكنيسة. وفي هذا النشيد الثاني يجيب بأنه أيضاً « **رأس كل رئاسة وسلطنة** » في الكون، لأن « **فيه يحلّ جسديّاً ملء اللاهوت كله** ». فهو سر الله، كما هو سر الكون، وسر الإنسان الجديد.

●

١ ـ « **المسيح هو سر الله** » (كول ٢: ٢)

يرد بولس على أنواع الغنوص التي تجمّعت في « النصرانية » بالتعريف بسر المسيح في ذاته ليكشف أنه سر الله في الكون، كما في ذاته.

فالمسيح « يحل فيه جسديّاً ملء اللاهوت كله » (كول ٢: ٩). هذا أجمل وأكمل تعريف لسر التجسد في المسيح. فليس في المسيح من تربيب وتأليه كما عند المشركين؛ إنما ملء اللاهوت كله يحل فيه جسديّاً. فملء اللاهوت كله يحل في بشرية المسيح. لاحظ الصفة على سبيل الحال: « جسديّاً » فليست البشرية فيه أقنوماً قائماً بذاته، إنما هي حال قامت بحلول ملء اللاهوت كله على حال بشرية. وهذا التحديد أدق من تعريف يوحنا لناحية البشرية: « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (يو ١: ١٤) لكن تعريف يوحنا أدق لناحية الإلهية: فكلمة الله هو الذي حلّ وتجسد بملء اللاهوت كله. فالتعريفان متكاملان لبيان شخصية المسيح، وسره في ذاته.

ويستعلي بولس على الحكمة وعلى الغنوص بالشهادة: « في المسيح جميع كنوز الحكمة والغنوص » أي العلم كله (٢: ٣).

بهذه المعرفة يبلغ أهل الإنجيل، في « اجتماع المحبة » إلى « الفهم الكامل بكل غناه، لسر الله: المسيح ». فالمسيح هو سرّ الله في ذاته.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ـ المسيح هو سر الكون (كول ٢: ١٠)

يوجز بولس هنا الكون بالملائكة والبشر.

فبالنسبة للملائكة صار المسيح، بحلوله « جسديّاً » في الكون: « رأس كل رئاسة وسلطنة » (٢: ١٠) من الملائكة، بحسب التعبير الكتابي، ومن « أركان العالم » بحسب التعبير الغنوصي.

وبالنسبة للبشر، « أنتم مشتركون في ملئه » (٢: ١٠).

فالإنسان المسيحي يشترك ــ بدون شرك ــ في ملء المسيح، وبه في ملء اللاهوت ذاته، « إذ في المسيح يحل جسديّاً ملء اللاهوت كله ». سيقول يوحنا: « من امتلائه، أخذنا كلنا نعمة على نعمة ».

ويبرز المشكل: كيف يكون « المسيح رأس الجسد، الكنيسة » (١: ١٨)؛ وكيف يكون « رأس كل رئاسة وسلطنة » بين الملائكة؟

إن القرائن تدل على الفوارق. فليس الحال في الوضعين واحداً. إن البشر باتصالهم الكياني بالمسيح، « يشتركون في ملئه » (٢: ١٠)، فتقوم بين المسيح والمسيحيين صلة كيانية كصلة الرأس بالجسد. أمّا بين المسيح والملائكة، فقد صار « رأسهم » لأنه « جرّد الرئاسات والسلطنات، فشهرهم وسيّرهم في موكبه الظافر » (٢: ١٥)، فهو بالنسبة للملائكة « رأس » بمعنى « الرئيس » الذي يحكمهم بأمره. في الكنيسة « المسيح رأس الجسد، الرأس المحيي »: « أحياكم معه » (٢: ١٣)، « وبالرأس يتغذّى الجسد كله، ويتلاءَم بالمفاصل والمواصل، ويبلغ إلى ملء نموه في الله » (٢: ٩). إنها صلة كيانية حياتية كصلة الرأس بالجسد. أما في الكون فهو « رأس » قائد حاكم، تخضع رئاساته وسلطناته لسيادة المسيح المطلقة، وقيادته الحاكمة. إنها صلة كونية رئاسية، صلة الكون برب العالمين.

والعقيدة الجديدة إن المسيح باستشهاده وقيامته وتتويجه في السماء رب العالمين، جرّد الملائكة من حكم الكون الذي كانوا يحكمونه باسم الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فصارت السيادة الكونية « لله ولمسيحه » (الرؤيا ٥: ١٣). وهذا المشهد: « شهرهم وسيرهم في موكبه الظافر »، سوف يفصله سفر الرؤيا أروع تصوير وأفخمه (ف ٤ ــ ٥).

●

٣ ــ والمسيح هو سر « الإنسان الجديد » ــ بسر العماد

الإنسان الجديد (كول ٣: ١٠؛ أفس ٤: ٢٤)، في الخليقة الجديدة (٢ كو ٥: ١٧؛ غلا ٦: ١٥)، « يشترك في ملء المسيح » (كول ٢: ١٠) المملوء من الله نفسه (٢: ٩).

وهذه الشركة تتم في العماد المسيحي، وتكتمل في القربان المسيحي. وليس العماد كالختان: فهذا صنع بشري يقطع جزءاً من بشرية الإنسان؛ بينما « الختان في المسيح » أي العماد، فهو « غير مصنوع بيد »، أي هو ختان روحي، « به تخلعون جسدكم البشري كله » (٢: ١٢)؛ إذ إنه « بالعماد، الذي فيه تدفنون مع المسيح، وتقومون معه »، تصيرون خليقة جديدة تحيا بروح الله (٢: ٢٢) من ملء المسيح الإلهي.

وبولس يفسر العمل الروحي الإلهي بالعماد: مبدؤه الإيمان بقدرة الله الذي أقام المسيح من بين الأموات، لإحيائنا به (٢: ١٢). وهذا الاحياء يكون بمسامحتنا بزلاتنا (٢: ١٣)، « إذ لنا فيه الفداء، مغفرة الخطايا » (١: ١٤)، وبإحيائنا مع بالشركة في ملئه الذي هو ملء الله (٢: ٩ و١٠). هذا بالنسبة للمسيحيين من الأميين.

أما بالنسبة للمسيحيين من أهل الكتاب، فقد أبطل المسيح بصليبه مفعول أحكام الشريعة الموسوية، التي تقضي على مخالفيها بأحكامها، فعلقها مثل صك مدفوع على صليبه، فأبطلها بالتسمير على الصليب.

فالمسيح، بصليبه، حرّر أهل الكتاب من الشريعة، والأميين من الخطيئة. وهكذا فجميعكم « قد خلعتم الإنسان العتيق، مع أعماله (وأحكامه)،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولبستم الإنسان الجديد، الذي يتجدّد بالمعرفة (المسيحية) على صورة خالقه »! (٣: ٩ ـ ١٠).

وبولس ينشد ويهتف للوحدة المسيحية في البشرية، التي تكوّن الإنسان الجديد: « فثمة ليس من بعد: هلّيني ويهودي! ختان وقلف! أعجمي واسكوتي! عبد وحر! **إنما المسيح هو الكل في الكل** » (كول ٣: ١١)

فالمسيح إذن هو **السر الأعظم**: سر الإنسان، وسر الكون، وسر الله. والإنجيل هو « الغنوص السامية »، لا ما يتشدقون به من حكمة وغنوص. ففي « المسيح جميع كنوز الحكمة والغنوص » (٢: ٣)، لأن المسيح هو ملء الإنسان (٢: ١٠)، وملء الكون (١: ١٩) وملء الله نفسه (٢: ٩)، « ففيه الملء كله » (١: ١٩).

هذا هو « سر المسيح » في الله، سر الأسرار يكشفه الإنجيل « بغنوص السامية ».

۞ ۞ ۞

ثالثاً: الخلاص، ما بين دعوة الإنجيل، و« سر الإنجيل »

إن الخلاص، في لغة الرسائل الكلامية، كان إنجيلاً، « إنجيل خلاصكم »؛ وصار في الرسائل الصوفية ـ انسجاماً مع تحدّي الغنوص ـ « سراً » هو سرّ الخلاص.

فالسر الذي به يتشدّقون ليس بسر، إنما السر هو « **سر الإنجيل** » (أفس ٦: ١٩) الذي يفصل « **سر المسيح** » (كول ٣: ٤؛ أفس ٣: ٤)، الذي هو « سر الله » نفسه (كول ٢: ٢) وسرّ « الإنسان الجديد » (كول ٣: ١٠). ففيه يتحقق الخلاص المنشود، « بالمسيح المكنونة فيه جميع كنوز الحكمة والغنوص » (كول ٢: ٣).

وبإعلان الخلاص « بسر الإنجيل » يبشّر بولس « في ما بينكم **بكلام الله الكامل**، بالسر المكتوم منذ الدهور والأجيال، وأعلن لقديسيه، الذين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

شاء أن يعلمهم ما هو، في الأمميين، غنى مجد هذا السر: المسيح فيكم، رجاء المجد » (كول ١: ٢٥ ــ ٢٧) فالإنجيل الصوفي هو « كلام الله الكامل » في سر الخلاص، « الذي هو المسيح فيكم ».

١ ــ الخلاص هو في المسيح وحده

بهذا التحدي يرد بولس على الغنوص الهلنستية واليهودية و« النصرانية » الإسرائيلية، والسر الذي يعلنه أن المسيح وحده خلاص الأمميين، كما هو خلاص أهل الكتاب (٢: ٢٧). فالبشر كلهم، بالإيمان والعماد يشتركون في المسيح « جسداً واحداً »، « وهو رأس الجسد، الكنيسة » (١: ١٨). فليس في كل صوفية من خلاص، مثل هذا الخلاص التي تنادي به « الغنوص السامية » في المسيحية.

وسر الخلاص « هو المسيح فيكم » (١: ٢٧)، « رأس الجسد » (١: ١٨)، « الذي به يتغذى الجسد كله، ويتوحد بالمفاصل والمواصل، فيبلغ إلى ملء نموه في الله » (٢: ١٩). وذلك لأن « في المسيح يحل جسديّاً ملء الألوهية كله؛ وأنتم فيه ممتلئون » (٢: ٩ ــ ١٠) من ملء الله في المسيح.

٢ ــ ويفصل بولس مراحل الخلاص بالمسيح

« فيه لنا الفداء، مغفرة الخطايا » (كول ١: ١٤؛ أفس ١: ٧). فالخلاص هو أولاً « مغفرة الخطايا »، لأن الخطيئة إهانة لله وخيانة لحبه، فهي الحاجز الأكبر بين الله والإنسان. وهذا الخلاص من الشر الأكبر نناله بالإيمان والعماد، الذي هو الختان الحقيقي، لأنكم فيه « تدفنون معه بالعماد، وتنهضون أيضاً معه » (٢: ١٢). فهو مشاركة روحية لسر المسيح وحياة المسيح؛ إنه احياء معه: « أحياكم معه » (٢: ١٣). هذه هي الناحية الثانية الإيجابية. والمظهر الثالث هو السلوك بحسب المسيح: « فاسلكوا في المسيح، الرب يسوع، كما تعلمتموه » (٢: ٦). وميزة السلوك المسيحي المحبة والسلام: « وفوق كل شيء، البسوا **المحبة، التي هي رباط**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكمال. وليسد في قلوبكم سلام المسيح، الذي إليه دعيتم لتكونوا جسداً واحداً » (٣: ١٤ ـ ١٥).

٣ ـ فهذا الخلاص بالمسيح يخلق « الإنسان الجديد »

يحلمون « بالإنسان الجديد »، وهذا الحلم لا يحقق إلاّ في المسيح؛ « تدفنون معه بالعماد، وتنهضون أيضاً معه... فأحياكم معه » (٢: ١٢ و١٣). هذا رمز وحقيقة: « لقد خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، **ولبستم الإنسان الجديد** الذي يتجدد بالغنوص (المسيحية) على صورة خالقه » (٣: ٩ ـ ١٠). وهذا التجديد في الإنسان هو شركة في قيامة المسيح وحياته الإلهية.

فالحياة المسيحية هي منذ الآن قيامة من بين الأموات للإنسان الجديد، في حياة مستترة مع المسيح في الله: « لقد قمتم مع المسيح! فاطلبوا ما هو فوق حيث يقيم المسيح جالساً عن يمين الله. فاهتموا لما هو فوق، لا لما هو أرضي، لأنكم قد متم **وحياتكم مستترة مع المسيح** في الله. ومتى ظهر المسيح، الذي هو حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد » (٣: ١ ـ ٤). ففي الخلاص المسيحي، « رجاء المجد » الإلهي (١: ١٧).

إن « الإنسان الجديد » هو « الإنسان الكامل في المسيح » (١: ٢٨) الذي يحيا « حياة مستترة مع المسيح في الله » (٣: ٣)، في « جسد واحد » يحييه روح الله (٣: ١٥).

هذا هو « الفهم الكامل بكل غناه » (٢: ٢)، « يا لغنى مجد هذا السر، المسيح فيكم » (١: ٢٧) فالمسيح في الإنسان، يخلق « الإنسان الجديد بروحه القدوس ».

٤ ـ المدى الإنساني والمدى الكوني للخلاص بالمسيح

إن الخلاص بالمسيح ليس شخصيّاً فحسب؛ إنما هو إنساني وكوني لأنه إلهي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١) **الخلاص هو أولاً شخصي**. يؤكد بولس في الرسائل الصوفية ما قاله في الرسائل الكلامية. هذا الخلاص الشخصي يتم بالإيمان بالإنجيل (كول ١: ٤ ــ ٦ و٢٣؛ ٢٢: ٥ ــ ٧) والاتحاد بالمسيح « جسداً واحداً » في العماد (٣: ١٥)، الذي هو شركة في موت المسيح وقيامته (٢: ١٢ ــ ١٣؛ ٣: ١ ــ ٣)، لحياة جديدة « مستترة مع المسيح في الله » (٣: ٣)، والسلوك بحسب الإنجيل في القداسة (١: ٢٢) مع ما تقتضيه من اجتناب الرذائل وممارسة الفضائل المسيحية (٣: ٥ ــ ٤: ٦)، وعرْفها « المحبة التي هي رباط الكمال، وسلام المسيح » (٣: ١٤ ــ ١٥).

٢) والخلاص المسيحي هو أيضاً **اجتماعي، إنساني**، يجعل المؤمنين بالمسيح « جسداً واحداً » (٣: ١٥). فالوحدة الإنسانية لا توجد إلاّ بالمسيح الذي يجعلها « جسداً واحداً »، لا على المجاز، بل في الحقيقة والواقع؛ وهذا الجسد الواحد يتكون ويحيا بالمسيح، « رأس الجسد » (١: ١٨)؛ فيكون **الجسد الاجتماعي الإنساني للمسيح**، حيث هو « الكل في الكل » (٣: ١١).

٣) ومع المدى الإنساني، **يأخذ الخلاص بالمسيح مداه الكوني**، حيث الله « يجمع في المسيح الكل، ما في السماوات وما على الأرض » (أفس ١: ١٠)، فيصير **الكون كله جسداً كونيّاً للمسيح**، ويصير المسيح « رأساً للرئاسات والسلطنات » الملائكية والكونية (كول ٢: ١٠) بالكيان والسلطان معاً.

٤) وهذا المدى الإنساني، وهذا المدى الكوني، للخلاص، يتحقق **بالمدى الإلهي في المسيح** « إذ فيه يحل جسديّاً ملء الألوهية كله » (كول ٢: ٩). فالمسيح هو ملء الله، وملء الكون، وملء الإنسان، « فقد ارتضى الله أن يحل فيه الملء كله » (كول ١: ١٩)، في وحدة الوجود الحقة، التي لا تتحقق إلاّ في المسيح.

تلك هي أبعاد الخلاص في « سر المسيح »، و« سر الإنجيل ». فالمسيحية هي حقاً « الغنوص السامية » التي تعجز عن مداها كل حكمة وكل غنوص،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لأن « سر الله هو المسيح المكنونة فيه جميع كنوز الحكمة والغنوص » (٢: ٢ ـ ٣). لذلك يدعو بولس العالمين إلى تذوّقها.

۞ ۞ ۞

رابعاً: المعرفة الذوقية « لسر الله، المسيح » (كول ٢: ٢)

كان دعاة الغنوص الذين يبلبلون كنيسة كولوسي وسائر المنطقة يدّعون أن الغنوص « معرفة ذوقية » تتم في أسرارهم، وهي أفضل من المعرفة بالحكمة. فأجابهم بولس على تحديهم بأن المعرفة الذوقية الحقة، « بالغنوص السامية » هي « لسر الله، المسيح المكنونة فيه جميع كنوز الحكمة والغنوص » (كول ٢: ٢ ـ ٣).

١ ـ للدعوة **أصولها في الرسائل الكلامية.** لقد دعا بولس دائماً المسيحيين إلى الازدياد في معرفة إيمانهم بالله الآب، والرب يسوع (١ كو ١: ٤ ـ ٧)؛ وإلى جمع المعرفة إلى المحبة (١ كو ١٣: ٢)، وإلى تفسير الكلام بألسنة متنوعة بالعلم الذي يبني (١ كو ١٤: ٦). فإن الله تعالى، بالإيمان المسيحي « كما أشرق من الديجور نوراً، أشرق في قلوبنا، لكي تسطع فيها معرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦). تلك هي « الحكمة بين البالغين » (١ كو ٢: ٦) التي جعلت بولس يهتف: « يا لغنى الله وحكمته وعلمه!... الكل منه، وبه، وإليه! فله المجد إلى الدهور. آمين » (رو ١١: ٣٣).

٢ ـ وفي الرسائل الصوفية، اضطره هجوم الغنوص إلى الردّ « بالغنوص السامية » في المسيحية، التي فيها ما يسمونه « **المعرفة الذوقية** » التي لا توجد على حقيقتها إلاّ في معرفة « سر المسيح » و« سر الإنجيل »: إنها « الغنوص السامية في كل حكمة وفهم روحي لسر الله، المسيح » (١: ٦؛ ٢: ٢). المسيح « صورة الله الغير المنظور » فيصح الاتصال الذوقي به، وفيه بالله « الغير المنظور ». فمن ذاق « سر المسيح » تذوق « جميع كنوز الحكمة والغنوص ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ــ إن تلك « الغنوص السامية في كل حكمة وفهم روحي » تتم بالمحبة ــ ونــذكر نشيده القديم للمحبة الإلهية التي هي أسمى ما في الوجود (٢ كو ١٣) ــ « حتى إذا ما أجمعتم في المحبة، تبلغون إلى الفهم الكامل بكل غناه، إلى معرفة سر الله، المســيح » (كــول ٢: ٢). وليست المحبة المسيحية أفلاطونية، بل « المحبة هي ربــاط الكمــال » (٣: ١٤). فبالمحبــة العارفة، أو المعرفة المُحبة ــ وكلاهما متلازمتان ــ يبلغ المسيحي، أفضل من أهل الحكمــة ومن أهل الغنوص، إلى المعرفة الذوقية « لسر الله ».

٤ ــ وليست المعرفة الذوقية، في المسيحية، خيالية؛ إنما هي واقعيــة؛ تقــوم علــى **السلوك المسيحي بحسب الإنجيل:** « نصلي لأجلكم سائلين أن تبلغوا إلى **غنوص كاملة،** فــي كل حكمة وفهم روحي؛ فتسلكوا من ثمّ على ما يليق بالرب، في كل ما يرضيه؛ وتثمروا فــي كل عمل صالح، **فتنموا في معرفة الله** » (١: ٩ ــ ١٠). فالسلوك المسيحي يقود إلى المعرفة الذوقية، وهذه بدورها تتجلى في السلوك المسيحي: « فاسلكوا إذن في المسيح، الرب يســوع، كما تعلمتموه. كونوا متأصلين فيه، مبنيين عليه، موطدين في الإيمان، على حسب ما تعلمتم » (٢: ٦ ــ ٧). فليس في المسيحية من **شطحات صوفية** ينفر منها أهل الكلام والسنة.

٥ ــ **هذا السلوك الصوفي الحقيقي** يسميه بولس « السلوك بحسب الــرب يســوع » (١: ١٠)، « السلوك بحسب الإنسان الجديد » (٣: ١٠). وهو الحياة المستترة مع المسيح فــي الله: « لقد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما هو فوق، حيث يقيم المسيح جالساً عن يمين الله. اهتموا لما هو فوق، لا لما هو أرضي! لأنكم قد متم (عن العالم والإنسان العتيق، إنســان الخطيئــة)، وحياتكم مستترة مع المسيح في الله » (٣: ١ ــ ٣). وقد كشف لهم بولس أبعاد ســر المســيح الإنسانية والكونية والإلهية، حتى يتذوقوا بالإيمان والمحبة « الملء كله » (١: ٩) في المسيح، ملء الإنسان، وملء الكون، وملء الله.

٦ ــ للتعريف « بالغنوص السامية » في المسيحية، بولس يستخدم تعــابير الغنــوص الهلنستية التي اقتبستها « النصرانية » التي تتحداه، مثل « السر »،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« العلم » أي الغنوص، « الفهم الكامل »، « الكمال »، « غنى المجد »، « الملء »... وكان « المريد » عندهم يقبل عماداً في هيكلهم، ويطلع على غنوصهم، العلم السرّي، ويصير « كاملاً ». فاستخدم بولس لغة القوم في مخاطبتهم على قدر عقولهم. وليس هذا **الاستخدام اقتباساً ولا تلفيقاً**. فالعقيدة تختلف جوهريّاً ما بين التوحيد والشرك، وما بين الاتصال الروحي والحلولية. وكشف عن مفاعيل العماد المسيحي، والشركة في قربان الرب، لإظهار فضلهما السامي على ما عند القوم من طقوس فارغة باطلة. فلم يحول بولس الدعوة المسيحية إلى غنوص سرية، بالكشف عن « سر الإنجيل » و« سر المسيح ». ولم يقحم الغنوص الهلنستية في العقيدة المسيحية.

٧ ـ فالعقيدة المسيحية، بشريعتها وصوفيتها، **كانت قائمة منتشرة قبل هداية بولس.** وهو يُسلّم البلاغ الرسولي كما تسلمه من الرسل صحابة المسيح (١ كو ١٥: ١١)، ويفصّله على نور رؤية المسيح في مجده وفي سر بنوته (غلا ١: ١٦). كان الإيمان قائماً قبله بيسوع « ربّاً ومسيحاً » (أع ٢: ٣٦)، « رئيساً ومخلصاً » (أع ٥: ٣١)، « رب العالمين وملك يوم الدين » (أع ١٠: ٣٦ و٤٢) يقدس ويحيي المسيحيين بروحه القدّوس « الذي آتاه **الذين يطيعونه** » (أع ٥: ٣٢) ـ و« طاعة الإيمان » المسيحي هي « الإسلام » الحق، بلغة غيرهم. وتحقيق الخلاص بالعماد المسيحي (رو ٦: ٣)، والقربان المسيحي (١ كو ١١: ٢٣) سلّمه بولس كما تسلمه، بصريح شهادته. فليس إنجيل بولس الصوفي من الغنوص الهلنستية، كما أن إنجيله الكلامي ليس من الحكمة الهلنستية أو الكلام العبري. إنما هما تفصيل الإنجيل، على ضوء الوحي، بلغة الحكمة أو لغة الغنوص، لكن بتعابير الكتاب والحكمة المنزلة. واستخدام لغة القوم، كما يفعل عبقري مثل بولس، أفهم لهم وأفحم.

لقد استخدم فيلون، من قبله، الحكمة الهلنستية في عرض الحكمة المنزلة؛ ولا يطعن ذلك في توحيده. كذلك استخدام بولس للحكمة والغنوص في تفصيل الإنجيل، على ضوء الوحي الشخصي والكتاب. لا يطعن في مسيحيته ولا في صحة عقيدته وصوفيته.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن الرسالة الكولوسية عرض، بلغة الغنوص، « لسر المسيح » في الكون. ويأتي في الرسالة الأفسسية عرض آخر « لسر المسيح » في كنيسته. في الأول الكون ملء المسيح، وفي الثانية الجامعة، الكنيسة ملء المسيح ــ مع تعديل في معنى « الملء ».

بحث ثالث

الرسالة إلى الأفسسيين
(سر المسيح في الكنيسة والبشرية)

توطئة: إنها موجز الإنجيل الصوفي، بحسب بولس

كانت الرسالة الرومانية العَرْضة الأولى الكلامية للإنجيل. فجاءَت الرسالة الأفسسية العَرْضة الثانية للإنجيل، بأسلوب صوفي.

فالرومانية موجز الإنجيل الكلامي؛ والأفسسية موجز الإنجيل الصوفي.

تلك ظاهرة عامة. وهذه ظاهرة خاصة: كانت الرومانية **عقائدية** تفصّل الرسالة **الدفاعية** إلى الغلاطيين. وجاءَت الأفسسية كذلك **عقائدية** تفصّل الرسالة **الدفاعية** إلى الكولوسيين.

فما بين الأفسسية والكولوسية صلة الموضوع الواحد، لكن بأسلوب مختلف بين العرض والبيان في الأفسسية، الرد والدفاع في الكولوسية؛ وتعبير غنوصي مختلف، لكن بمعنى واحد: في الكولوسية، المسيح هو ملء الكون وملء الكنيسة في البشرية، وفي الأفسسية سر المسيح هو سر الكون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وسر الكنيسة في البشرية. فالأفسسية **رسالة « السر »**، والكولوسية **رسالة « الملء »**، وإن ورد التعبيران في الرسالتين، كان محور الكولوسية المسيح، فجاء محور الأفسسية الكنيسة.

كانت الرومانية تعميمعاً لتعليم الغلاطية، باسم رومة عاصمة المسكونة؛ وجاءَت الأفسسية، باسم أفسس عاصمة « آسيا »، تعميماً لتعليم الكولوسية.

وكما أن تفصيل العقيدة في الرومانية نبع من الدفاع عنها في الغلاطية، في نتيجة سيكولوجية محتومة؛ كذلك كان تفصيل العقيدة في الأفسسية **نتيجة سكولوجية محتومة**، فرضتها ظروف الدفاع عنها في الولاية كلها. وهذا التلاحم في الظروف الموضوعية والمكانية والزمانية والسيكولوجية، ما بين الكولوسية والأفسسية يدفع الشبهة التي قامت على صحة الرسالة إلى الأفسسيين.

والشبهة مزدوجة، صغرى وكبرى.

الشبهة الصغرى: هل الرسالة الأفسسية كانت موجهة حقاً إلى الأفسسيين؟ والشبهة الكبرى: هل بولس هو حقاً صاحب هذه الرسالة؟ ومَن هو، عند الشك، ذلك العبقري الذي فاق معلمه الجبار بولس؟ وكيف سطا على الرسالة الكولوسية، فاقتبس منها التعبير والتفكير، مع بعض المفارقات فيهما، بها يفتضح أمره، ويظهر سره؟ وكيف انطلى ذلك على الكنيسة، وخصوصاً على مدرسة يوحنا الرسول في أفسس وولايتها، وقد قامت مدىماية سنة بعد بولس؟ ولم يرشح منها تنديد ولا تعزير، بل سكتت على التزوير! منطق لسان الحال، مع واقع التاريخ، يشير بأنه، كما أوجز بولس دعوته في العهد الأول برسالة جامعة لإنجيله الكلامي باسم الرومانيين، قد أوجز دعوته في العهد الثاني برسالة جامعة لإنجيله الصوفي باسم الأفسسيين ــ وسنرى كيف ظل مكان الاسم خالياً منه حتى القرن الرابع. وقد راسل بولس كل العواصم التي بشّر فيها: فكيف يهمل أفسس، « نور آسيا » التي افتتح فيها منبراً رسمياً للتعليم المسيحي العالي، بمدرسة الأستاذ تيرنّس « مدة سنتين » (أع ١٩: ٩ ــ ١٠)، حتى شعّت المسيحية في ولاية « آسيا » كلها عن طريق المثقفين والتجار والدعاة مثل ابفراس راعي كولوسي،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والمشرف على اللاذقية وهيرابليس، في وادي الليكوس (كول ٤: ١٢ ـ ١٦) الذي تربطه الطريق السلطانية بالعاصمة أفسس؟ إهمال أفسس من رسالة إليها، خصوصاً بعد نقل خبر الخطر الغنوص عليها، كان سيظل سبب حيرة مدى الدهور!

لذلك مهما قام على الرسالة الأفسسية من شبهات على صحتها، فنحن مع شعور المسيحية مدى أجيالها بأنها من وحي بولس، في سجنه برومة. ومَن كبولس كفء لمثل هذه الدرّة اليتيمة! فليس المشكل في صحتها، بل المشكل كله في تقاعس بولس عنها في مناسبتها.

لقد أبان في الرسالة الفيليبية « سرّ المسيح » في ذاته؛ وبالكولوسيّة « سرّ المسيح » في الكون؛ وفي الأفسسية يبيّن « سر المسيح » في البشرية، بواسطة كنيسته. وهكذا فهو يفصل في الرسائل الصوفية الثلاث « سر المسيح » (أفس ٣: ٤؛ كول ٣: ٤) في « سر الإنجيل » (أفس ٦: ١٩). والأفسسية خلاصة هذا الإنجيل الصوفي.

۞ ۞ ۞

باب أول: تمهيد للرسالة الأفسسية

هذا التمهيد محوره صحة الرسالة، في المشكل القائم على واقعها بالنسبة للتراث البولسي، خصوصاً بالنسبة لموافقاتها الحرفية مع الكولوسية؛ وعلى الأثر التاريخي في خلو المخطوطات الأولى من اسم المراسلين.

أولاً: واقع الرسالة، ومناسبتها التاريخية

١ ــ **واقعها الغريب** قائم في لغتها وإنشائها وتعليمها وفي اقتباسها عن الكولوسية، كأنه يحمل معه شبهة الانتحال.

ففي **لغتها** نحو ٣٦ كلمة جديدة، مع عشر أخرى لا نظائر لها إلاّ في الرسائل الراعوية التي من بعدها. لكن هذه الظاهرة لها مثيلها في غيرها:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فإننا نجد نحو ٣٩ كلمة جديدة في الرسالة الغلاطية. ومن البدهي أن موضوعاً جديداً يقتضي تعابير جديدة.

وإنشاؤها يختلف عن سائر الرسائل بالإطناب والتعقيد؛ وأسلوب بولس من عادته الإيجاز. ولكن تعقيدها مع الأطناب في أسلوبها، خصوصاً في النشيد الافتتاحي (أفسس ١: ٣ ــ ١٤) بالنظم المرسل، له نظيره في الرومانية (٣: ٢١ ــ ٢٦). وهاتان الرسالتان، الرومانية والأفسسية، وهما في بيان العقيدة، لا بدّ أن تختلفا في الإنشاء عن الرسائل الدفاعية بأسلوبها الموجز القاطع، الذي يختلف عن أسلوب العرض والبيان.

وتعليمها يأتي بجديد لم نألفه في الرسائل الكلامية، مثل المدى الكوني للخلاص بالمسيح (١: ١٠ و٢١؛ ٣: ١٠؛ ٤: ١٠)، ومثل التركيز على التمييز بين المسيح والكنيسة (١: ٢٢؛ ٤: ١٥) وباستعارات جديدة، وقد كانا « جسداً واحداً » هو « المسيح الكلّي » (١ كو ١٢: ١٢) ولكن بيان أبعاد « المسيح الكلي » في « المسيح الكوني » ليس سوى نتيجة حتمية للإيمان « بالرب يسوع ». والاستعارات الجديدة التي تميّز بين المسيح والكنيسة ناجمة عن نظرة أخرى إلى المسيح السماوي في صلته بكنيسته على الأرض، غير النظرة الأولى إلى المسيح القائم في كنيسته المجاهدة. واختلاف الرؤيا والاستعارة لها، ليس خلافاً في العقيدة.

قيل: إن **الخصومة** بين بولس وغلاة النصارى من بني إسرائيل، الذين يسميهم « الأخوة الكاذبين » قائمة لا تهدأ في رسائل بولس، ولا أثر لها في الأفسسية. لكن يشتبه في ذلك مَن يظن أن تلك الخصومة اقتصرت على الجدال في ضرورة الشريعة والختان، بإقامة التوراة والإنجيل معاً. وفاتهم أن الغنوص بدأت تغزو « النصرانية » الإسرائيلية، كما غزت رهبان قمران الذين أخذ بعضهم « يتنصّر ». وباسم هذه الغنوص « النصرانية » حملوا على كنائس بولس في « آسيا » مدة غيابه. فالرسالتان الكولوسية والأفسسية هما ردّ على هذا الخطر « النصراني » الجديد؛ مع إشارة إلى خطرهم القديم، باستدراك ثنائي. في الأفسسية لا يقتصر بولس على ردّ أعمال الشريعة للخلاص، بل على ردّ « الأعمال » على الإطلاق **وسيلة للخلاص:**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« فهو ليس منكم، إنما هو عطاء من الله، وليس من الأعمال فلا يفتخرنّ أخذ » (أفس ٢: ٨ ـ ٩)؛ إنها **ثمرة طيبة** للإيمان: « قد خُلقنا في المسيح للأعمال الصالحة التي أعدّها الله من قبل لنفعلها » (أفس ٢: ١٠). فأعمال الإيمان ضرورية لفاعليته. بهذا يفسر بولس نفسه ويلتقي مع يعقوب الذي يستتر به النصارى من بني إسرائيل. فتأتي الرسالة الأفسسية **مرحلة وسطاً** ما بين الرسائل الكلامية وبين الراعوية التي تعلن ضرورة أعمال الإيمان لصحته؛ إنها ثماره الطيّبة. فالخصومة ما بين « النصرانية » والمسيحية ما تزال قائمة؛ بين « الأخوة الكاذبين » وبولس.

والشبهة الكبرى هي **اقتباسات الأفسسية في عن الكولوسية**، كعمل تلميذ ينسخ معلمه (أفس ١: ٢٢ = كول ١: ١٨؛ أفس ٣: ٨ ـ ١٠ = كول ١: ٢٧؛ أفس ٤: ٣ ـ ٦ = كول ٣: ١٤؛ أفس ٦؛ ٢١ = كول ٤: ٧). فهناك مطابقة تكاد تكون تامة بين ٧٣ آية من أصل ١٥٥. فكأن الأفسسية قد تضمنت الكولوسية كلها تقريباً، ما عدا حملات الدفاع التي تخلو منها الأفسسية: وليس من عادة بولس أن ينقل عن نفسه! ولكن لا يفوتنا أن الأفسسية تعميم على ولاية « آسيا » للرسالة الكولوسية، في تعليم واحد هو « سر المسيح » في الكون وفي الإنسان، وفي مناسبة تاريخية واحدة هي خطر الغنوص « النصرانية » في كولوسي والولاية كلها. وذلك مع حساب مشاركة الكاتب لمعلمه في كتابتها بحسب وحيه.

وسيأتي تفصيل هذا الواقع في بحث صحة الرسالة.

٢ ـ **والمناسبة التاريخية** للرسالتين، الكولوسية والأفسسية، كانت واحدة، هي الأزمة التي أثارتها « النصرانية » الغنوصية في إيمان أهل كولوسي وأهل اللاذقية، حتى أفسس، كما نقلها إلى بولس راعي المنطقة، أبفراس مواطنهم المجاهد الأمين (كول ٤: ١٢ ـ ١٣).

لقد انتصرت المسيحية بفضل بولس على محاولة النصارى من بني إسرائيل فرض الشريعة والختان على المسيحيين، مع الإنجيل. ووجدوا من البيئة المسيحية والهلنستية صدّاً منيعاً. فتلمسوا الغنوص اليهودية والهلنستية الشائعتين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في البيئة، ليسيطروا على المسيحية بالغنوص « النصرانية ». فقضى عليهم بولس ومدرسته في هذه المحاولة الثانية أيضاً، حتى تقوقعوا على أنفسهم من بعده.

ردّ بولس، كما يُنتظر منه، على الغنوص « النصرانية »، ومن ورائها الغنوص اليهودية والهلنستية، **برسالة خاصة دفاعية** إلى أهل كولوسي، وبرسالة **عامة عقائدية** إلى الولاية كلها، على نسخة خاصة لأهل اللاذقية قرب كولوسي، وعلى نسخة عامة باسم أفسس، موطن بولس التعليمي فيما بينهم. وقد حمل الرسائل الأخ تيخيكس (كول ٤: ٧؛ أفس ٦: ٢١) مع العبد الهارب والمهتدي أونيسموس (كول ٤: ٩؛ فيليمون ١٢).

هذا ما يرشح من واقعين لا تفسير لهما إلاّ هذا الحدس التاريخي. يأمر بولس بتبادل الرسالتين بين أهل كولوسي وأهل اللاذقية (كول ٤: ١٦). ولا ينقل لنا التاريخ رسالة من بولس باسم أهل اللاذقية. والمخطوطات حتى القرن الرابع تغفل أو تتردّد في ذكر اسم المخاطبين بالرسالة المسماة الأفسسية، « إلى القديسيين الذين في... المؤمنين بالمسيح ».

وليس من المعقول، ولا من المقبول، أن يفقد خلفاء بولس رسالة إلى أهل اللاذقية، وهم قد حفظوا الرسالة إلى أهل كولوسي، وحفظوا خصوصاً المكتوب الصغير إلى فيليمون بشأن مصالحة عبد له. فالرسالة إلى أهل اللاذقية هي، في نظرنا ــ استناداً إلى أثر قديم سنراه ــ نسخة عن الرسالة العامة باسم « الذين في أفسس ». فالتأكيد على تلاوة الرسالة اللاذقانية، مع إغفال اسم المخاطبين في الرسالة « الأفسسية »، وحرص خلفاء بولس على حفظ تراثه، دلائل حاسمة على أنهما واحدة.

فالمناسبة التاريخية، في الأزمة « النصرانية » الغنوصية، تفسّر واقع الرسالة إلى الأفسسيين (واللاذقيين معاً): تعليم جديد، بأسلوب جديد، في مناسبة جديدة، يطبّق « إنجيل » بولس على الأزمة الطارئة. من هنا **المفارقات الظاهرية، مع الموافقات الباطنية**، بين الرسالة الأفسسية وسائر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رسائل بولس. والتطور في اكتشاف الأبعاد في التعليم، من شيمة العبقري الملهم مثل بولس.

●

ثانياً: مَن هم الرسالة المسماة « إلى الأفسسيين »؟

هل كانت الرسالة، في الواقع، « إلى الأفسسيين »؟

١ ـ الشبهات القائمة على هذه النسبة في السنّة المسيحية

١) شبهة من الواقع الأثري. في عنوان الرسالة لا توجد كلمة « أفسس » ولا كلمة « اللاذقية » في أقدم مخطوط لدينا، البردي ٤٦، وهو من القرن الثالث؛ كما لا توجد في المخطوطين الكبيرين من القرن الرابع، وهما الفاتيكاني والسينائي؛ كذلك لا توجد في المخطوط الصغير رقم ١٧٣٩ وهو من جبل آثوس، في القرن العاشر؛ وقد كُتبت « أفسس » ثم محيت في المخطوط رقم ٤٢٤، وهو من فينّة، في القرن الحادي عشر. فالآثار لا تشهد لصحة الاسم في الرسالة. وتفاسير أوريجين وباسيليوس لا تذكرها.

ومنذ القرن الثاني نرى العالم من الخوارج، مرقيون، لا يعترف باسم « أفسس » في تلاوتها، ويذكر مكانها « إلى القديسين الذين في اللاذقية ». وبعض المخطوطات مثل الأمبروازي يضعون « في أفسس » بأماكن مختلفة غير مألوفة. وهذا الواقع دليل التردّد في معرفة أهل الرسالة.

فالعنوان « إلى الأفسسيين » ليس صحيحاً، ولا قانونيّاً[1]. ولكنه قديم يرتقي إلى زمن جمع رسائل بولس في كتاب واحد. لذلك كان ترتليان يحتج على مرقيون لتبديله «الافسسيين» « باللاذقيين » ممّا يدل على سُنّة شفوية، لا أثرية.

(1) D.B.S. Paul : Epitre aux Ephésiens, p. 195, fac. 36.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢) **شبهة من الواقع الموضوعي:** ليس في الرسالة من إشارات خاصة إلى دعوة بولس في أفسس، مع أنه قضى ذروة دعوته فيها وفي مدرسة ترتلّس فيها، ومنها رعى كنائس الأناضول واليونان برسائله وموفديه. ولا سلام فيها، على حسب عادته، لأحد من أصحابه الكثيرين فيها، كما نعرف من وداعه لهم في ميليتس (أع ٢٠: ١٨ ـ ٣٨)، ومن ذكر أسمائهم في الرسالة الرومانية (ف ١٦) ـ وهي عادة غير مألوفة في رسائله. وهو يذكر إيمان المخاطبين ومحبتهم بنوع عام كأنه لا يعرفهم (١: ١٥) بل عن سماع عنهم (٦: ٢١) وهم لا يعرفونه شخصيّاً (٣: ٢ ـ ٤). ولهجة الرسالة عامة، لا خاصة. والإشارة الغامضة (١: ٥؛ ٦: ٢١) لا تفهم إلاّ على ضوء (كول ١: ٩؛ ٣: ٧). فالرسالة عامة، لم ترسل إلى مدينة بعينها، وهذا ليس من عادة بولس، ولا من عادة الأقدمين.

٣) **شبهة في الواقع البياني،** في اللغة والإنشاء، قد مرّ تسجيلها. ذاك الواقع الثلاثي حمل المشككين على إنكار صحتها ونسبتها إلى بولس.

٢ ـ **للقائلين بصحتها ثلاثة أقوال** في تفسير ذاك الواقع الثلاثي:

١) قال بعضهم: إن الرسالة عامة إلى الكنيسة كلها، كما تشهد عقيدة الكنيسة فيها بخلاف سائر رسائل بولس؛ لذلك خلت من ذكر اسم المدينة، وتُرك محله مهملاً لذكره عند التلاوة في كل كنيسة.

ولكن ليس من عادة الأقدمين كتابة رسالة، ولو كانت عامة، بدون استخدام اسم حقيقي أو وهمي. ورسائل بولس نفسه خير شاهد؛ وحال الأفسسية مثل الرومانية في الشمول.

٢) وقال بعضهم: إنها الرسالة « إلى اللاذقيين » عينها التي يذكرها بولس إلى الكولوسيين (٤: ١٦). وهذا الرأي يرتقي إلى مرقيون، منذ القرن الثاني. وهو في نظرنا الرأي الصحيح، كما سنرى. لكن كيف سقط الاسم من المخطوطات؟ قيل: سقط عند جمع الرسائل ونشرها، تحت تأثير التأنيب الذي وجهه سفر الرؤيا إلى كنيسة اللاذقية (٣: ١٥). ولكن هل يسمح تأنيب بالتحريف في كتاب قدسي؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣) وقيل: إنها رسالة عامة، لكن باسم أفسس، مثل الرومانية؛ لذلك بقي مكان الاسم فارغاً في نسخ، وذكرته النسخة الأصلية المرسلة إلى « الذين في أفسس ». لكن المخطوطات لا تؤيد هذا الرأي المعقول. فما القصة؟

في نظرنا،: **الرأي الصحيح هو خلاصة تلك الأقوال الثلاثة:**

إنها رسالة عامة؛ لذلك خلت من الإشارات الخاصة. ولا تصح مقارنتها في ذلك بالرومانية في الفصل (١٦) منها المليء بالسلام والحوار مع كثيرين، لأن هذا الفصل ملحق بها عند الجمع، من النسخة التي سلمها بولس لأهل أفسس عند وداعهم في ميليتس.. فالرسالة الرومانية في حقيقتها مثل الأفسسية.

وهذه قد أرسلت في نسختين، مثل الرومانية، واحدة « إلى الذين في اللاذقية »، وأخرى « إلى الذين في أفسس »، مع بقاء محل الاسم فارغاً. وتردّد المخطوطات في ذكر الاسم، والابقاء على مكانه فارغاً حتى القرن الرابع، ناجم عن هذا الواقع. وقامت السُنّة الشفوية مكان الأثرية في حفظ اسم العاصمة أفسس لها، لأن بولس، وإن بعث نسخة منها إلى اللاذقية، فقد وجهها خصيصاً إلى أفسس، « نور آسيا »، لتشع منها على « آسيا » والكنيسة كلها، كما خص رومة بالرسالة إلى الرومانيين لتشع من عاصمة المسكونة على دنيا المسيحية.

وهذا الواقع الذي نعتبره تاريخيّاً يرفع الحيرة التي تتملكنا إذا لم يكن رسالة من بولس إلى أفسس مثل رومة. فإن بولس قد خصّ أفسس بنسخة من الرسالة الرومانية، وبنسخة من الرسالة اللاذقانية؛ فوفاها حقها عليه.

هكذا نرى أن الرسالة « إلى الأفسسيين » هي عينها الرسالة « إلى اللاذقيين »، لأنه ليس من المعقول أن يُضيّع خلفاء بولس رسالة منه إلى « أهل اللاذقية » (كول ٤: ١٦)، هم الذين حرصوا، عند جمع تراث معلمهم على نقل مكتوب له في غرض خاص بفيليمون وحده، وإن كان ذا أبعاد ضخمة في تحرير الرقيق.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يدعم هذا التحليل التاريخي، **شهادة السُنّة الرسولية** في مدرسة يوحنا الرسول، خليفة بولس في أفسس. ترتقي الشهادة التاريخية بنسبتها إلى أفسس، إلى مطلع القرن الثاني[1] عند أسقف أنطاكية، اغناطيوس الشهيد، تلميذ بوليكربوس، تلميذ يوحنا الرسول في أفسس. ففي رسالته إلى أهل أفسس (١٢: ٢)، وهو ذاهب إلى الاستشهاد بروما، ينص على رسالة بولس إلى أهل أفسس. تليه شهادة ايريناوس، ابن الشرق، وأسقف ليون في الغرب، وهو تلميذ بوليكربوس، تلميذ يوحنا الرسول. وقد نقل الشهادة أيضاً، علامة مصر، واستاذ اوريجين، اكليمنضوس الاسكندري. ودوّن هذه الشهادة المتواترة قانون « موراتوري » بروما للكنيسة الجامعة. يؤيده قانون مرقيون ــ من الخوارج ــ بأن الرسالة « إلى الأفسيين » هي عينها إلى « اللاذقيين ». فالشهادة بالتواتر والاجماع على نسبة الرسالة « إلى الأفسسيين » ترتقي بالاسناد الصحيح إلى مدرسة يوحنا الرسول، في أفسس. لذلك أثبتوا في النص، منذ القرن الرابع ذكرها إلى « الذين في أفسس ».

وهذا الاسم كان مهملاً في النص الأصلي، تسهيلاً لتلاوتها في الكنائس التي تقصدها، مع ما بينها من تنافس، خصوصاً في اللاذقية وسائر كنائس وادي الذئب. ولو لم تكن مرسلة إلى « الذين في أفسس »، لكان بولس ذكر في عنوانها « إلى كنائس آسيا »، كما قال « إلى كنائس غلاطية » (١: ١)، وكما نص يوحنا « إلى الكنائس السبع في آسيا » (رؤيا ١: ٤)، لأن اهمال ذكر الاسم الحقيقي أو الوهمي ليس من عادة الأقدمين. لكن إرسالها إلى أفسس واللاذقية معاً اقتضى إهمال الاسم في النص الأصلي، وحفظته لنا السنة الرسولية المتواترة بالإجماع عن مدرسة يوحنا الرسول بأفسس. فالنسبة صحيحة، والصحة أيضاً ثابتة، مهما قام عليها من شبهات.

●

(١) وقد استخدمها من قبله، في أواخر القرن الأول، وعلى حياة يوحنا الرسول، البابا اكليمنضوس الروماني، خليفة بطرس. ومع قانون موراتوري تجتمع شهادة الغرب إلى شهادة الشرق لصحتها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً: صحة الرسالة إلى الأفسسيين

تقوم على صحتها شبهات بيانية وشبهات موضوعية، مع شبهة الاقتباس من الكولوسية. لكنها جميعاً لا تقوى على الطعن في صحتها، كما رأينا في واقع الرسالة. نستدرك الآن تفصيل الرد على تلك الشبهات[1].

١ ـ **الشبهة البيانية** في أسلوبها من لغة وإنشاء، يختلف فيها عن سائر الرسائل. فالآيات فيها طويلة ومعقدة، بينما هي في الرومانية، صورة الأسلوب الأمثل لبولس، قصيرة قاطعة. وقد لا يفهم قصدها ومناسبتها.

إن صفة التعقيد والغموض في أسلوب بولس تأتي من عمق التفكير ومن الإيجاز في التعبير. وقد شكا الناس منها منذ العهد الرسولي كما يشهد بطرس (٢ بطر ٣: ١٦). فليس ذلك ميزة الأفسسية وحدها. وللعبقري مثل بولس أساليب عديدة، كما رأينا في تحليل أساليبه البيانية. وقد يتأثر الأسلوب بظروف المؤلف، مثل وهن الشيخوخة والسجن الطويل، كما يتأثر بأسلوب الكاتب المساعد، وهذه هي الحال في الأفسسية. وهذا الفارق في الأسلوب نجده في كتب دينية وغيرها لا يشك أحد بوحدة المتكلّم فيها. فلا تقوم الشبهة البيانية عليها.

أمّا مناسبتها وغايتها فقد فصلناهما في مناسبتها التاريخية، وهي بيان أولية المسيح وسلطته المطلقة على « أركان العالم » بحسب تعبير الغنوص الهلنستية، أو « الملائكة » بحسب تعبير الغنوص اليهودية و« النصرانية »؛ وهي أيضاً بيان « سر المسيح » بتوحيد الكون فيه (١: ١٠) وتوحيد البشرية البشرية من أهل الكتاب والأمميين فيه (٢: ١ ـ ٢٢)، وتوحيد المسيحيين أجمعين في « جسد واحد » هو رأسه (٤ ـ ٥).

٢ ـ **الشبهة التعليمية** تأتي، على حد زعمهم، من مصادر متعددة.

١) قيل: إنه **تعليم جديد، بلغة جديدة**؛ وهو تلفيق من الرسالتين

---

(1) cf. Feuillet : Le Christ, Sagesse de Dieu, p. 276 (il résume le Père Benoit).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكولوسية والرومانية. لكن ما في التعليم ولغته من جديد يأتي من أزمة الغنوص «النصرانية» ولغتها. كان أهلها يفضلون « الملائكة المقربين »، « أركان العالم » على المسيح، كأنهم يقولون: « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون » الذين يشرفون على حكم الكون بأمر الله. فيرد عليهم بلغتهم ليبيّن أن المسيح « رأس الرئاسات والسلطنات » كما هو « رأس الجسد، الكنيسة »، لأنه ملء الكنيسة، وملء الكون، وملء الله. هذا هو « سر المسيح » (كول ٣: ٤؛ أفس ٣: ٤) في « الغنوص السامية » المسيحية. فالتعليم الجديد امتداد للقديم، لكن بأسلوب الغنوص التي يتحداها: فهل من غرابة في هذا التطور في التعليم ولغته؟ في الرسائل الكلامية كان بولس يرى دور المسيح في البشرية بكنيسته؛ فاضطرته الأزمة الغنوصية « النصرانية » إلى بيان دوره في الكون، ومنزلته من « الكنيسة، جسده » باستعارات جديدة.

٢) قيل: إن الرسالة **تحوّل الدعوة** للإنجيل والمسيح إلى « سرّ » غنوصيّ « سر المسيح » (٣: ٤) و« سر الإنجيل » (٦: ١٩)؛ وتحوّل الخلاص الشخصي والخلقي، إلى مصالحة جماعية وكونية. وذلك في اختلاف ظاهر في معنى التعابير الغنوصية « السر » و« الملء » و« الرأس »، ما بين الأفسسية والكولوسية، ففي هذه تُطلق على دور المسيح في الكون؛ وفي تلك على دوره في الكنيسة؛ وفي الكولوسية يأتي التعبيران بمعنى عام، وفي الأفسسية بمعنى خاص؛ فهذا تبديل في المعنى ما بين الرسالتين يدل على مؤلفين مختلفين.

كلاّ لا يحوّل بولس الإنجيل والمسيح إلى « سر » غنوصي. فقد رأى دائماً أن المسيح هو « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦)، وأن الإنجيل هو « السر المحجوب منذ الأزل » (رو ١٦: ٢٥). لكنه الآن يردّ على أهل الغنوص بلغتهم. وليس من تعارض في استخدام تعابير « الملء » و« السر » و« الرأس » تارة على التعميم كما في الكولوسية، وتارة على التخصيص كما في الأفسسية. وهذا باب في البيان السامي والعربي يُعرف « بالوجوه والنظائر: فالوجوه في اللفظ المشترك الذي يُستعمل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

في عدة معان، والنظائر كالألفاظ المتواطئة؛ فالنظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني ». وقد فصّل بولس « سر المسيح » في الكون بتلك التعابير على إطلاقها؛ وفسره في الكنيسة على تخصيصها. وليس في ذلك من تعارض.

إن « السر » في الرسالة الفيليبية هو سر المسيح في ذاته؛ وفي الكولوسية هو سر المسيح في الكون؛ وفي الأفسسية هو سر المسيح في البشرية « أن الأمميين هم أيضاً من أهل الميراث، وأعضاء في الجسد، وشركاء في الموعد، في المسيح يسوع، بالإنجيل » (٣: ٣ ـ ٦) وهذا بيان لأوجه « السر » المختلفة.

كذلك « الملء » استخدم في الكولوسية على الإطلاق: فالمسيح هو « الملء كله » (١: ١٩) وعلى التخصيص، لأن « فيه يحل جسديّاً ملء الألوهية كله » (٢: ٩). واستخدم في الأفسسية على التخصيص بالكنيسة « جسده، وملء المالئ الكل في الكل » (١: ٢٢ ـ ٢٣).

وتعبير « **الرأس** » يأتي في الكولوسية على التخصيص (١: ١٨) وعلى التعميم معاً (٢: ١٠)؛ وفي الأفسسية كذلك على التخصيص (١: ٢٣) وعلى التعميم معاً (١: ٢١).

وهذا كله بحسب الفن البياني في « الوجوه والنظائر »: فليس من تعارض، إلاّ في منطق اللغات الحديثة التي لا تتسع لمثل هذا الفن.

و« **الخلاص** » تتطور أبعاده بحسب وجهات النظر. في الرسائل الكلامية يتأمله في البشرية فيراه شخصيّاً وخلقيّاً في كل مسيحي وفي كل كنيسة. ويتبادر السوآل في صلته بالملائكة، وبالخليقة التي أخضعت للفساد، بسبب خطيئة الإنسان (رو ٨: ١٩ ـ ٢٢). وعرضت المناسبة في الأزمة الغنوصية، لبيان دور المسيح في امتداد الخلاص إلى الملائكة والكون، فظهر الخلاص كونيّاً (كول ١: ٢٠)، « بتوحيد الكل في المسيح كرأس » (أفس ١: ١٠).

في هذه الرؤيا تطور معنى « **الكنيسة** » من الفردية في الكنائس الخاصة إلى الشمول في الكنيسة الجامعة. فأخذ تعبير « الكنيسة » معناه المطلق في الأفسسية: والانطلاق في الفكر من الخاص إلى العام فطرة في الإنسان؛ فليس من تعارض.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبولس نفسه يشعر بهذه التطورات في تعليمه. كان يعلم « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦)؛ ويرى الآن بروح الله « حكمة الله ذات الوجود العديدة » (٣: ١٠).

٣ ـ والشبهة الكبرى على الأفسسية، في نظرهم، هي **الاقتباس المكشوف** في الأفسسية عن الكولوسية. وهو على **ثلاثة أنواع**[1]:

بعض تعابير الأفسسية تلفيق من الكولوسية (أفس ٢: ١ ـ ٦ من كول ٢: ١٣ + ٣: ٦ ـ ٦؛ أفس ٤: ١٧ ـ ٢٤ من كول ٣: ٥ ـ ١٠ + ١: ٢١).

بعض تعابير الكولوسية موزع في الأفسسية (كول ٢: ١٣ في أفس ٢: ١ و٥؛ كول ٣: ٧ في أفس ٢: ٢ و٣).

بعض تعابير الكولوسية مستخدم مراراً في الأفسسية؛ مثل تعبير « غرباء » (كول ١: ٢١؛ أفس ٢: ١٢؛ ٤: ١٣)؛ ومثل « آراء » (كول ١: ٢١؛ أفس ٢: ٣؛ ٤: ١٨).

هذا الواقع المكشوف، في **وحدة المرادفات** في المواضيع والأساليب والتعابير، مع **بعض المفارقات** في المعاني، يدل على اقتباس واضح. لكنه اقتباس معلّم من تراثه. فإن بولس مع استخدام الكولوسية في الأفسسية ـ وهما من زمان واحد، ومكان واحد، ومناسبة واحدة، في موضوع واحد ـ لم يفرق في التقليد، ولا في التلفيق. بل ارتفع بعبقريته من الأزمة الطارئة التي ردّ عليها بالرسالة الكولوسية، إلى مستوى التعليم الذي يفيد الجميع، كما يظهر من تطبيق نظرية « الملء » الكوني (كول ١: ١٩)، على « الكنيسة جسده وملئه » (أفس ١: ٢٢ ـ ٢٣) في أبعاد تجعل هذه الكنيسة تشمل البشرية كلها، حيث يجمع أهل الكتاب والأمميين في وحدة الإيمان والخلاص بالمسيح (أفس ٣: ٣ ـ ٦)، ويجمع الكون كله في المسيح كرأس له

(1) Benoit : Exégèse et théologie, III, Rapports littéraires entre les Epitres aux colossiens et aux Ephésiens, p. 318-334.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

(أفس ١: ١٠). فالفكر يتنقل من « المسيح الكلي » في الكنيسة، إلى « المسيح الكوني » في الكون، طرداً وعكساً في الرسالتين. وتنتقل التعابير فيهما كذلك من التعميم إلى التخصيص.

ولنا من **المقارنة بين الرسالتين** الرومانية والغلاطية خير مثال على علاقة الأفسسية بالكولوسية. تجاه خطر تهويد المسيحية، في الأزمة الغلاطية، كتب بولس إلى كنائس غلاطية رسالة دفاعية في فضل الإنجيل على الشريعة للخلاص والتبرير. وفي خشيته من أن تتطور الأزمة وتشمل المسكونة، بسبب انتشار النصارى من بني إسرائيل فيها، اختار رومة عاصمة المسكونة، وهو لم يبشر فيها، وخصها برسالة تعليمية يفصل تفصيلاً أوفى ما علمه في الغلاطية. وطوّر الموضوع فأضاف إليه فضل الإنجيل أيضاً على الحكمة. هكذا كان الأمر بالنسبة إلى أزمة الغنوص « النصرانية » التي نشبت في كولوسي، وشملت وادي الذئب، وهدّدت أفسس. لمّا حمل إليه راعي كنيسة كولوسي خبر الخطر « النصراني » الغنوصي ردّ بولس للحال بالرسالة الدفاعية إلى الكولوسيين، وأعقبها برسالة عامة في الموضوع عينه إلى الأفسسيين (مع نسخة منها إلى اللاذقيين) لكي تشع منهم إلى « آسيا » كلها وإلى المسكونة. ففي هذا الواقع التاريخي الواحد، في أزمتين مختلفتين، تفسير كاف لما بين الرسالتين الأفسسية والكولوسية من **موافقات ومفارقات**، ما بين الدفاع والتعليم، وما بين التعميم والتخصيص. فواقع الاقتباس شبهة على الصحة، لكنها شبهة تفسرها الاستعانة بكاتب شارك بولس في كتابتها، فلا يطعن في صحتها، ولا في وحي بولس المهيمن عليها. فما كان لأحد غيره أن يأتي بهذه **الخلاصة المعجزة لتعليمه**. أمّا القول بأن تلميذاً جاءَ بعده بزمن وانتحل هذه الرسالة العبقرية باسمه، فهذا هراء: إن العبقرية الحقة لا تُقلّد؛ والتقليد يظهر في خبايا الزوايا. وأي تلميذ يقدر أن يصل إلى إعجاز الرسالة الأفسسية، زهرة رسائل بولس، أكثر من الرومانية؟ وهل كانت المسيحية لتقبل مثل هذا الانتحال، أو ينطلي عليها؟ فلا يمكن أن تصدر رسالة، مثل الأفسسية، موسومة بسمة عبقرية بولس، من غير بولس!

فصحة الرسالة الأفسسية قائمة، لا تقوى عليها شبهة. وقد أرسلها بولس إلى أهل اللاذقية خاصة، وإلى أهل « آسيا » عامة، باسم أفسس، فعُرفت بها.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

رابعاً: أفسس وكنيستها

علينا الآن أن نعرّف بمدينة اللاذقية وبولاية « آسيا » الرومانية كلها، لنتعرّف إلى المُراسَلين في الأزمة الغنوصية « النصرانية ». لكن ما قلناه عن كولوسي المجاورة لمدينة اللاذقية، وما نقول عن أفسس، « نور آسيا »، يكفي للتعريف بالولاية وبتلك المدينة، لفهم الرسالة الأفسسية.

وما نقوله في أفسس يجعلنا نفهم أيضاً معنى ومدى دعوة بولس في أفسس، محور ومصدر الدعوة المسيحية في الولاية كلها.

١ ــ **أفسس** كانت عاصمة ولاية « آسيا » الرومانية، وزعيمة المدن الاثني عشرة من الاتحاد الفدرالي الإيوني، في غرب الأناضول.

تقوم أفسس على الشاطئ الغربي، من آسيا الصغرى، على سفح جبل، متوّجة بثلاث تلال تكتنفها من الجهات الثلاث، ومفتوحة على البحر، بمرفئين خارجي، فداخلي ضمن بحيرة، يجتازها نهر المدينة.

هذا الموقع الجغرافي يجعل أفسس ختام الطريق السلطانية، المنطلقة من أنطاكية العظمى، عبر الأناضول الجنوبي، وعبر ولاية « آسيا » كلها؛ كأنها ملتقى التجارة والثقافة والحضارة ما بين « المشرق » واليونان. لذلك صارت **أكبر حاضرة** في الأناضول، يبلغ عدد سكانها نحو نصف المليون.

وقد استوطنتها **جالية يهودية كبرى**، برزت في الصياغة، وتخصصت بصنع تماثيل الذهب والفضة لإلهة أفسس، أرطميس. لذلك كثر فيها السحرة واشتهروا في « المسكونة » بتعاويزهم، « الكتابات الأفسسية ».

تجدّد بناؤها عام ٣٥٦ ق. م. وفي هذا الزمن شيد معبدها العظيم للإلهة أرطميس، فكان إحدى عجائب الدنيا السبع. وسنة ١٣٣ ق. م. أصبحت « مدينة حرة » وعاصمة «آسيا» الرومانية، يقيم فيها ويحكمها نائب الوالي الروماني.

فلا غرو أن يدعوها الرومان « نور آسيا ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ـ الدعوة المسيحية في أفسس

ذاك المركز الممتاز جعل أفسس مطمح الدعاة للمسيحية؛ خصوصاً محط آمال بولس الذي تميّز بتركيز الدعوة في العواصم، لتنطلق منها إلى الحواضر والأرياف.

زارها لأول مرة عابراً، في ختام رحلته الثانية (أع ١٨: ١٩ ـ ٢١). فمرّ بها بعده أبولّس، وترك فيها أثراً (أع ١٨: ٢٢ ـ ٢٨). ثم جاءَها بولس، منذ مطلع رحلته الثالثة، واستقر فيها ثلاث سنوات، قضى منها « سنتين » كاملتين يعلّم المسيحية وفلسفتها في مدرسة تيرنّس (أع ١٩: ٩ ـ ١٠)، من عام ٥٣ ـ ٥٦. فكان ذلك ذروة نشاط بولس الرسول والمعلم.

بدأ الدعوة فيها بهداية جماعة أبولّس (أع ١٩: ١ ـ ٧). فكانوا مع الزوجين العاملين برسكلاً وأكيلا نواة الكنيسة في أفسس.

وبالدعوة في المدينة، خصوصاً بالتدريس في مدرسة تيرنّس، **شاعت المسيحية في أفسس وفي ولايتها** حتى بلغت وادي « الليكوس » ومدنه كولوسي واللاذقية وهيرابوليس. وصار المثقفون المهتدون رسلاً إلى مدنهم مثلا أبفراس في كولوسي، وأرخيبّس في اللاذقية، خصوصاً النبيل الزعيم فيلمون.

ومن أفسس **عالج بولس ثلاث أزمات** خلقها له النصارى من بني إسرائيل، المنادين بإقامة التوراة والإنجيل، في غلاطية وفيلبي وكورنثس. عالج أزمة غلاطية برسالته الشديدة فقضى عليها. ثم تدبّر أزمة فيلبي بمكتوبين لها، أحدهما حملة عنيفة على « أهل البتر »! وقد جمعوهما مع المكتوب من أسره برومة فكانت الرسالة الفيليبية. ثم حاول إخماد الفتنة في كورنثس، بثلاثة مكاتيب جُمعت في الرسالة الأولى إلى الكورنثيين، وهي ترافق تصعيد الأزمة حتى توقيتها وتفاعلها مع ثورة الصاغة في أفسس على بولس، فأحرجوه وأخرجوه منها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بدأت الهداية إلى المسيحية بحماس في أفسس (١ كو ١٦: ٩)؛ بسبب سمو الدعوة، والمعجزات القاهرة، والمواهب الروحية الباهرة. فحمل هذا المشهد المعجز بعض السحرة فيها إلى الهداية وإحراق كتبهم السحرية (أع ١٩: ١١ ــ ٢٠). وربح بولس أيضاً صداقة بعض الحكام فيها (أع ١٩: ٣١). لكن مؤامرات اليهود من خارج ومن داخل أثارت مدينة أرطميس على بولس، فتعرّض لأسرٍ (رو ١٦: ٧) وإلى مصارعة الوحوش (١ كو ١٥: ٣٢)، وإلى مواجهة ثورة الصاغة عليه (أع ٢٠: ١) فاضطرّ إلى مغادرة المدينة المحبوبة ريثما يهدأ البلبال.

فرحل إلى مقدونية ثم إلى كورنثس ليخمد ثورتها عليه، فأهين ورجع حزيناً إلى أفسس؛ ولم يمكث فيها طويلاً، بل عاد إلى مقدونية يعالج منها ثورة كورنثس، برسالة عنيفة كسرت المعارضة، ثم برسالة لطيفة كسبت الجميع، مع مكتوبين إلى كورنثس وإلى أخائية كلها لجمع التبرعات إلى أورشليم، فجمعت كلها في الرسالة الثانية إلى الكورنثيين. حينئذ رجع هادئ البال إلى كورنثس، فقضى شتاء ٥٧ ــ ٥٨ فيها، وكتب الرسالة إلى الرومانيين.

نجد صورة لجهاد بولس في أفسس، وموجزاً لتعليمه فيها، وتقريراً لتعلّق بولس بالأفسسيين وتعلقهم به في **خطابه الوداعي** لأساقفتها وشيوخها في ميليتس، حيث استدعاهم، وهو ذاهب إلى أورشليم. والموقف من أعظم المشاهد (أع ٢٠: ١٨ ــ ٣٨) حيث يشعر بولس بأنه لن يراهم من بعد (أع ٢٣: ٢٥). وبهذه المناسبة، على رأينا، سلمهم نسخة من الرسالة الرومانية، مع مكتوب سلام إلى أحبائه بأفسس ألحقوه عند جمع تراثه بالرسالة الرومانية (ف ١٦).

ومدة أسر بولس الطويل، تطورت « النصرانية»، ما بين إفراط وتفريط، إلى الغنوصية عند بعضهم، وإلى التهويد عند بعضهم. وهذه **الفئة « النصرانية» الغنوصية** هي التي خلقت الأزمة الجديدة في كولوسي واللاذقية، وفي ولاية أفسس كلها، فحاول معالجتها بالرسائل الصوفية الثلاث، خصوصاً بالرسالة إلى الأفسسيين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعد الإفراج عنه برومة، رجع إلى أفسس، بعد غياب خمس سنوات. وأناب عنه برسامة أسقفية راعياً لهم تيموتاوس (١ تيم ١: ٣). ومدة أسره الثاني بروما استبدله بتيخيكس، ليكون تيموتاوس تعزيته في آخرته، وشاهد استشهاده.

وبعد استشهاد بولس، والحرب اليهودية عام ٦٦ ـ ٧٠، جاءَ يوحنا الرسول يتزعم الدعوة في أفسس وولايتها. فوجد فيها سبع كنائس عامرة بفضل جهود بولس التي أكملها، كما يظهر من المكاتيب السبعة الموجهة إليها في سفر الرؤيا، ومنها واحد إلى أفسس يثني فيها عليهم لكنه يغمز من فتورهم.

تلك الصورة التاريخية لجهاد بولس ترينا أنه قضى زهرة رسالته في أفسس، وبلغ أوج دعوته فيها. فهو الرسول الأول « لآسيا ». وفيها كتب أكثر رسائله. وفيها ترك لنا صورة **معلّم المسيحية الأول**، وأستاذ التعليم المسيحي العالي في كلّية تيرنّس.

وحين أراد أن يوجه رسالته الثانية العامة، في عرْضة ثانية للإنجيل، بأبعاده الإنسانية والكونية، ردّاً على الغنوص « النصرانية »، ومن ورائها اليهودية والهلنستية، الناشئة والناشبة في المسيحية، لم يجد أفضل من إرسال نسخة أصلية إلى أفسس، مع النسخة إلى اللاذقية؛ فعرفت بالسنة المتواترة، ثم بالتدوين، باسم « الذين في أفسس ». كما فعل في رسالته الأولى العامة باسم رومة، مع نسخة خاصة إلى كنيسة أفسس أرفقها بمكتوب سلامات إلى أحبائه (رو ١٦) فألحقوه بها. فيكون بولس خص أفسس بموجز إنجيله الكلامي، وموجز إنجيله الصوفي. هذا منطق التاريخ ولسان الحال.

هكذا وجه بولس دعوته الأخيرة، في العرضة الثانية للإنجيل، باسم أفسس، إلى « آسيا » كلها، وإلى الكنيسة الجامعة، للعبرة والذكرى.

●

خامساً: موضوع الرسالة

إنه تفصيل « سر المسيح » (٣: ٣) في « سر الإنجيل » (٦: ١٩)،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« بسر الكنيسة » التي توحّد بين أهل الكتاب والأمميين في « الإنسان الجديد » المسيحي (٢: ١٤ ــ ١٨).

يستفتح ببيان سر الله بتوحيد الكون في المسيح رأساً له (١: ٣ ــ ٤).

ويفصل توحيد الإنسانية في الكنيسة، « جسد المسيح وملئه ». هذا هو سر « المسيح الكلّي » في الأفسسية، بعد سر « المسيح الكوني » في الكولوسية. وهذان هما « السر » العام (كول ١: ٢٦) والسر الخاص (أفس ٣: ١ ــ ١٣) اللذان كشفهما الروح القدس للرسل وأنبياء العهد الجديد.

ثم يفصّل توحيد المسيحيين بالسلطة والعقيدة والسلوك، في الكنيسة الجامعة.

هذا ما نراه في تحليل الرسالة.

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل الرسالة الأفسسية

مطلع: ١) العنوان: « إلى القديسين الذين في... المؤمنين بالمسيح » (١: ١ ــ ٢).

٢) **الفاتحة:** نشيد « البركات الروحية » السبع، الذي يكشف سر الله في الأزل وتدبيره[١] في الزمن، لتوحيد الكون والإنسانية والكنيسة في المسيح (١: ٣ ــ ١٤).

قسم أول: « سر المسيح » في الكنيسة: توحيد الإنسانية فيه

توطئة: الحمد لله على إيمانكم ومحبتكم[٢] (١: ١٥ ــ ١٦).

---

(١) يقرن تعبير « السر » الغنوصي بتعبير « التدبير » الكتابي، مع الفارق الملحوظ في المعنى.

(٢) المقطع (١: ١٥ ــ ٢: ١٠) مواز للكولوسية، ويبدأ بآية واحدة حرفياً (١: ٢١) حيث النشيد الكولوسي (١: ١٥ ــ ٢٠) مبدل بحمدلة تعتمد على المزمورين ١١٠ و٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١) المسيح هو رئيس الكون ورأس الكنيسة، جسده وملئه (١: ١٧ ــ ٢٣).

٢) اشتراك الأمميين المجاني والكامل بسر المسيح في الكنيسة (٢: ١ ــ ١٠).

٣) وذلك بتوحيد الشعبين « إنساناً واحداً جديداً[١] » (٢: ١١ ــ ١٨).

ختام: فالأمميون صاروا مواطني القديسين، هيكل الله (٢: ١٩ ــ ٢٢).

قسم ثان: كشف هذا السر[٢] (بأسلوب استطراد):

١) كشف هذا السر للرسل وأنبياء العهد الجديد (٣: ٢ ــ ٧).

٢) كشف السر خصوصاً لبولس لكونه رسول الأمميين (٣: ٨ ــ ١٣).

٣) دعاء لكشف السر للمسيحيين (٣: ١٤ ــ ١٩).

ختام: الحمد لله على سره في المسيح والكنيسة (٣: ٢٠ ــ ٢١).

قسم ثالث: توحيد المسيحيين في المسيح، بروحه القدوس، في الكنيسة الواحدة

١ ــ وحدة الكنيسة[٣] تنفي الشقاق في الحياة والسلطة والعقيدة (٤: ١ ــ ١٦).

١) الوحدة في الروح، برباط السلام، تنفي الشقاق في الشعب (٤: ١ ــ ٦).

٢) الوحدة في الإيمان، لقيام الإنسان الكامل، تنفي الانقسام في السلطة (٤: ٧ ــ ١٣).

٣) الوحدة في المحبة، بالتمسك بالمسيح الرأس، تنفي التفرقة في العقيدة (٤: ١٤ ــ ١٦).

---

(١) هذا المقطع (٢: ١١ ــ ١٨) خاص بالأفسسية، وهو تفصيل لآية أشعيا (١٧ ــ ١٩) في القريبين والبعيدين.

(٢) هذا الفصل (أفس ٣: ١ ــ ١٣) مواز للكولوسية (١: ٢٤ ــ ٢٩) لكنه يفصل كشف السر لبولس (٣: ٨ ــ ١٣).

(٣) هذا الفصل (أفس ٤: ١ ــ ١٦) مقابل للكلوسية (٣: ١٤ ــ ١٧) ــ وحدة الكنيسة قائمة على أنها « جسد واحد » للمسيح الكلي، وتمتاز الرسائل الصوفية عن الكلامية في ذلك بنظرية « المسيح ــ الرأس ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ــ حياة الإنسان الجديد في المسيح (٤: ١٧ ــ ٥: ١٠).

المبدأ العام: خلْع الإنسان العتيق، ولبْس الإنسان الجديد (٤: ١٧ ــ ٢٤).

١) السلوك الشخصي في الحياة المسيحية (٤: ٢٥ ــ ٥: ٥).

ــ بترك الرذائل الوثنية، واكتساب الفضائل المسيحية (٤: ٢٥ ــ ٣٢).

ــ بالسلوك في المحبة، رباط الكمال، على مثال المسيح (٥: ١ ــ ٢).

ــ باجتناب ذكر الفواحش، كما يليق بأهل الملكوت (٥: ٣ ــ ٥).

٢) السلوك الاجتماعي في الحياة المسيحية (٥: ٦ ــ ٢٠).

ــ لا تعودوا إلى الاشتراك في أعمال أهل الظلام (٥: ٦ ــ ١٤).

ــ اسلكوا سلوك الحكماء في هذه الأيام الشريرة[1] (٥: ١٥ ــ ١٧).

ــ دعوا الفرح يملأكم، واحمدوا الله دائماً باسم الرب (٥: ١٨ ــ ٢٠).

٣) السلوك العائلي في الحياة المسيحية (٥: ٦١ ــ ٦: ٩).

المبدأ العام: « ليخضع بعضكم لبعض بحسب التقوى المسيحية » (٥: ٢١).

ــ بين النساء ورجالهن[2] (٥: ٢٢ ــ ٢٣).

ــ بين الآباء وأولادهم (٦: ١ ــ ٤).

ــ بين العبيد وسادتهم (٦: ٥ ــ ٩).

٣ ــ الجهاد المسيحي في سبيل المسيح والكنيسة (٦: ١٠ ــ ٢٠).

١) عدو المسيح والكنيسة هو إبليس وزبانيته (٦: ١٠ ــ ١٢).

٢) فتسلحوا بسلاح الله للجهاد ــ وصف هذا السلاح (٦: ١٣ ــ ١٧).

٣) خصوصاً تذرّعوا بالصلاة الدائمة للجميع ولبولس (٦: ١٨ ــ ٢٠).

---

(١) إشارة نبوية عند بولس إلى طلائع اضطهاد والمسيحيين (٥: ١٦).

(٢) « سر » الزواج رمز إلى وحدة المسيح والكنيسة (٥: ٢٢) وهذا تخصيص للمعنى، بخلاف السر في (١: ١٠) بالمعنى الكوني، وفي (٣: ٥) بالمعنى الكنسي ــ لاحظ المطابقة بين الأفسسية (٥: ٢٢ ــ ٦: ٦) وبين الكولوسية (٣: ١٨ ــ ٤: ١٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خاتمة الرسالة[١]: خصوصيات (٦: ٢١ ــ ٢٤).

١) بعثة تخيكس لاطلاعهم على أحوال بولس في أسره (٦: ٢١ ــ ٢٢).

٢) السلام الأخير للأخوة جميعاً باسم الله والمسيح (٦: ٢٣ ــ ٢٤).

۞ ۞ ۞

باب ثالث: تعليم الرسالة الأفسسية

توطئة: « سر المسيح » في الكنيسة والإنسانية

الرسالة الأفسسية تبحث « سر المسيح » في الكنيسة، وسر الكنيسة في المسيح من توحيد أهل الكتاب والأمميين « إنساناً جديداً » في « جسد واحد » رأسه المسيح. وفي فاتحة الرسالة، نشيد « البركات الروحية » في المسيح، يوطئ لذلك بتوحيد الكون في المسيح كرأس (١: ١٠).

كانت الغنوص الهلنستية، التي تأثرت بها اليهودية و« النصرانية » الإسرائيلية، تنشد « **الخلاص** » باشتراك المريد في « **السر** »، للدخول في « **الملء** »، وحدة الخالق والمخلوق، في وحدة الوجود الشركية.

فردّ عليها بولس بأن الخلاص هو في « سر المسيح » وسر « الكنيسة، جسده وملئه » (١: ٢٢ ــ ٢٣). وهذه هي « الغنوص السامية » (١: ٩) على كل غنوص. ففي « سر الإنجيل » الخلاص الحقيقي، لأنه « **إنجيل الخلاص** » (١: ١٣). ففي جمع التعبيرين، « إنجيل الخلاص » و« سر الإنجيل » ربط الرسائل الصوفية بالرسائل الكلامية. وبالجمع أيضاً في الكنيسة بين « جسد المسيح وملئه » (١: ٢٣) جمع آخر بين الكلامية

---

(١) لاحظ التعميم في خطاب الخاتمة كما في خطاب الفاتحة: « لتعرفوا أنتم أيضاً » (٦: ٢١)؛ ولفظ « الأخوة » بدون ذكرهم على غير عادته، وهذا من الدلائل على أن الرسالة جامعة، لا خاصة، وإن كانت باسم أفسس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والصوفية. فالتعليم واحد يتطور، باختلاف أساليب التحدّي ما بين الحكمة والغنوص. فمن الثمرة تُعرف الشجرة: إن المسيح هو دائماً « حكمة الله في السر المصون » (١ كو ٢: ٦). وهذا التعريف القديم منطلق للتطور الجديد وضامن لصحته.

إن « إنجيل الخلاص » هو تصميم « السر » في الله منذ الأزل، وتحقيق « السر » في الزمن بالمسيح، وتنفيذ « السر » بقيام الكنيسة وحياتها منه بالروح القدس. **فسر الخلاص الحق ثلاثي:** سر الله في التصميم، وسر المسيح في التحقيق، وسر الروح القدس في احياء الكنيسة « جسد المسيح وملئه ». فإنجيل المسيح هو « الغنوص السامية » كما هو « الحكمة السامية ». وهو « إنجيل الخلاص » أسمى من الحكمة والغنوص. و« سر الإنجيل » هو « سر المسيح » في الكنيسة، المدى الأول؛ وفي الكون، المدى الأبعد؛ وفي الله، المدى الإلهي. ومحور الرسالة هو سر الكنيسة في المسيح، الذي بواسطتها تتجلّى « حكمة الله بوجوهها العديدة » (٣: ١٠).

وهكذا يتضح أن الرسالة الأفسسية هي **رسالة** « **السر** » كما تفهمه وتحياه « الغنوص السامية » في المسيحية. وتعبير « السر » يأخذ فيها ثلاثة معانٍ، بحسب أبعاده الثلاثة: « السر » هو أولاً توحيد الكون تحت رأس واحد هو المسيح (١: ١٠)؛ و« السر » هو ثانياً توحيد الإنسانية، من أهل الكتاب والأميين، لخلق « الإنسان الجديد الواحد » في المسيح (٣: ٣ ــ ١٠؛ ٢: ١٤ ــ ٢٢) و« السر » هو ثالثاً وحدة المسيح الرأس والكنيسة، « جسده وملئه »، كما يرمز إلى ذلك الزواج المسيحي (٥: ٣٢؛ ١: ٢٢ ــ ٢٣). وهذه المعاني الثلاثة لتعبير « السر » ليست متعارضة، كما يرى بعضهم بحسب البيان الإغريقي، إنما هي متكاملة صعداً ونُزلاً، بحسب فنّ البيان السامي، المعروف بالعربية فن « الوجوه والنظائر » الذي تتجلّى فيه « حكمة الله بوجوهها العديدة » (٣: ١٠).

يشير موضوع الرسالة وأسلوبها بأنها **خلاصة لاهوتية** تجمع **فكرة الرسالة الرومانية** المنتشرة في رومة، **وفكرة الرسالة الكولوسية** المكتوبة من رومة، للتعريف الأوفى بالمسيحية. فهي **ذروة الفكر البولس** بنظرة قديمة جديدة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

معاً إلى تاريخ الخلاص، ونظرة قديمة جديدة إلى الكنيسة « جسد المسيح » الذي هو رأسها؛ ونظرة قديمة جديدة إلى « سر المسيح » الذي بالكنيسة يمتد إلى الكون كله (١: ٢٤).

فالرسالة الأفسسية هي **العرضة الثانية الجامعة** من بولس لتفصيل الإنجيل.

●

أولاً: تصميم الخلاص، في تدبير الله الآب

افتتح بولس الرسالة الأفسسية بموجز « إنجيل الخلاص »، الذي دعا به حتى اليوم، فاتحةً لعرْضة جديدة صوفية تتخطى الواقع الحياتي إلى تصميم الله منذ الأزل، **تجاه تحدّي الغنوص** « **النصرانية** » المتأثرة بالغنوص اليهودية والهلنستية. وقد فصّل التصميم الإلهي في نشيد جامع مانع، شامل كامل.

نشيد « البركات الروحية » السبع في المسيح

« تبارك الله وأبو ربنا يسوع المسيح،
الذي باركنا بكل بركة روحية في السماوات العلى، في المسيح

١) ذلك بأن فيه قد **اصطفانا** من قبل إنشاء الكون
لنكون قديسين وبلا عيب، بحضرته، في المحبة.

وقضى من قبل لنا **بالتبنّي** له بيسوع المسيح على حسب رضى مشيئته
لحمد مجد نعمته التي أنعم بها علينا في الحبيب

٢) وفيه لنا **الفداء**، بدمه، غفران الزلات، بحسب غنى نعمته
التي أفاضها علينا بكل حكمة وفهم فعرفنا بسر مشيئته، على حسب رضاه

الذي قصده من قبل في نفسه لتدبيره عند ملء الأزمنة
بأن **يجمع تحت رأس واحد**، في المسيح،
الكل، ما في السماوات وما في الأرض

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣) أجل فيه **اصطفانـــا** وفرزنـــا من قبل
بحسب قصد الضابط الكل بحسب إرادة مشيئته
لــكي نكــون، لحمــد مجــده، الــراجين الأوليــن في المسيح

وفيه أنتم أيضاً السامعين دعوة الحقيــقة،
إنجيــل خلاصــكم، والمؤمنــين بـــه،
قد **خُتمتُم** بالــروح القــدس المــوعود،
عربون ميراثنا، لفداء المقتنى لحمد مجده »
(أفس ١: ٣ ـــ ١٤)

في هذا النشيد يغور بولس، بوحي الله، في أعماق الله، ليكشف **تصميم سر الخـــلاص** فيه منذ الأزل، ويفصّل هذا التصميم الإلهي إلى **سبع** « **بركات روحية في المســيح** » (١: ٣) على **ثلاث مراحل**. تصميم الاصطفاء للتبني في الآب؛ تنفيذ الفداء بالمسيح، عند ملء الأزمنة، لتوحيد الكون تحت رأس واحد، المسيح؛ **التحقيق** بروح القدس الموعود، في البقية الناجية من أهل الكتاب، ثم بين الأمميين الذين يقبلون « إنجيل الخلاص »، دعــوة الحقيقــة، فيختمــون بالروح القدس الموعود، عربون الميراث الأبدي.

وهذا التصميم على ثلاث مراحل يقسم النشيد إلى **ثلاثة أقسام**، كل قسم من دوريـــن، بعد فاتحة النشيد، من دور واحد. والتقسيم الثلاثي ظاهر بالتركيز المتواتر على « فيــه » أي في المسيح يسوع (١: ٤ و٧ و١١ و١٣) وعلى ترديد اللازمة « لحمد مجده ».

فالمسيح هو سر الله في تصميم سر الخلاص به. والخلاص بالمسيح ليس كغيره، فإنه التبنّي الإلهي للإنسان في الكنيسة، ملء المسيح الأول، لتوحيد الكون في المسيح كــرأس (١: ١٠)، فيصير الكون ملء المسيح الأوسع.

ولا مجال للشك بصحة هذا النشيد في الرسالة لأنه جزء منها، لــيس عليـــه ظـــاهرة الاقحام. فهو ضمانة أيضاً لصحة سائر الأناشيد الصوفية التي قد تبدو عليها ظـــاهرة الاقحـــام (فيل ٢: ٦ ـــ ١١؛ كول ١: ١٥ ـــ ٢٠) فإن بولس عندما يقتبس يصرح بذلك (أفس ٥: ١٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فاتحة النشيد (١: ٣) حمد لله وتبريك على « كل بركة روحية في المسيح »، فتكون الفاتحة عنوان النشيد. وترجع صلاة الحمد في كل دور خاتمة كل مرحلة من مراحل الخلاص: حمد الآب (١: ٦)، حمد الابن (١: ١٢)، حمد الروح القدس (١: ١٤).

البركة الأولى (١: ٤) هي الاصطفاء في المسيح؛ ومصدره محبة الآب الذي أحبّنا في المسيح منذ الأزل. ففي هذا الاصطفاء الإلهي سر الخلق وسر الإنسان وسر البنوة.

البركة الثانية (١: ٥ ــ ٦) هي التبني الإلهي في المسيح: « أن نكون له أبناء ». وهذا الخلاص بطريقة التبني يرفع المسيحية على كل دعوة للخلاص في الحكمة والغنوص وكل دين. والتبني نعمة أنعم بها الله علينا، فهي فضل منه « في الحبيب ». لاحظ هذا اللقب الجميل من أسماء المسيح الحسنى: إنه « الحبيب » على الإطلاق. وهو مرادف « للابن الوحيد » عند يوحنا. فلا « حبيب » عند الله على الإطلاق إلا المسيح؛ وكل « حبيب » لديه تعالى يصير بنسبته للمسيح.

فالاصطفاء والتبني هما دور الآب في سر الخلاص بالمسيح.

البركة الثالثة (١: ٧ ــ ٨) هي تنفيذ التصميم الإلهي بالفداء بدم المسيح. وحصل هذا الفداء بنعمة كبرى منه تعالى، وبطريقة هي « ملء الحكمة والفهم »، وإنْ لم يفهمها أعداء الصليب والاستشهاد. نلاحظ **تعريف الفداء** للمرة الثانية في الرسائل الصوفية: إنه أولاً « مغفرة الذنوب » (أفس ١: ٧؛ كول ١: ١٤)، لأنه لا يباعد بين الخالق والمخلوق إلا الخطيئة. تلك ناحية سلبية. والإيجابية كانت التبني، غاية الفداء الكبرى. فالفداء بدم المسيح هو علة الخلاص.

البركة الرابعة (١: ٩ ــ ١٠) تكشف عن غاية الخلاص القصوى بالمسيح: « أن يجمع تحت رأس واحد[1]، في المسيح، الكل: ما في

(١) هذا التعبير لفعل واحد في اليونانية ἀνακεφαλαιώσασθαι لا يمكن ترجمته بفعل واحد.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السماوات وما في الأرض ». هذا التجميع والتوحيد للكون في المسيح كرأس لــه **بالســلطان والكيان معاً** هو **وحدة الوجود الحقيقية**، التــي تهــيم فيهــا الحكمــة المشــرقية والهلنســتية المشركتين.

فوحدة الوجود الحقيقية، في كامل التجريد والتنزيه، لا تتم، بحسب تصميم الله الأزلي، إلاّ في المسيح: فهو وحده « رأس » الكون الذي يجمعه ويوحده ويحكمه. فالمسيح بالنســبة لله هو « الحبيب »، وبالنسبة للمخلوق هو « رأس الكون ».

وتعبير « توحيد الكون في المسيح » هو صيغة أخرى لقوله في الكولوســية: « فيــه ارتضى أن يحل الملء كله » (١: ١٩). فالمسيح هو ملء الكون، والكون ملء المسيح، علــى سبيل الفاعل والمفعول معاً بحسب الحرف اليوناني في (أفس ١: ٢٤). فالصورتان متكاملتان.

البركة الخامســة (١: ١١ ــ ١٢) هي اصطفــاء البقية النــاجية من بني إســرائيل، « الراجين الأولين للمسيح ». هذا **الاصطفاء التحقيقي** يــتم بــالروح القــدس. وهــو مقابــل **للاصطفاء التصميمي** في الآب. وفيه إشارة إلى نبوءات الكتاب وتحقيقها. وهو الناحية الأولــى من تحقيق الخلاص بواسطة الروح القدس.

البركة السادسة (١: ١٣) هو إشراك الأمميين، « أنتم أيضاً »، في الخلاص بالمسيح، عند قبولهم « دعوة الحقيقة، إنجيل خلاصكم ». وهذا أيضاً عمل الروح القدس؛ فهو الناحيــة الثانية من تحقيق الخــلاص بواسطة الــروح القدس. وقــوله « **دعــوة الحقيقة** » يشير بأن « الحقيقة »، غاية الحكمة كلها والغنوص كلهــا، إنمــا هي في « إنجيل خلاصكم ». وتعبير « دعوة الحقيقة » ترجمة للحرف اليوناني « كلمة الحق » أي « **دين الحق** » فالدين الحق هو في الإنجيل.

البركة السابعة (١: ١٣ ــ ١٤) هي **ختْم المسيحيين** بالروح القدس. فالروح القــدس في المسيحيين هو نفسه ختم لإيمانهم، وحضور الله الثالوث فيهم. وهذه ميزتهم على العــالمين. وميزة أخرى لهم أن الروح القدس فيهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هو « **عربون ميراثنا** » الأبدي، فهو سلفة على الحق الموعود. فالحياة الأبدية « ميراث » للمسيحيين، يعطيهم « عربونه »، الروح القدس فيهم، حقاً على الله فيه كاملاً. والروح القدس هو أيضاً « روح الموعد » أي الروح الموعود لزمن المسيح. فهو تتميم الموعد المعهود، وعربون الميراث السماوي الموعود.

فبالروح القدس يتم « فداء المقتنين، لحمد مجده » تعالى. تلك هي خاتمة النشيد « للبركات الروحية في المسيح ». بدأه بكلمة « تبارك » (١: ٣) وختمه بكلمة « الحمد » (١: ١٤)، فتمت بهذا التصدير وحدته الفنية.

هذا هو التصميم الإلهي لسر الخلاص، بسر المسيح، في سر الإنجيل. فأين منه الغنوص التي بها يتشدّقون، والتي ينتحلها اليهود، وخصوصاً النصارى من بني إسرائيل، لبلبة كنائس بولس!

وقد أوجز فيه بولس « حكمة الإنجيل » في الرسائل الكلامية، توطئة لإعلان « سر الإنجيل » (أفس ٦: ١٩) في الرسائل الصوفية. **فالإنجيل الصوفي هو من صميم الإنجيل الكلامي**، كما تدل عليه فاتحة الرسالة بهذا النشيد. وما إعلان الإنجيل « سراً »، في تحدّي الغنوص، إلاّ لأنه « السر الذي لم يعلن لبني البشر في الأجيال السابقة؛ كما أعلنه الآن الروح لرسله القديسين وأنبيائه » (أفس ٣: ٥) خصوصاً لبولس (٣: ٨ ــ ١٠) فهو بالحقيقة «السر» الأكبر الذي يُعرف بالكشف الرباني، لا بطقوس الغنوص.

وهذا التصميم الإلهي للخلاص بالمسيح للأمميين، كما لأهل الكتاب (أفس ٣: ٦)، يسميه بولس « **إيكونوميا** » أي التدبير أو السياسة الإلهية في الخلق وخلاصهم. فهو مرادف لتعبير: تاريخ الخلاص.

وتعبير « السر »، في تفصيل الإنجيل، قد استخدمه بولس للردّ على الحكمة اليونانية (١ كو ٢: ٦) وعلى الحكمة الرومانية (رو ١٦: ٢٥)، كما يستعمله اليوم بأولى حجة في تحدي الغنوص الهلنستية، وانتحالها في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اليهودية و« النصرانية ». **فهو ليس بجديد على بولس.** وليس فيه من شبهة على صحة الرسالة.

فسر الخلاص هو أولاً تصميمه في الله الآب منذ الأزل. وهو ثانياً تنفيذه بيسوع المسيح؛ وهو أخيراً تحقيقه بالروح القدس الموعود.

●

ثانياً: تنفيذ الخلاص، بالمسيح الابن في الكنيسة

لقد أوجز بولس تنفيذ الخلاص بالمسيح، في النشيد الفاتحة، بتوحيد الكون في المسيح كرأس له (١: ١٠)، وتوحيد بني الإنسان، من أهل الكتاب والأمميين، في المسيح أيضاً (١: ١٠ ــ ١٣) بالكنيسة.

وينتقل إلى تفصيل سر المسيح في الكون والكنيسة. فيستفتح بالصلاة لأجل المسيحيين، لكي يؤتيهم الله، « أبو المجد، روح الحكمة والوحي لمعرفة سر الخلاص بالمسيح، في الكون والكنيسة » (١: ١٥ ــ ٢٠). ثم يوجز « سر المسيح » في الكون والكنيسة بعبارتين: إن المسيح بفدائه وقيامته وجلوسه على عرش الجلالة في السماوات العلى، صار رئيس « كل رئاسة وسلطنة، وقوة وسيادة »، أسمى من كل اسم في الزمان وفي الأبدية، « فقد جعل الكل تحت قدميه »؛ « وأقامه رأساً على الكل للكنيسة، التي هي جسده، ملء المالئ الكل في الكل » (١: ١٢ ــ ٢٣).

بهذا الموجز المعجز، يوجز بولس ما فصله بالرسالة الكولوسية في النشيد الأول (١: ١٥ ــ ٢٠) والنشيد الثاني (٢: ٩ ــ ١٥). ثم يفصّل بالأفسسية سر المسيح في ذاته، وفي الكون، وخصوصاً في الكنيسة، لبيان سر الخلاص وتنفيذه بالمسيح.

١ ــ سر المسيح في ذاته

إنه « ربنا يسوع المسيح ». ونعرف أن تعبير « الرب » بدل لاسم الجلالة في لغة الكتاب السبعينية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والله تعالى هو « أبو ربنا يسوع المسيح » (١: ٣). « وإله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد » (١: ١٧). ففي قوله « أبو ربنا » يجعل يسوع المسيح ابن الله. وفي قوله « إله ربنا... أبو المجد » يصرّح ببشريته وإلهيته معاً، بهذا الجمع الموجز المعجز. ونعرف أن تعبير « المجد » في لغة الكتاب كناية عن الجلال الإلهي. وقوله « أبو المجد » مرادف لقوله « إله ربنا يسوع المسيح ». فالله تعالى هو « إله » المسيح من حيث بشريته، و« أبو ربنا يسوع المسيح »، من حيث إلهيته وبنوته، فالله الآب هو إله وأب معاً للمسيح، لكن على اعتبارين مختلفين، بحسب اللاهوت، وبحسب الناسوت، كما يقولون في علم الكلام. لذلك فالمسيح هو في سر ذاته الابن « الحبيب » على الإطلاق (١: ٦) و« مجد » الله الآب (١: ١٧) أي « صورة الله الغير المنظور » (كول ١: ١٥).

٢ ـ دور المسيح في الكون

تصف الرسالة منزلة المسيح في الكون **بتعبيرين**. الأول في النشيد: « ان يجمع تحت رأس واحد في المسيح، الكل، ما في السماوات وما في الأرض » (١: ١٠). والثاني في الرسالة نفسها: « وأجلسه عن يمينه في السماوات العلى، فوق كل رئاسة وسلطنة، وقوة وسيادة... وجعل الكل تحت قدميه » (١: ٢٠ ـ ٢٢).

فهل التعبير الثاني تفصيل لمعنى الأول؟ هذا ما يراه بعضهم: فالتعبيران كناية عن سيادة المسيح المطلقة على الكون، مثل سيادة الله الذي « أجلسه عن يمينه في السماوات العلى ». فيكون المسيح « **رأس** » **الكون** بمعنى رئيسه، بسيادة إلهية مطلقة. وقوله « **جعل** الكل تحت قدميه » نقل حرفي للنبوة (المزمور ١١٠) وتحقيق لها.

ونحن نرى أن التعبير الأول في توحيد الكون تحت المسيح « **رأساً** » **له** (١: ١٠) يعني أكثر من السيادة المطلقة، بحسب التعبير نفسه: تجميع الكون، أو توحيده في المسيح « رأساً » له؛ انه يعني **وحدة كونية كيانية**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بين المسيح والكون، حيث المسيح رأس، والكون جسده الكوني. هذه **عقيدة المسيح الكوني**، وهي المدى الأكبر **للمسيح الكلي** في الكنيسة.

فالمسيح هو **رأس الكون** بالسلطان والكيان، كما يرشح من التعبير: « المالئ الكل في الكل » (١: ٢٣)؛ فالكنيسة « جسده » هي الملء الأصغر، والكون الملء الأكبر؛ هذا ما يدل عليه الجمع في آية واحدة. ويؤيده قول الكولوسية: « فيه يحل الملء كله » (١: ١٩) أي ملء الله وملء الكون وملء الإنسان.

فالمسيح هو **ملء الكون**، على الفاعل وعلى المفعول معاً: هو ملء الكون والكون ملؤه. بولس يستخدم تعبير « الملء » اثنتي عشرة مرة (غلا ٤: ٤؛ ١ كو ١٠: ٢٦؛ رو ١١: ١٢ و٢٥؛ ١٣: ١٠؛ ١٥: ٢٩؛ كول ١: ١٩؛ ٢: ٩؛ أفس ١: ١٠ و٢٣؛ ٣: ١٩؛ ٣: ١٣)؛ كما يستخدمه الإنجيل خمس مرات (متى ٩: ١٦؛ مرقس ٢: ٢١؛ ٦: ٤٣؛ ٨: ٢٠؛ يوحنا ١: ١٦)؛ والقرائن اللفظية والمعنوية تحدد مدى المعنى. والتعبير بصيغة الإضافة يحمل معنى المفعول ومعنى الفاعل؛ لكنه على العموم يأخذ معنى المفعول، كقوله « ملء الزمان » أو « ملء الأزمنة » أي تمامها أو كمالها. لكن الاشكال قائم بين معنى المفعول ومعنى الفاعل في الرسائل الصوفية، خصوصاً الأفسسية. والصيغة الوسط (أفس ١: ٢٣) تجمع بين معنى الفاعل ومعنى المفعول، حيث المسيح يملأ الكون، والكون يملأ المسيح، فهو « الكل في الكل ».

فالمسيح هو « رأس الكون » على المجاز، أي **رب العالمين**.

وهو أيضاً رأس الكون، على الحقيقة: فقد تجسَّد في الإنسان، وفي الكون على مدى متفاوت، **بوحدة كونية** في الكون (أفس ١: ١٠؛ ١٠ و٢٣) **وبوحدة كيانية** في الكنيسة والإنسانية.

فمنزلة المسيح في الكون أن المسيح « رأس » الكون، والكون « ملؤه » تلك هي **صورة المسيح الكوني**.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣ ــ منزلة المسيح في الكنيسة والإنسان

إن المسيح والمسيحيين يؤلفون **وحدة وجودية كيانية حياتية**، هي الوحدة القائمة بين الرأس والجسد، لا على سبيل المجاز، بل في الحقيقة والكيان. يؤكد بولس ذلك في الكولوسية: « هو رأس الجسد، الكنيسة » (١: ١٨) كما يؤكده في الأفسسية: « وأقامه رأساً على الكل للكنيسة، جسده، وملء المالئ الكل في الكل » فالكنيسة في صلتها بالمسيح هي « جسده » و« ملؤه ». إنها صورة المسيح الكلي في الكنيسة والإنسان.

١) فالكنيسة هي « جسد المسيح »، والمسيح « رأس الجسد »

في الرسالة الكلامية، التي تصف وجود المسيح في كنيسته، يرى بولس المسيح والكنيسة « جسداً واحداً »، منذ وحّد المسيح نفسه بينه وبين المسيحيين في ظهوره لبولس على طريق دمشق: « أنا يسوع الذي تضطهده أنت ». فرأى في الكنيسة « جسد المسيح » الجماعي والإنساني (١ كو ١٣: ١٢ ــ ١٣ و٢٧؛ رو ١٢: ٤ ــ ٥)؛ كما رأى في المسيحيين « أعضاء المسيح »: « فأنتم جسد المسيح، وأعضاء فيه كل على مقداره » (١ كو ١٢: ٢٧) ويُبرز بولس وحدة المسيح والكنيسة بهذه الصورة الرائعة: « فكما أن الجسد واحد، وله أعضاء كثيرة، وأن جميع أعضاء الجسد، مع كونها كثيرة، هي جسد واحد، كذلك المسيح » (١ كو ١٢: ١٢). فهو يقول « **كذلك المسيح** » بدل أن يستنتج « كذلك الكنيسة »: فالكنيسة والمسيح هما **المسيح الكلّي** في الإنسانية.

ورأينا كذلك أن الوحدة الكيانية بين المسيح والمسيحيين « جسداً واحداً » قوامها التكويني والحياتي بالروح القدس: « فإنا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد، لجسد واحد » (١ كو ١٢: ١٣). وتأتي الشركة بالقربان إنماءً وإحياءً وتوحيداً لهذا « الجسد الواحد »؛ « الخبز الذي نكسره، أليس شركة في جسد المسيح »؟ (١ كو ١٠: ١٤ ــ ١٧). فكما ينمو جسدنا ويتجدّد ويتوحّد بالطعام، كذلك ينمو ويتجدد ويتوحد المسيحيون بالمسيح في قربانه. إنها استعارة وحقيقة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وباستعارة الزواج تظهر ناحية أخرى من الوحدة بين المسيح والكنيسة: يقول الكتاب « يكونان كلاهما جسداً واحداً: كذلك من يقترن بالرب يصير معه **روحاً واحداً** » (١ كو ٦: ١٢ ــ ٢٠). هذا التصريح يعلن **طبيعة الوحدة** بين المسيح والكنيسة: إنهما « **جسد واحد** » **روحاني**، صورة الجسد الروحاني في السماء (١ كو ١٥؛ ٤٤ ــ ٤٩)؛ وطبيعة القِران بين المسيح والكنيسة، فإنهما على مثال الزواج الجسدي « يكونان كلاهما جسداً واحداً » بالقران الروحي في العماد والقربان.

لذلك فالمسيحيون هم في الحقيقة والواقع « أعضاء المسيح » في « جسد المسيح » الكنسي الاجتماعي الإنساني ــ لا على سبيل المجاز والاستعارة كما في الجسم الاجتماعي لأنه واحد، أو دين واحد. وهذا أيضاً ميزة المسيحية على العالمين.

وفي الرسائل الصوفية (كول ١: ١٨ و٣٤؛ ٢: ١٩؛ ٣: ١٥؛ أفس ١: ٢٣؛ ٤: ١٥ و١٦ و٢٥ و٣٠)، في نظرة جديدة إلى المسيح في الكون، وإلى المسيح في السماء (أفس ١: ٢٠ ــ ٢٢)، يحدّد بولس منزلة المسيح الشخصي من « المسيح الكلي » في الكنيسة: إنه « **رأس الجسد، الكنيسة** » (كول ١: ١٨؛ أفس ١: ٢٢).

يصف بولس طبيعة هذه الصلة الجديدة **بخمس استعارات**.

الاستعارة الأولى: « المسيح رأس الجسد ». التعبير له معنيان. إن « الرأس » ــ وإنْ كان متحداً عضويّاً بالجسد ــ يتميّز عنه؛ كذلك المسيح يتميز عن الكنيسة، جسده » (أفس ١: ٢٢) بكونه « رأس الجسد ». ثم إن المسيح كرأس هو **مصدر النمو والوحدة** في « جسده، الكنيسة »: « بالمسيح الرأس يتغذّى الجسد كله، ويتوحد بالمفاصل والمواصل، حتى يبلغ ملء نموه في الله » (كول ٢: ١٩)؛ وهو **مصدر التنسيق والوحدة** في نموّ الجسد: « إننا نعتصم بالحقيقة في المحبة، فننمو من كل وجه، في مَن هو الرأس، المسيح؛ الذي منه ينال الجسد كله التنسيق والوحدة؛ وبتعاون جميع المواصل، على حسب العمل المناسب لكل عضو،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يُنشئ لنفسه النمو، ويُبنى في المحبة » (أفس ٤: ١٥ ــ ١٦). فاستعارة « المسيح الرأس » تصف حقيقة منزلة المسيح من « الكنيسة، جسده »: « فإن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح هو رأس الكنيسة، التي هي جسده، وهو مخلصها » (٥: ٢٣).

الاستعارة الثانية، وهي قديمة جديدة، هي الزواج الكياني الروحي بين المسيح والكنيسة. يطبق بولس شرعة الزواج الفطري في عدن على المسيح والكنيسة، ويستنتج منها حقيقتين. الأولى هي الوحدة الكيانية التي تجعل المسيح والكنيسة جسداً واحداً: « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته، فيصيران كلاهما جسداً واحداً. إن هذا السرّ لعظيم! إنما أقول هذا بالنسبة إلى المسيح والكنيسة » (أفس ٥: ٣١ ــ ٣٢). فكما يجعل الزواج الطبيعي المرأة والرجل جسداً واحداً، كذلك القران بين المسيح والكنيسة يجعلهما « جسداً واحداً ». وبما أن « هذا السر عظيم »، فالقران يجعلهما أيضاً « روحاً واحداً ». فالوحدة الزوجية بين المسيح والكنيسة حقيقة كيانية أعمق من الوحدة الزوجية بين الرجل والمرأة.

والحقيقة الثانية هي العناية والتغذية التي يقوم بها الرجل مع زوجته، كما مع جسده؛ كذلك عمل المسيح مع الكنيسة، زوجه كجسده: « فإنه ما من أحد أبغض قط جسده الخاص؛ بل إنما يغذيه ويعتني به، كما يفعل المسيح بالكنيسة: أولسنا أعضاء جسده! (وتضيف بعض النسخ) من لحمه ومن عظامه »! (أفس ٥: ٢٩).

الاستعارة الثالثة هي البناء والمسكن والهيكل: يتلاحم المسيحيون بالمسيح، بفعل الروح القدس، كما تتلاحم أحجار البناء مسكناً واحداً؛ حيث المسيح في بناء كنيسته رأس الزاوية الذي به يتماسك البناء كله: « أنتم بناء، أساسه الرسل والأنبياء (أنبياء العهد الجديد)؛ ورأس الزاوية المسيح يسوع نفسه، الذي فيه يُنسّق البناء كله، ويرتفع هيكلاً مقدساً في الرب؛ وفيه أنتم أيضاً تندمجون، في البناء ذاته، لتصيروا مسكناً لله، في الروح » (أفس ٢: ٢٠ ــ ٢٢). فالكنيسة هي بناء الروح القدس، وهيكل الرب المسيح، ومسكن الله تعالى، في أرضه. **فالله الثالوث يبنيها ويسكن فيها**؛ ومنزلة المسيح من

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بناء الكنيسة هيكلاً ومسكناً إنه « رأس الزاوية الذي فيه يُنسّق البناء كله ويرتفع ».

الاستعارة الرابعة هي الأسرة الواحدة القائمة من الأب والأم والأبناء، كذلك أسرة « الإنسان الجديد » القائمة من المسيح والكنيسة وأبنائهما المسيحيين: « لذلك أحني ركبتي أمام الآب الذي منه تنبثق كل أسرة في السماوات وفي الأرض » (أفس ٣: ١٤) « فلستم من بعد مغتربين، ولا مستوطنين بل أنتم مواطنو القديسين، وأهل بيت الله » (٢: ١٩). الكنيسة هي « بيت الله » و« أسرة » المسيح، لا على المجاز فقط، بل في الحقيقة، لأن « أسرة » المسيح على الأرض نشأت على مثال « أسرة الله » في السماء، بالوحدة الكيانية القائمة بين الثالوث الأقدس. ويستنتج بولس أن المسيحيين من الأمميين صاروا « مواطني القديسين »، وهو لقب النصارى الأوائل من بني إسرائيل في أورشليم، فهم أيضاً « أهل بيت الله »، الكنيسة.

الاستعارة الخامسة هي تكوين الإنسان الجديد في المسيحية. كانت الإنسانية، بسبب عقيدة التوحيد المنزل، مقسومة إلى شطرين، أهل الكتاب والأمميين؛ أي إلى إنسانين بعيدين بعضهما عن بعض، حتى كان أهل الكتاب يقولون: « إنما المشركون نجس »! فهم كانوا « أجنبيين عن رعوية إسرائيلية، غرباء عن عهود الموعد، بلا رجاء في هذا للعالم، ولا إله » (أفس ٢: ١٢). وذلك طالما هم « بدون المسيح » (أفس ٢: ١٢). لكن بالمسيح، وفي المسيح، وُجد الإنسان الجديد. فيهتف بولس بفخر: « أما الآن، في المسيح يسوع، فأنتم الذين كانوا قبلاً بعيدين، قد صرتم قريبين **بدم المسيح**، فإنه هو سلاحنا، هو الذي جعل من الشعبين واحداً، إذ نقض الحائط الحاجز بينهما، أي العداوة؛ ونسخ **في جسده** الشريعة مع وصاياها وأحكامها، ليكوّن، في نفسه، من الاثنين **إنساناً واحداً جديداً**، بإحلال السلام... لأن فيه، لنا كلينا، التوصّل إلى الآب، بروح واحد » (أفس ٢: ١٣ ــ ١٨). فبنسخ الشريعة زالت العداوة؛ وبدم المسيح تمت المصالحة الإنسانية بين الشعبين ومع الله؛ وبتوحيدهما « جسداً واحداً »، « في نفسه » كوّن الإنسان الجديد الواحد. ففي المسيح، بالروح القدس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الواحد الذي يوحّد الفريقين، أصبح الوصول إلى الله الآب واقعاً حقيقيّاً. وتكوين هذا الإنسان الجديد في المسيحية هو « السر » الذي تشيد به الرسالة، « **سر المسيح** » **في كنيسته**، « أي أن الأمميين هم من أهل الميراث، وأعضاء في الجسد، وشركاء في الموعد، في المسيح يسوع، بالإنجيل » (٣: ٦). وسر توحيد الإنسانية « إنساناً واحداً جديداً » في المسيح هو فضل الإنجيل، لأنه كان مجهولاً قبله « والآن أعلنه الروح لرسله القديسين وأنبيائه » (٣: ٥)، خصوصاً لبولس داعيته الأكبر (٣: ٨ ــ ٩).

بتلك **الاستعارات الخمس** يبين بولس نواحي الوحدة الكيانية الحياتية بين المسيح والمسيحيين، في « جسد واحد »، المسيح منه **الرأس الكياني الحياتي**. هذا هو « سر المسيح » في الإنسان، بكنيسته؛ وهذا هو سر الكنيسة في المسيح. فالمسيح والكنيسة هما **المسيح الكلي الواحد** في الإنسانية.

٢) الكنيسة « جسد المسيح» هي أيضاً « ملء المالئ الكل في الكل » (أفس ١: ٢٣)

بهذه الصورة الثانية يصف بولس حقيقة كيان الكنيسة، جماعة المسيحيين، في المدى الإنساني والمدى الكوني. فالمسيح الكلّي في « جسده » الكنسي الاجتماعي له كمالان يكتمل بهما، ويكتملان به: التكميل الإنساني والتكميل الكوني.

فالكنيسة المسيحية هي ملء المسيح في الإنسانية؛ بها يكتمل « جسد المسيح » بامتداده إلى الإنسانية كلها. فهي، بحسب استعارة المسيح نفسه، كخميرة في عجين البشرية (متى ١٣: ٣٣)، تتكامل بانتشارها بين الناس كلهم، « في سبيل بنيان جسد المسيح، إلى أن نصل جميعنا إلى الوحدة في الإيمان، وفي معرفة ابن الله، إلى **الإنسان الكامل**، على قياس قامة ملء المسيح » (أفس ٤: ١٣). إن « الإنسان الكامل » هو الإنسانية كلها تجمعها « وحدة الإيمان في معرفة ابن الله ». وهذه الإنسانية المسيحية هي « ملء المسيح » الذي يبلغ بها « مقياس قامته »، فيصير **المسيح الكلّي**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بجسده الإنساني. هذا هو المدى البشري لجسد المسيح في كنيسته والإنسانية. هذا هو التكميل والاكتمال والكمال، أي « الملء » الإنساني للمسيح الكلي.

والكنيسة المسيحية هي أيضاً ملء المسيح في الكون، حيث يتلاقى **المسيح الكلّي** في الإنسانية **بالمسيح الكوني** في الكائنات كلها. فالمسيح في كنيسته، وبها، له مدى كوني، واكتمال كوني: « هو رأس الكنيسة، التي هي جسده، **ملء المالئ الكل في الكل** » (أفس ١: ٢٣). فبالكنيسة يمتد « جسد المسيح » إلى الكون كله، كما يتضح من الترادف بين « جسده، ملء » ومن كون المسيح هو « المالئ الكل في الكل ».

ويصف بولس هذا المدى الكوني « الجسد المسيح » بفعل سر التجسد وسر رفع المسيح على العالمين، إلى عرش الله، مستشهداً بآية (المزمور ٦٧: ١٩): « لذلك يقول (لما صعد إلى العلى سبى سبياً وأعطى الناس عطايا). فكونه (صعد) هل يعني إلاّ أنه (نزل) أولاً، وإلى أسافل الأرض. فالذي (نزل) هو نفسه الذي (صعد) أيضاً إلى ما فوق السماوات كلها، **ليملأ الكل** » (أفس ٤: ٧ ــ ١٠). فالمسيح باجتيازه الأكوان كلها ملأها من ذاته، وامتلأ بها، فكان الكون كله « **ملء المسيح** » **الكوني**.

فالمسيح له اكتمال إنساني، واكتمال كوني.

والكنيسة « جسده » لها فيه اكتمال إنساني، واكتمال كوني.

فالإنسانية والكون هما اكتمال المسيح، بواسطة « كنيسته التي هي جسده ».

فالمسيح الكلّي في الإنسانية يكتمل **بالمسيح الكوني** في الكائنات، حيث المسيح « **الكل في الكل** » (أفس ١: ٢٣) كما **أن الله هو** « **الكل في الكل** » (١ كو ١٥: ٢٩)؛ الله بسعته، والمسيح بوحدة الوجود الحقة. وإطلاق التعبير الواحد على الله والمسيح برهان إلهية المسيح.

وبسبب إلهية المسيح، « الذي فيه يحلّ جسديّاً ملء الألوهية كله » (كول ٢: ٩) يمتلئ الإنسان والكون من الله نفسه، بالمسيح: « ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم، حتى إذا ما تأصلتم في المحبة وتأسستم عليها،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تستطيعون، مع جميع القديسين، أنْ تدركوا تلك المحبة التي تفوق كل إدراك، فتمتلئوا هكذا من كل ملء الله » (أفس ٣: ١٧ ــ ١٩). إن الله في الإنسان والكون، بسعته، في كامل التجريد والتنزيه؛ لكن الله في المسيح، بواسطة « جسده » الإنساني والكوني، « جمع تحت رأس واحد في المسيح الكل، ما في السماوات وما في الأرض » (أفس ١: ١٠)؛ « فملأ الكل » (أفس ٤: ١٠). وصار « الكل في الكل » (أفس ١: ٢٣).

تلك هي وحدة الوجود الحقة، « بسر المسيح » في « سر الكنيسة »، « التي هي جسده، ملء المالئ الكل في الكل » (أفس ١: ٢٢ ــ ٢٣). فالصورتان متكاملتان.

وتلك الرؤيا لا ينسبها بولس إلاّ إلى وحي الروح القدس « لرسله القديسين وأنبيائه »، خصوصاً إليه نفسه، لكونه « رسول الأمميين » (٣: ٤ ــ ٩). لذلك فبولس هو بحق « **النبيّ الأمّي** »، لا من الأمميين، بل إليهم.

إن « سر الكنيسة » هو كمال « سر المسيح »، فبسرّها تتجلى حكمة الله من كل جوانبها: « لكي تتجلّى الآن للرئاسات والسلطنات في السماوات بواسطة الكنيسة، حكمة الله بجميع وجوهها، وذلك على حسب قصده الأزلي الذي نفّذه في المسيح يسوع ربنا » (أفس ٣: ١٠ ــ ١١)، وحققه بالروح القدس.

۞ ۞ ۞

ثالثاً: تحقيق الخلاص المسيحي، بالروح القدس

في نظر بولس، كان العهد القديم « عهد الحرف »؛ والعهد الجديد بالمسيح هو « **عهد الروح** » (٢ كو ٣: ٦)؛ لأن ما عمله روح الله في المسيح، يعمله في كنيسة المسيح، « التي هي جسده، ملء المالئ الكل في الكل » (أفس ١: ٢٣) لتبلغ إلى « قياس قامة ملء المسيح »، في الإنسان والكون.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فالعهد المسيحي هو « عهد الروح » في الكنيسة. وهذه ميزة أخرى للمسيحية على الحكمة والغنوص، والأديان قاطبة. وحدها تعلن الكنيسة أن روح الله والمسيح هو فيها، يحييها بحياة البنوة الإلهية التي في المسيح، لتصير « الخليقة الجديدة » في « الإنسان الجديد »، « الإنسان الكامل » الذي يبلغ « ملء المسيح » و« ملء الله ».

١ ـ الروح القدس هو روح الكنيسة الذي يبنيها ويحييها

في المسيحي والكنيسة، المسيح هو « رأس الجسد » (كول ١: ١٨؛ أفس ١: ٢٢)؛ لكن الروح القدس هو **الختم الكياني الإلهي** في المسيحيين، « لقد خُتمتم بالروح القدس الموعود » (أفس ١: ١٣)، وذلك « لتصيروا مسكناً لله، في الروح » (٢: ٢٢)، « لأنا به (المسيح) نبلغ إلى الآب، بالروح الواحد » (٢: ١٨). فكما في الجسد البشري، كذلك في « جسد المسيح، الكنيسة »، الروح هو مصدر التكوين والحياة: « فإن الجسد واحد، والروح واحد » (٤: ٤). إن كانت الكنيسة « جسد المسيح »، فالروح القدس هو روحها الذي يبنيها ويحييها، كما يفعل في كل مسيحي، عضوٍ في « جسد المسيح ».

وتلكما الصورتان، الروح الختم، والروح المحيي الجسد، تصفان حقيقة صلة الروح بالكنيسة وبالمسيحيين أعضائها، « وأعضاء جسده » (٥: ٣٠) فالروح من خارج يطبع النفس المسيحية بطابعه الإلهي؛ ومن داخل يحيي المسيحي والكنيسة كما يحيي روحنا الجسد.

وما أروع الصورة التي تتجلّى من هذه الحقيقة: « الجسد واحد، والروح واحد » (٤: ٤): الكنيسة وأعضاؤها المسيحيون هم جسد المسيح الذي روحه هو الروح القدس عينه. فهل يمكن لبشر أن يتصور صلة كهذه الصلة الكيانية بين الخالق والمخلوق، مع كامل التجريد والتنزيه؟

فالروح القدوس هو مصدر الوحدة الكيانية والحياتية في الكنيسة والمسيحيين. فبه، كختم كياني، وروح محيي، تقوم وحدة المسيح والكنيسة « جسداً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واحداً »، وحدة « الرأس » و« الجسد »، وحدة الأعضاء فيما بينهم ومع « الرأس » منفردين ومجتمعين.

وعمل الروح القدس يمتد من المسيح الشخصي، إلى المسيح الكلي، إلى المسيح الكوني، « لأن الجسد واحد، والروح واحد » (٤: ٤).

٢ ـ الروح القدس يحيي الكنيسة والمسيحيين بحياة المسيح، البنوة الإلهية

هذا تعليم قديم لبولس، ما كان بحاجة لتجديده. فالمسيحيون بالإيمان والعماد والميرون يصيرون « على مثال صورة ابنه » (رو ٨: ٢٩) التي بها يصبحون أبناء الله على مثال المسيح: « وبما أنكم أبناء، أرسل الله في قلوبكم روح ابنه يهتف (أبّا) أي (أبتا) » (غلا ٤: ٦). فالروح القدس يحيينا بحياة البنوة الإلهية التي في المسيح.

يتم ذلك بالسكنى والاحياء، شرط السلوك بحسب الروح: « إن الذين هم بحسب الجسد (البشري) ينزعون إلى ما لهذا الجسد؛ والذين هم بحسب الروح إلى ما للروح... والحال أنتم لستم في الجسد (تعيشون بحسب البشرية)، بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم... وإن كان روح الذي أقام يسوع من بين الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام يسوع من بين الأموات **يحيي أجسادكم المائية بروحه الساكن فيكم** » (رو ٨: ٥ ـ ١١). فالروح القدس يسكن في الكنيسة وفي المسيحيين أعضائها وأعضاء المسيح، ويحييهم كما يحيي روحنا الجسد، لكن بحياة الله في المسيح، حياة البنوة الإلهية.

٣ ـ حالة « الروح » تخلق فطرة جديدة في المسيحي والكنيسة

هذا التصريح « أنتم لستم في الجسد (البشري)، **بل في الروح**، إن كان روح الله ساكناً فيكم » (رو ٥: ٨: ٩) يدل على قيام حالة جديدة في الإنسان المسيحي، هي حالة « الروح » الساكن فيه. إنها فطرة جديدة في « الإنسان الجديد، الذي يتجدّد بالغنوص السامية على صورة خالقه » (كول ٢: ١٠). وهذا **الوجود المسيحي** « **في الروح** » ينتج عنه « السلوك بحسب الروح » كما ينادي بولس دائماً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وحالة وجودنا « في الروح » وسلوكنا « بحسب الروح »، لهما **مفاعيل إلهية فينا:** إننا نصير مسكن لله، في الروح (أفس ٢: ٢٢). إننا نتأيد « بقوة، بروحه، في الإنسان الباطن » (أفس ٣: ١٦). والروح القدس ختم إلهي فينا للزمن والأبدية: « ختُمتم بالروح القدس الموعود (١: ١٣)، « روح القدس الذي ختُمتم به ليوم الفداء » (٤: ٣٠)؛ وهذا الختم « الروحي » صكٌّ على الله لميراث السماء، « لأن الروح هو عربون ميراثنا » (١: ١٤). وهو يوصلنا إلى ملء المسيح في الإنسان الكامل: « نبلغ جميعنا، بوحدة الإيمان، والغنوص السامية في ابن الله، إلى الإنسان الكامل، إلى قياس قامة ملء المسيح » (٤: ١٣). كما يوصلنا إلى ملء الله: « ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم... فتمتلئوا هكذا من كل ملء الله » (٣: ١٥ و١٩).

٤ ـ من عمل الروح القدس ندرك أنه ذات إلهية في الله وفينا

مبدأ بدهي في الفلسفة أن العمل من طبيعة الذات[1]. فمن تلك التصاريح عن الأعمال الإلهية المنسوبة للروح القدس، نتحقق أن « الروح » على المطلق ليس فقط **قوة إلهية، أو هبة إلهية**؛ إنما هو **ذات إلهية**. إنه روح الآب وروح الابن معاً (غلا ٤: ٦؛ ١ كو ٢: ١٠؛ ١٤: ٤؛ رو ٨: ١٥ و٢٦؛ ١ تيم ٤: ١٠).

فقد استلم بولس من الرسل صيغة العماد المسيحي « باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨: ١٩). وترجمها دعاءً وصورة للحياة الإلهية في المعمدين: « نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله (الآب)، وشركة الروح القدس، معكم أجمعين » (٢ كو ١٣: ١٣)؛ حتى « نرتفع هيكلاً مقدساً في الرب... لنصير مسكناً لله، في الروح » (أفس ٢: ٢١ ـ ٢٢). فالتمييز الصريح بين أسماء الله والرب والروح، والمعادلة بين عمل الله والرب والروح، تجعلان الروح ذاتاً إلهية، من ذات الله، مع التصريح بأنه روح الآب والمسيح والابن معاً (غلا ٤: ٦).

---

(١) نصه في اللاتينية operari sequitur esse

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهكذا يتأكد أن تحقيق الخلاص يتم بالروح القدس.

إن التصميم لسر الخلاص قائم في **الله** الآب، المبدإ والمعاد؛ والتنفيذ يصير بالمسيح الابن الحبيب؛ والتحقيق بالروح القدس في المسيحيين وفي الكنيسة، بيئة الخلاص.

۞ ۞ ۞

رابعاً: الكنيسة هي بيئة الخلاص

لقد تأسست المسيحية في العالم الهلنستي؛ وبولس في أسره يراها تنتشر في عاصمة المسكونة. فمن لغة الكنائس المتعددة، في الرسائل الأولى، يرتفع في الرسائل الصوفية، خصوصاً الأفسسية، إلى لغة الكنيسة الواحدة في عالم المطلق. ونلاحظ تطور الفكر البولسي من بعض المواضع. في (١ كو ١٥: ١٤) نرى خضوع القوات السماوية للمسيح مرجئاً لليوم الآخر؛ بينما في الكولوسية (٢: ١٠ و١٥) نراه قائماً في اليوم الحاضر. كانت قيامة المسيحي بالعماد تظهر في المستقبل (رو ٦: ٥)، فنراها حاضرة في الرسائل الصوفية (كول ١: ١٢؛ أفس ٢: ٦). كان بولس يصارع لإثبات حق الأمميين في المسيحية على قدم المساواة مع أهل الكتاب! واليوم وقد انتشرت المسيحية وتوطدت في « المسكونة »، فهو يراها كنيسة واحدة، تجمع الشعبين أهل الكتاب والأمميين، « إنساناً واحداً جديداً » في المسيح، بالروح، في « جسد واحد » هو الكنيسة (أفس ٢: ١٥ ــ ١٦) « التي هي جسده وملؤه » (١: ٢٢ ــ ٢٣). كان ينظر إلى صلة المسيحي الشخصية بالمسيح، أكثر من الصلة الجماعية؛ أمّا في الرسالة الكولوسية، وخصوصاً الأفسسية فهو ينظر إلى صلة المسيح بالكنيسة كجماعة، ويرى المسيحيين من خلالها. نظرية « الملء » الصوفية تراها الكولوسية في المسيح « الذي ارتضى (الله) أن يحل فيه الملء كله » (١: ١٩)؛ وتراها الأفسسية في الكنيسة « التي هي جسده، وملء المالئ الكل في الكل » (١: ٢٢ ــ ٢٣). حتى صار المسيح والكنيسة كياناً واحداً هو **المسيح الكلّي**؛ وصار المسيح والكنيسة والكون كياناً واحداً هو **المسيح الكوني**. فالمسيح الشخصي يأخذ مداه الإنساني

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثم مداه الكوني بالكنيسة « التي هي جسده » وهو « رأس الجسد ». ويرى في هذه الكنيسة، « الجسد الواحد، والروح الواحد » بيئة الخلاص المسيحي؛ ويركز نظره على وحدتها.

١ ـ كيف صارت الكنيسة بيئة الخلاص

إن الرسالة الأفسسية تستجمع تعابير الخلاص بالمسيح في الرسائل كلها.

ففي المسيح « لنا الفداء بدمه، مغفرة الزلات، على حسب غنى نعمته » (١: ٧). « كنا أمواتاً بزلاتنا، فأحيانا مع المسيح... فأنتم بالنعمة **مخلصون** بواسطة الإيمان؛ وهذا (الخلاص) ليس منكم، بل عطاء من الله » (٢: ٥ و٨). والخلاص هو **المصالحة الشخصية والإنسانية والكونية** مع الله، بالمسيح، في الروح (كول ١: ٢٠؛ قابل أفس ٢: ١٤ ـ ١٨). كان يسمي أهل الخلاص « الخليقة الجديدة » (غلا ٣: ٢٥ ـ ٢٧ ـ ٢٨؛ ١ كو ١٢: ١٣)، ويسميهم اليوم « الإنسان الجديد »، « الإنسان الكامل »، خلاصة أهل الكتاب والأمميين (٢: ١٥؛ ٤: ١٣)، أخيراً يأتي المدى الأبعد للخلاص، « أن يجمع تحت رأس واحد، في المسيح، الكل، ما في السماوات وما في الأرض » (١: ١٠)؛ هذا التجميع والتوحيد للكون في المسيح هو **المدى الكوني** للخلاص. وبه بلغ بولس قمة تفكيره في تفصيل الإنجيل. لقد عبّر عن تجميع البشر وتوحيدهم بكلمة « الجسد الواحد »؛ ويعبّر عن تجميع الكون بكلمة « الملء » (كول ١: ١٩) اقتباساً من الرواقية بواسطة السبعينية. لكنه في الأفسسية يطبق نظرية « الملء » على الكنيسة التي تشمل البشرية والكون (١: ٢٢ ـ ٢٣) وهكذا انحصر خلاص الله بالمسيح في الروح، بالكنيسة في مداها الإنساني والكوني.

٢) لذلك جعل بولس محور الأفسسية وحدة الكنيسة

يكشف أولاً السر المختوم حتى الدعوة المسيحية « أن الأمميين هم أيضاً من أهل الميراث، وأعضاء في الجسد، وشركاء في الموعد، في المسيح يسوع، بالإنجيل » (٣: ٦ ـ ١٠).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويكشف أيضاً أن الله بالمسيح جمع أهل الكتاب والأمميين، « وصالحهما مع الله كليهما في جسد واحد »، امتداداً لجسد المسيح، « ليكوّن في نفسه من الاثنين انساناً واحداً جديداً » (٢: ١٤ ـ ١٨).

ثم يوجه النداء إلى الوحدة، مع بيان أركانها: « احتملوا بعضكم بعضاً بمحبة. اجتهدوا في **حفظ الوحدة** في الروح، برباط السلام: فإن الجسد واحد، والروح واحد، كما أنكم قد دُعيتم إلى الرجاء الواحد في دعوتكم؛ وأن الرب واحد، والإيمان واحد، والمعمودية واحدة؛ والله واحد وأبو الكل، وهو فوق الكل، ومع الكل، وفي الكل » (٤: ٢ ـ ٦). فالوحدة قائمة من الله، إلى الرب، إلى الكنيسة، في وحدة رجائها وإيمانها ومعموديتها. فالكفر الأكبر يكون في تمزيق تلك الوحدة.

أخيراً يظهر أن قيام الوحدة في الكنيسة هو عمل المسيح الرأس (٤: ١٥ ـ ١٦) بفعل الروح القدس، « فنرتفع هيكلاً مقدساً في الرب... لنصير مسكناً لله، في الروح » (٢: ٢١ ـ ٢٢) فتعابير « بيت الله »، « بناء الله »، « الهيكل المقدس في الرب »، « مسكن الله، في الروح » كلها استعارات تشهد بوحدة الكنيسة.

٣ ـ والواقع المؤلم جعله يبحث في موانع الوحدة في الكنيسة

المانع الأكبر هو الصراع القديم بين أهل الكتاب والأمميين: شعر من خبرته الطويلة صعوبته، وحاول بالرسالة الرومانية التغلب عليه، وتأتي المحاولة الأخيرة بالأفسسية. لقد كان إسرائيل، لكفره بالمسيح، مشكلة المشاكل لبولس الفريسي القديم، في عقيدته ورسالته ودعوته الجديدة. وموقفه في المشكلة الكبرى تطور إلى ثلاثة عهود، ففي عهد الرسائل إلى الغلاطيين والكورنثيين والفيليبيين (المكتوبَيْن فيها) كان عهد الجهاد المستميت. لكن في آخر رحلاته الرسولية جاءه كشف من الله، أن بني قومه الكافرين بالمسيح سيؤمنون به، متى آمن مجموع الأمميين (رو ١١: ٢٥ ـ ٢٦)؛ فكتب حينئذ إلى الرومانيين وباسمهم إلى « المسكونة » يدعو إلى التعايش السلمي بين « النصارى » والمسيحيين. أخيراً على هدى كشف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

جديد، وخبرة جديدة في الأسر برومة، أخذ يدعو إلى « وحدة الشعبين » في « الإنسان الجديد »، المسيحي (أفس ٢: ١٤ ـ ١٨؛ ٣: ١ ـ ١٣) « فلقد جاء وبشر بالسلام، بالسلام لكم أنتم البعيدين، وبالسلام للذين كانوا قريبين، لأن به، لنا كلينا، الوصول إلى الآب، بالروح الواحد » (٢: ١٦ ـ ١٨)، فنرى أن الصراع بين اليهودية والمسيحية، تضاعف بالصراع بين « النصرانية » الإسرائيلية والمسيحية. فكانت دعوة بولس الأخيرة إلى الوحدة والسلام.

ثم يأتي إلى **الموانع الداخلية**. الموانع بين الأفراد والجماعات، فيقول: « احتملوا بعضكم بعضاً بمحبة. اجتهدوا في حفظ الوحدة في الروح، برباط السلام ». هذا تحريض الأسير للسلوك بحسب الدعوة المسيحية (٤: ١ ـ ٣) ثم الموانع للوحدة بين أهل السلطة والدعوة: فقد نوّع المسيح السلطات والمواهب « منظماً القديسين لأجل عمل الخدمة في سبيل بنيان جسد المسيح » (٤: ٧ ـ ١٢). أخيراً الموانع الفكرية في وحدة العقيدة، « فلا نكون بعد أطفالاً تتقاذفنا الأمواج، وتعبث بنا كل ريح تعليم، على هوى مكر الناس وخبثهم في طريق التضليل. بل **نعتصم بالحقيقة في المحبة** » (٤: ١٤ ـ ١٥). وهكذا بواسطة « المسيح الرأس، ينال الجسد كله التنسيق والوحدة » (٤: ١٦).

٤ ـ فالمسيح هو محور الخلاص، والكنيسة بيئته

المسيح محور الخلاص، بتوحيد الكون فيه (أفس ١: ١٠)، وتوحيد الإنسانية « جسداً واحداً » له في كنيسته (٢: ١٦). فكما أن ملء الألوهية يحل في المسيح جسديّاً (كول ٢: ٩)، كذلك ملء المسيح يسكن في الكنيسة التي هي جسده وملؤه (١: ٢٢ ـ ٢٣): فالكنيسة هي بيئة الخلاص المسيحي، لأنها بيئة الحياة الإلهية، في المسيح، بالروح القدس.

فالمسيح بصفة كونه « رأس الجسد، الكنيسة » (كول ١: ١٨؛ أفس ١: ٢٢) فمنه ينزل شريان الحياة الإلهية إلى جسده، الكنيسة، « حتى نبلغ جميعنا إلى الوحدة في الإيمان، والغنوص السامية في ابن الله، إلى الإنسان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكامل، على قياس قامة ملء المسيح » (٤: ١٣)؛ « ونعمل الحقيقة في المحبة، فننمو من كل وجه، إلى مَن هو الرأس، المسيح » (٢: ١٨).

وعامل الاحياء الإلهي، من نبع المسيح، هو الروح القدس المقيم في الكنيسة والمسيحيين لأن « فيه تندمجون، في البناء، لتصيروا مسكنا لله، في الروح » (٢: ٢٢)؛ « لأن به، لنا كلينا، الوصول إلى الآب، بالروح الواحد » (٢: ١٨).

فالكنيسة هي بيئة الخلاص، لأنها فيها « الجسد واحد، والروح واحد » (٤: ٤)، ولا حياة إلهية خارج جسد المسيح، وروح المسيح. هذا لا يمنع أن نظرية المسيح الكلي في الإنسانية، والمسيح الكوني في الكون، تجعل نعمة المسيح، بالروح، تصل إلى خارج الكنيسة. فلا نعمة في الإنسان والملاك والكون إلاّ بالمسيح، بالروح. لكي تظل الكنيسة، « الجسد الواحد، والروح الواحد » بيئة الخلاص الفضلى، « فتتجلى الآن، للرئاسات والسلطنات في السماوات، بواسطة الكنيسة، حكمة الله، بوجوهها العديدة » (٣: ١٠) هذا هو السر المكتوم منذ الأزل (٣: ٩) وينجلي الآن بكشف « سر الإنجيل » (٦: ١٩).

۞ ۞ ۞

خامساً: بولس الأسير (عام ٦١ ــ ٦٣)

في الرسائل الصوفية الثلاث، نسمع صوت بولس الأسير، « أسير المسيح ». فهو من خلالها يصف لنا **صورة الرسول الأسير**، الذي تهمه رسالته أكثر من حياته.

فبولس يفرح في أسره لأن مثال الصبر على الجهاد حتى الاستشهاد **زاد في حماس الدعوة للإنجيل**. يكتب لأحبائه الفيلبيين: « أيها الأخوة، أريد أن تعلموا أن أحوالي قد آلت بالحري إلى نجاح الإنجيل، حتى صارت قيودي، لأجل المسيح، مشهورة في دار الدولة كلها، وسائر الأنحاء. وأكثر الأخوة قد استمدوا من قيودي ثقة بالرب، فازدادوا جرأة على الدعوة لكلام الله بغير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خوف! لا جرم أن فئة منهم (النصارى من اليهود) يدعون للمسيح عن حسد ومنافسة. بيد أن الآخرين بنية صالحة. فهؤلاء يبشرون عن محبة، عاملين أني قد نصبتُ للدفاع هكذا عن الإنجيل. وأما أؤلئك فعن منازعة يبشرون بالمسيح، وعلى غير إخلاص في الطوية، ظانين أنهم بذلك يزيدون قيودي ثقلاً » (١: ١٢ ــ ١٨).

وبولس يفرح في شدائد الأسر وآلامه، كما يكتب إلى الكولوسيين، **ليشترك في آلام المسيح لأجل كنيسته:** « وإني لأفرح الآن في الآلام التي أقاسيها لأجلكم، وأتمّ في جسدي ما ينقص من شدائد المسيح، لأجل جسده الذي هو الكنيسة، التي صرتُ لها خادماً، على مقتضى تدبير الله، الذي ندبتُ إليه لأبشر، في ما بينكم، بكلام الله كاملاً، بالسر الذي كان مكتوماً مدى الدهور والأجيال، وأعلن الآن لقديسيه » (١: ٢٤ ــ ٢٦).

وبولس يهتم بمشاكل كنائسه أكثر من مصائب أسره؛ ينسى نفسه في أسره، في سبيل غيره: « فإني وإن كنت غائباً بالجسم، فأنا معكم بالروح أشاهد بسرور ما أنتم عليه من نظام وثبات إيمان في المسيح. فاسلكوا إذن في المسيح يسوع، كما تعلمتموه. كونوا متأصلين فيه، مبنيين عليه، موطدين في الإيمان، على حسب ما تعلمتم » (كول ٢: ٥ ــ ٧).

ويدعوهم إلى « **حفظ وحدة الروح برباط السلام** » (أفس ٤: ٣) بدون نزاع بين المعلمين والتابعين لهم بإحسان، « لأن النعمة قد أعطيت لكل واحد على مقدار موهبة المسيح... وهو الذي أعطى، وجعل بعضاً رسلاً، وبعضاً أنبياء، وبعضاً إنجيليين، وبعضاً رعاة ومعلمين، منظماً هكذا القديسين لأجل عمل الخدمة، في سبيل بنيان جسد المسيح إلى أن نبلغ جميعنا إلى الوحدة في الإيمان، وفي معرفة ابن الله » (أفس ٤: ٧ ــ ١٣).

هذا في الداخل. وبالنسبة للخارج، فهو يدعوهم « أن تسلكوا في حذر، لا مسلك الجهلاء، بل مسلك الحكماء. فتنبّهوا في أي وقت أنتم، لأن هذه الأيام تبطن شراً. فلا تكونوا أغبياء، بل تفهَّموا ما مشيئة الرب » (أفس ٥: ١٥ ــ ١٧). ثم يدعوهم إلى **الجهاد المسيحي** « ضد ولاة هذا العالم، عالم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الظلام؛ وضد أرواح الشر المنبثة في الأعالي: فاتخذوا إذن سلاح الله الكامل لتتمكنوا من الدفاع في يوم الشر، ومن الثبات حتى تمام الظفر، وتكافحوا حتى النهاية غير متزحزحين ». وسلاح الله الكامل هو الحق والبر والغيرة على نشر **إنجيل السلام**، وترس الإيمان، وخوذة الخلاص، وسيف الروح أي **كلام الله** (أفس ٦: ١٠ ــ ١٧).

وقد صقّى الأسر والألم نفس بولس؛ وجاءت الأزمة الغنوصية فهزته هزاً عنيفاً؛ فانفجر الوحي يكشف له أبعاد سر المسيح، « فإني بوحي قد أوتيت معرفة سره... فيمكنكم إذا ما قرأتموني أن تدركوا ما هو فهمي لسر المسيح » (أفسس ٣: ٣ ــ ٤). ويذكرهم في صلواته « لكي يؤتيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والفهم لمعرفته » ومعرفة سر المسيح (أفس ١: ١٧) الذي يبسطه لهم في رسائل الأسر.

وبرهان نفسية بولس في سجنه هو **دعوتهم إلى الصلاة بفرح**، كما يفعل هو نفسه: « رنموا بالنعمة لله، من قلوبكم، بمزامير وتسابيح وأناشيد روحية. ومهما أخذتم فيه من قول وفعل، فليكن الكل باسم الرب يسوع، شاكرين به لله الآب » والألم يجوهر النفس. وبولس يفرح بآلامه لأجل المسيح ولأجلهم (كول ١: ٢٤ ــ ٢٥)؛ ومنيته « أن أعرفه هو، وقدرة قيامته، والشركة في آلامه، فأصير على صورته في الموت، على أمل البلوغ إلى القيامة من بين الأموات » (فيل ٣: ١٠).

ويترفع عن الدنيا وما فيها ليتحد بالمسيح ويستغني به عن كل شيء؛ « بيد أن هذه الأشياء التي كانت لي ربحاً، قد عددتها تافهة، من أجل المسيح. بل أعتبر تافهاً كل شيء إزاء هذا الربح العظيم، معرفة المسيح يسوع، ربي الذي لأجله خسرت كل شيء؛ وفي كل شيء لا أرى سوى أقذار حتى أربح المسيح »! (فيل ٣: ٧ ــ ٨).

ويقبل بغبطة مساعدتهم المادية له لأنها عربون محبتهم له، لا طمعاً بالعون: « فإني قد تعلمتُ أن أكون قنوعاً في كل حال. فأعرف أن أعيش في العوز! وأعرف أن أعيش في السعة! لقد روّضت نفسي في جميع الأحوال، وفي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كل منها، على الشبع، وعلى الجوع؛ على الرفاهية وعلى الفاقة. فإني أستطيع كل شيء في الذي يقويني. غير أنكم قد أحسنتم إذ شاركتموني في ضيقي... لا أني أبتغي العطاء. إنما أبتغي الثمر الذي تجنونه... فإنه عطرٌ عرفه طيب، وذبيحة راضية مرضية لدى الله » (فيل ٤: ١٠ ــ ٢٠).

تلك هي الصورة المثالية للرسول، القدوة الحسنة للعالمين.

وهي صورة رائعة لبولس الأسير، « أسير المسيح يسوع » (أفس ٣: ١) الذي كتب، بواسطة أعوانه في سجنه، تلك الرسائل الصوفية، ذروة تفصيل الإنجيل.

۞ ۞ ۞

خاتمة الفصل: إنجيل بولس الصوفي (أفس ٦: ١٩)

الرسائل الكلامية تقدم الإنجيل، في الرد على الحكمة الهلنستية، على أنه **الحكمة المنزلة**. والرسائل الصوفية، رداً على تحدي الغنوص على أشكالها، تقدم الإنجيل بأنه **السر المنزل**، الذي يكشفه « سر الإنجيل ».

« سر الإنجيل » (٦: ١٩) يحوي « سر المسيح » (٣: ٥)، سر المسيح في الكون كما تفصله الرسالة الكولوسية، وسر المسيح في الإنسانية، بكنيسته كما تفصله الأفسسية. وهكذا يتطور **معنى** « **السر** » من التعميم في الكولوسية (٢: ٣) إلى التخصيص في الأفسسية (٣: ٤ ــ ٧) ــ كما يتطور **معنى** « **الملء** ». وليس ما بين التعميم والتخصيص من تعارض. وقد ينتقل أيضاً في الرسالتين من التخصيص إلى التعميم (كول ١: ٢٦ ــ ٢٧؛ ٢: ٢ ــ ٣)؛ أو من التعميم إلى التخصيص (أفس ١: ١٠؛ ٣: ٥ ــ ٦) لأن « السر » و«الملء» هما في « سر المسيح » (أفس ٣: ٤) وفي سر كنيسته (أفس ٣: ١٠) هذا هو «سر الإنجيل».

وهناك ما بين الرسالتيْن تطور، يظنه بعضهم تعارضاً، في معنى « الرئاسات والسلطنات »، أي « أركان العالم » بحسب التعبير الهلنستي، و« الملائكة »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أو الشياطين، بحسب التعبير الكتابي. نظرة الرسالة الكولوسية إليها عامة، فلا يتضح الفرق بين القوات الملائكية أو الشريرة. بينما في الأفسسية تصير النظرة خاصة، وهي تميز بين الرئاسات والسلطنات التي يسودها في المسيح (١: ٢١) وبين « الرئاسات والسلطنات، ولاة عالم الظلام المنبثة في الهواء » (٦: ١٠ ـ ١٢) التي تعمل تحت إمرة إبليس (٦: ١٦) الروح الذي يعمل في أبناء المعصية (٢: ٢). فالرسالتان ليستا متعارضتين، بل متكاملتين. فالتعبير يعني الصالحين أو الطالحين بحسب القرائن.

فليس الإنجيل فقط **دعوة وشهادة وحكمة**، كما في الرسائل الكلامية. **بل هو أيضاً** « **سر** » يُدرك ويعرف « بروح الحكمة والوحي » الذي يعمل « في الرسل القديسين والأنبياء »، أنبياء العهد الجديد، خصوصاً في بولس، ويسأل أن يؤتاه المسيحيون كلهم ليبلغوا إلى « ملء المسيح »، و« ملء الله » كما في الرسائل الصوفية. إنه اختلاف في أسلوب التعبير، لا في العقيدة والتفكير، ما بين الرسائل الكلامية والصوفية، بسبب اختلاف التحدي ما بين الحكمة والغنوص.

إن « سر الإنجيل » هو « سر الخلاص » في « سر الكنيسة »: تصميم في الله الآب منذ الأزل، وتنفيذ بواسطة المسيح الابن الحبيب في الزمن، وتحقيق بالروح القدس عبر الدهور إلى يوم الدين، في كيان عضوي جماعي، الكنيسة، جسد المسيح الذي يكتمل في أبعاده الثلاثة الإنساني والكوني والإلهي. فسر الكنيسة من سر المسيح والروح، وسر المسيح والروح من سر الله نفسه. هذا هو « سر الإنجيل ».

وقد يقول قائل، عند قراءة هذه « الأسرار » بأن المسيحية رموز وطلاسم. وفاته أن **السر الأكبر هو الله** في ذاته وفي عمله، فهو « يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ». فعقل الإنسان يُدرك الله من خلقه، لا في ذاته. أمّا الكشف عن ذات الله، وحياته في ذاته الثلاثية، وعمله في خلقه، فهو محجوب عنا، لا يتكشف لنا إلا بالوحي والتنزيل. قال يسوع لتلاميذه:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« أنتم قد أوتيتم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات » (متى ١٣: ١١). فلا بدْع أن يكون في كشف الله من « أسرار » تُقبل بالتسليم لكلام الله، خصوصاً من « كلمة الله » الذاتي. وهذا هو الإسلام الحق لله في المسيح. هذا هو « سر الإنجيل ».

ففي الكشف عن « سر الإنجيل » يبشر بولس « **بكلام الله الكامل** » بالسر الذي كان مكتوماً مدى الدهور والأجيال، وأعلن الآن لقديسيه... **وهذا السر هو المسيح فيكم** » (كول ١: ٢٥ ــ ٢٧)، « **سر الله، المسيح** المكنونة فيه جميع كنوز الحكمة والغنوص » (كول ٢: ٢ ــ ٣).

إن « **سر الله** » هو « سر المسيح » في « سر الإنجيل ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثالث

الرسائل الراعويـة

تقديم	: منزلتها من رسائل بولس
بحث أول	: الرسالة الأولى إلى تيموتاوس
بحث ثانٍ	: الرسالة إلى تيطس
بحث ثالث	: الرسالة الثانية إلى تيموتاوس
ملحق	: المكتوب « إلى فيليمون »

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تقديم عام:

منزلة « الرسائل الراعوية » من رسائل بولس

توطئة: إن « الرسائل الراعوية » هي الصلة بين العهد الرسولي والعهد الكنسي

هذه الرسائل الثلاث، الأولى والثانية إلى تيموتاوس، والوحيدة إلى تيطس، لها مكان خاص، **ومنزلة خاصة**، في التراث البولسي، وفي مجموع رسائل العهد الجديد. وهي أيضاً تختلف عن أخواتها بلغتها وأسلوبها وموضوعها وأهدافها، مما أثار على صحتها شبهة. وتمتاز **بثلاث ظواهر**.

الظاهرة الكبرى عليها أنها رسائل لتنظيم الكنيسة، أكثر منها لبيان العقيدة. إن العقيدة فيها واحدة بالنسبة للرسائل الصوفية؛ وليس فيها من تطور سوى **ظاهرة التأليف والتجميع** لتعاليم الرسائل السابقة. وذلك كقاعدة لهدفها الذي هو تنظيم الكنيسة. وهذا الهدف جعل **التعليم يأخذ طابعاً عمليّاً**. نرى مثال ذلك في تعليم الخلاص. في الرسائل الكلامية، وصراعها مع اليهودية، كان الخلاص بالإيمان وحده، من دون أعمال الشريعة؛ فصار في الرسائل الصوفية، من دون الأعمال الإنسانية، إنما هذه الأعمال دلائل على حياة الإيمان؛ وفي الرسائل الراعوية، بعيداً عن صراع الشريعة والهلنستية، يظهر التركيز على الأعمال الصالحة، أعمال الإيمان، التي دعانا إليها الله في المسيح. فليس من تعارض في المواقف الثلاثة، إنما هناك تفاوت لاختلاف وجهات النظر، بين أعمال الشريعة، وأعمال الإنسان وأعمال الإيمان. فمن حيث العقيدة نفسها، تظهر الرسائل الراعوية تنظيمية أكثر منها عقائدية، لتصل إلى تنظيم الكنيسة الكامل الشامل.

الظاهرة الثانية إن تلك الرسائل الراعوية صورة عن **دعوة بولس الأخيرة** وعن جهاده في آخر عهده، الذي لا نعرفه من سفر الأعمال ولا من الرسائل الأخرى. فهي المصدر الوحيد لمعرفة دعوة بولس وجهاده في آخر أمره.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والظاهرة البالغة أننا نشاهد فيها انتقال المسيحية، من العهد الرسولي. إلى العهد الكنسي، بإشراف بولس نفسه. فهو يسلّم سلطته إلى تلاميذه الأخصاء ليسوسوا الكنيسة على أيامه ومن بعده، ويوصيهم « بالمحافظة على وديعة الإيمان »، وهذه هي « الوصية »، لسلامة « التعليم الصحيح »، بحسب السنة الرسولية؛ والدفاع عن الإنجيل ضدّ المهاجمين من خارج، والمنحرفين في الداخل، يقول: « أوعز إليك أمام الله محيي الكل، وأمام المسيح يسوع الذي أدّى، لدى بنطيوس بيلاطس، الشهادة الجميلة، بأن تحفظ الوصية، بلا شبهة ولا ملامة، إلى تجلي ربنا يسوع المسيح » (١ تيم ٦: ١٣ ـ ١٤)؛ ويردّد: « تمسك **بالصيغة الأساسية للتعليم القويم** الذي سمعته مني، في الإيمان والمحبة اللذين في المسيح يسوع. **احفظ الوديعة الكريمة** بعون الروح القدس المقيم فينا » (٢ تيم ١: ١٣ ـ ١٤).

فمن الجلي أن الرسائل الراعوية هي الصلة الكتابية والتاريخية بين العهد الرسولي والعهد الكنسي.

●

أولاً: العقد التاريخي الخطير من الدعوة الرسولية

كان العقد التاريخي عام ٦٠ ـ ٧٠م خطيراً على المسيحية وعلى الدعوة الرسولية. فقد كانت الدعوة الإنجيلية على مفترق الطرق، بين عهدين، وبين عالمين. إنه عهد الحرب السبعينية اليهودية التي تمت فيها نبوءة المسيح في خراب أورشليم والهيكل رمز الأمة والدين والقومية. وإنه عهد الاضطهاد الأول للمسيحية تتحقق فيه أيضاً نبوءة المسيح بحق رسله؛ فهو ظاهريّاً يقضي عليهم، ولكن في الواقع يقضي على العهد الموسوي، ليقوم على انقاضه العهد المسيحي، وقد امتزجت دماء المسيحيين بدم المسيح.

إن المصادر المسيحية في أحداث هذه الحقبة الخطيرة، ضئيلة. ونستطيع أن نوجزها بفضل المصادر اليهودية والرومانية:

٦١ ـ ٦٣ بولس أسير للمرة الأولى برومة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٦٢ **استشهاد يعقوب**، « أخي الرب » وأسقف أورشليم، مع بعض الأخوة، رجماً بالحجارة قرب الهيكل، بعد فتوى السنهدرين بقتله. سمعان أخو يعقوب يستلم خلافته حتى عام ١٠٧م.

٦٣ إطلاق سراح بولس من أسره الأول.

٦٤ ـ ٦٥ رسالة بولس في أسبانيا؟

٦٤ حريق رومة المفتعل، في الصيف؛ واستشهاد « جمهور غفير » من المسيحيين كما يقول (تاشيتوس)، في بساتين نيرون بالفاتيكان. **استشهاد بطرس.**

٦٥ بولس يرجع إلى المشرق.

٦٦ اندلاع الثورة اليهودية بأورشليم على الاستعمار الروماني. توقيف بولس ثانية.

٦٧ **استشهاد بولس** على أصح الروايات الثلاث.

٦٨ موت الإمبراطور المضطهد نيرون؛ وأمام الزحف الروماني على أورشليم يهاجر النصارى من أورشليم إلى شرق الأردن في بلّة؛ حصار أورشليم.

٦٩ الرسالة إلى العبرانيين؟

٧٠ فتح أورشليم، وحرق الهيكل. قتل اليهود فيها ونفي الأحياء إلى سائر الأمم تنفيذاً لنبؤة المسيح. وتحريم أورشليم على اليهود بعد الثورة الثانية عام ١٣٣ ـ ١٣٥.

بين تلك الأحداث الجسام قضى بولس العهد الأخير من رسالته ودعوته.

●

ثانياً: بولس، الراعي « الشيخ »، ما بين الأسرين

« أقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره (مدة أسره الأول في رومة)؛ وكان يستقبل جميع الذين يقصدونه، مبشراً بملكوت الله، ومعلّماً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ما يختص بالرب يسوع المسيح، بكل جرأة وحرية » (أع ٢٨: ٣٠ ـ ٣١) هكذا ينهي لوقا كتابه الثاني. وقد نشره دون أن يذكر الافراج عن بولس، ولا آخرته، لأن غاية تاريخه تقديم دفاع بارع لبراءَة بولس من تهم اليهود لدى السلطات الرومانية، مع تقديم الدعوة المسيحية للبيئة الهلنستية. فبرّأ منبر قيصر بولس من شكوى اليهود.

لقد أفرج عنه في ربيع ٦٣ م. نرى صدى ذلك في توصية بولس « أن تقام تضرعات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس، لا سيما لأجل الملوك وجميع ذوي المناصب، لنقضي حياة مطمئنة هادئة، في كل تقوى وسكينة. إن ذلك حسن ومرضي لدى الله مخلصنا » (١ تيم ٢: ١ ـ ٦). فماذا عمل بعد الافراج عنه؟

١ ـ الرحلة إلى اسبانيا

نعرف من خلق بولس العظيم أنه لا يثنيه شيء عن عزمه. وقد كتب إلى رومة قبل أسره أنه يمرّ بهم **ليودّعوه إلى أسبانيا** (رو ١٥: ٢٤ و٢٨). فالمرجّح أنه نفّذ قصده، بعد أسره. فغادر روما إلى أسبانيا، عن طريق مرسيليا، في صيف ٦٣. حمله أيضاً على ذلك بوادر الاضطهاد النيروني للمسيحية. فبقي بولس عام ٦٤ كله في إسبانيا، في ذروة اضطهاد نيرون الذي كان ضحيته الأولى بطرس. زعيم الكنيسة.

ولدينا **وثيقتان** تشهدان بحقيقة سفر بولس إلى أسبانيا.

الأولى رسالة البابا اكليمنضوس الروماني إلى أهل كورنثس، في أواخر القرن الأول. فنعرف من خليفة بطرس الثاني أن بطرس استشهد في رومة. وفي بولس يقول: « **سبع مرات أسر بسلاسل**، وطُرد، ورُجم. فكان المنادي في الشرق والغرب. ونال المجد الرفيع لإيمانه... فإنه بعد أن وصل إلى **أطراف الغرب** (وهي أسبانيا)، وشهد أمام السلطات، ترك العالم، ومضى إلى مكان القدس، مثالاً سامياً على الدوام للصبر المسيحي » (اكليمنضوس الروماني. الأولى ٥: ٦ ـ ٧). تلك نبذة تاريخية تؤكد عن شاهد عيان، وخليفة مسؤول، سفر بولس على أسبانيا، « أطراف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الغرب »، حيث لا يهود يلاحقونه، ولا « نصارى » يضايقونه، ولا جند رومانيون يوقفونه.

تجدر الإشارة إلى « الأسر سبع مرات » في سيرة بولس.

والوثيقة التاريخية الثانية هي قانون موراتوري الذي يسجل السنّة الرومانية المتواترة. فهو يقول بأن لوقا لم يذكر في سفر الأعمال استشهاد بطرس، ولا سفر بولس إلى أسبانيا، لأنه لم يشاهد كلا الحدثين مشاهدة عيان. فالحادثان وقعا. وكان سفر بولس إلى أسبانيا، مدة استشهاد بطرس في رومة، وهذه شهادة على أن استشهاد بطرس وقع عام ٦٤ في أوائل اضطهاد نيرون، لا في أواخر عام ٦٧ مع استشهاد بولس.

وهناك **قرائن أخرى**، من تدوين الإنجيل. نعرف أن مرقس، ترجمان بطرس، قد دوّن الإنجيل، بحسب تعليم بطرس، وعلى حياته؛ لأن لوقا الذي استخدمه كتب الإنجيل بحسب تعليم بولس، قبل سفر الأعمال الذي فرغ منه قبل الافراج عن بولس. وهذان الإنجيلان والأعمال كُتبت في هذا الزمن، وإنْ حالَ اضطهاد المسيحيين، ثم ثورة اليهود على الرومان، دون نشرها في هذا العقد الخطير، فذاعت في العقد اللاحق. وبولس، من أسره الأول برومة، يرسل مرقس مع وفد تيخيكس، ورسالة توصية (أفس ٦: ٢١؛ كول ٤: ١٠) إلى المشرق للنظر في أزمة الغنوص. ونرى بولس أيضاً، الذي حنق على مرقس في مطلع رحلته الثانية، ولم يقبله معه (أع ١٥: ٣٩)، يطلب إلى تيموتاوس، في أسره الثاني برومة عام ٦٦ ـ ٦٧، أن « استصحب مرقس وأقدم به، فإنه ينفعني للخدمة » (٢ تيم ٤: ١١). **فحاجة بولس إلى مرقس في الأوساط الرومانية** تدل بوضوح على تدوين الإنجيل بحسب مرقس، في رومة، قبل استشهاد بطرس؛ وعلى نفوذ كاتبه مرقس في الأوساط الرومانية. وما نفوذ مرقس، وهو شخصية ثانوية بين جماعة الرسل، لولا شهرة إنجيله في الأوساط الرومانية. فقد رجع **التعاون بين بولس ومرقس** (٢ تيم ٤: ١١)، قبل وبعد استشهاد بطرس، وقد أصبح بولس من بعده **زعيم الدعوة المسيحية في الإمبراطورية**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الرومانية، من إسبانيا إلى الأناضول أي المشرق. وهذا الدور سيكون سبب توقيفه من جديد، عند اندلاع الثورة اليهودية.

٢ ـ المرور بكريت ـ رسامة تيطس راعيا لها

بعد استشهاد بطرس عام ٦٤، وقد هدأ الاضطهاد، رجع بولس إلى المشرق تحميه رعويته الرومانية، **وإعلان الولاء للدولة** (١ تيم ٢: ١ ـ ٦) كان ذلك نحو العام ٦٥. **فقضى سنتين في المشرق**، بعد غياب طويل عنه، شجّع التحديات للمسيحية فيه، فحمل بولس وحده مسؤولية المسيحية والكنيسة. وأخذ كالراعي الصالح ينظم الكنيسة التي أسسها بنفسه لينقلها من **العهد الرسولي إلى العهد الكنسي**. ونشعر في الرسائل الراعوية الثلاث أن هذا كان هم بولس الأكبر، وجهاده الأخير.

لقد انتهى **عهد الفتح**، « في كل ناحية، من أورشليم إلى ايليريكون، قد أتممت الدعوة بإنجيل المسيح » (رو ١٥: ١٩). وجاء **عهد التنظيم** في الكنيسة، والسهر على « حفظ وديعة الإيمان »، وصحة الإنجيل والسنة الرسولية، بإقامة خلفاء للرسول في سلطانه، قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى الذي استبسل في سبيله؛ « فإني أرغب في الانطلاق لأكون مع المسيح ـ وهذا هو الأفضل بكثير ـ بيد أن التلبث بالجسد هو أشد لزوماً من أجلكم » (فيل ١: ٢٣). فقام عهد الراعي الصالح، « الشيخ » (فيلمون ٢٢) الذي ناءَت عليه الأيام بكلكلها.

عند رجوع بولس من « أقصى الغرب » ـ وهو في نظر الأقدمين البلد القائم على شاطئ « بحر الظلمات »، الأطلنطيك، اسبانيا ـ مرّ بولس **بجزيرة كريت** وأسس فيها المسيحية. ثم رسم عليها أسقفاً راعياً لها، تلميذه القوي الشكيمة تيطس، وقد وافاه إليها، فتركه فيها يتم تنظيمها ـ كما نرى في رسالة بولس إليه.

٣ ـ الرجوع إلى أفسس، ورسامة تيموتاوس أسقفاً راعياً لها

رجع بولس أخيراً إلى أفسس، عاصمة آسيا الرومانية، يستطلع منها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أحوال الكنائس كلها في آسيا الصغرى. وبما أنه يعتبر أفسس عاصمة المواصلات الثقافية والتجارة ما بين المغرب والمشرق، رأى أن يخلفه على رأسها أسقفٌ راع لها، وفيٌّ له. وقد تم ذلك « على أثر نبؤة » بحق تيموتاوس كما جرى لبولس نفسه (أع ١٣: ١ ــ ٣). فرُسم أسقفاً راعياً « بوضع أيدي بولس » (٢ تيم ١: ٦ ــ ٧)، و« وضع أيدي مجلس الكهنة » (١ تيم ٤: ١٤).

وسلّم بولس الراعي الجديد الاشراف على أفسس وسائر الولاية، بالنيابة عنه. وانطلق إلى مقدونية: « لقد طلبت إليك، وأنا منطلق إلى مقدونية، أن تقيم في أفسس، لتوعز... وتقيم أساقفة وشمامسة » (١ تيم ١: ٤) وكان هذا السلطان يقتصر على الرسل وحدهم، فتسلمه منهم أعوانهم ونوابهم.

لكن هل توغل بولس ــ وهو في أفسس ــ إلى كولوسي، كما وعد الوجيه فيها فيليمون: « أعدّ لي منزلاً، فإن لي رجاء أني سأردّ إليكم بصلواتكم » (٢٢)؛ لا نعلم؛ لكن ليس من عادة بولس أن يعد ولا يفي.

٤ ــ **بولس في مقدونية:** الرسالتان إلى تيطس وتيموتاوس

أبحر بولس إلى مقدونية. وفيها زار كنائسه الحبيبة، وتوقف ولا شك في فيلبي يشكر أهلها على تبرعهم له في أسره. وعوّل على الاشتاء عام ٦٥ في الشمال ببلدة نيكوبولس، مدينة النصر، حيث المكان الذي انتصر فيه اغسطس على انطونيوس.

من مقدونية كتب بولس إلى تيموتاوس **الرسالة الأولى**. ونشعر أنها « وصية » بولس للأسقف الجديد المسؤول عن الكنيسة بعد الرسول « لحفظ وديعة الإيمان » (١ تيم ٦: ١٤ و٢٠) « وإقامة أساقفة وشمامسة » (١ تيم ١: ٤).

ومن مقدونية أيضاً كتب **رسالة مماثلة إلى تيطس**، في كريت، في الظروف عينها والموضوع نفسه. وفيها يقول له أيضاً؛ « متى أرسلت إليك أرتماس أو تيخيكس، بادر في المجيء إليّ، إلى نيكوبولس، فإني قد عزمت أن أشتو هناك » (٣: ١٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لا شك أن بولس عمل زيارة أخيرة إلى **أخائية وكورنثس** في خريف عام ٦٥، قبل أن يشتو في نيكوبولس، قرب فيلبي الحبيبة، عام ٦٥ ـ ٦٦.

٥ ـ جولة بولس الرسولية الأخيرة، قبل توقيفه للاستشهاد

نرى أخبارها في **رسالة بولس الثانية إلى تيموتاوس**، من سجنه برومة: « أجتهد أن تقدم إليّ عاجلاً. فإن ديماس قد تركني لحبه الدهر الحاضر، وانطلق إلى تسالونيكية. وكرسكيس انطلق إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماتية. ومعي لوقا وحده. فاستصحب مرقس وأقدم به فإنه ينفعني للخدمة. أما تيخيكس فقد بعثته إلى أفسس » (٢ تيم ٤: ٩ ـ ١٢). وعلى طريق نقله أسيراً إلى رومة، « إرستس بقي في كورنثس. أما تروفيمس فقد تركته مريضاً في ميليتس » (٢ تيم ٤: ٢٠). « أحضر معك عند مجيئك الرداء الذي تركته في ترواس عند كربس؛ وكذلك الكتب؛ ولا سيّما صحف الرق » ـ التوراة (٢ تيم ٤: ١٣).

فيظهر أن بولس انتقل في صيف ٦٦ إلى ولاية آسيا الرومانية، ومرّ بترواس حتى أفسس، يترقب منها أخبار الثورة اليهودية على الرومان، والزحف الروماني على فلسطين وأورشليم لضرب الحصار عليها.

٦ ـ توقيف بولس الأخير عام ٦٧

بسبب الثورة اليهودية، أخذ الجند الروماني في الإمبراطورية يطلب ويوقف الشخصيات اليهودية. فتجدّد الاضطهاد النيروني للمسيحية. فكان لا بدّ من توقيف زعيمها بولس، بسبب قوميته الإسرائيلية. لهذين السببين، أوقف بولس من جديد، ربما في أفسس (٢ تيم ١: ١٥ ـ ١٨) وربما في ترواس حيث ترك رداءَه وكتبه (٢ تيم ٤: ١٣). كان ذلك عام ٦٧، وفي الصيف، لأنه يكتب إلى تيموتاوس، في أسره الثاني برومة: « اجتهد أن تجيء قبل الشتاء » (٢ تيم ٤: ٢١).

وهكذا في رحلته الأخيرة، وفي طريقه إلى السجن برومة، وزّع بولس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أعوانه وأنصاره على الكنائس يرعونهــا في غيابه. فلم يصل معه إلى رومة ســوى « لوقــا وحده »، وقد شفع فيه جنسيته الأنطاكية وطبه. أما تيطس الذي اســتدعاه مــن كريــت إلــى نيكوبولس، ورافقه في رحلته الأخيرة، ثم في أسره الثاني إلى رومة، فقد أوفده إلــى دلماتيــة، مفضّلاً المسيحيين على نفسه.

بولس يكتب **الرسالة الثانية إلى تيموتاوس** من أسره برومة، في صيف ٦٧، ليحضر قبل الشتاء. فهل لحقه حيّاً؟ لا يظهر، لأن بولس استشهد في آخر حزيران عام ٦٧.

٧ ــ الأسر الأخير برومة والاستشهاد عام ٦٧

في الرسالة الثانية إلى تيموتاوس، نرى بولس في **أسر أقسى من الأول** (٢ تــيم ١: ٨ و١٢؛ ٢: ٩). لقد أهمله الجميع، ما عدا لوقا الطبيب الحبيب (٢ تيم ١: ١٥ ــ ٢٧؛ ٤: ١١)، **خوفاً من بطش السلطان**، وكان اضطهاد نيرون للمسيحية قد تجدّد بشدة، مع الثورة اليهودية؛ لا إهمالاً لبولس، كما يحب أن يزعم بعضهم.

في **التحقيق** معه، « في دفاعي الأول، لم يحضر معي أحد! بل تركني الجميــع ــ لا حاسبهم الله. بيد أن الرب وقف معي وقواني لتكمل بي الدعوة، وتبلغ إلى مســامع الأمميــين كلها. وأنقذت من فم الأسد » (٢ تيم ٤: ١٦ ــ ١٧).

لكن بعض الرومانيين، وقد مضى الاستجواب بسلام، اتصوا ببولس، وهــو يــذكرهم: « يسلم عليك إفبولس وبوذيوس ولينس وكلوذية والأخوة أجمعون » (٢ تيم ٤: ٢١). ولينوس هو خليفة بطرس الأول على الكرسي الروماني فربما كانت مساعدته لبطــرس، ثــم لبــولس، سبب اختياره للخلافة.

وبات بولس ينتظر صدور الحكم عليه. في هذه الأثناء كتــب الرســالة الثانيــة إلــى تيموتاوس، « الابن الحبيب »، يستدعيه إليه في أيامه الأخيرة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

(٢ تيم ٤: ٩ ـ ١٦) فكانت الرسالة **وصية بولس الأخيرة**، ونشيد العقاب قبل مصرعه.

لقد رأى أنه لا بدّ من الإعدام والاستشهاد: « أما أنا فقد أُرقت سكيباً! ووقت انحلالي قد حضر! لقد جاهدت الجهاد الجميل، وأتممت شوطي، وحفظت الإيمان! إنما يبقى لي اكليل البرّ المحفوظ لي، الذي سيجزيني به، في ذلك اليوم، الرب، الديان العادل » (٢ تيم ٤: ٦ ـ ٨). بولس يفرح في الاستشهاد، لأن ديانه، رب العالمين وملك يوم الدين، هو « الرب يسوع » الذي يستشهد في سبيله!

جاءَ « يوم الرب » بولس في ٢٩ حزيران سنة ٦٧، على أصح تاريخ، كما نقل أوسابيوس في (تاريخ الكنيسة) عن السُنّة المتواترة، التي تبلورت في عيد استشهاد الرسولين بطرس وبولس.

استشهد بولس بحدّ السيف، لأنه مواطن روماني؛ بينما صُلب بطرس، ورأسه إلى أسفل، لأنه من القومية اليهودية.

فمات بولس موت الرسول الأعظم، بعد المسيح!

وهكذا استشهد البطل المسيحي الأكبر، بعد المسيح!

●

ثالثاً: الرسائل الراعوية ـ ميزاتها العامة

١ـ اسمها. أولُ من أطلق عليها اسم « الرسائل الراعوية » كان العالم أنطوان في محاضراته سنة ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧. وهو اسم مطابق لها كل المطابقة، كما هو متواتر عنها في تفاسير العلماء منذ الآباء. فالرسائل الثلاث إلى تيموتاوس وتيطس تؤلف **وحدة بيانية وموضوعية**، مثل الرسائل الكلامية الأربع، ومثل الرسائل الصوفية الثلاث.

٢ ـ موضوعها. إنها « **قانون الإدارة الكنسية** » الذي وضعه بولس، سواءٌ بمكاتيبه أو أحاديثه لخليفتيه. فتلك الرسائل الراعوية الثلاث، وحدها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بين أسفار العهد الجديد، تفصّل شروط انتخاب الأساقفة والكهنة والشمامسة. فهي مثل « **دليل الإدارة** » يسلمه بولس إلى الأسقفين الجديدين، نائبيه من بعده على كنائسه. وبولس نفسه يسمي تلك الرسائل « وصية » (١ تيم ٦: ١٤) سُجّلت فيها أحكامه مثل « **دستور السلطة الدينية في الكنيسة** ».

٣ ــ **أسلوبها**. لذلك جاءَ أسلوبها خاصّاً يتميّز عن سائر الرسائل. فبولس يكتبها كمكاتيب على سجيته، أو أحاديث خاصة لمعاونيه. فلم يتصنّع لها تصنّع الأديب المتكلّم أو الصوفي، كما في المجموعتين السابقتين. فأسلوبها أقرب إلى **أسلوب المكتوب** منه إلى أسلوب الرسالة. لكنها مثل « المكاتيب المفتوحة » التي تقصد عبر صاحبها غيره أيضاً. وكان الأسلوب قد اشتهر منذ أبوكرات إلى أبيقور إلى بلوترخ، خصوصاً في العهد الإمبراطوري الروماني الذي عاش فيه بولس. فهي إذن رسائل « راعوية » للرعية كلها باسم راعيها، أكثر مما هي رسائل شخصية.

٤ ــ **ظاهرتان متقابلتان فيها**، الاقتباس القمراني في التنظيم، واللغة الهلنستية. وهما شهادتان على صحتها، كما سنرى، لا شبهتان عليها. يرى بعضهم أن هذه الرسائل الراعوية **قريبة في توجيهاتها من مخطوطات قمران** وفي « قانون ناظر المحلة » (وثيقة دمشق) للجماعة نفسها. فهي تطلب من « المكبّر » أن يحب جماعته « مثل أب أبناءَه، وأن يحمل مصائبهم كما يفعل الراعي مع رعيته » (١٣: ٩). ولا ضير في ذلك إذا اتخذت الجماعات المسيحية جماعة قمران الرهبانية قدوة حسنة لها في التنظيم الداخلي. فهذا يرينا بولس دائماً أقرب إلى البيئة الإسرائيلية منه إلى الهلنستية، حتى في « قانون الإدراة الكنسية » كما في الرسائل الراعوية؛ كما كان أقرب إلى الكتاب وعلم الكلام العبراني (فيلون) في الرسائل الكلامية فالصوفية، إن توجيهات تلك الرسائل في التنظيم والتعليم قائمة ما بين التنظيم القمراني و« التهذيب » الأخلاقي الهلنستي. فهنا أيضاً استخدام في التعبير، لا اقتباس في التفكير.

٥ ــ **لغتها**. ظاهرة اللغة تقابل ظاهرة الموضوع، فتنفي الشبهة على الصحة. يرى العارفون أن لغة الرسائل الراعوية **يونانية خالصة في تعابيرها الهلنستية**

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مثل « الحياة على مقتضى التعقل والعدل والتقوى » (تيطس ٢: ١٢). وهذا قسطاس أخلاقي هلنستي. كلمة « التقوى » ترد عشر مرات في الرسائل الراعوية، ولا ترد في غيرها على الإطلاق. لقد أمست المسيحية « سر التقوى » (١ تيم ٣: ١٦)؛ وشريعتها « أن يعاملوا أهل بيتهم بالتقوى » (١ تيم ٥: ٤)؛ وصوفيتها « أنْ يحيوا بالتقوى ». كذلك تركيز ظهور المسيح على لغة « **التجلّي** » الهلنستية (تيطس ٢: ١٣؛ ١ تيم ١: ١٠؛ ٤: ١ و٨؛ ٦: ١٤). كذلك أيضاً تسمية الله « المخلص »، « العظيم والسعيد وحده » و« محبته للبشر » في « تجديد الكل »، فكلها تعابير هلنستية تشير إلى عقليتها. وهي تدل **على يد هلنستية كتبتها**، غير الأيدي التي كتبت سائر الرسائل. فكأننا نرى فيها « **تغريق** » الإنجيل، أو « **هَلنَستَه** » أكثر من غيرها. كان الإنجيل « حكمة »، فصار « السر »، وأمسى « سر التقوى ».

كلاّ، ليس من « تغريق » فيها سوى **لغتها الجديدة**. فتفكيرها لم يزل تفكير سائر الرسائل، وموضوعاتها تكرار لموضوعات العقيدة والأخلاقية التي في سائر الرسائل. وهذا الامتزاج بين الكلام الكتابي واللغة الهلنستية قد سبق بولس في الترجمة السبعينية، مثل « رأس الحكمة تقوى الله »، وفي الكلام الفيلوني. فليس في « تغريق » اللغة من شبهة على صحة الرسائل الراعوية. إنما لغتها الجديدة دليل على كاتب جديد استخدمه بولس، غير الكتبة الأولين الذين وزّعهم على الكنائس مثل سلوانس وأبفراس وتيموتاوس وتيطس الذين لطول صحبتهم لبولس كانوا قد تشربوا تفكيره وتعبيره. فالظاهر أن بولس استعان في الرسائل الراعوية بكاتب جديد لغته محض هلنستية.

٦ ـ **كاتب الرسائل الراعوية الثلاث:** نجهله. وهناك اليوم نظريتان في التعرّف عليه، بعضهم يقول: إنه لوقا نفسه؛ وبعضهم يجعله اكليمنضوس الروماني.

فالعلامة سبْيك يرى أن **لوقا** كاتب الإنجيل هو أيضاً كاتب هذه الرسائل خصوصاً الثانية إلى تيموتاوس. نعرف أن لوقا، مدة إقامة بولس في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كورنثس ثم في أفسس، فضّل الإقامة في منطقة فيلبي للدعوة وبسبب مهنته كطبيب. ولما مـرّ بولس بفيلبي صاعداً إلى أورشليم اصطحبه فكان رفيقه في الأسر بفلسطين ثم برومـة. ولمـا رجع إلى المشرق واستقر في منطقة فيلبي العزيزة على بولس ولوقا معاً، استكتبه الرسالة إلى تيموتاوس والرسالة إلى تيطس. ونعرف من الثانية إلى تيموتاوس أن « معي لوقا وحده » في الأسر الثاني برومة (٢ تيم ٤: ١١)، « وقد تركني الجميع » (٢ تيم ٤: ١٦) **فهـذه إشـارة لطيفة تاريخية إلى كاتب الرسالة**. يؤيد ذلك أن الرسالة تسمي ظهور المسيح « تجليّاً »؛ وهذا التعبير لا يوجد إلاّ في الرسائل الراعوية الثلاث، وفي الإنجيل بحسب لوقـا (١: ٧٧ ـ ٧٨). وتلك الرسائل تسمي أيضاً مجيء المسيح التاريخي، مثل رجوعه لليوم الآخر، « تجليّاً ». فهذا التعبير الفريد المتواتر في الإنجيل بحسب لوقا وفي الرسائل الراعوية **دليل لغوي** على وحـدة الكاتب، لوقا. وهناك **دليل كلامي** على وحدة الكاتب، لوقا، إن الرسائل الراعوية وحدها تصف المسيح بلقب « المخلص[١] » (تيطس ١: ٤؛ ٢: ٣؛ ٣: ٦؛ ٢ تيم ١: ١٠)؛ وهو اللقـب الـذي يطلقه الإنجيل بحسب لوقا وحده على يسوع (٢: ١١)؛ فهذان الدليلان اللغوي والكلامي، مـع الإشارة الصريحة إلى مرافقة لوقا لبولس في الأسرين، برهان كافٍ على أن لوقـا الهلنسـتي المولد والثقافة هو كاتب الرسائل الراعوية؛ ولذلك تمتاز بتعابيرها ولغتها عن سواها.

لكن العلامة (سرفو[٢]) يجد قربى لفظية وموضوعية بين الرسائل الراعويـة ورسـالة اكلمنضوس الروماني. وحدها الرسالة إلى تيموتاوس تسـمي بـولس « الداعيـة... ومعلـم الأمميين » (١ تيم ٢: ٧). وهذان هما اللقبان اللذان يصف بهما اكليمنضوس بولس. ورسـالة اكليمنضوس تهتم مثل الرسائل الراعوية بتنظيم السلطة الكنسية وخلافة الرسل. فهذان الدليلان اللغوي والموضوعي ألا يشيران بأن الشماس اكليمنضوس الروماني هـو **واضـع الرسـائل الراعوية**، من التعليمات التي أعطاها بولس إلى تيموتاوس وتيطس،

---

(١) متى يستخدم الفعل « يخلص » في تفسير اسم « يسوع » (١: ٢١).
(2) L. Cerfaux : L'Itinéraire spirituel de S. Paul, p. 185.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وذلك للوقف بوجه التحديات التعليمية والتنظيمية التي نشبت في المسيحية بعد العهد الرسولي؛ وعند جمع رسائل بولس ونشرها في كتاب واحد للمرة الأولى ما بين الأعـوام (٧٠ ـ ٨٠)، ألحقوا تلك الرسائل الراعوية بالمجموعة البولسية لأن تراثها من بولس، وإنْ كان حرفها مـن غيره.

ونحن، من قصة الكاتب للرسائل الراعوية، في منزلة بين المنزلتين. إن **التـراث مـن بولس، والحرف من غيره**. وتراث بولس من مكاتيب إلى نائبيه تيموتاوس وتيطس كتبه لوقا؛ وأحاديثه في تنظيم الكنيسة والدعوة سجلهما مع المكاتيب التلميذان نفسهما تيطس وتيموتـاوس عند إصدار رسائل بولس. ونعلم أن ثقافة لوقا وتيموتاوس وتيطس هلنسـتية محضـة. لـذلك تختلف لغة الرسائل الراعوية عن غيرها.

ونرى أن صاحب الرأي بنسبتها إلى اكليمنضوس الروماني جعل النتيجة محل العلـة. فرسالة اكليمنضوس التي تشيد « بالرجال الرسوليين » الذين أعـانوا الرسـل علـى توطيـد الإيمان، تقتفي آثار الرسائل الراعوية وتنسج على منوالها بسبب وحدة الموضوع الذي تسـنده إلى مصدره. **وخير شاهد** على الصحة الزمانية الشخصية للرسائل الراعوية هو خطاب بولس إلى كهنة أفسس في وداعهم (أع ٢٠: ١٧ ـ ٣٥)؛ وهو أيضاً مكتوب بولس إلى فيليمون.

فالـروح، في تلك الرسـائل، روح بولس؛ والشخصية التي تملي هي شخصية بولس « الشيخ » بلا مراء. لكن كاتبيها وجامعيها غير كتبة بولس السابقين. فـالتمييز بـين **صـحة التراث وصحة الحرف** يقضي على الشبهات على صحتها. إنها من تراث بولس المحفوظ فـي مدرسته عند نوابه وخلفائه.

●

رابعاً: صحة الرسائل الراعوية، ما بين صحة الحرف وصحة التراث

لم يقم قديماً من شبهة على صحتها، إلاّ عند بعض الخوارج، مثـل مرقيـون، لـردّ سلطان الكنيسة المسند إليهـا، في سبيل الإلهـام الشخصي في العقيدة. والعقيدة المسيحية هي « وديعة الإيمان » الذي لا يتبدل، بالاجماع المتواتر عن المسيح والسنة الرسولية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن صحة الرسائل الراعوية ــ صحة التراث أكثر من صحة الحرف ــ قائمة في السنة المسيحية، بالإجماع المتواتر عن العهد الرسولي: يشهد بذلك أعلامها في القرن الثاني مثل قانون موراتوري الذي هو قانون الكنيسة الرومانية، والآباء ايريناوس الانطاكي في ليون، وترتليانس في أفريقيا، واكليمنضوس الاسكندري في مصر. وفي القرن الثالث جميع الآباء. ويذكر العلامة أوريجين[1] أن بعضهم ــ يقصد مرقيون وباسيليذس وجماعتهما ــ شكوا في نسبة الأولى إلى بولس. مع أن الرسالة الأولى إلى تيموتاوس، والرسالة إلى الفيليبيين، كانتا أكثر الرسائل الواردة في استشهادات واقتباسات القرون الأولى الثلاثة. وفي القرن الرابع يذكر أفسابيوس القيصري، في (تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣) أن الرسائل الراعوية من الكتب المقدسة « التي لا خلاف عليها ». ودام الحال إلى عصرنا.

وفي القرن التاسع عشر، في موجة الإلحاد والردّة، **طعن بعضهم في صحتها**، بسبب لغتها الهلنستية المتميزة عن سائر الرسائل؛ وبسبب « تغريق » تفكيرها أكثر من سواها؛ وبسبب موضوعها في تنظيم الكنيسة المحلية تحت أسقف واحد؛ وفي الحفاظ على « وديعة الإيمان » تجاه « الهرطقات » الطالعة؛ وبسبب ظروفها التاريخية التي لا تتلاءَم مع سفر الأعمال ولا مع سائر رسائل بولس. لكن تلك **الشبهات الخمس** لا تمنع كثيرين من العلماء مع أهل الإيمان من اعتبار صحتها قائمة. وفي التمييز بين صحة التراث وصحة الحرف للرد على تلك الشبهات.

١ ــ لقد رأينا أن **ظروفها التاريخية** تتخطى سفر الأعمال وسائر رسائل بول. فهي تمثل دعوة بولس وجهاده وتنظيمه للكنيسة ما بين الأسرين في رومة. فهي كما يسميها افسابيوس[2] « تكملة » لرسائل بولس. ومعلوماتها التاريخية وحديثها الشخصي (١ تيم ١: ٣؛ تيطس ١: ٥؛ ٣: ١٢؛ ٢ تيم ١: ١٦ ــ ١٨؛ ٢: ٩؛ ٤: ٩ ــ ٢١) دلائل واضحة على ذلك، وهي تحمل **طابع شخصية بولس** التي يستحيل انتحالها.

---

(١) قابل مجموعة اليونان ك ١٣ ص ١٧٦٩.
(٢) تاريخ الكنيسة ك ٦ ف ٢٥ ع ٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ــ قيل: إن تطور التنظيم الكنسي إلى **وحدة الكنيسة** في الكنيسة المحلية، كما يظهر على الرسائل الراعوية، لا نجده إلاّ في رسائل اغناطيوس الانطاكي في مطلع القرن الثــاني. وفاتهم أن الرسائل الراعوية لا تميّز بين الأساقفة والكهنة، فهي تذكر التعبيــرين متــرادفين. ويظهر أن الكنيسة المحلية يقودها « مجلس الأساقفة والكهنة » بزعامة أحــدهم، كمــا نــرى تنظيماً مماثلاً في مخطوطات قمران من قبل الحرب السبعينية اليهودية.

إن وظيفة « المكبّر » في قمران ومجلس إدارة رهبانيتها مثل دور « الأسقف » الأول في « مجلس الأساقفة والكهنة » في الكنائس الرسولية[1] لذلك يرد اسم « الأسقف » فيها مفرداً بينما تعبير « الكهنة ــ الشيوخ » يأتي بصيغة الجمع. وظهور الأسقف الفرد فيها ليس شــبهة على صحتها، لأن الغموض لا يزال يكتنف حقيقة وظيفة الأســاقفة والكهنــة والتمييــز بــين الفريقين.

وهذا الاقتباس عن قمران في التنظيم برهان الصحة التاريخية. ومن البديهي أن يســلم بولس سلطانه إلى نوابه وأعوانه على « مجلس الأساقفة والكهنة » في الكنائس؛ فتظهــر فــي مغرب حياة بولس سلطة الأسقف الواحد على الكنيسة المحلية.

٣ ــ قيل: إن تعبير « **الهرطقة** » و« **الهرطوقيين** » يظهر فيهــا لأول مــرة؛ وهــو اصطلاح من بعد العهد الرسولي. أجل أن التعبير جديد فيها، لكن **تعليم بــولس فــي البدعــة ليس بدْعــاً فيها**. ورسائله تطورت في ردّ التحدي على أهــل الحكمة وأهل الغنوص وأهــل « التقوى »؛ فهو بالمرصاد لكل مبتدع بحق المسيحية سواء مــن الــداخل أم مــن الخــارج. وحملته المتواصلة على النصارى من بني إسرائيل، « الأخوة الكاذبين » الــذين « يحرفــون إنجيل المسيح » برهان على ذلك. وبولس، بعد استشهاد الرسل أو تشتيتهم، كان لا بدّ له مــن التركيز، في آخر حياته، على « حفظ وديعة الإيمان » و« السنة الرسولية » (١ تــيم ٦: ٢٠؛ ٢ تيم ١: ١٤؛ ٣: ١٤)،

---

(1) D.B.S. art. Pastorales, fas. 26, Année 1961, p. 61.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تجـاه كل تعليم « هرطـوقي » (١ تيم ١: ٣ ــ ٧؛ ٤: ١ ــ ٥؛ ٦: ٢ ــ ١٠؛ تـيطس ١: ١٠ ــ ١٦؛ ٢ تيم ٢: ١٤ ــ ١٨؛ ٣: ١ ــ ٩؛ ٤: ٣ ــ ٥). لكـن بولس اسـتخدام تعبـير « **هرطوقي** » على حرفه، فذهب من بعده اصطلاحاً كلامياً متـواتراً. ونجـد فـي الرسـائل الراعوية إشارات إلى مواضيع رسائله السابقة، مختومة بختم بولس الذي لا يقلّـد. وإذا كـان **التعليم الإداري والأخلاقي** فيها غالباً على الكلامي والصوفي، فإنما هـو المقصـود فيهـا، لا المحمول عليها. إن التعليمات والتنظيمات التي يمليها الرسول « الشيخ ». وإنْ غـاب عنهـا موضوع « دعوة الصليب » وموضوع « دعوة البرّ »، فإنهما موضوعا جدل، لا موضـوعا حديث مع تلميذ.

٤ ــ قيل: إن **لغة الرسائل الراعوية الثلاث اغريقية خالصة**. وهـذه هـي **الشـبهة الكبرى** على صحتها. لقد عدّ العلماء كلماتها فوجدوها (٩٠٢) **منها نحو الثلـث** أي (٣٠٥) لا وجود لها في سائر رسائله. ومنها نحو (١٧٥) لفظاً لا وجود لها فـي سـائر أسـفار العهـد الجديد[١]. هذا صحيح، لكن بولس استخدم من قبل ثلثي تلك الألفاظ في تعـابير مشـتقة منهـا؛ ونجد نحو مئتين منها مأخوذة من السبعينية التي كان يحفظها بولس بحرفها، كما نتحقق ذلـك من وصف المسيح بأوصاف الحكمة الأزلية التي ترد على لسانه بحسب حرفها اليونـاني فـي السبعينية. وسائر التعابير الأخرى كانت شائعة في البيئة الهلنستية على زمن بولس.

قيل: ليس بين تلك الأفراد المتميزة عن سائر الرسائل سوى **تسعة تعابير** مشتركة بين الرسائل الراعوية الثلاث؛ فينتج عن ذلك إنها لثلاثة مؤلفين مختلفين. لكن فـاتهم أن الوحـدة الإنشائية والموضوعية تجمعها. وسر تأليفها من مكاتيب وأحاديث لبولس مـع نائبيـه يفسـر ظاهرتها اللغوية.

فإنشاء الرسائل الراعوية ذو جمل أطول عادةً من سائر الرسائل، وهـو هـادئ، لا ينفجر كما في سائر الرسائل. أجل إنه إنشاء الرسول

---

(١) قابل مخطوطات قمران:
Manuel de discipline, 6:12; Document de Damas, 16:1-18; 7:6.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

« الشيخ » الذي لا يصارع أخصامه، بل يبث نجواه إلى أخصائه في عفوية اللغة والإنشاء. وإلى جانب التعابير الجديدة الكثيرة، فهناك **الثلثان** من لغة بولس الدائمة.

ويمتاز انشاؤها عن غيرها أيضاً في الأسلوب: فهو مجموعة أحكام لجميع الفئات، كما في رسائل حكام ذلك الزمان.

والبرهان الأكبر على الشبهة اللغوية هو **صحة الحديث الشخصي** فيها، وأحياناً في مسائل خاصة ببولس وتلميذيه، ممّا لا يقوى عليه مقلّد. إن بولس يحدث فيها أخصاءَه لا كنائسه، والفرق بين المخاطبين يجر الفرق في اللغة والإنشاء والأسلوب.

والفرق في اللغة والإنشاء عن سائر الرسائل ناجم أيضاً عن المواضيع المختلفة؛ وعن الروح التنظيمية التي تشربها بولس من إقامته برومة؛ وعن فارق السن ما بين الكهل المصارع، و« الشيخ » الأسير؛ ومن اختلاف الكاتب.

فليس في البرهان اللغوي من شبهة قاضية على صحتها، كما زعم بعضهم، والتمييز بين صحة التراث وصحة الحرف كما بيّناه يقضي على الشبهة. فالتراث من بولس، والحرف من الكاتب والجامع لحديثه في تنظيم الكنائس.

٥ ــ قيل: إن **ظاهرة** « **التغريق** » في التفكير والتعبير، كما وصفناها، تميّز الرسائل الراعوية عن الأخرى، وتشهد بعدم صحتها؛ يؤيد ذلك الأجواء الجديدة البادية عليها. فبعض تعاليم بولس المتواترة ليست فيها؛ وتظهر فيها تعابير جديدة لا عهد لنا بها في الرسائل السابقة.

ولكن نعرف أن بولس وهو كهل يجاهد على كل الجبهات لم يكتب رسائله بنفسه بل استخدم لها كتبة مختلفين؛ فكم بالحري وهو « شيخ » و« أسير »! لذلك فإن ظاهرة « التغريق » في التعبير والتفكير هي من فعل الكاتب. إن الفكر فكر بولس، لكن الإنشاء إنشاء الكاتب الجديد، خصوصاً إذا كان لوقا، على سجيته الهلنستية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أما « التغريق » الحق فهو في أبعادها الجديدة، **وتقديم الإنجيل بأسلوب الهلنستية:** لقد صار « سر التقوى »، والسلوك المسيحي يجب أن يكون « على مقتضى التعقّل والعدل والتقوى »، (تيطس ٢: ١٢) أي بحسب العقلية الهلنستية. أجل هذا واقع، لكنه ليس بتحريف. إنه « **تغريق** » **الإنجيل** و« **تهلين** » **الدعوة المسيحية**، بحسب مبدإ بولس: « صرت كلاً للكل لأربح الكل ». وقد انغرست المسيحية في البيئة الهلنستية فلا بدّ لها من أن تلبس أسلوب عقليتها. فإن المسيحية مبنية على مبدإ التجسد، وتجسّد الوحي في ثقافة البيئة. ففي مدى خمس وعشرين سنة تمّ تلقيح الهلنستية بالمسيحية، فافتتحت الرسائل الراعوية عهد **المسيحية الهلينية** التي ستحدّد العقيدة والشريعة في المجامع المسكونية، بحسب تفكيرها وتعبيرها، مع الاعتماد المطلق على الكتاب والسنة الرسولية.

وهذا ما نجده في الرسائل الراعوية، من **تفصيل الإنجيل بأسلوب الهلنستية**، ممّا جعلها تختلف في أسلوبها عن أسلوب الرسائل الكلامية الذي يستخدم فيه بولس أسلوب الكتاب والكلام الإسرائيلي، كما اختلفت هذه عن الرسائل الصوفية التي يستخدم فيها بولس لغة الغنوص. ففي البيئة الهلنستية الرومانية يجب عرض الإنجيل بأسلوبها بمخاطبة الأقوام على قدر عقولهم. إنه **انسجام واستخدام، لا اقتباس أو تلفيق**. والعبرة بالروح، لا بالحرف والأسلوب.

فبحسب مبدإ الانسجام والاستخدام، ما بين الإيمان المسيحي والأسلوب الهلنستي، أظهر بولس في غروب حياته **أخلاقية الإنجيل** بتعابير « التعقل والعدل والتقوى »؛ فالمسيحي يجب أن يكون متمسكاً بالإيمان والضمير الصالح » (١تيم ١: ١٩)، « خلوقاً، لا ذي لسانين، يروّض نفسه على التقوى » (١ تيم ٣: ٧)، يأخذ « قليلاً من الخمر لإصلاح معدته، ويعتني بذويه لا سيّما بأهل بيته، وإلاّ أنكر الإيمان وكان شراً من كافر » (١ تيم ٥: ٦). هذا هو « **التهذيب بحسب البرّ** » (٢ تيم ٣: ١٦) هذا التعبير صورة صادقة لحقيقة الرسائل الراعوية، في موضوعها الإنجيلي وأسلوبها الهلنستي، حيث الموضوع هو « البرّ » (متى ٦: ١) والأسلوب « التهذيب » بلغة القوم. لكنه **سلوك جديد قديم معاً**، نراه في القسم الأخير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من كل رسالة؛ لكنه في الرسائل الراعوية جاء **بتعابير جديدة** منتزعة من صميم الحياة الهلنستية والعقلية الهلّينية. ونعرف أن بولس أملى مكاتيبه في الرسائل الراعوية على كاتب جديد احتفظ بتعابير البيئة أكثر من غيره. فإذا كانت اللغة ليست دائماً لغة بولس، فالإنشاء والأسلوب يحملان كلاهما سمات شخصية بولس « الشيخ » و« الأسير »، بلا مراء.

٦ ـ إن **سمات بولس** الظاهرة عليها تتحدّى الانتحال: فشطحاته الصوفية في أناشيده (١ تيم ٢: ٧؛ ٣: ١٥ ـ ١٦؛ ٢ تيم ١١ ـ ١٣) معروفة؛ والاقتداء بمثله وسنّته (١ تيم ١: ١٦) مشهور؛ وشعور بولس تجاه الموت والاستشهاد، العامر بالفرح والسكينة (٢ تيم ١: ٤ و١٢؛ ٢: ١٠ و١٣؛ ٤: ٦ ـ ٨) ليس بجديد؛ والغيرة على سلطانه الرسولي (١ تيم ١: ١٥) متواتر في رسائله كلها؛ وذكره لسيرته اليهودية الظالمة، وهدايته إلى المسيحية المنقذة (٢ تيم ١: ٥؛ ٣: ١١؛ ٣: ١٤ ـ ١٨) معهود عنده؛ ومن يعرف حنان قلب بولس الجبار، يشعر بأن عطفه في هذه الرسائل الشخصية على « الابن الحقيقي في الإيمان » (١ تيم ١: ٢ و١٨؛ ٥: ٢٣؛ ٢ تيم ١: ٢) أصيل لا غش فيه؛ ومَن يشك في أسلوب التهكم اللاذع الذي به يردع « الهراطقة » الجدد؟ ومن يشك في لهجة الصدق عند المجاهد الأكبر (١ تيم ٦: ١٢؛ ٢ تيم ١: ٨ و١٢؛ ٢: ٩؛ ٤: ٧)؟ ومن يماري في صحة التنظيم القمراني الذي يشرعه بولس للكنائس التي أسسها؟ إن تعليماته لتيموتاوس وتيطس في تنظيم الكنيسة، والسهر على صحة الإيمان، والتحذير من أهل الفتنة والبدعة، هي توصياته لأساقفة وكهنة أفسس يوم وداعهم (أع ٢٠: ٢٨ ـ ٣٢) وهناك ظاهرة اجتماعية تدل على صحة الرسائل الراعوية: إن تعليماته بشأن سلوك المرأة في المجتمع المسيحي والديني هي تعليمات تلمودية تجعل وظيفة المرأة محصورة على البيت، محجوبة عن العالم الخارجي، تتميّز بمظهرها وسلوكها عن المرأة الهلنستية المتحرّرة. فلو كانت هذه الرسائل الراعوية من غير بولس، بل من تلميذ هلنستي، لمَا طغت عليها التحفظات التلمودية. وهناك أيضاً ظاهرة دينية تدل على صحتها: إنها أسلوب الأناشيد الدينية المقتبس عن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المدرسة التلمودية في « الهُدايوت ». وهذه ظاهرة تلمودية أكثر ممّا هي هلسنتيّة، ممّا يؤيد صحة اقتباسها أو تأليفها لبولس نفسه. ومجمل القول إن سمات بولس الظاهرة على الرسائل الراعوية هي عينها التي رأيناها عنده في الرسائل الكلامية، والرسائل الصوفية؛ مع التطور البدهي في المواقف المختلفة من أهل الحكمة، وأهل الغنوص، وأهل البيئة الهلنستية.

٧ ـ أخيراً يؤيد الصحة شخصية بولس « الشيخ » الأسير التي تتجلّى فيها

إن بولس في أسره يعتبر نفسه « **شيخاً** » (فيلمون ١٩). وشخصية « الشيخ » (الأسير) هي التي تتجلى في الرسائل الراعوية.

تتجلى شخصية بولس في المكتوب إلى فيلمون، كما في مكتوب الشكر إلى أهل كولوسي على تبرّعهم له في أسره (كول ٤: ١٠ ـ ٢٠). وهذه المقارنة بين المكتوبين دليل على الصحة.

والإنشاء الهادئ القدسي، والأسلوب العملي في التعليم والتنظيم، دليل أيضاً على شخصية « الشيخ » الأسير الذي يشعر بدنو أجله.

وتأتي الرسائل بأسلوب مكاتيب مجموعة أكثر منه بأسلوب رسالة. فيجري الحديث على سجينه، عفو الخاطر، بحسب الموضوع، بلا « تأليف محكم »، ولا « كلام متكلّم ». إنه أسلوب « الشيخ » الأسير الذي يخاطب « ابنه الحقيقي في الإيمان » (١ تيم ١: ٢) « تيموتاوس الابن الحبيب » (٢ تيم ١: ٢)، ويسلمه « وصيته » (١ تيم ٦: ١٤) ليعمل بها.

ونرى في الرسائل الراعوية أن **همّ بولس الأخير** كان السهر على « وديعة الإيمان » و« التعليم الصحيح » بحسب « صيغة الإيمان المعهودة »؛ والحرص الشديد على تنظيم الكنيسة، وعلى إقامة سلطة أسقفية رسولية تخلفه. وهذا هو العمل الحكيم عند مؤسس عظيم، كما نعهد بولس، وهو يشعر بدنو أجله.

وهناك صفة تلازم بولس حتى النهاية: **حرصه على المطالعة** في الكتاب القدسي، وكتب علم الكلام والحكمة. فهو يحرص على استحضار تلك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الكتب من الشرق إلى الغرب، في أسره، وعلى عتبة الاستشهاد: « أحضر معك عند مجيئك الرداء الذي تركته في ترواس عند كربس، وكذلك الكتب ولا سيما صحف الرق » أي الكتاب القدسي (٢ تيم ٤: ١٣). ما أروع صورة هذا « الشيخ » الأسير الذي لا يفقده سجنه حب المطالعة! وقد اجتهد أن يعوّد تلميذه تيموتاوس على هذه العادة الحميدة: « واظب إلى حين مجيئي **على المطالعة** والإرشاد والتعليم » (١ تيم ٤: ١٣). إن حب المطالعة عند علاّمة ينزل الوحي عليه قدوة حسنة لكل كاهن وأسقف عبر الزمان والمكان.

لذلك ما عدّوه دلائل على انتحال الرسائل، نراه برهاناً على صحتها، لأنها بحسب اسمها، « الرسائل الراعوية »، يظهر فيها بولس **الراعي الصالح** و« **الشيخ** » **الأسير** الذي يترك « وصية » لخليفته، وللرعية نفسها بشخصه.

وهذه الشخصية تظهر أيضاً من صفات التعليم فيها.

●

خامساً: صفات التعليم في الرسائل الراعوية

إن التعليم فيها له صفات خاصة، نوجزها في **سبع ظواهر**:

١ ــ **الظاهرة الأولى** هي **التجميع** بين تعاليم الرسائل السابقة. ففي فاتحة الرسالة إلى تيطس (١: ١ ــ ٣) نرى تجميع تعليم الرسائل الكلامية في الدعوة الإنجيلية، إلى تعاليم « السر » في الرسائل الصوفية. وقد بدأ الأسلوب في خاتمة الرسالة الرومانية (١٦: ٢٥ ــ ٢٧). ونجد تجميع الدعوة لليوم الآخر والدعوة للخلاص في قوله: « فنحيا في الدهر الحاضر على مقتضى التعقل والعدل والتقوى (ظاهرة الرسائل الراعوية)، في انتظار الرجاء السعيد وتجلّي مجد إلهنا العظيم، ومخلصنا المسيح يسوع (ظاهرة الرسائل الصوفية)، الذي بذل نفسه لأجلنا ليحررنا من كل اثم ويطهّر لنفسه شعباً خاصاً (ظاهرة الرسائل الكلامية)، غيوراً على الأعمال الصالحة » (تيطس ٢: ١٢ ــ ١٣). ونشاهد تجميع التبرير بالنعمة وأعمال الإيمان الصالحة مكرّراً فيها (تيطس ٢: ١٤؛ ٣: ٤ ــ ٨؛ ٢ تيم ١: ٩ ــ ١١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ــ **الظاهرة الثانية** هي **التأليف** بين التعاليم السابقة، في الرسائل الراعوية، كان الصراع على البر بالإيمان من دون أعمال الشريعة، فتطور إلى أعمال الإنسان من حيث هو إنسان. فظهر في الراعوية أن أعمال الإيمان هي أيضاً من البر: « بذلك نفسه لأجلنا ليحررنا من كل إثم، ويطهّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً على الأعمال الصالحة » (تيطس ٢: ١٤)، « فذكرهم ليكونوا متأهبين لكل عمل صالح » (تيطس ٣: ٨)، وتطور نسخ الشريعة بالإنجيل، إلى التأليف بينهما، شرط تفسير الشريعة بالإنجيل: « ونحن نعلم أن الشريعة حسنة، إذا ما استُعملت بوجه شرعي. مع العلم بأن الشريعة لم تُسنّ للبار، بل للأئمة... وأي شيء آخر يخالف التعليم القويم على مقتضى إنجيل مجد الله السعيد، الذي اؤتمنت أنا عليه » (١ تيم ١: ٨ ــ ١١). ونرى في الرسائل الراعوية تقييماً للعهد القديم نفسه: « إنك منذ نعومة أظفارك تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تصيّرك حكيماً، لأجل الخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع. إن الكتاب كله قد أوحى به الله، وهو مفيد للتعليم والحجاج والتقويم والتهذيب بحسب البر » (٢ تيم ٣: ١٥ ــ ١٦). تلك هي الشهادة الرسولية بوحي الكتاب كله، ومنفعته في تعليم المسيحية نفسها. فالتأليف بين الكتاب والإنجيل يتقدم على المفاضلة بين الإنجيل والشريعة في التبرير.

٣ ــ **الظاهرة الثالثة** هي **التجميع والتأليف** بين الإنجيل والهلنستية في التفكير والتعبير. فالرسائل الراعوية تجمع وتؤلف بين الدعوة الكتابية لليوم الآخر، وبين الدعوة الهلنستية للخلاص (تيطس ٢: ١٣ ــ ١٢). فيأخذ فيها الله والمسيح نفسه صفة « المخلص » الشائعة في البيئة الهلنستية (تيطس ٢: ١٠ و١٣؛ ٣: ٦). والعقيدة المسيحية صارت « سر التقوى » (١ تيم ٣: ١٦) بتعبير مسيحي هلنستي. والسلوك المسيحي صار « على مقتضى التعقل والعدل والتقوى » (تيطس ٢: ١٢) حيث يجتمع ويتآلف التعبير الكتابي مع الهلنستي. وخير مثال هو استخدام أساليب الهلنستية للدعوة المسيحية، « البرّ »: فالكتاب القدسي نفسه « مفيد للتعليم والحجاج والتقويم والتهذيب بحسب البرّ » (٢ تيم ٣: ١٦). إن « التهذيب هو قانون الأخلاقية الهلنستية؛ لكنه يجب أن يكون « بحسب البرّ » المسيحي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ففي الرسائل الراعوية تمّ « تهلين » المسيحية، لكن على غير انحـراف. فاسـتخدام أسـاليب الهلنستية للدعوة الإنجيلية في بيئتها هو الحكمة عينها، وهو استخدام لا تلفيق ولا اقتباس.

٤ ـ الظاهرة الرابعة هي **تطوير التعليم** من النظريات إلى العمليات.

كان بولس يركز على الفضائل الإلهية، الإيمان والرجاء والمحبة. فشمل في الراعوية الفضائل الأدبية التي لا يصح أن يخلو منهـا « تهذيب »: « أما أنت، يا رجـل الله، فـاهرب من ذلك (حب المال، أصل كل الشرور)؛ اقتف العدل والتقوى والإيمـان والمحبـة والصـبر والوداعة » (١ تيم ٦: ١١). كان بولس يوجز المسيحية في « البرّ »؛ فجمع بـين « البـرّ » وبين « التقوى » بين التعبير الكتابي والتعبير الهلنستي. كذلك « سر الإيمان » صـار « سـر التقوى » في النشيد الأخير (١ تيم ٣: ١٦). ويظهر التركيز على التعبيـر الهلنسـتي، مثـال الحكمة: **الحقيقة**؛ فصارت « كنيسة الله الحي عمود الحقيقة وقاعدتها » (١ تـيم ٣: ١٥). لا نغفل أن كل رسالة من بولس تنتهي بتوجيهات عملية؛ إنما في الرسـائل الراعويـة تقتصـر الرسالة على التوجيهات العملية، فصار الإنجيل عقيدة حياة في البيئة الهلنستية.

٥ ـ الظاهرة الخامسة هي **تطوير الكلام إلى التعليم** في شؤون الحياة اليومية.

كان هذا الأسلوب قائماً عند بولس المتكلم العملي؛ لكنه في الراعويات هـو الأسـلوب الشامل. هكذا ليس فيها من أبحاث في فضل الإنجيل على الشريعة أو الحكمة أو الغنـوص! أو في « جسد المسيح »، أو في « سر » الكنيسة، أو بالحياة « في المسيح ». بل تقتصر الـدعوة على إرشادات عملية، في التعليم والتنظيم. فلا تقوم الحياة المسيحية فقط، كما كان يُظـن مـن الرسائل السابقة، على الاستغراق في « سر المسيح »، وعلى استحضـار حضـور الله فينـا، وعلى البطولة في الآلام مع المسيح حتى الاستشهاد بقوة الروح القدس الذي يقوينا. إن الحيـاة المسيحية هي أيضاً **الحياة العملية اليومية**، مع ما تقتضيه من فضائل مسيحية عادية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٦ ــ **الظاهرة السادسة** هي تقريب « النسر » بتعليمه العملي من سائر الرسل.

في الرسائل الراعوية ينزل بولس من قمة نظرياته الكلامية والصوفية إلى العمل في الشؤون الحياتية التي تؤمن مصير الكنيسة في العالم الهلنستي، فتقرب بولس من تعليم سائر الرسل: « فأنت، يا ابني، تشدّد في النعمة التي في المسيح يسوع. وما سمعته مني لدى شهود كثيرين، استودعه أنت أناساً أمناء، كفاة لأن يعلموا الآخرين » (٢ تيم ٢: ٢). ويأتي التحريض على التمسك بالكتاب والسنة الرسولية: « أمّا أنت فاستمر على ما تعلمته وأيقنت به، عارفاً ممّن تعلمته، وأنك منذ نعومة أظفارك تعرف الكتب المقدسة » (٢ تيم ٣: ١٤). لقد نزل بولس إلى مسرح الحياة.

٧ ــ **الظاهرة السابعة هي التركيز على التعليم والتنظيم معاً.**

تلك هي الظاهرة البادية على الرسائل الراعوية. موضوعها الأول تنظيم الكنيسة. لكن هذا التنظيم مبني على التعليم المسيحي الموروث عن السيد المسيح وسُنّة رسله. فهم بولس الأكبر، في غروب حياته، أن يجعل معاونيه خلفاء له في سلطانه، فيقيم تيموتاوس وتيطس وسواهما نواباً له على الكنائس؛ ويكتب إلى تيموتاوس وتيطس أنه جعلهما من الرعاة « لإقامة أساقفة وشمامسة في كل كنيسة » (تيطس ١: ٥ ــ ٧؛ ١ تيم ٣: ١ ــ ١٠). ثم يشرع لكل فئات المجتمع المسيحي واجباته العملية. فيتناغم التنظيم والتعليم.

تلك صفات التعليم في الرسائل الراعوية. إنها **الناحية العملية** من الرسائل الكلامية والصوفية. وتفصيل الإنجيل بحسب بولس واحد فيها جميعاً، وإنْ أتى **بلغة جديدة** في الرسائل الراعوية. فهي تدل على أنه تم استيطان المسيحية في البيئة الهلنستية وقام فيها « **تهلين** » المسيحية، مع أصالتها الدائمة.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث أول

الرسالة الأولى إلى تيموتاوس

توطئة: الرسالة « وصية » رسولية (١: ١٨؛ ٦: ١٤).

تظهر الرسالة الأولى إلى تيموتاوس « **وصية** » لـه، « ليعرف كيف ينبغي أن يتصرف في بيت الله » (٣: ١٤)، عشية رسامته « أسقفاً » أي ناظراً لكنيسة أفسس، ليتسلّم رعايتها نيابة عن المعلّم الرسول. وفيها صورة العقيدة والمنهاج في الجهاد: « احفظ الوديعة » (٦: ٢٠).

باب أول: تمهيد للرسالة الأولى إلى تيموتاوس

أولاً: من هو تيموتاوس؟

كان من لسترة، ابن أب وثني وأم يهودية، اسمها « افنيكي »، بنت أم تقية فاضلة (٢ تيم ١: ٥؛ ٣: ١٥). كسب بولس العائلة للمسيح، في رحلته الأولى مع برنابا، حيث نجحت الدعوة نجاحاً باهراً حمل أهل البلدة على عبادة برنابا وبولس (أع ١٤: ٨ ــ ٢٠)؛ وإن انتهى الأمر، بمؤآمرة اليهود، إلى رجم بولس، خطيب الدعوة. وفي الرحلة الثانية، مرّ بولس بلسترة، فاصطحب تيموتاوس معاوناً له، على حداثة سنه، بناءً على شهادة الأنبياء ومجلس الكهنة بحقه (أع ١٦: ١ ــ ٣). فأخذه وختنه « بيده » من أجل اليهود في تلك النواحي « لأن الجميع كانوا يعرفون أن أباه هليني » (أع ١٦: ٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومنذئذ انقطع تيموتاوس للدعوة الإنجيلية، في خدمة بولس، حتى استشهاده. فنراه يرافقه في الرحلة الثانية كلها في الأناضول ومقدونية وأخائية، إلى كورنثس حيث أقاما نحو سنتين. ومنها نرى بولس يبعث تيموتاوس في سفارة أولى إلى تسالونيكية (١ تس ٢: ١٨). فنجح في مهمته على حداثة سنه. وبعد رجوعه بالأخبار الطيبة، مع مشكل العقيدة في اليوم الآخر ورجعة الرب المسيح، كتب بولس رسالته الأولى إلى التسالونيكيين باسمه واسم تيموتاوس (١: ١)؛ ووضع اسم تيموتاوس إلى جنب اسم بولس شرف له، واعتراف باشتراكه في هدايتهم، ودليل على أنه كاتب الرسالة، كما يحدث في غيرها. فكان **تيموتاوس أول كتبة في رسائله** (١ تس ٢ تس، ٢ كو؛ كول؛ فيل؛ فيلمون).

ثم نراه في معية بولس في رحلته الثالثة، حيث أقاما نحو ثلاث سنوات في أفسس. ومن هناك يبعثه بولس في سفارة ثانية إلى مقدونية (أع ١٣: ٢٢)، وسفارة ثالثة إلى كورنثس (١ كو ١٦: ١٠)، وربما رابعة (١ كو ٤: ١٧). لكنه في سفارته إلى كورنثس فشل ورجع مهيناً (١ كو ١٦: ١٠) حيث نجح تيطس.

ويذكره بولس في الرسالة إلى الرومانيين « معاوناً له »، لكن كاتب الرسالة كان ترسيوس (رو ١٦: ٢٠ ـ ٢٢).

ونراه إلى جنب بولس في أسره، آخر عهده في أفسس (فيل ١: ١؛ ٢: ١٩ ـ ٢٣)؛ وصحب بولس إلى أورشليم، ومدة أسره الطويل في قيصرية فلسطين ثم في الرحلة الخطيرة إلى رومة، وفي رومة مدة الأسر سنتين (أع ٢٧ ـ ٢٨). ويذكره بولس في عنوان الرسالة إلى أهل كولوسي (١: ١) وإلى فيلمون.

وبعد الافراج عن بولس، رجع إلى الشرق، فمر في كريت ورسم تيطس أسقفاً عليها، خليفة له. وأتى إلى أفسس، موطن دعوته المفضل. وقبل مغادرتها، وبناءً على نبوة من الأنبياء ومجلس الكهنة في أفسس (١ تيم ٤: ١٤)، رسم بولس **تيموتاوس أسقفاً** على أفسس (١ تيم ١: ٣)، مع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اشراف على آسيا الرومانية كلها، **خليفة له**، كما يرشح من الشهادة بحقــه (١ تــيم ٦: ١٢)، وذلك بوضع أيدي بولس (٢ تيم ١: ٦ ــ ٧) وأيدي مجلس الأساقفة والكهنة (١ تيم ٤: ١٤).

ومضى بولس إلى مقدونية. ومن هناك بعث **برسالته الأولى إلى تيموتاوس**، الأســقف الجديد (١ تيم ١: ٣). ويسميها « وصية » له (١ تيم ٦: ١٤)، ويحدّد له مهمة أسقفيته، بإقامة الأساقفة والشمامسة (١ تيم ٣: ١ ــ ١٣). ونشعر من تلك « الوصية » أنها « قــانون الإدارة في الرعية » للأسقف الجديد، خليفة بولس. وكتب نظيرها، للمناسبة ذاتها، إلــى تــيطس فــي كريت. والرسالتان من مقدونية، في زمن واحد، عام ٦٥.

أخيراً أُوقف بولس للمرة الثانية، وسيق إلى رومة، وكان أسره شديداً هذه المرة. ومــا أحس بالخاتمة المحتومة (٢ تيم ٤: ٦ ــ ٨) حتى كتب إلى تيموتاوس يستدعيه على عجل (٢ تيم ٤: ٩)، ليكون الابن الحبيب قرب أبيه حين استشهاده. فكانت هذه **الرســالة الثانيــة إلــى تيموتاوس « وصية بولس الأخيرة »**.

لا ندري هل حضر تيموتاوس استشهاد معلمه العظيم. لكنه رجع إلى أفسس، مع تركة بولس « الرداء والكتب وصحف الرق » (٢ تيم ٤: ١٣)، إلى الكنيسة التي رسمه بولس عليها خليفة له. **فورث سلطان بولس ورسائله وكتبه**.

وقد نقل فوتيوس عن الأقدمين أن تيموتاوس قد استشهد بأفسس فــي أواخــر القــرن الأول، ربما حين نفي يوحنا الرسول إلى جزيرة بطمس. وقد كان رئيس كنائس آســيا علــى حياة يوحنا الرسول فيها الذي اكتفى بالإشراف العام على توجيه الدعوة المسيحية، كما تشــهد رسائل سفر الرؤيا.

فاستدعاء بولس لتيموتاوس، لحضوره في أيامه الأخيرة، دليل على تفضيل الرسول له على سائر معاونيه، لإخلاصه لمعلمه ومحبته البنوية له. ونرى مــن الأعمــال والرســائل أن تيموتاوس أخلص لبولس حتى النهاية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وكان بولس يقدره كثيراً، ويسميه « الابن الحقيقي » (٢ تيم ١: ٢)، « الابن الحبيب » (٢ تيم ١: ٢)، « الابن الحقيقي في الإيمان » (١ تيم ١: ٢)؛ ويقول فيه: « أما أنت فقد تتبعتني في تعليمي وسيرتي ومشاريعي وفي إيماني وحلمي ومحبتي وصبري، وفي الاضطهادات والآلام التي انتابتني في أنطاكية وايقونية ولسترة »، مسقط رأسه (٢ تيم ٣: ١٠).

لكن دماثه أخلاق تيموتاوس جعلت تيطس أبرز شخصية منه، خصوصاً في فتنة كورنثس. مع ذلك فقد جعله بولس **خليفة له على كنائس آسيا**. فترأسها بحضور يوحنا الرسول، بعد خراب أورشليم عام ٧٠؛ كما ترأس لينوس، خليفة بطرس، كنيسة رومة، مدة أسر بولس الثاني فيها عام ٥٧.

ويكفي تيموتاوس فخراً قول بولس فيه: « ليس لي أحد آخر غيره نظير نفسي » (فيل ٢: ١٠).

۞ ۞ ۞

ثانياً: مناسبة الرسالة

إن الرسالة الأولى إلى تيموتاوس هي « وصية » بولس له (١: ١٨؛ ٦: ١٤) لرعاية الكنيسة التي أقامه عليها أسقفاً، « حتى إذا ما أبطأت، تعرف أن **تتصرف في بيت الله**، الذي هو كنيسة الله الحي » (٣: ١٤) فهي « القانون الإداري » لرعاية كنيسة مسيحية، نيابة عن الرسول: « لقد طلبت إليك وأنا منطلق إلى مقدونية أن تقيم في أفسس » (١ تيم ١: ٣) ـــ فالشرط الأساسي للرعاية هو الإقامة في الرعية ـــ وذلك « لتوعز لبعض أناس أن لا يأتوا بتعليم غريب » (١: ٣): فعمل الراعي الصالح الأول هو **السهر على صحة التعليم**، « تلك هي الوصية التي استودعك إياها، يا ولدي تيموتاوس » (١: ١٨؛ ١: ٢٥؛ ٤: ١١).

والعمل الثاني للأسقف هو **إقامة الصلاة**: « فاسأل قبل كل شيء أن تُقام صلوات وتضرعات... » (٢: ١). ومن حسن الصلاة الشعبية تنظيمها (٢: ٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والعمل الثالث للأسقف هو **إقامة رعاة معاونين** مع الراعي المسؤول الأول، وتنظيم السلطة في الكنيسة: « وما أصدق هذا القول: إن مَن يرغب في الأسقفية يبتغي عملاً نبيلاً: ومن ثم يجب أن يكون الأسقف بغير شبهة... وكذلك فليكن الشمامسة... » (٣: ١ و٨).

والعمل الرابع للأسقف هو **حسن الإدارة** والمعاملة الحسنى، مع الأفراد والجماعات في كنيسته (٥: ١ ـ ٢؛ ٥: ٣ و١١ و١٧؛ ٦: ١).

فوظيفة الأسقف الراعي هي التعليم الصحيح، وإقامة الصلاة لتقديس المؤمنين وخلاص الناس أجمعين، وإدارة الرعية أفراداً وجماعات، وخصوصاً إقامة أساقفة وكهنة وشمامسة في الكنيسة، وتنظيم أعمالهم لصالح الجماعة. تلك هي « وصية » بولس لتيموتاوس الأسقف الجديد والراعي بالنيابة عن بولس الرسول.

ويظهر أن سيامة تيموتاوس أسقفاً راعياً على أفسس قد تمت في أفسس مدة زيارة بولس لها بعد أسره الأول. فبولس يكتب إليه **بمناسبة تسلّمه السلطة الراعوية**، « على حسب النبوءات التي سبقت بشأنك، لكي تتجنّد على مقتضاها التجنّد الحميد » (١: ١٨). فانتخاب تيموتاوس راعياً لأفسس تم بناءً على نبوءة من الأنبياء في مجلس الكهنة والمعلمين في أفسس نفسها. وكانت الرسامة بوضع أيدي الكهنة الأساقفة على رأسه: « لا تهمل **الموهبة** التي فيك، التي أوتيتها عن طريقة **البنوة**، بوضع أيدي مجلس الكهنة » (٤: ١٤) مع وضع أيدي بولس (٢ تيم ١: ٦ ـ ٧). وحينئذ أبرز صورة إيمانه، شريطة رسامته، وفاتحة رعايته: « لقد اعترفت بالإيمان الاعتراف الجميل، أمام شهود كثيرين » (٦: ١٤). فكل هذه الأوصاف والأوضاع دلائل على أن سيامة تيموتاوس الأسقفية للرعاية قد تمت وقت استلامه رعاية أفسس، لا من قبل.

فمن الواضح أن مناسبة الرسالة الأولى إلى تيموتاوس كانت « وصية » رسولية له، بعد رسامته أسقفاً راعياً لأفسس؛ فهو « **القانون الإداري** » لرعاية كنيسة مسيحية.

۞ ۞ ۞

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً: زمانها ومكانها وموضوعها

ممّا سبق، يظهر أن **زمان** الرسالة كان بعد زيادة أفسس، من بعد الأسر الأول ورسامة تيموتاوس أسقفاً راعياً عليها. كتبها على الأرجح عام ٦٥.

وكتبها له « **من مقدونية** » (١: ٣) حالاً بعد الرسامة الأسقفية واستلام الرعوية، « لتعرف كيف تتصرف في بيت الله، الذي هو كنيسة الله الحي، عمود الحقيقة وقاعدتها » (١: ١٥).

فهي « وصية » رسولية، للأسقف الراعي الجديد، فيها « **القانون الإداري** » لرعاية الكنيسة: في التعليم الصحيح، وتقديس المؤمنين بالصلاة وما فيها من أسرار، وإدارة الرعية، مع مهمة خاصة لإقامة أساقفة وكهنة وشمامسة معاونين. هذا هو موضوعها. وبهذه المناسبة يشير بولس إلى **بدء الانحرافات والهرطقات** التي نجمت مدة غياب الرسول المسؤول خمس سنوات في الأسر (١ تيم ١: ٣ ــ ٧؛ ٤: ١ ــ ٥؛ ٦: ٢ ــ ١٠؛ تيطس ١: ١٠ ــ ١٦؛ ٢ تيم ٢: ١٤ ــ ١٨؛ ٣: ١ ــ ٩؛ ٤: ٣ ــ ٥ وكان بولس قد أنبأهم بها وحذّرهم من وقوعها، في وداعه لهم قبل أسره (أع ٢٠: ٢٨ ــ ٣٢).

فالرسالة هي « قانون الإدارة » في الكنيسة، كما يظهر من التحليل الآتي.

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل الرسالة

مطلع: العنوان، « من بولس إلى الابن الحقيقي في الإيمان » (١: ١ ــ ٢).

قسم أول: الجهاد في سبيل التعليم الصحيح (ف ١).

١ ــ ردع المعلمين المنحرفين، خصوصاً أهل الشريعة (١: ٣ ــ ٧).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ــ الشريعة سُنّت للخاطئين، وقد تخطاها الإنجيل (١: ٨ ــ ١١).

٣ ــ التعليم الصحيح هو تعليم بولس، الأمين على الإنجيل (١: ١٢ ــ ١٦).

ختام: حمدلة توحيدية (١: ١٧).

تخلّص: الحفاظ على الإيمان بتحريم المعلمين المنحرفين (١: ١٨ ــ ٢٠).

قسم ثان: تنظيم المجتمع المسيحي (ف ٢ ــ ٤).

١ ــ **تنظيم الصلاة** (ف ٢) ــ الكنيسة ذات عبادة واحدة.

١) واجب الصلاة الجمهورية ــ والصلاة لأجل الدولة (٢: ١ ــ ٧).

٢) كيفية صلاة الرجال: في كل مكان، بلا نزاع (٢: ٨).

٣) كيفية صلاة النساء: بالحشمة والصمت في الكنيسة (٢: ٩ ــ ١٥).

٢ ــ **تنظيم الكهنوت** (ف ٣) ــ الكنيسة ذات سلطة واحدة.

١) الشروط لرسامة الأسقف أو الكاهن الصالح (٣: ١ ــ ٧).

٢) الشروط لرسامة الشماس المختبر (٣: ٨ ــ ١٣).

٣) سلوك تيموتاوس قدوة للقادة (٣: ١٣ ــ ١٦).

٣ ــ **تنظيم التعليم** (ف ٤) ــ الكنيسة ذات عقيدة واحدة.

١) الحذر من معلمي آخر زمان في الزواج والطعام (٤: ١ ــ ٥).

٢) المواظبة على « التقوى » بعيداً عن الخرافات (٤: ٦ ــ ١١).

٣) كن مثلاً للمعلمين، بالمواظبة على المطالعة والإرشاد (٤: ١٢ ــ ١٦).

قسم ثالث: السلوك في إدارة الرعية (ف ٥ ــ ٦).

١ ــ السلوك مع المؤمنين إجمالاً: المساواة كما في عائلة واحدة (٥: ١ ــ ٢).

٢ ــ السلوك مع فئات المؤمنين.

١) مع الأرامل (٥: ٣ ــ ١٦).

٢) مع الكهنة (٥: ١٧ ــ ٢٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣) بين العبيد وسادتهم (٦: ١ ــ ٢).

٣ ــ السلوك مع المعلمين خصوصاً.

١) المعلم الحق من يعتصم بالكتاب والسنة الرسولية (٦: ٣ ــ ٥).

٢) المعلم الكاذب مَن يحتسب التقوى تجارة (٦: ٦ ــ ١٠).

٣) فكن قدوة بالجهاد الحسن للشهادة الجميلة (٦: ١١ ــ ١٢).

خاتمة أولى: « احفظ الوصية » (٦: ١٣ ــ ١٦).

ملحق: وصية خاصة للأغنياء من المسيحيين (٦: ١٧ ــ ١٩).

خاتمة ثانية: « احفظ الوديعة » (٦: ٢٠).

۞ ۞ ۞

باب ثالث: تعليم الرسالة

توطئة: الرسالة وثيقة تاريخية على انتقال السلطة من الرسل لخلفائهم

هذه الرسالة **وثيقة تاريخية تعليمية** من العهد الرسولي ــ سواءٌ صدت عن بولس نفسه، أو جمعها تلاميذه بعده من تعليماته إليهم ــ تشهد بانتقال السلطة الرسولية إلى التابعين لهم بإحسان، وإلى خلفائهم من بعدهم الأساقفة الرعاة. نرى فيها وظيفة الأسقف الراعي على كنيسة من كنائسه؛ ومهمته الأولى السهر على « التعليم » الصحيح بحفظ « الوصية » (١ تيم ٦: ١٤) أي السنة الرسولية؛ وحفظ « الوديعة » (١ تيم ٦: ٢٠) أي كتاب الله، الإنجيل، « وديعة الإيمان » (٢ تيم ١: ١٤؛ ٣: ١٤).

أولاً: انتقال السلطة الرسولية إلى التابعين وخلفائهم

لم يعرف العالم الإغريقي الروماني من صحابة المسيح سوى بطرس والمهتدي الداعية بولس. ولم يظهر يوحنا الرسول في آسيا الرومانية إلاّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعدهما وبعد الحرب السبعينية بين اليهود والرومان. ولم تحفظ لنا بيئة من آثار رسل المسيح شيئاً إلاّ هذه البيئة. وبعد استشهاد بطرس. **ظل بولس وحده فيها المرجع الأوحد للمسيحية.**

ونرى حول بولس ثابتين إلى النهاية أعوانه الرسوليون: تيموتاوس وتيطس ولوقا ومرقس. فهم الذين تسلموا منه دفة الكنيسة من بعده. وقد جمعهم أسره الثاني واستشهاده، في رومة. لذلك ظلت صورة بولس ــ وهو لم يؤسس المسيحية في رومة، ولم يدع فيها إلاّ أسيراً ــ مساوية في الكرامة لصورة بطرس زعيم المسيحية في رومة.

وبعد انهيار العالم الإسرائيلي في الحرب السبعينية، وهدوء الاضطهاد الروماني للمسيحية بهلاك الطاغية نيرون، قامت **الفرقة الرسولية الرباعية** الأمينة على التراث الإنجيلي والبولسي، بمعاونة مجلس الأساقفة والكهنة برومة وأفسس بجمع رسائل بولس ونشر الإنجيلين اللذين كتبهما مرقس ولوقا على حياة بطرس، وعلى حياة بولس؛ مع ترجمة للإنجيل بحسب متى الذي كان يحفظه النصارى اليهود الموجه إليهم بلغتهم. وذلك في العقد الذي تلا الاضطهاد والحرب، ما بين ٧٠ ــ ٨٠. فالكتابة قبل الحرب، والنشر بعدها.

ومع هذا النشاط الأدبي، قاموا بنشاط رسولي لتنظيم الكنائس وحمايتها من الضلال، بحسب تعليمات بولس إليهم.

وهذه التعليمات الرسولية نجدها مجموعة في الرسائل الراعوية الثلاث.

لقد كانت **حالة الكنيسة العامة**، منذ صدور الأمر الإمبراطوري[1]، بتحريم المسيحية في الدولة، مهدّدة مضعضعة. ونجا بولس من الاستشهاد مع بطرس، بسفره إلى « أطراف العالم » أي أسبانيا. ولمّا تلهى الطاغية بحرب اليهود، تسلل بولس إلى كنائسه في الشرق. فمن البديهة أن يكون همه تنظيم الكنائس بتسليم سلطانه الرسولي إلى أعوانه وخلفائه من بعده، خصوصاً وقد شاهد قيام التعاليم المنحرفة، بسبب الدعايات المختلفة.

---

(١) أمر نيرون: « ممنوع وجود مسيحيين »: Non licet esse christianos

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كان بولس في كل كنيسة يؤسسها يقيم فيها مجلس كهنة أساقفة وشمامسة. والآن اقتضت الحكمة من الرسول الحكيم والمدبر العظيم أن يسعى لتسليم سلطانه الرسولي إلى معاونيه ليكونوا **نواباً عنه وخلفاء له.**

وهذا ما نراه في الرسالتين، الأولى إلى تيموتاوس، وإلى تيطس.

لقد رأينا رسامة تيموتاوس أسقفاً على أفسس وسائر ولاية آسيا، وتيطس على جزيرة كريت.

فقد ترك بولس تيطس « في كريت **لتكمّل تنظيم كل شيء**، وتقيم كهنة في كل مدينة على حسب ما رسمت لك » (١: ٥). وكذلك تيموتاوس: « لقد طلبت إليك، وأنا منطلق إلى مقدونية أن تقيم في أفسس » (١ تيم ١: ٣) لرسامة أساقفة (٣: ١ ــ ٧) وشمامسة (٣: ٨ ــ ١٣) وكهنة (٥: ١٧ ــ ٢٢): « فلا تتسرع إلى وضع يدك على أحد، لئلا تشترك في خطايا غيرك » (٥: ٢٢).

هذه النصوص تشير بتسليم السلطة الرسولية إلى تيموتاوس وتيطس، لرعاية كنيسة موكولة إلى كل منهما، **نيابة عن الرسول:** « أكتب إليك بهذا ــ مؤملاً أن أقدم إليك عاجلاً ــ حتى إذا ما أبطأت تعرف كيف ينبغي أن تتصرّف في بيت الله، الذي هو **كنيسة الله الحي، عمود الحقيقة وقاعدتها** » (١ تيم ٣: ١٤ ــ ١٥).

تعريف الكنيسة هنا، هو تفسير لتعريفها في الرسائل الصوفية: « بيت الله » (أفس ٢: ١٩). إن المسيحية هي كنيسة (جماعة، شعب) الله الحي؛ ومنها الحقيقة الكاملة. هذا تعريف جامع مانع، شامل كامل للكنيسة المسيحية، عقيدة وجماعة، في غروب حياة الرسول.

والأسقف هو راعي الكنيسة، خليفة الرسول عليها على حياته وبعد مماته. وهذه **الخلافة الرسولية** تعطيه حق التصرف في كنيسة الله. وبولس يكتب له « وصية » (١: ٥ و١٨؛ ٦: ١٤) في كيفية ذلك التصرف (٣: ١٥) ثم يفصل بولس مُهمات هذه النيابة الرسولية في الأسقفية الراعوية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فالرسالة إلى تيموتاوس ــ وإلى تيطس ــ **وثيقة رسولية تاريخية**، في انتقال السلطة الرسولية إلى الأساقفة الرعاة، وخلفائهم من بعدهم، على مثال ما جرى بين بولس ونائبيه تيموتاوس وتيطس.

۞ ۞ ۞

ثانياً: وظيفة الأسقف الراعي، خليفة الرسول في الكنيسة

إن الرسائل الراعوية تسمي رؤساء الكنائس: « **شيوخاً** » بحسب التعبير اليوناني الحرفي؛ لكن التعبير ذهب اصطلاحاً لمعنى « **الكهنة** » بحسب لغة الكتاب. وعند التمييز بين « الكهنة ــ الشيوخ »، يظهر الفارق بين أساقفة وكهنة. وكانت ترادف الرسائل بين الكهنة والأساقفة. لكن **ظاهرة في التعبير** تدل على ظاهرة في التفكير: إن الرسائل الراعوية تذكر دائماً « الكهنة ــ الشيوخ » بالجمع، و« الأسقف » بالمفرد. وهذا يعني أن السلطة رئاسية في مجلس الكهنة، والأسقف هو رئيس مجلس الكهنة.

وبتعيين تيموتاوس وتيطس رعاة بالنيابة عن بولس، يظهر **الأسقف الفرد، الراعي الأعلى للكنيسة المحلية**. وهذا ما سيظهر جليّاً في رسائل اكليمنضوس الروماني في أواخر القرن الأول، ورسائل اغناطيوس الأنطاكي في أوائل القرن الثاني.

إن بولس رسم تيموتاوس راعياً أعلى لكنيسة أفسس، وتيطس لكنيسة كريت. وهو يكتب لكل منهما « وصيته »، « حتى يعرف كيف ينبغي أن يتصرف في بيت الله » (١ تيم ٣: ١٤) فالأسقف الراعي الأعلى، وإنْ كان أسقفاً على كنيسة محلية، فهو أيضاً أسقف على « كنيسة الله الحي، عامود الحقيقة وقاعدتها » (٣: ١٥). وفي هذا التعميم **دليل على تسلسل السلطة الرسولية** إلى الأساقفة الرعاة، نواب الرسل على حياتهم، وخلفائهم بعد مماتهم.

فالأسقفية الراعوية هي إذن سلطة رسولية على كنيسة محلية، وعلى الكنيسة الجامعة أيضاً. وهذه السلطة الأسقفية الراعوية هي المسئولة الأولى عن المسيحية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهذه السلطة الأسقفية هي « **موهبة** أوتيتها بوضع أيدي مجلس الكهنة » (١ تيم ٤: ١٤)، « الموهبة التي آتاكها الله بوضع يديّ » (٢ تيم ١: ٦) فقد اشترك بولس مع مجلس الكهنة الأساقفة برسامة تيموتاوس الأسقفية. وهي **موهبة كهنوتية خاصة** من الله والمسيح والروح القدس، بواسطة الكنيسة « للتصرف في بيت الله، كنيسة الله الحي » (١ تيم ٣: ١٥). إنها سلطة لا مجرد خدمة.

لكنها سلطة للخدمة. **فهي موهبة وخدمة معاً**. إنها نعمة خاصة أو سلطان خاص، لخدمة كنيسة الله. ففي الكنيسة مواهب كثيرة، وخدم كثيرة وأعمال كثيرة، يمنحها الله الثالوث القدسي لكنيسة الله الحي (١ كو ٢: ٢: ٤ ــ ٣٠)؛ لكن الأسقفية الراعوية موهبة وخدمة وعمل خاص « للتصرف في كنيسة الله »: بدونها لا يحق لأحد أن يتصرف » في كنيسة الله.

فالسلطان الكهنوتي الأسقفي، بوجهيه الموهبة والخدمة، هو **تجنّد** للجهاد في سبيل الإيمان (١ تيم ٦: ١٢). تصرّف في الداخل، وجهاد في الخارج.

أجل، « لقد وضع الله البعض في الكنيسة أولاً مرسلين، وثانياً أنبياء، وثالثاً معلمين، وصانعي معجزات، وموهوبين للاشفاء، وناطقين بألسنة ومترجمين » (١ كو ١٢: ٢٨ ــ ٣٠)؛ « فقد جعل بعضاً مرسلين، وبعضاً إنجيليين، وبعضاً رعاة ومعلمين، منظماً هكذا القديسين لأجل عمل الخدمة، في سبيل بنيان جسد المسيح » (أفس ٤: ١١ ــ ١٢). لكن « أنتم **بناء أساسه الرسل والأنبياء**، ورأس الزاوية المسيح يسوع نفسه » (أفس ٢: ٢٠). فالنبوة في الكنيسة تأتي مباشرة من الروح القدس. أما **السلطان الرسولي فهو يتسلسل بوضع الأيدي** من الرسل إلى نوابهم وخلفائهم، كما نرى مع بولس نفسه (أع ١٣: ٣)، وبواسطته مع تيطس وتيموتاوس (١ تيم ٤: ١٤؛ ٢ تيم ١: ٦). وهذا السلطان الرسولي الأسقفي يتسلسل من الرسل لرعاية الكنيسة في جميع المواهب والخدم والأعمال، كما يظهر من وظائفهم التي تصفها الرسالة الأولى إلى تيموتاوس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وظيفتهم الأولى هي التعليم الصحيح، « على مقتضى إنجيل الله السعيد الذي ائتمن عليه » بولس (١: ١١): « فتلك هي الوصية التي استودعك إياها، يا ولدي تيموتاوس » (١: ١٨). والناحية السلبية منها هي السهر على « التعليم الغريب » (١: ٣) ومراقبة أهل البدعة: « الهرطقة » (تيطس ٣: ١٠)؛ بإنذارهم ثم الاعراض عنهم، ثم إذا لم يرعوا حرْمهم من الكنيسة، كما فعل بولس مع اثنين منهم لم يثوبا إلى الرشد (١ تيم ١: ٢٠). تلك هي **وظيفة التعليم**.

وظيفتهم الثانية هي إقامة الصلاة، وما يرافقها من عماد وقربان. والسهر على تنظيم العبادة (٢: ١ ــ ١٥). وهذه هي **وظيفة التقديس**، بالصلاة، والأسرار التي ترافقها كالعماد والقربان والتوبة، التي تشرك المسيحيين بحياة المسيح وموته وقيامته وخلوده.

وظيفتهم الثالثة هي **إدارة المؤمنين** على الإيمان الصحيح والأخلاق المسيحية، بالمعاملة معهم بالحسنى، وعند الضرورة بالتوبيخ والاغلاظ لهم، أفراداً وجماعات (٥: ١ ــ ٦: ٢)؛ وبإرشادهم إلى واجباتهم، أفراداً وجماعات، في أركان الإيمان والدين والأعمال الصالحة (٥: ١ ــ ٦: ٢).

فالتعليم والتقديس والإدارة، تلك هي وظائف الراعوية المسئولة في كنيسة الله الحي: « فإن بذلت ذلك للأخوة كنت للمسيح يسوع خادماً صالحاً، ربيب كلام الإيمان والتعليم القويم الذي تتبعته » (٤: ٩).

والأساقفة الرعاة، نواب الرسل وخلفاؤهم، يقومون بوظائف التعليم والتقديس والإدارة، **بحسب السلطة الرسولية** التي نالها بالرسامة الأسقفية ــ لا للإيمان فقط مثل العماد والميرون ــ بل لقيادة الكنيسة، « والتصرّف في بيت الله » (٣: ١٥).

بذلك فصّل بولس وصية الرب حين بعث رسله لهداية العالم: « لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم (وظيفة التعليم)؛ وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس (وظيفة التقديس)؛ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به (وظيفة القضاء

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والإدارة). وها أنا معكم كل الأيام، إلى منتهى الدهر » بواسطة خلفائكم (متى ٢٨: ١٨ ـ ٢٠). فسلطة الأساقفة الرعاة من سلطة الرسل، وسلطة الرسل من سلطة المسيح، وسلطة المسيح من سلطة الله.

۞ ۞ ۞

ثالثاً: صورة الراعي الصالح: « **رجل الله** » (١ تيم ٦: ١١)

يوجز بولس صفة الراعي الصالح بأنه « رجل الله ». هذه النسبة دليل الشخصية والوظيفة. إنه « رجل الله » يحيا لله، ويعمل لله.

فالراعي الصالح، رجل الله، « يتجند التجند الحميد، متمسكاً بالإيمان، والضمير الصالح » (١: ١٨ ـ ١٩). « فإن بسطت ذلك للأخوة كنت للمسيح يسوع **خادماً صالحاً،** ربيب كلام الإيمان والتعليم القويم الذي تتبعته » (٤: ٦). « روض نفسك على التقوى؛ فإن الرياضة البدنية منفعتها قليلة، أما التقوى فنافعة لكل شيء، إذ لها مواعيد الحياة الحاضرة، والحياة الآتية » (٤: ٥ ـ ٨).

والراعي الصالح، الخادم الصالح للمسيح، عليه أن « يواظب على المطالعة والإرشاد والتعليم » (٤: ١٣). ما أحكم هذه النصيحة: **المواظبة على المطالعة**؛ لذلك كان بولس يصحب معه في أسفاره « الكتب، لا سيما صحف الرق » أي الكتاب القدسي (٢ تيم ٤: ١٣). فواجب الراعي الصالح أن يواظب على المطالعة، ليقدر أن يواظب على الإرشاد والتعليم.

والأسقف، رجل الله، يتأمل دائماً في موهبة الكهنوت: « لا تهمل الموهبة التي فيك... تأمل في ذلك، وكن عليه عاكفاً، لكي يكون تقدمك واضحاً للجميع » (٤: ١٤ ـ ١٥). على الراعي ان يكون مثالاً للرعية في التقدم بالإيمان والصلاح.

والراعي الصالح عليه أن يستمر في التعليم: « انتبه لنفسك ولتعليمك، وواظب على ذلك: فإنك إنْ فعلت تخلص نفسك والذين يسمعونك » (٤: ١٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والراعي الصالح « لا يحتسب التقوى تجارة » (٦: ٥)، « لأن حب المال أصل كل الشرور » (٦: ١٠). « وأنت، يا **رجل الله**، فاهرب من ذلك! اقتفِ العدل والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة » (٦: ١١).

وقد يكون الراعي، خادم المسيح، فتى مثل تيموتاوس، خجولاً: « فلا يستهن أحد بفتوتك! بل كن للمؤمنين مثالاً في الكلام والسلوك والمحبة والعفاف » (٤: ١٤).

وعلى الراعي الصالح، خادم المسيح الأمين، الجهاد والمجاهدة: « جاهد الجهاد الجميل في سبيل الإيمان، تفز بالحياة الأبدية التي دعيت إليها، ومن أجلها شهدت الشهادة القويمة أمام شهود كثيرين » (٦: ١٢). كان ذلك يوم رسامته الأسقفية.

وعلى الراعي الصالح، خادم المسيح المخلص، أن يعامل الرعية بالحسنى، فإن موهبته خدمة لها: لا تقرّع شيخاً، بل عظه كأنه أبوك؛ والفتيان كأنهم أخوة؛ والعجائز كأنهم أمهات؛ والفتيات كأنهم أخوات، وبكل عفاف! أكرم الأرامل » (٥: ١ ــ ٣).

وعلى الراعي الصالح خصوصاً أن يعامل الكهنة المعاملة الأخوية الصحيحة: « إن الكهنة الذين أحسنوا التدبير، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الدعوة والتعليم... أناشدك أمام الله والمسيح يسوع، وأمام الملائكة المختارين، أن تحافظ على هذه (الوصية) بغير محاباة، ولا تعمل شيئاً عن هوى »! (٥: ١٧ و٢١).

« فلا تخجل بتأدية الشهادة لربنا، ولا بي أنا أسيره! بل اشترك في **مشاق الإنجيل**، بقوة الله، الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا نظراً لأعمالنا، بل نظراً لقصده الخاص، ونعمته التي أوتيناها في المسيح يسوع من قبل الأزمنة الأبدية » (٢ تيم ١: ٨ ــ ٩).

« فتمسك إذن بصورة **الكلام الصحيح** الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

اللذين في المسيح يسوع. **واحفظ الوديعة الكريمة** بعون الروح القدس الساكن فينا » (٢ تيم ٢: ١٣ ــ ١٤).

« فأنت إذن، يا ابني، تشدد في النعمة التي في المسيح يسوع. وما سمعته مني لدى شهود كثيرين، استودعه أناساً أمناء، كفاة لأن يعلموا الآخرين. واحتمل قسطك من المشاق **كجندي صالح للمسيح يسوع** » (٢ تيم ٢: ١ ــ ٣).

فالفضيلة والمعاملة الحسنة هما جناحا الراعي الصالح: « اهرب من شهوات الشباب! واقتفِ البر والإيمان والمحبة، والسلام مع الذين يدعون الرب بقلب طاهر... وعبد الرب يجب عليه أن لا يشاجر، بل أن يكون ذا رفق نحو الجميع، قادراً على التعليم، صبوراً، يؤدب المقاومين بحلم، عسى أن يؤتيهم الله توبة إلى معرفة الحق، ويستفيقوا من فخ إبليس الذي اصطادهم لقضاء مشيئته » (٢ تيم ٣: ٢٢ ــ ٢٦).

وصورة رجل الله يجدها تيموتاوس في بولس: « أما أنت فقد تبعتني في تعليمي وسيرتي ومشاريعي؛ وفي إيماني وحلمي ومحبتي وصبري؛ وفي الاضطهادات والآلام التي انتابتني في أنطاكية وايقونية ولسترة! وأي اضطهادات قاسيت! والرب، انقذني منها جميعاً! أجل إن جميع الذين يريدون أن يحيوا **بالتقوى في المسيح يسوع** يُضطهدون » (٢ تيم ٣: ١٠ ــ ١٢).

فالأسقف الراعي هو « رجل الله »، « الخادم الصالح للمسيح »؛ إنه « عبد الرب »، « جندي صالح للمسيح »، « يتصرف في بيت الله ». هذه الصفات تقتضي كل تلك الفضائل.

وبولس ينتدب تيموتاوس ثلاث مرات إلى أن يكون قدوة ومثالاً صالحاً: كن قدوة للقادة! (٣: ١٤ ــ ١٦)؛ كن قدوة للمعلمين! (٤: ١٢ ــ ١٦)؛ كن قدوة للمؤمنين (٦: ١١ ــ ١٢). فليس من تكرار، بل هو تطبيق على جميع الفئات ــ وقد يكون ذلك إشارة إلى أن الرسالة مجموعة مكاتيب خاصة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فتلك هي « وصية » بولس في وصف صورة الراعي الصالح، رجل الله وخادم المسيح. وهي أيضاً **دستور الأسقفية** في المسيحية. لذلك يركز بولس تعليمه على هذه « الوصية » من الفاتحة إلى الخاتمة: « فهذه الوصية إنما غايتها المحبة، عن قلب طاهر، وضمير صالح، وإيمان لا رثاء فيه »! (١ تيم ١: ٥). ويكرر: « تلك هي الوصية التي استودعك إياها، يا ولدي تيموتاوس » (١: ١٨). وفي كل نصيحة يقول: « أناشدك أمام الله والمسيح يسوع، وأمام الملائكة المختارين، أن تحافظ على هذه الوصية » (٥: ٢١). ويختم بهذا الأمر الجازم: « أوعز إليك أمام الله الذي يحيي الجميع، وأمام المسيح يسوع الذي أدّى لدى بنطيوس بيلاطس شهادته الرائعة، **أن أحفظ الوصية**، بلا عيب ولا لوم، إلى تجلّي ربنا يسوع المسيح » (٦: ١٣ ــ ١٤). ومع الوصية، « يا تيموتاوس **احفظ الوديعة** » (١ تيم ٦: ٢٠)، « وديعة الإيمان » (٢ تيم ١: ١٤؛ ٣: ١٤)

« فوديعة الإيمان » في الكتاب والإنجيل، والسنة الرسولية في « الوصية »، هما جناحا الراعي الصالح، خادم المسيح، ورجل الله.

تلك هي صورة الراعي الصالح في « وصية » بولس.

۞ ۞ ۞

رابعاً: ظهور الانحراف والهرطقة في آخر العهد الرسولي

في الرسائل الراعوية نلاحظ بدء الانحراف و« الهرطقة » يتسللان إلى المسيحية. وبولس كما حذّر من ذلك قبل أسره، في خطابه لكهنة أفسس، يحذّر الآن في رسائله إلى تلميذيه تيموتاوس وتيطس، من **خطر الردّة**: « والروح يقول صريحاً: إن بعضاً سيرتدون عن الإيمان، في الأزمنة الأخيرة (أي العهد المسيحي) ليتبعوا أرواحاً مضلة، وتعاليم شيطانية، بواسطة رثاء أناس متخرصين، ضمائرهم موسومة (بوسم إبليس): فإنهم يمنعون عن الزواج وعن أطعمة خلقها الله لكي يتناولها في شكر المؤمنون والعارفون بالحق » (١ تيم ٤: ١ ــ ٣). ستجتاز المسيحية **أياماً عصيبة**، تظهر فيها البدع: « وأعلم هذا أنها ستأتي في الأيام الأخيرة أزمنة عسيرة: فإن بين الناس مَن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

سيكونون... متكبرين مجدفين... مغلّبين حب الذات على حب الله؛ عليهم ظواهر التقوى وقد أنكروا قوتها... وكما أن ينّيس ويمبريس قاوما موسى كذلك هم أيضاً يقاومون الحق، فهم أناس آراؤهم فاسدة، ينبذهم الإيمان » (٢ تيم ٣: ١ ــ ٩).

فالمسيحية تواجه خطرين: خطر الانحراف في الإيمان أي البدعة، وخطر الردّة. وذلك بتأثير اليهودية وما يمت إليها من أسينية قمرانية، ومن « نصرانية » تزداد تشيّعاً للتوراة ولآل البيت؛ وبتأثير الغنوص الهلنستية، فهما تيار ينزع إلى الشريعة الموسوية (١ تيم ١: ٣ ــ ١١)؛ وتيار ينزع إلى الغنوص الهلنستية (٤: ١ ــ ٥)، بعيداً عن « التعليم القويم، على مقتضى إنجيل الله السعيد » (١: ١١) بحسب تفصيل بولس له (١: ١٢ ــ ١٣). في التيار الأول **انحراف عن الإنجيل**، بفهم غير مسيحي للإنجيل وعلاقته بالشريعة؛ وفي التيار الثاني « **ارتداد عن الإيمان** » بتأثير الغنوص الهلنستية. إنهما **بدعة وردّة**.

١ ــ **تيار البدعة** (١: ٣ ــ ١١) ليس هجوماً من اليهودية، أو خصومة من « النصرانية » التي تقيم التوراة والإنجيل، وتريد تهديد المسيحيين، كما في الرسائل السابقة؛ إنما هو انحراف من داخل الكنيسة، بتأثير العهد القديم الذي يقوم بتلاوته وتعليمه، على مثال بولس، « بعض أناس أرادوا أن يكونوا معلمين للشريعة، وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقرّرون » (٢: ٣ و٧) « ويتمسكون بأساطير وأنساب لا آخر لها، ممّا هو أدعى إلى إنشاء المماحكات منه إلى أهداف الله المؤسسة على الإيمان » (١: ٤). « ونحن نعلم أن **الشريعة حسنة**، إذا ما استعملت بوجه شرعي » (١: ٨)؛ « ولكن فاتهم « إن الشريعة لم تسنّ للبار، بل للأئمة والعصاة » (١: ٩). « وليس هكذا التعليم القويم على مقتضى إنجيل الله السعيد؛ الذي أؤتمنت أنا عليه » (١: ١١).

فالانحراف إلى البدعة يقوم على سوء فهم الشريعة بالإنجيل؛ وعلى سوء فهم العهد القديم، بما يخلطونه به من أساطير وأنساب. نجد الإشارة عينها في الرسالة إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

تيطس: الأساطير اليهودية (١: ١٤) والمباحثات في الشريعة (٣: ٩) وصلتها بالإنجيل.

تجاه هذا الانحراف « النصراني اليهودي » للتوراة على حساب الإنجيل، يجيب بولس بالتمسك « بالتعليم القويم على مقتضى الإنجيل » (١: ١١) كما يفصله بولس (١: ١٢) أي باستقلال الإنجيل عن الشريعة، وبالحياة المسيحية على مقتضى الإنجيل، لا بحسب الشريعة.

وهذا التعليم القويم على « مقتضى الإنجيل » **يقوم على الشهادتين** للتوحيد وللمسيحية معاً. فبولس يعلم توحيد الله بحسب العهد القديم: « لملك العالمين الذي لا يدركه فساد، ولا يُرى، **لله الأحد**، الكرامة والمجد إلى دهر الدهور آمين » (١: ١٧). وبولس يعلم **دور المسيح** في الخلاص الموعود، بحسب الإنجيل: « إن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو المسيح يسوع من حيث هو إنسان، الذي بذل نفسه فداءً عن الجميع » (١: ٥ ــ ٦). فالسيد المسيح، بشخصيته، وسيط بين الله والناس؛ وباستشهاده مخلص لهم، إذ بذل نفسه فداءً عن الجميع. وهذا التعريف بالمسيح موجز شامل كامل، جامع مانع: إنه الوسيط بذاته، المخلص برسالته واستشهاده.

ومصدر الخلاص كله هو « الله مخلصنا، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يبلغون » (٢: ٣ ــ ٤). لكن واسطة الخلاص هو المسيح: « فقد أتى إلى العالم ليخلص الخطأة، الذين أنا أولهم » (١: ١٥) هذا هو موجز الإنجيل، بحسب بولس، وعنه ينحرفون.

٢ ــ **تيار الردة** عن الإيمان (١ تيم ٤: ١)، أو بتعبير آخر ذهب اصطلاحاً: « أهل الهرطقة » (تيطس ٣: ٩). هذا التيار يتأثر بالغنوص وصوفيتها في « تحريم الزواج، وأطعمة خلقها الله، لكي يتناولها بشكر المؤمنون والعارفون بالحق » (١ تيم ٤: ٣). لاحظ التعبير الغنوصي « العارفون ».

من المعروف أن الغنوص نشأت في آسيا الصغرى، وبلاد الإغريق. وفي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

القرن الثاني تشعبت إلى غنوص سورية، وغنوص مصرية، وغنوص اغريقية. لكن أصولها ترتقي إلى عهد المسيح والرسل. ففي مدة أسر بولس الطويل، خمس سنوات (٥٨ ـ ٦٣) بدأ **تفسير المسيحية بتأثير الغنوص**. وقامت مزايدة القوم على المسيحية في التبتّل والزهد. فلما رجع بولس من أسره، وجد البيئة المسيحية موبوءَة بهذا التعلم.

كانت **الهرطقة الغنوصية**، في العقيدة وفي الصوفية، المحنة الأولى للمسيحية.

بولس يقوّم العقيدة بلغة القوم الذين يسمون « السراط »: « **سر التقوى** ». و« سر التقوى » العظيم هو في المسيحية، كما ينشد بولس:

« إنه لعظيم بلا مراء سر التقوى
الذي تجلى بالجسد! وشهد له الروح!
وشاهدته الملائكة وبُشر به الأمميون
فآمن به العالم وارتفع إلى المجد! »
(١ تيم ٣: ١٦)

فإن « سر التقوى » ليس ما به يتشدقون، من « طريقة » و« سر »! إنما « سر التقوى، العظيم، بلا مراء »، هو سر المسيح « الذي تجلّى بالجسد ». لاحظ أيضاً التعبير « تجلّى » (٣: ١٦) من اللغة الغنوصية، الذي يقابل التعبير الكتابي: « أتى » (١: ١٥). إنه يفسر « سر المسيح » لأهل الختان بأنه: « الوسيط بين الله والناس » (٢: ٤)؛ ولأهل القلف والغنوص بأنه: « تجلى بالجسد » (٣: ١٦)، وهو إشارة إلى تعريف صوفي كلامي سابق: « فيه يحل جسدياً ملء اللاهوت كله » (كول ٢: ٩). بهذين التعريفين شق بولس ليوحنا الطريق لتحديد « سر المسيح » بأنه تجسّد الكلمة. ثم يفصّل النشيد براهين « سر التقوى بالتجلّي بالجسد »: شهادة الروح، مشاهدة الملائكة. دعوة الأمميين وإيمانهم، وإيمان العالم كله. ففي بيان مترادف من المؤتلف المختلف يفصل « سر التقوى » في الكون، بحسب المسيحية؛ لقد ارتفع إلى المجد الإلهي وشاهدته الملائكة! لقد بشّر به

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الأميّون، وآمن به العالَمون! فهل تطال « سر المسيح » يهوديّة أو غنوص، ومن ورائهما الحكمة اليونانية؟

وفي نشيد ثانٍ نرى تجليّاً ثانياً للمسيح عند رجوعه في اليوم الآخر:

« تجلّي ربنا يسوع المسيح سيبديه في أوانه
السيد السعيد والعزيز الأوحد ملك الملوك ورب الأرباب
الذي لم يره إنسان ولا يقدر أن يراه
له الكرامة والعزة، على الدوام. آمين ».
(١ تيم ٦: ١٤ ــ ١٦)

فظهور المسيح الأول في البشرية يسميه « تجليّاً »؛ ورجوع المسيح في اليوم الآخر يسميه أيضاً « تجليّاً »، بلغة هلنستية. وهذه إحدى ظواهر الرسائل الراعوية.

وبولس يقيم بوجه البدعة والردة: « الوديعة » و« الوصية » أي كتاب الله مع إنجيل الله، والسنة الرسولية، قاعدتي التعليم الصحيح في الدين القويم.

وفي النشيدين، صورتان للشهادة المسيحية.

۞ ۞ ۞

خامساً: « الوديعة » « والوصية » تجاه البدعة والردة

إن بولس، بعد استشهاد بطرس، بقي الرسول الأوحد في البيئة الهلنستية ويوحنا الرسول لم يظهر بعد فيها. وهو يشعر بدنو أجله، فيسلّم سلطانه الرسولي إلى نوابه وخلفائه من بعده. والظاهرة الكبرى في هذا التسليم هي **التركيز على التعليم الصحيح** تجاه البدعة والردة، بالحفاظ على « وديعة الإيمان » وعلى « الوصية » الرسولية: « التعليم الصحيح على مقتضى الإنجيل مجد الله السعيد، الذي اؤتمنت أنا عليه » (١ تيم ١: ١١)، « فقد عدني أميناً ونصبني لخدمته » (١: ١٣) « داعية » ورسولاً ــ الحق أقول، لا أكذب ــ معلّماً للأمميين، في الإيمان والحقيقة » (٢: ٧).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فالدين القيم مبني على الكتاب والسنة، على « الوديعة »، وعلى « الوصية » الرسولية.

فبولس يدعو تلميذه الأسقف الراعي الجديد إلى حفظ الوديعة: تلك هي كلمته الأخيرة في رسالته: « يا تيموتاوس احفظ الوديعة » (١ تيم ٦: ٢٠)، « وديعة الإيمان » في « التعليم الصحيح على مقتضى الإنجيل » (١: ١١). فالإنجيل وديعة بيد الأسقف خليفة بولس؛ لذلك فالتعليم المسيحي القويم وديعة؛ والرعية المسيحية نفسها وديعة. فلا همّ للرسول قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى سوى هذه « الوديعة » الكريمة.

وبولس يكتب رسالته إلى خليفته ليسلمه « الوصية ». وهذه « الوصية » هي التعليم الرسولي تجاه « التعليم الغريب » (١ تيم ١: ٣ و٥)؛ هي « إن المسيح يسوع قد أتى إلى العالم ليخلص الخطأة الذين أنا أولهم... تلك هي الوصية التي استودعك إياها، يا ولدي تيموتاوس » (١: ١٥ و١٨)؛ « لأنا أنطنا رجاءنا بالله الحي الذي هو مخلص جميع الناس، ولا سيما المؤمنين: ذلك ما يجب أن توصي به وتعلمه » (٤: ١٠ ـ ١١). ثم يفصّل له سلوكه مع الرعية، لا سيما مع الكهنة، ويقول له: « أناشدك أمام الله والمسيح يسوع، وأمام الملائكة المختارين: أن تحافظ على هذه (الوصية) بغير محاباة، ولا تعمل شيئاً عن هوى » (٥: ٢١). ويختم رسالته كلها بهذا الإعلان: « وأوعز إليك أمام الله الذي يحيي الجميع وأمام المسيح يسوع الذي أدّى لدي بنطيوس بيلاطس شهادته الرائعة: بأن تحفظ الوصية بلا عيب ولا لوم إلى تجلّي ربنا يسوع المسيح » (٦: ١٣) **فالوصية هي السنة الرسولية في التعليم والتنظيم.**

فلا يقوم التعليم القويم إلاّ على حفظ الوديعة الإنجيلية والسنة الرسولية. إن السلطة الرسولية التي يسلمها بولس إلى نائبه وخليفته تقوم على حفظ الكتاب والسنة. وهذه السنة الرسولية في التعليم والتنظيم هي التفسير الصحيح للإنجيل: فمصدر العقيدة والشريعة والصوفية، في المسيحية، هو كلام الله في الإنجيل كما تفسره السنة الرسولية التي تسلمتها السلطة الأسقفية من الرسل. **والظاهرة الغالبة** على الرسائل الراعوية هي التركيز على حفظ السنة الرسولية،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

مع الإنجيل، « وديعة الإيمان »: « ما سمعته مني لدى شهود كثيرين، استودعه أناساً أمناء كفاة لأن يعلموا الآخرين » (٢ تيم ٢: ٢).

بتلكما الوديعة والوصية، الإنجيل والسنة الرسولية تقاوم السلطة الكنسية، على مثال تيموتاوس وتيطس، كل بدعة وكل ردة.

۞ ۞ ۞

سادساً: تنظيم الجماعة المسيحية، والعائلة المسيحية

الميزة الكبرى، في الرسائل الراعوية، هي التركيز على صحة التعليم، وعلى حسن التنظيم. لقد سهر بولس كثيراً على تنظيم كنائسه في الشرق. لكنه لما رجع إليها، بعد غياب خمس سنوات، وجدها على شيء من الفوضى في التعليم وفي التنظيم. فجعل هدف رسالته الأخيرة تقويم التعليم وتقويم التنظيم.

كان يعرف التنظيم المحكم في رهبانيات قمران، وفي مراتب الكهنوت اللاوي. وفي رومة اطلع على تنظيم الكنيسة التي « يشاد بإيمانها في العالم كله » (رو ١: ٨). ومشهور ان العقلية الرومانية تمتاز بالروح التشريعية والتنظيمية؛ بينما تمتاز العقلية الشرقية بالروح الصوفية والحرية. فجعل همه تنظيم الكنيسة، وقد أدركته الشيخوخة (فيلمون ٩) وسط الأيام العصبية التي يحياها.

فكان سعيه الأول أن يضع على رأس الكنائس بعض أعوانه الذين خبرهم طويلاً، وفهموه كثيراً. فسلمهم سلطانه الرسولي كنواب له، وخلفاء، « ليرعوا كنيسة الله » (١ تيم ٣: ١٥). وسلمهم « وديعة الإيمان » التي أبرزوا الشهادة فيها العلنية الرسمية أمام الكنيسة، يوم رسامتهم (٦: ٢١). وأوصاهم بالمحافظة على السنة الرسولية. وكتب لهم: « وصيته » في ذلك كله.

ثم التفت إلى تنظيم **المجتمع المسيحي**. فأوصى بكيفية معاملة أفراد الرعية كلها (٥: ١ ـ ٢)؛ وكيفية معاملة الأرامل الطاعنات أو الفتيات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

(٥: ٣ ــ ١٦)؛ وكيفية معاملة الكهنة (٥: ١٧ ــ ٢٥) وماهية العلاقة المسيحية بين الأسياد والعبيد (٦: ١ ــ ٢). واهتم بنوع خاص بتنظيم الصلاة الاجتماعية، ودور الرجل والمرأة فيها (٢: ٨ ــ ١٥).

أخيراً التفت إلى **نظام العائلة**. فأقر سلطة الرجل في البيت، كما في الكنيسة (٢: ٨ و١١): « لا أبيح للمرأة أن تعلّم (في الكنيسة) ولا أن تتسلط على الرجل » (٢: ١٢). وذلك للحد من الإباحية الإغريقية الوثنية.

ثم يبرز **دور المرأة** في المجتمع الديني والاجتماعي (٢: ٩ ــ ١٠). فأوصى بما هو من الروح المسيحية والإغريقية معاً « على مقتضى الحشمة والرصانة ». وجعل دور المرأة العظيم في الأمومة المسيحية: « **ستخلص بالأمومة**، إن استمرت على الإيمان والمحبة والقداسة، في رصانة » (٢: ١٥) فكمال المرأة وخلاصها في أمومتها الفاضلة.

تلك هي بعض تعاليم الرسالة الأولى إلى تيموتاوس. نشاهد فيها « تهلين » المسيحية تفكيراً وتعبيراً، كما يحق لتوطينها في البيئة الهلنستية، مع الحفاظ على الروح المسيحية الخالدة، كما نراها في جميع رسائل بولس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثانٍ

الرسالة إلى تيطس
(موجز الدعوة المسيحية، في البيئة الهلنستية)

توطئة: تأسيس المسيحية في بيئة هلنستية محضة.

في الرسالة إلى تيطس، لوحة لتأسيس المسيحية والكنيسة في بيئة هلنستية محضة. فالعنصر اليهودي فيها كان قد تهلّن إلى حدّ بعيد.

تظهر أهمية الرسالة المسيحية في كريت، من وجود معلمين عظمين فيها، زيناس الأستاذ في الشريعة الموسوية، وأبولّس في علم الكلام المسيحي (٣: ١٣). ونجد على رأس الكنيسة نائب بولس، تيطس ذو الشخصية القوية، الذي نجح في اخماد فتنة كورنثس، حيث فشل تيموتاوس؛ وفي جمع التبرعات في اليونان لفقراء أورشليم.

ووجود أولئك الثلاثة معاً دليل على تأسيس راسخ للكنيسة والعقيدة المسيحية، ما بين تيار اليهودية وتيار الغنوص، اللذان يظهر تأثيرهما على المسيحيين الذين من الختان (١: ١٠) وعلى الذين من الأمميين « الرجسين وغير المؤمنين » (١: ١٥). وهما العنصران اللذان تكونت منهما الجماعة المسيحية في كريت.

•

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول: تمهيد للرسالة

أولاً: مَن هو تيطس؟

إن تيطس شخصية كبيرة قوية من أفضل معاوني بولس في رسالته. مع ذلك لم يـرد ذكره في سفر الأعمال؛ لذلك لا نعرف عنه إلاّ ما ذكره بولس في رسائله.

كان من أصل يوناني؛ وعلى الوثنية والشرك؛ فهداه بولس إلى المسيحية منـذ رحلتـه الأولى؛ ومنذ هدايته لم يفـارقه. ونراه مع بولس في مجمع الرسل بأورشليم، عام ٤٩، وهـو « على قلفه » أي غير مختون، تأييداً لنظرية بولس بأنه لا داعـي لختـان المسـيحيين مـن الأمميين (غلا ٢: ١ ــ ٣). وقبول مجمع الرسل والكهنة في أورشليم بتـيطس فيمـا بيـنهم برهان على انتصار نظرية بولس. ومرافقته الدائمة لبولس شعار للأمميين بعدم تهوديهم فـي إيمانهم بالمسيح. وإن كان بولس قد ختن تيموتاوس، فذلك لأن أمه يهودية؛ مما يـدل النـاس على أن الختان محصور ببني إسرائيل.

في رحلة بولس الثانية، لا يبرز تيطس إلى مسرح الأحداث.

أمّا في الرحلة الثالثة فقد ظهر في دورين عظيمين: أولاً في فتنة كورنثس التي نجـح في إخمادها، من حيث فشل تيموتاوس (١ كو ٢: ١٢ ــ ١٤؛ ٧: ٦ ــ ١٥؛ ٢ كـو ٢: ١٣؛ ٧: ٦؛ ٦ و١٦ و٢٣؛ ١٢: ١٨)؛ ثم في جمع التبرعات لأورشليم في مقدونية وفـي أخائيـة وكورنثس (٢ كو ٨: ١٦ ــ ١٧). يقـول فيه بولس: « أما تيطس فهـو شـريكي ومعـاوني عندكم » (١ كو ٨: ٢٣). وقد قام بالمهمات خير قيام (٢ كو ١٢: ١٨).

ويغيب تيطس عن المسرح مدة أسر بولس الأول. ويبدو أن بولس أقامه مقامه حيـث نجح في مهماته.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بعد الإفراج عن بولس، نراه يكلّف تيطس بتنظيم الكنيسة في جزيرة كريت (تيطس ١: ٥). ثم يطلب إليه اللحاق به إلى نيكوبلس في مقدونية (٣: ١٢).

وقد رافق تيطس بولس إلى رومة في أسره الثاني. ومن رومة أوفده إلى دلماتية (٢ تيم ٤: ١٠) في الإلليركون، يتمم عمل بولس (رو ١٥: ١٩) لذلك لم يرافق بولس في جلسة الاستجواب في محاكمته؛ « ومعي لوقا وحده » (٢ تيم ٤: ١١).

وبعد استشهاد الرسول، فقد أسهم تيطس مع تيموتاوس ولوقا ومرقس في استلام سلطاته، وجمع رسائله ونشرها. فكان معهم صلة الوصل بين العهد الرسولي والعهد الكنسي.

ومن المتواتر أنه مات في كريت، أسقفاً عليها، كخليفة لبولس.

ويكفيه فخراً قول بولس فيه إنه « الابن الحقيقي في الإيمان المشترك » (١: ٤).

۞ ۞ ۞

ثانياً: مناسبة الرسالة

في الرسالة إلى تيطس، كما في الرسالة الأولى إلى تيموتاوس، نرى بولس لأول مرة يكلّف أحد أعوانه بتنظيم كنيسة، « وأقامه كهنة في كل مدينة » (تيطس ١: ١٥). نرى في ذلك رسامة تيطس أسقفاً راعياً يتسلم رعاية كنيسة، بالنيابة عن بولس. وكما فعل مع تيموتاوس فهو يكتب إلى تيطس « **وصية** »، هي « **دستور موجز في الإدارة** » المطلوبة من الأسقف الجديد نائب بولس.

في رجوع بولس من أسره الأول برومة، وربما بعد رحلته إلى أسبانيا، مرّ بجزيرة كريت، وهدى فيها كثيرين من اليهود، وخصوصاً من الأمّيين.

فهل سبقه إلى الدعوة في كريت زيناس، أستاذ الشريعة، وأبولّس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أستاذ علم الكلام، وأسسا المسيحية فيها (٣: ١٢)؟ ثم زارها بولس، ورسم لها راعياً تيطس.

فقد كان بولس يستعجل الرجوع إلى آسيا الرومانية ومقدونية حيث مشاكلهم سببت كتابة الرسائل الصوفية لهم. فاستقدم تيطس وسلمه رعاية الكنيسة الجديدة: « لقد تركتك في كريت تنظم كل شيء، وتقيم كهنة في كل مدينة » (١: ٥). مع الإيعاز إليه بالاهتمام بشؤون زيناس وأبولس (٣: ١٢).

وبعد زيارة أفسس وتنصيب تيموتاوس راعياً عليها، مضى إلى مقدونية. ومن هناك، كما أرسل إلى تيموتاوس « وصية »، فهو يبعث إلى تيطس « وصية » مماثلة توجز الأولى. فهي مثلها « قانون إدارة الرعية ».

فالرسالتان متقاربتان زماناً ومكانا وموضوعاً. والرسالة إلى تيطس تذكر الأشتاء في نيكوبلس (٣: ١٢): هذا إشارة إلى زمانها ومكانها.

فالرسالتان من سنة ٦٥؛ ومن مقدونية.

●

ثالثاً: أسلوبها وموضوعها

إن الرسالة إلى تيطس هي أكثر الرسائل الراعوية هلنستية في لغتها، وفي « تهلين » المسيحية تفكيراً وتعبيراً. ففيها **موجز المسيحية الهلنستية**، كما تركها بولس. وهذا الأسلوب الهلنستي الصريح قد يأتي من كاتب الرسالة بإملاء بولس، ومن حاجة البيئة إلى تعبير هلنستي للمسيحية، كما يظهر من وجود أبولس في كريت.

والرسالة « دستور الإدارة » إلى تيطس، بمناسبة رسامته الأسقفية راعياً لكنيسة كريت. يرسم فيها لتيطس وظيفته في إقامة أساقفة وكهنة على الكنائس؛ ووظيفته في التعليم الصحيح ومراقبة الانحراف و« الهرطقة » (٣: ١٠)؛ ووظيفته في إدارة المجتمع المسيحي؛ مع توصيات شخصية لحسن القيام بتلك الوظائف الأسقفية الراعوية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ففي الرسالة إلى تيطس موجز للدعوة المسيحية تجاه الانحراف « النصراني » والهرطقة الغنوصية؛ وموجز لواجبات الأسقف الراعي تجاه رعيته؛ كما يظهر من التحليل الآتي.

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل الرسالة

مطلع: ١) العنوان: موجز فخم للدعوة المسيحية (١: ١ ــ ٤).

٢) الموضوع: « تنظيم كل شيء » (١: ٥).

قسم أول: تنظيم الكهنوت، للسهر على التعليم القويم (١: ٥ ــ ١٦).

١ ــ إقامة كهنة أساقفة في كل مدينة (١: ٥ ــ ٦).

٢ ــ صفات الأسقف الراعي (١: ٧ ــ ٩).

٣ ــ مراقبة المعلمين المنحرفين، خصوصاً النصارى من بني إسرائيل (١: ١٠ ــ ١٦).

قسم ثانٍ: تنظيم الرعية، بموجب الأخلاق المسيحية (٢: ١ ــ ١٠).

استهلال: تكلمْ بما يقتضيه التعليم القويم (٢: ١).

١ ــ خمس صفات مسيحية للشيوخ (٢: ٢).

٢ ــ أربع صفات مسيحية للعجائز (٢: ٣).

٣ ــ ست صفات للفتيات (٢: ٤ ــ ٥).

٤ ــ أربع صفات للفتيان، يكون تيطس قدوة فيها (٢: ٦ ــ ٨).

٥ ــ خمسة أوامر صريحة للعبيد (٢: ٩ ــ ١٠).

قسم ثالث: تنظيم السلوك، بموجب العقيدة والحياة المسيحية (٢: ١١ ــ ٣: ٧).

١ ــ السلوك الديني على مثال تجلّي المسيح (٢: ١١ ــ ١٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢ ــ السلوك المدني، بالطاعة لأولي الأمر، والحسنى بين الناس (٣: ١ ــ ٢).

٣ ــ السلوك الشخصي بحسب الروح الذي نلناه في العماد (٣: ٣ ــ ٧).

خاتمة: « هذا هو القول الحق » (٣: ٨ ــ ١١).

١) تحريض المؤمنين على الأعمال الصالحة (٣: ٨).

٢) الابتعاد عن الجدل الباطل في ضرورة الشريعة (٣: ٩).

٣) الاعراض عن أهل « الهرطقة » (٣: ١٠ ــ ١١).

ملحق: توصيات (٣: ١٣ ــ ١٤).

السلام الختامي (٣: ١٥).

۞ ۞ ۞

باب ثالث: تعليم الرسالة

إن تعليم الرسالة إلى تيطس هو موجز « الوصية » إلى تيموتاوس؛ يحدّد فيه بولس صفات الأسقف في الكنيسة، والتعليم القويم ضد الانحراف « النصراني »، والهرطقة الغنوصية؛ مع توصيات لتنظيم المجتمع المسيحي، على الأخلاق المسيحية.

أولا: الأسقف في الكنيسة هو « وكيل الله » و« نائب الرسول »

تظهر وظيفة الأسقف في الكنيسة من مهمة تيطس، ومن صفة « الأسقف ».

١ ــ إن مهمة تيطس، الأسقف الراعي لكنيسة كريت، بالنيابة عن بولس هي « **تنظيم كل شيء** » (١: ٥): تنظيم الكهنوت، تجاه المعلمين المنحرفين أو المعارضين ــ فالأسقف هو المحامي الأول للحقيقة المسيحية (١: ٥ ــ ١٦)، وتنظيم المجتمع المسيحي، بجميع فئاته، بموجب الأخلاق المسيحية (٢: ١ ــ ١١) فالأسقف هو المصلح الأكبر في المجتمع المسيحي؛

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتنظيم السلوك المسيحي الديني والمدني والشخصي بموجب العقيدة والحياة المسيحية التي تتبع من العماد في الروح القدس (٢: ١٢ ــ ٣: ٧) ــ فالأسقف هو القدوة الحسنة في السلوك الديني والمدني والشخصي.

إنّ الأسقف في الكنيسة **هو نائب الرسول**: « لقد تركتك في كريت لتكمل تنظيم كل شيء » (١: ٥). وأول عمل هو إقامة الكهنة والأساقفة: « وتقيم كهنة في كل مدينة » (١: ٥).

فإقامة الكهنة هي المهمة الأولى لخليفة الرسول. ولهذه المهمة «رسم بولس رسوماً»، فعلى تيطس أن يتقيد بها: « على حسب ما رسمت أنا لك » (١: ٥): فرسامة الكهنة والأسقف لها « رسم رسولي معهود ».

ونلاحظ الفرق في التعبير بين « الكهنة » ــ بالجمع ــ وبين « الأسقف » بالمفرد (١: ٦ و٧). فالأسقف هو أحد الكهنة، يميزه عنهم اسمه دليل وظيفته: إنه « الأسقف » أي « الناظر الأعلى » عليهم وعلى الرعية، بحسب الحرف اليوناني.

ففي العهد الرسولي يترادف اسم « كهنة » و« أساقفة » (تيطس ١: ٥ ــ ٩؛ ١ تيم ٣: ١ ــ ٧). لكن عندما بدأ الرسل وبولس بتسليم سلطانهم إلى نائب عنهم وخليفة لهم، برزت وظيفة « الأسقف » الفرد، « الناظر الأعلى » للكنيسة. هذا ما يظهر من وظيفة تيطس، ومن كلام الرسالة عن « الأسقف » بالمفرد.

٢ ــ هذا الأسقف، رئيس الكهنة، هو « **وكيل الله** » على الكنيسة (١: ٧). هذه هي صفته التي تقتضي **الشروط المطلوبة** لإقامته: بلا مشتكي عليه، بغير لوم؛ ولا معجبٌ بنفسه، ولا غضوب، ولا مدمن للخمر، ولا شرس، ولا حريص على المكسب الخسيس؛ بل مضيف للغرباء، محب للخير؛ رزين عادل بار عفيف » (١: ٦ ــ ٨).

إن الأسقف في المسيحية هو « **وكيل الله** »: بهذه الصفة التي ستتوارثها الكنيسة جيلاً بعد جيل، تتراءى **صورة الأسقف المسيحي** عبر التاريخ، كما نرى لها أول صورة في رسائل القديس اغناطيوس الانطاكي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والأسقف، نائب الرسل وخليفتهم، مهمته الأولى « التمسك بالكلام الحق، على مقتضى التعليم (القويم)، ليتسنى له أن يعظ بالتعليم الصحيح ويفحم المعارضين » (١: ٩) إنها الأمانة على التعليم الرسولي المتواتر؛ والوعظ بموجب هذا التعليم القويم؛ وافحام المعارضين، سواء كانوا من أهل الانحراف، أو من أهل البدعة، « الهرطقة ».

فالأسقف في الكنيسة هو « وكيل الله » و« نائب » الرسول أو الرسل، و« خليفتهم » من بعدهم.

●

ثانياً: التعليم القويم تجاه الانحراف والهرطقة

في الرسائل الراعوية، كما نرى في « وصية » بولس إلى تيطس، يؤكد بتواتر على ضرورة التمسك « بالتعليم القويم » (١: ٩؛ ٢: ١) الذي هو « تعليم الله مخلصنا » (٢: ١٠). وهذا « التعليم القويم » هو الإنجيل، « كلام الله »، وتفصيله بالسنة الرسولية: « وأظهر كلامه في حينه بالدعوة التي اؤتمنت عليها بموجب أمر الله مخلصنا » (١: ٤). وبعد تفصيل «الكلام القويم» والتنظيم المبني عليه، يصفه: « هذا هو قول الحق » (٣: ٨).

فالتعليم القويم هو ما سلمه بولس لمعاونيه ونوابه مثل تيطس. وفي الرسالة **موجز للتعليم والتنظيم**، يسلمه بولس إلى تيطس تجاه الانحراف والهرطقة، بعد أن رسمه أسقفاً راعياً لكنيسة كريت.

١ ــ نرى في كنيسة كريت « معلمين كثيرين » (١: ١٠).

منهم اثنان يعلمان التعليم المسيحي الصحيح؛ وهما زيناس أستاذ الشريعة، وأبولس الشهير أستاذ علم الكلام (٣: ١٣). فعلى تيطس أن يوليهما عناية خاصة (٣: ١٣). وقد يكونان مؤسسي المسيحية في الجزيرة.

ومنهم « الذين من الختان » (١: ١٠) يدسّون في الكنيسة « خرافات

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يهودية، ووصايا الناس » (١: ١٤). هؤلاء هم دعاة اليهودية، « الذين يعرضون عن الحق » (١: ١٤).

ومنهم « **الأنجاس**، وغير المؤمنين، (الذين) عقلهم وضميرهم أنفسهما قد تنجسّا، يعلنون أنهم يعرفون الله، ولكنهم ينكرونه بأعمالهم، إذ أنهم **رجسون** » (١: ١٥ ــ ١٦). هؤلاء هم المشركون دعاة الهلنستية والغنوص. فهم كما يصفهم بولس، وكما سيقال فيهم: « إنما المشركون نجس »! وأعمالهم « رجس من عمل الشيطان »!

ومنهم فئة يقول فيها: « أما المباحثات الخرقاء، والأنساب، والخصومات والمماحكات **على الشريعة**، فاجتنبها لأنها غير نافعة وباطلة » (٣: ٩). هؤلاء هم النصارى من بني إسرائيل الذين يريدون أن يقيموا التوراة والإنجيل معاً، معتبرين أن لأهل الكتاب فضلاً على المسيحيين من الأمميين، وأنه لا يصح الإيمان بالإنجيل من دون إقامة الشريعة الموسوية. فعلى تيطس أن « **يجتنب** » هؤلاء النصارى اليهود لأن البحث معهم باطل. فقد عرفناهم بأنطاكية وغلاطية وفيلبي وكورنثس؛ وهم يظهرون الآن في كريت.

تجاه هذه الفئات الثلاث يوصي بولس تيطس: « **أما رجل الهرطقة** ــ أي البدعة ــ فبعد الإنذار أولاً وثانياً، أعرض عنه، عالماً أن مثل هذا قد زاغ، وهو في الخطيئة، يقضي بنفسه على نفسه » (٣: ١٠ ــ ١١). لقد أطلق بولس كلمة « الهرطقة » في الإيمان، التي سيكون لها دوي عظيم في التاريخ. والهرطوقي، رجل البدعة، هو الذي « يؤمن ببعض، ويكفر ببعض » من الإيمان المسيحي، أو يضيف إليه ما ليس منه ولا يأتلف معه. فشيمته الاعراض عنه.

٢ ــ ثم يسلم بولس إلى تيطس صورة « الإيمان القويم » ــ أي الصراط المستقيم في الإيمان. وهو « معرفة الحق، الذي بمقتضى التقوى » في « كلام الله » في الإنجيل (١: ١ و٣). فالإنجيل هو « كلام الله » بحسب التعبير الكتابي؛ وهو « التقوى » بحسب الاصطلاح الغنوصي؛ وهو « الحقيقة » بحسب التعبير الهلنستي. وهذا الواقع يعطينا صورة عن التأليف بين التعابير المختلفة لتقديم الإنجيل وتفصيله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وهذا « التعليم القويم » (١: ٩؛ ٢: ١) يفتتحه بولس بالتصدير الغني أنه « تعليم الله مخلصنا » (٢: ١٠)، ويختتمه بمرادفه: « هذا هو قول الحق » الذي فيه يمترون (٣: ٨). وهو يقوم على العقيدة المسيحية (٢: ١١ ــ ١٥)، وعلى السلوك المسيحي (٣: ١ ــ ٣) وعلى الحياة الجديدة في المسيح (٣: ٤ ــ ٧).

العقيدة المسيحية الصحيحة هي أن المسيح هو « نعمة الله المخلصة جميع الناس » (٢: ١١) الذي « هذبنا على مقتضى التعقل والعدل والتقوى » (٢: ١٢) ــ هذه هي المثل العليا في الهلنستية، وقد جاءَ بها الإنجيل ــ والذي « بذل نفسه لأجلنا ليفتدينا من كل إثم، ويطهّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً على الأعمال الصالحة » (٢: ١٤)؛ فنحيا منه بها « في انتظار الرجاء السعيد: تجلّي مجد إلهنا العظيم، ومخلصنا، يسوع المسيح » (٢: ١٣). ويختم بولس بقوله: « بهذا تكلّم وعظ وحاجج، **بكل سلطان**، ولا يستهن بك أحد » (٢: ١٥). إن التعليم المسيحي يجب أن يقدم « بكل سلطان »، لأنه من سلطان الله في التعليم.

بتلك الآيات الأربع أوجز بولس سر التجسد، وسر الفداء، وسيرة المسيح في دعوته واستشهاده لفدائنا وخلاصنا، بانتظار تجليه المجيد بمجد الله في اليوم الآخر.

جاء التعبير عن سر التجسد بكلمتين: « تجلت نعمة الله » (٢: ١١)، الأولى هلنستية: « تجلت »؛ والثانية كذلك: « نعمة الله ». فالمسيح هو « نعمة الله ». والتجسد هو ظهور الله فيما بيننا بالمسيح؛ إنه « التجلّي » الإلهي بالجسد: هذا هو التعريف الهلنستي لسر المسيح. والمسيح هو « نعمة الله » في ذاته، وفي عمله: « نعمة الله المخلصة جميع الناس ». (١: ١١) لذلك لا يتردد بولس بإعلان **إلهية المسيح** في « تجلّي مجد إلهنا العظيم، ومخلصنا، المسيح يسوع » (٢: ١٣). فالمسيح يسوع هو إلهنا العظيم ومخلصنا. على هذا الإيمان ينهي بولس دعوته، ويوجزها لتيطس.

وستظهر إلهية المسيح عند رجوعه « في المجد » الإلهي. ورجعة المسيح هي «الأمل السعيد» (٢: ١٣) عند المسيحيين. جاء التعبير عنها بصيغة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كتابية: « في انتظار الرجاء السعيد »، ثم بصيغة هلنستية: « تجلي مجد إلهنا العظيم ». وكان يقول من قبل: « مجيء » أو « ظهور ».

وجاء الكلام أيضاً عن رسالة المسيح بتعبير كتابي: « لننكر الفجور والشهوات الدنيوية »؛ وبتعبير هلنستي: « فنحيا على مقتضى التعقل والعدل والتقوى » (٢: ١٢).

هذا هو « **التهذيب** » **المسيحي** (٢: ١٢) ــ يستخدم بولس تعبيراً متواتراً في الأدب الأخلاقي الهلنستي، ليصف التعليم الأخلاقي في الإنجيل.

فالعقيدة المسيحية تقوم على « تجلي » الله في المسيح، بالتجسد، للظهور بيننا، ومساكنتنا، ومخاطبتنا بذاته، وتهذيبنا؛ ثم لفدائنا وخلاصنا « ببذل نفسه لأجلنا لينقذنا من كل إثم، ويطهّر لنفسه شعباً خاصاً، غيوراً على الأعمال الصالحة »؛ ثم على « تجلي مجد إلهنا العظيم ومخلصنا، المسيح يسوع »، برجعته في اليوم الآخر.

وقد أوجزت الرسالة هذه العقيدة المسيحية بتعبيرها الكتابي المتواتر، وصيغة هلنستية تنسجم مع لغة البيئة وعقليتها.

وفي ذلك تظهر **عبقرية بولس** الذي عبّر عن العقيدة المسيحية بلغة أهل الكتاب وبلغة الأمميين الهلنستية، تعابير متنوعة، كلامية فصوفية فهلنستية، بحسب البيئات المختلفة التي تمتد إليها المسيحية في دعوتها وتطورها.

٣ ــ صورة « التهذيب » المسيحي في السلوك

السلوك المسيحي ديني ومدني وشخصي.

السلوك الديني يكون بحسب « التهذيب » المسيحي الذي رأيناه.

والسلوك المدني عند المسيحيين يقوم على الطاعة لأولي الأمر، « الرئاسات والسلاطين » (٣: ١). وهذه إشارة ثانية واضحة من عرفان الجميل لإنقاذ بولس من السجن الذي قذفه إليه بنو قومه. وكانت الإشارة الأولى بفرض الصلاة « لأجل الملوك وجميع ذوي المناصب » (١ تيم ١: ١ ــ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٣). ويطلب أن « لا يتكلموا على أحد بالسوء » (٣: ٢) أي بالامتناع عن ذم الدولة على معاملتها لبولس وللمسيحيين. ويدعو إلى أن « يكونوا متأهبين لكل عمل صالح » في الدولة (٣: ١)؛ وعلى معاملة مواطنيهم المشركين بالحسنى والحكمة والوداعة (٣: ٢).

والسلوك الشخصي يكون بحسب الحياة المسيحية في العماد بالورح القدس.

٤ ــ **الحياة المسيحية** تقوم على « التعليم القويم » و« التهذيب » المسيحي؛ وعلى الحياة الجديدة الإلهية التي أوتيناها بالعماد المسيحي: « بغسل الميلاد الثاني، والتجديد في الروح القدس الذي أفاضه علينا بوفرة، بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا ما تبرّرنا بالنعمة، نصير ورثة لرجاء الحياة الأبدية » (٣: ٥ ــ ٧). هذا تعريف جامع لصفات العماد المسيحي ومفاعيله، في إنشاء الحياة الجديدة الإلهية في الإنسان.

فالعماد هو « **ميلاد ثان، وتجديد في الروح القدس** » (٣: ٤). هذا أكمل تعريف للعماد المسيحي وأفضله، بلغة الوحي: إنه ميلاد لحياة جديدة إلهية مسيحية، بروح الله. فبالعماد نولد لحياة إلهية، في المسيح، بروح الله. هذه هي صفته.

ومفاعيله سلبية وإيجابية. فهو « غسْل » (٣: ٤) أي وضوء كامل للتطهير من كل إثم وشر (٣: ٣)؛ و« تبرير بالنعمة » الإلهية (٣: ٧). والعماد (مع الميرون) يفيض علينا الروح القدس بوفرة (٣: ٥ ــ ٦). ويجعلنا « ورثة الحياة الأبدية، كما نرجو » (٣: ٧). فالظاهرة الكبرى فيه هبة الروح القدس لحياة جديدة إلهية. فالمسيحي يحيا من الروح القدس، في المسيح، لله الآب.

فالخلاص المنشود في الشريعة اليهودية والحكمة اليونانية والغنوص الهلنستية، نجده في الخلاص المسيحي. وهذا الخلاص هو عمل الله والمسيح والروح القدس: إن « الله الآب هو مخلصنا » في لطفه ببعثة المسيح، وظهوره فيه (٣: ٤)؛ و« المسيح يسوع هو مخلصنا » بتجليه الأول (٣: ٦)

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والثاني العتيد (٢: ١٣)، وذلك بتحقيقه لطف الله بنا؛ والروح القدس هو مخلصنا بتجديد الحياة الإلهية فينا.

فالحياة المسيحية هي حياة إلهية بميلاد إلهي، في المسيح، بالروح القدس. هــذه هــي ميزة المسيحية على الدعوات كلها وعلى الأديان قاطبة. فليس من دعوة، ولا من دين يســكب روح الله في الإنسان ليحيا حياة الله، سوى دين المسيح.

هذا هو « تعليم الله مخلصنا » (٢: ١٠)؛ و« هذا هو قول الحق » الذي فيه يمتــرون (٣: ٨) يوجزه بولس ويعلنه في وجه « أهل البدعة » من كل فئة (٣: ١٠).

●

ثالثاً: الأخلاق المسيحية في المجتمع المسيحي

في الرسالة الأولى إلى تيموتاوس، وصف بولس المجتمع المسيحي كمؤسسات. وإلــى تيطس، يصف الأخلاق المسيحية الواجبة في المجتمع.

يفتتح الحديث فيها بقوله لتيطس: « أما أنت فتكلم بما يقتضيه التعليم القويم » (٢: ١). فأوصاف الأخلاق المسيحية في المجتمع هي من التعليم المسيحي.

يطلب في الشيوخ خمس صفات: « ليكن الشيوخ أعفاء، ذوي وقار ورزانة، أقوياء في الإيمان والمحبة والصبر » (٢: ٢). وكم في هذه الأخلاق من حكمة وخبرة.

ويطلب في العجائز صفة القداسة التي تنفي النميمة، والاكثار من الخمر، وصفة تعلــيم الصلاح بالقول والمثل (٢: ٣). تلك أربع صفات، منها اثنتان إيجابيتان، القداسة وتعليم الخير، واثنتان سلبيتان: الابتعاد عن النميمة والسكر. وكم في هذه الصفات أيضاً من حكمة وخبرة.

ويطلب في الفتيات الشابات سبع صفات: محبــة رجــالهن وأولادهــن، والرصـــانة، والعفاف، وملازمة البيت، والصلاح، والطاعة لرجالهن. وذلك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لأن سلوك المسيحيات يؤثر على احترام الدين المسيحي « فلا يشنّع على كلام الله » (٢: ٤ ــ ٥).

هذه مرة ثانية تسمي فيها الرسالة الإنجيل « كلام الله » (١: ٣؛ ٢: ٥).

ويطلب من الشبان: « التعقل » (٢: ٦) فقط، لأن « التعقل » هو ميزان التصرف في الحياة، **ويجعل تيطس قدوة للشباب:** « واجعل نفسك في كل شيء، مثالاً للأعمال الصالحة »؛ فالأسقف هو مثال الشباب في الأعمال الصالحة، يسير فيها فيسيرون على مثاله. وفي تعليمهم، على الأسقف أن يتقيد بالإخلاص والوقار والكلام الصحيح المنزه عن كل لوم. وذلك « لكي يخزي المعارض، فلا يكون له مجال للطعن فينا » أي في الدين المسيحي ورجاله. وهنا أيضاً يظهر سلوك المسيحيين سبب طعن أو حمد للدين الذي يسلكون بموجبه. فالسلوك المسيحي شهادة للإيمان.

ويطلب من العبيد الطاعة لسادتهم، وارضائهم في كل شيء، وعدم معاندتهم؛ فلا اختلاس؛ بل كل أمانة حميدة. تلك أوامر وصفات خمسة تجعل العبد المسيحي في المجتمع « فخراً » لتعليم الله مخلصنا. فسيرة العبيد الصالحة فخر للمسيحية.

وهذه مرة ثالثة يسمي فيها الإنجيل « تعليم الله » (٢: ١١).

ويختم بتسمية **دستور الأخلاق المسيحية:** « التهذيب » المسيحي (٢: ١٢)، بحسب التعريف المتواتر في الهلنستية لعلم الأخلاق.

وهكذا يظهر الإنجيل، في الرسالة إلى تيطس، دستور العقيدة، ودستور الأخلاق، ودستور الحياة الجديدة الإلهية في المسيح، بالروح القدس، لله الآب.

وهو دستور في التعليم والتنظيم، مبني على كلام الله والسنة الرسولية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثالث

الرسالة الثانية إلى تيموتاوس
(وصية بولس الأخيرة)

باب أول: تمهيد للرسالة

مناسبة الرسالة: على عتبة الاستشهاد

إن مناسبة الرسالة، كما يتضح منها، تدل على زمانها ومكانها وموضوعها.

بولس في **أسر جديد** (١: ١٢) أشد من الأول، فهو يعامل كمجرم (٢: ٩)؛ مُنعت عنه المقابلة، وأحيط مكانه بالكتمان فإن اونيسيفورس اضطر أن يفتش طويلاً حتى يجده (١: ١٦ ــ ١٧؛ ٤: ١٩). من المتواتر أنه كان في « سجن **مامرتين** ». وكان البرد شديداً في السجن حتى طلب بولس عباءَته التي تركها في ترواس (٤: ١٣).

بولس **وحيد في محنته الأخيرة**. يوم القبض عليه في أفسس: « إن جميع الذين في آسيا قد ارتدوا عني » خوفاً من بطش السلطان (١: ١٥). وقد وزع أعوانه على الكنائس: « كريسكيس انطلق إلى غلاطية؛ وتيطس إلى دلماتية » (٤: ١١) من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في مجال رسالاته. « أما تيخيكس فقد بعثته إلى أفسس » (٤: ١٢) ليقيم مقام تيموتاوس الذي بعث يستدعيه إليه في أيامه الأخيرة، مع مرقس (٤: ٩ و١١). فلم يبقَ مع بولس سوى لوقا، الطبيب الحبيب (٤: ١١)؛ وهذه شهادة عظيمة لجرأة لوقا وإخلاصه. وفي رومة، عند استجوابه « لم يحضر معي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أحد، بل الجميع تركوني ـ لا حاسبهم الله » (٤: ٦). لكن هذه العزلة الأليمة التي يقاسي فيها « المشقات حتى القيود كفاعل شر » (٢: ٨) لم تنسه جزع تيموتاوس، ويأسه من الدعوة المسيحية، بسبب توقيف معلمه الذي سبق إلى الإعدام والاستشهاد.

فلا يزال بولس يذكر دموع تيموتاوس عند وداعه (١: ٤). كان تيموتاوس قد سيم أسقفاً على أفسس يرعاها بالنيابة عن بولس؛ وذكر وداعه الأليم الأخير، دليل على الأسر الثاني للقضاء المحتوم، ووقوع التوقيف في أفسس. فقد انهارت أعصاب تيموتاوس لمّا قبض على معلمه. وبولس في سجنه ينسى نفسه ليشجع تيموتاوس على الصمود والجهاد: « إن موهبة الله (الكهنوت) ليست روح فزع بل هي روح قوة ومحبة وامتلاك النفس » (١: ٧). فليتشجع على مثال بولس: « فإني لا أخزى، لأني عارف بمن آمنت » (١: ١٢).

ينظر بولس إلى القضاء المحتوم بفرح الرجاء العظيم: « **إن نحنا متنا معه** فسنحيا معه »! (٢: ١١). فلا يشك بولس في مصيره، لأنه يعلم « أن جميع الذين يريدون أن يحيوا بحسب « التقوى » في المسيح يسوع (أي أن يكونوا مسيحيين) يضطهدون » (٢: ١٢). وفي هذا إشارة إلى **التهمة التي أوقف بموجبها**، وهي أمر القيصر نيرون: « لا يجوز لأحد أن يكون مسيحيّاً » في الدولة الرومانية[١]، بعد موجة الاضطهاد العارمة عام ٦٤ التي ذهب ضحيتها بطرس الرسول، زعيم المسيحيين، هدأت الحالة نسبيّاً؛ لكن بسبب ثورة اليهود عام ٦٦ على الاستعمار الروماني، تجدّد الاضطهاد للمسيحيين أتباع يسوع الناصري. فعلى تيموتاوس أن لا يقنط من استشهاد بولس. لذلك يوصيه بالجهاد، في حذر من بطش السلطان المضطهد: « أناشدك أمام الله، وأمام المسيح يسوع الذي سيدين الأحياء والأموات، وبتجلّيه وملكوته، أن ادعُ بكلام الله... وتيقظ في كل شيء، واحتمل المشقة، واعمل عمل الإنجيلي، وأوف خدمتك حقها » (٤: ١ ـ ٥).

---

(١) هذا هو الأمر بتحريم المسيحية: Non licet esse christianus

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يشعر بولس بأن الاستشهاد قد دنا، ويرى دمه ينهدر؛ « أما أنا فقد أُرقت سكيباً! ووقت انحلالي قد حضر! » (٤: ٦). لقد انتهى الأمر. في جلسة التحقيق « لم يحضر معي أحد » (٤: ١٦). فقد دافع بولس عن ولائه للدولة؛ وإن ولاءَه للمسيح لا يجعله من أهل الثورة، ولا يتعارض مع ولائه للدولة. وهكذا « أنقذت من فم الأسد » (٤: ١٧). لكن المصير محتوم. لذلك بعث يستدعي تيموتاوس إلى جنة ليتعزيا معاً في المسيح، ويكون قربه في أيامه الأخيرة: « اجتهد أن تقدم إليّ عاجلاً » (٤: ٩) فقد أرسل إلى أفسس تيخيكس يقوم مقامه (٤: ١٢).

فكل تلك الإشارات دلائل على أسر جديد لبولس. وقد تم توقيفه في أفسس. وتجري محاكمته في رومة أمام « الأسد » الطاغية. لقد انتهى التحقيق معه بسلامة. لكنه يتوقع الإعدام والاستشهاد.

فالرسالة الثانية إلى تيموتاوس هي من أسره الثاني، برومة، على عتبة الاستشهاد. يكتبها بولس إلى ابنه تيموتاوس الغارق في الدموع والقنوط، تشجيعاً له على قبول الصليب، وعلى الثبات في الدعوة والجهاد حتى الاستشهاد ولكي يطلعه على مصيره، ويستدعيه إلى قربه في أيامه الأخيرة.

فكانت الرسالة **وصية بولس الأخيرة**، في الجهاد والاستشهاد! يكتبها من سجنه في رومة، قبل اعدامه عام ٦٧. فمناسبة الرسالة تدل على زمانها ومكانها وموضوعها.

ودلائل صحتها بادية عليها: فهناك كلام بحاجة إلى شهود؛ وهذا كلام شهوده منه وفيه: فلا يكتب هذه الرسالة الثانية إلى تيموتاوس إلاّ بولس، بواسطة لوقا، الوحيد قربه (٤: ١١).

وفيها **الشهادة الصادقة** لسيرة بولس ورسالته وشخصيته، يدلي بها أمام الله والمسيح قبل استشهاده:

« أما أنا فقد أُرقت سكيباً! ووقت انحلالي قد حضر!
لقد جاهدت الجهاد الجميل! وأتممت شوطي! وحفظت الإيمان!

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إنما يبقى اكليل البر المحفوظ لي! وسيجزيني به في ذلـــك اليوم!
الرب، الديان العادل، لا إياي فقط بل جميع الذين أحبوا تجلّيه! »
(٢ تيم ٤: ٦ ــ ٨)

۞ ۞ ۞

باب ثان: تحليل الرسالة

مطلع: ١) العنوان: إلى تيموتاوس في موعد الحياة التي في المسيح يسوع (١: ١ ــ ٢).

٢) الموضوع: بالشكر والدعاء يخلص إلى ذكرى الوداع الأليم (١: ٣ ــ ٥).

قسم أول: تشجيع تيموتاوس على الجهاد أمام الاستشهاد (١: ٦ ــ ٢: ١٣)

١ ــ الموهبة الأسقفية روح قوة على مثال بولس، والمسيح، (١: ٦ ــ ١٨).

٢ ــ فانت إذن جاهد كجندي صالح للمسيح يسوع (٢: ١ ــ ٧).

٣ ــ فالجهاد المسيحي مشاركة في سر الخلاص (٢: ٨ ــ ١١).

ختام: « إن متنا معه، فسنحيا معه »! (٢: ١١ ــ ١٣).

قسم ثان: تحذير من البدعة والردة (٢: ١٤ ــ ٤: ٥)

١ ــ اهربْ من الجدل العقيم. فصّل كلام الله بإحكام، كعبد للرب يؤدب في حلــم (٢: ١٤ ــ ٢٦).

٢ ــ اعرض عن أهل البدعة، واحذر أهل الردة (٣: ١ ــ ٩).

٣ ــ استمر على التعليم القويم، عارفاً ممن تسلمته (٣: ١٠ ــ ١٦).

ختام: أناشدك: ادع بكلام الله! اعمل عمل الإنجيلي! أوف خدمتك حقها (٤: ١ ــ ٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

قسم ثالث: بولس أمام الاستشهاد (٤: ٦ ــ ٨)

١ ــ لقد حضرت ساعة الاستشهاد (٤: ٨ ــ ٦).

٢ ــ فاحضر عاجلاً مع مرقس، فإني وحدي مع لوقا (٤: ٩ ــ ١٥).

٣ ــ نجوت في جلسة التحقيق! لكن الخلاص في ملكوت الله (٤: ١٦ ــ ١٨).

خاتمة: مبادلة السلام (٤: ١٩ ــ ٢٢).

۞ ۞ ۞

باب ثالث: تعليم الرسالة

توطئة: الرسالة وصية بولس الأخيرة

بعد استجواب بولس والتحقيق معه لدى منبر قيصر (٤: ١٦)، كتب بولس من جديد إلى تيموتاوس « الابن الحبيب » (١: ٢) يستدعيه على عجل (٤: ٩) ليكون قربه في استشهاده المحتوم (٤: ٦ ــ ٨). فكانت هذه الرسالة وصية بولس الأخيرة.

ووصية بولس الأخيرة هي الجهاد في سبيل الإيمان حتى الاستشهاد، على مثال المسيح نفسه، الشهيد الأول (٢: ٨). وفي هذا الجهاد تبرز « توصية » بولس في **عشر وصايا** لتيموتاوس، « ليحمل قسطه من المشاق **كجندي صالح** للمسيح يسوع » (٢: ٣)، فيكون « **عبد الرب** » (٢: ٢٤) في جهاده! و« **رجل الله الكامل** » في تعليمه؛ فيعمل « **عمل الإنجيلي** » و« يوفي خدمته حقها » (٤: ٥). تلك **أربع صفات** تجعل تلميذ بولس على صورة معلمه، في التعليم والتنظيم للكنيسة والمجتمع المسيحي، مهما كانت « الأيام عسيرة » (٣: ١). ثم ينشد بولس نشيد العقاب أمام الاستشهاد.

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أولاً: « توصية » أخيرة في عشر وصايا

نسمي الرسالة الثانية إلى تيموتاوس « وصية بولس الأخيرة » لأنه كتبها وهو قاب قوسين أو أدنى من الاستشهاد. وهي « توصية » في عشر وصايا رسولية.

الوصية الأولى: التأمل الدائم في كهنوته: « لذلك اذكّرك أن تُذكي الموهبة التي آتاك الله بوضع يدي » (١: ٦). وهذا التكريس الكهنوتي يعطيه « روح قوة ومحبة، وامتلاك النفس » (١: ٧)، ويجعله أهلاً « لتأدية الشهادة لربنا » (١: ٨) و« الاشتراك بمشاق الإنجيل » (١: ٨)

الوصية الثانية: التمسك « **بصيغة** » الكلام الصحيح في يسوع المسيح، وهي « **وديعة** الإيمان الكريمة » التي عليه « أن يحفظها بعون الروح القدس الساكن فينا » (١: ١٣ ــ ١٤). هذه شهادة من العهد الرسولي بوجود « صيغة » رسولية متواترة للإيمان المسيحي، يسميها بولس « الوديعة الكريمة » وهي أساس السُنّة الرسولية المتواترة في الكنيسة إلى اليوم. وهي شهادة أيضاً على **قيام السُنّة مع الكتاب**، الإنجيل « كلام الله » كما يردّد ثلاث مرات. فالعقيدة المسيحية « وديعة كريمة » لها « صيغة » رسولية موروثة.

الوصية الثالثة: الثبات في نعمة الكهنوت، وللدعوة للمسيح: « فأنت، يا بني، تشدّد في النعمة التي في المسيح يسوع... واحتمل قسطك من المشاق كجندي صالح للمسيح يسوع » (٢: ١ و٣). صورة **الجندي المسيحي** المجاهد هي الصفة الأولى التي يراها بولس في تلميذه، الأسقف خليفته.

الوصية الرابعة: الوفاء والأمانة في « ذكر يسوع المسيح » المتواصل، في الجهاد حتى الاستشهاد، « فإن نحن متنا معه، فسنحيا معه » (٢: ٨ ــ ١٣).

الوصية الخامسة: الاجتهاد في تفصيل كلام الله كخبير فيه: « اجتهد أنْ تسلك أمام الله كمختبر لديه، كعامل ليس عليه شبهة، يفصّل كلام الحقيقة بإحكام » (٢: ١٥).

الوصية السادسة: « اهرب من شهوات الشباب، واقتفِ البرّ والإيمان،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والمحبة والسلام، مع الذين يدعون الرب بقلب نقي » (٢: ٢١)، لتكون « عبد الرب » يسوع في الجهاد المسيحي. صفة « **عبد الرب** » هي الميزة الثانية التي يراها بولس في تلميذه، الأسقف المؤتمن على كنيسة المسيح.

الوصية السابعة: التأمل في مثال معلمه في الجهاد مع الاضطهاد، « لكي تستمرّ على ما تعلّمته وأيقنت به، عارفاً ممن تعلمته » (٣: ١٠ ــ ١٥).

الوصية الثامنة: المثابرة على تلاوة كتاب الله، فذلك يفيد « في التعليم والحجاج والتقويم والتهذيب بحسب البرّ، لكي يكون رجل الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٣: ١٦ ــ ١٧). صورة « **رجل الله الكامل** » هي صورة الأسقف المسيحي الثالثة.

الوصية التاسعة: الدعوة بالإنجيل على الدوام: « أدعُ بكلام الله، واعكف على ذلك في وقته وفي غير وقته! حاجج! ووبّخ! وعظ بكل أناة! وبجميع الأساليب » (٤: ٦). فالدعوة بالإنجيل هي شغل الأسقف الشاغل.

الوصية العاشرة: التيقظ الدائم في خدمة الإنجيل: « أما أنت فتيقظ في كل شيء! واحتمل المشقة! واعمل عمل الإنجيل! وأوفِ خدمتك حقها » (٤: ٥). الصفة الرابعة التي يراها بولس في تلميذه الأسقف أنه « **رجل الإنجيل** » يحيا منه ويعمل له.

تلك هي الوصايا العشر التي تركها بولس لخليفته، في وصيته الأخيرة. وفيها صفات الأسقف المسيحي الأربع: جندي المسيح، عبد الرب، رجل الله، رجل الإنجيل.

●

ثانياً: الجهاد في سبيل الإيمان، على مثال بولس

الجهاد في سبيل الإيمان المسيحي، لا يقوم على القوة، بل على الدعوة التي تفعل بقوتها الذاتية، بنعمة الروح القدس الذي يؤيدها بالمعجزة والقداسة. وخير شهادة للدعوة المسيحية هو الاستشهاد في سبيلها، على مثال بولس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فالإيمـــان المسيحي هو « **الوديعة** » الكبرى التي تركها المسيح لرسله وتلاميذه وهـــو « **الوصية** » الأخيرة التي يتركها الرسول لنوابه وخلفائه من بعده على « كنيســـة الله الحـــي، عمود الحقيقة وقاعدتها » (٢ تيم ٣: ١٥). وهذه « الوصية » بـــ« الوديعة » تأخذ كل معناها متى عرفنا أن « وديعة الإيمان » كانت « **صيغة** » متواترة أوجـــز فيهـــا صـــحابة المســـيح الإنجيل الذي تسلموه، وأعلنوها بالبلاغ الرسولي للعالم، وفسّروها بتعلم الأناجيـــل والرســـائل، وسلموها لخلفائهم من بعدهم. لذلك كان هم بولس الأكبر على عتبة الاستشـــهاد « الوصـــية » بـــ« الوديعة » التي في « صيغة الإيمان ».

١ ـــ الإيمان هو التصديق بالعقيدة، على حسب « صيغة الإيمان »

يأخذ بولس تعبير « **الإيمان** »، في الرسائل الراعوية، بمعنى العقيدة وبمعنى التصديق بها. بمعنى التصديق يقول: « أتذكر دموعك... وأُحيي ذكر إيمانك الذي لا رثاء فيه » (١: ٤ ـــ ٥). وبمعنى العقيدة ذاتها يقول: « أمّا أنت فاستمر على ما تعلمته وأيقنت به، عارفاً ممّـــن تعلمته؛ وأنك منذ نعومة أظفارك تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تصيّرك حكيماً فـــي شـــأن الخلاص، بالإيمان الذي في المسيح يسوع » (٢: ١٤ ـــ ١٥). فقوله « ما تعلمته وأيقنت به » يعني العقيدة والتصديق. كذلك « الإيمان الذي في المسيح يسوع » يعني الموضوع وتصديقه.

وهذا الإيمان كعقيدة هو « **وديعة** ». يؤكّد ذلك في الرسالة الأولى: « فيا تيموتـــاوس احفظ الوديعة! وأعرض عن السنن الدنيوية الباطلة، وعن مناقضات الغنوص الكاذبـــة » (٦: ٢١). هذا تعريض باليهودية و« النصرانية » والغنوص. ويرجع إليه فـــي الثانيـــة: « احفـــظ الوديعة الكريمة، بعون الروح القدس الساكن فينا » (١: ١٤).

وتلك « الوديعة » في « **صيغة** » **رسولية** هي « صـــيغة التعـــاليم الصـــحيحة التـــي سمعتها مني » (٢ تيم ١: ١٣). فالعقيدة المسيحية لها « صيغة » موروثة متـــواترة تســـلمها بولس، ويسلمها بدوره لخليفته: « ما سمعته مني لدى شهود كثيرين استودعه أناساً أمناء أكفاء لأن يعلموا الآخرين » (٢ تيم ٢: ٢). فعقيدة الإيمان المسيحي « وديعة كريمة » متواترة عن صحابة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

المسيح بالارث الحي، في « **صيغة** » **معهودة مشهودة،** قبل أن تتزل في الإنجيل، وتفصّل بالوحي في سائر أسفار العهد الجديد. وتلك « الوديعة هي « وصية » بولس الأخيرة.

فالسُنّة المسيحية المتواترة سبقت الإنجيل المكتوب، فهي مثل الإنجيل، ومعه، **كلام الله الموروث**، بالصوت الحي، أو بالحرف المكتوب.

٢ ــ والإيمان أيضاً شهادة

الإيمان شهادة على كل مؤمن أن يشهد بها. لكنها وظيفة الأسقف الكبرى.

المهمة الأولى للأسقف في الكنيسة والعالم هي حفظ « وديعة الإيمان » وتسليمها لخلفاء أمناء أكفاء (٢ تيم ٢: ٢).

المهمة الثانية للأسقف هي الشهادة للدعوة المسيحية، « الإيمان الذي في المسيح يسوع » (٢ تيم ٢: ١٤ ــ ١٥): « فلا تخجل من تأدية الشهادة لربنا » (٢ تيم ١: ٨).

المهمة الثالثة للأسقف هي تفصيل العقيدة على الصواب: « اجتهد أن تسلك أمام الله كرجل مختبر، كعامل لا شبهة عليه، **يفصل قول الحق بإحكام** » (٢ تيم ٢: ١٥). ــ وترجمة مرادفة: « يفصل دعوة الحقيقة بإحكام ».

وهذه هي وظيفة الأسقف، خليفة الرسول، الكبرى. وبولس يصفها بقوله: « ادع بكلام الله، واعكف على ذلك في وقته وفي غير وقته! حاجج ووبّخ، وعظ بكل أناة، وبجميع أساليب التعليم... واعمل عمل الإنجيلي! وأوف خدمتك حقك » (٤: ٢ و٥). فالأسقف هو «**الإنجيلي**» الأكبر بحفظ الإنجيل، ويبلغه، ويفصله بكل أساليب التعليم. وهكذا يوفي خدمته حقها.

بهذه الوظيفة يكون الأسقف « **رجل الله** » يستعين بالكتاب القدسي لتفصيل الإنجيل، بأساليب « التعليم والدفاع والتقويم والتهذيب بحسب البرّ » (٣: ١٩).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وتفصيل كلام الله بإحكام يكون بموجب « التعليم القويم »، في « الصيغة » الرسولية المعهودة والمشهودة، الموروثة بالإجماع والتواتر، في « كنيسة الله الحي، عمود الحقيقة وقاعدتها » (١ تيم ٣: ١٥). فصحة الشهادة الرسمية تقوم على الإجماع والتواتر في الكنيسة، بحسب السلطان الرسولي الموروث، « القادر على التعليم » (٢: ٢٤)، « بعون الروح القدس الساكن فينا، لحفظ الوديعة الكريمة » (٢ تيم ٢: ١٤).

فالإيمان عقيدة وشهادة وجهاد.

٣ ـ الإيمان جهاد في سبيل المسيح، على مثال بولس

بولس يأخذ تعبير الجهاد بمعناه الموضوعي، التجنّد للمسيح: « احتمل قسطك من المشاق **كجندي صالح** للمسيح يسوع. فإن مَن تجنّد لا يرتبك في شؤون الحياة، إرضاءً للذي جنّده » (٢: ٤). فالميرون يخلق في المسيحي قوة الدفاع عن المسيحية وواجبه. ويأتي الكهنوت فيحوّل التجند للمسيح مهنة حياة. **والأسقف هو المجاهد الأول** في سبيل المسيح. لذلك يردّد بولس لتلميذه ونائبه: « ادع بكلام الله، واعكف على ذلك في وقته وفي غير وقته » (٤: ٢). فشغله الشاغل هو الجهاد في سبيل الإيمان.

وهذا الجهاد له ناحيتان: إيجابية وسلبية.

الناحية الإيجابية هي **إعلان الدعوة** أي « تفصيل قول الحق بإحكام » (٢: ١٥) وذلك « بجميع أساليب التعليم » (٤: ٢). فتعليم الإنجيل هو واجب الأسقف الأكبر في جهاده.

والناحية السلبية هي **الدفاع عن الدعوة**، بحمايتها من الخارج ضدّ المتهجمين عليها، وحمايتها من الداخل ضدّ المنحرفين، أهل البدعة وأهل الردّة، الذي بدؤوا يظهرون بين المسيحيين. فهم يفسرون الإنجيل على هواهم، مثل هيميناس وفيليتس اللذان زاغا عن الحقيقة بزعمهما أن « القيامة قد تمت » (٢: ١٧). وهذا الانحراف عن الحقيقة المسيحية يسميه بولس « هرطقة » (تيطس ٣: ١٠). فذهب تعبيره الحرفي اصطلاحاً كلاميّاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وإذا كان الدفاع عن الإنجيل حق وواجب كل مؤمن، فهو بالحري وظيفة الأسقف في الكنيسة.

لذلك يوصي بولس تيموتاوس بالاعراض عن المنافقين في التعليم (٣: ١ ــ ٥) وهم أهل البدعة؛ وعن المعارضين للحقيقة، وهم « أناس فاسدو الرأي منبوذون من الإيمان » (٣: ٦ ــ ٩)، أهل الردّة. لقد كان لغياب بولس عن مسرح الدعوة آثار سيئة. فيحاول أن يكافح تلك المفاسد.

إن الجهاد بإعلان الدعوة والدفاع عنها هو **الشهادة الكبرى**: « فلا تخجل بتأدية الشهادة لربنا، ولا بي أنا أسيره! بل اشترك في مشاق الإنجيل، بقوة الله » (١: ٨).

وله في معلمه بولس القدوة الحسنة: « لقد جاهدت الجهاد الجميل، وأتممت شوطي، وحفظت الإيمان » (٤: ٦). وتيموتاوس هو الشاهد الأمين، فعليه أن يقتفي سلوك معلمه: « وأنت فقد تبعتني في تعليمي وسيرتي ومشاريعي! وفي إيماني وحلمي، ومحبّتي وصبري! وفي الاضطهادات والآلام التي انتابتني في أنطاكية وايقونية وليسترة. فأيّ اضطهادات قاسيت! والرب أنقذني منها جميعاً » (٣: ١٠).

ويبقى السيد المسيح **المثال الأعلى** في الجهاد حتى الاستشهاد: « اذكر يسوع المسيح، المتحدّر من نسل داود، الذي أُقيم من بين الأموات، بحسب إنجيلي، الذي أحتمل فيه المشقات، حتى القيود، كمجرم »! (٢: ٨ ــ ٩) « مخلصنا يسوع المسيح الذي أباد الموت، وأبان الحياة والخلود، بواسطة الإنجيل » (١: ١٠).

والجهاد المسيحي في سبيل الإيمان الحق له **إحدى الحُسْنَيَين**: إمّا شهادة بإقامة ملكوت الله والمسيح في الأرض، وأمّا استشهاد يؤتي الخلاص في ملكوتها السماوي (٤: ١٨).

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً: الاستشهاد في الجهاد

إنه إحدى الحسنيين، وأفضلهما. وما أبلغ الدعوة إلى الجهاد حتى الاستشهاد على عتبة الإعدام! إنه « أسير المسيح »، « يحتمل المشقات، حتى القيود كمجرم »! (٢: ٩). هذا صليب المسيح، وبولس لا يستحي به، « لأن جميع الذين يريدون أن يحيوا في التقوى بحسب يسوع المسيح يُضطهدون » (٣: ١٦). **فالاضطهاد والجهاد** هما ميزتا المسيحي، فكم بالحري « رجل الله » الأسقف، مثل تيموتاوس!

والميزة الكبرى، والنعمة العظمى، هي **الاستشهاد في سبيل الإيمان**، بثقة في المسيح تتحدى الموت: « لذلك احتمل هذه البلايا أيضاً! ولكني لا أخزى لأني عارف بمن آمنت! وأنا موقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم » الذي يتجلى فيه، رب العالمين وملك يوم الدين (١: ٨ ــ ١٢).

إن بولس يستشهد في سبيل المسيح، وفي سبيل المسيحيين أيضاً. وهذه الفكرة تجعل الكلام يتفجر منه نظماً: « اذكر يسوع المسيح المبعوث من بين الأموات، وهو من ذرية داود، بحسب إنجيلي، الذي في سبيله أتحمل المكاره، بين القيود، كمجرم! ولكن كلام الله لا يُقيّد! » (٢: ٨ ــ ١١).

ما أحلى الاستشهاد في سبيل المسيح والإنجيل! وبولس يستشهد بنشيد يردده المسيحيون: « صادق القول:

« فإذا متنا معه حيينا معه! وإذا صبرنا ملكنا معه!
وإذا أنكرناه أنكرنا هو أيضاً وإذا لم نكن أوفياء، ظل هو وفياً!
لأنه لا يقدر أن ينكر نفسه » (٢: ١١ ــ ١٣)

لقد جاهد بولس، في سبيل المسيح، حتى النهاية. وقد أزفت الآزفة، وحان يوم الاستشهاد. وبولس يتقدم منه بثقة وفرح، وهو ينشد بفرح **نشيد العقاب** قبل مصرعه:

« هاءَنذا أُراق سكيباً! وحان وقت انحلالي!
لقد جاهدت الجهاد الجميل! وأتممت شوطي، وحفظت الإيمان!

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ها قــد أعــدّ لي إكليــل البــر   يجزيني به الرب في ذلك اليوم،
وهو الديان العادل، لا أنا وحدي   بل جميــع محبــي تجلــّيه »!
(٢ تيم ٤: ٦ ــ ٨)

لا يفرح بالموت، ولا ينشد للاستشهاد، إلاّ المسيحي البطل مثل بولس! هذا هو الجهــاد المسيحي حتى الاستشهاد!

تلك هي وصية بولس الأخيرة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ملحق برسائل بولس

المكتوب إلى « فيلمون »

هذا المكتوب مرتبط بالرسالة إلى الكولوسيين. وفيها يخبرهم بولس أنه يرسل إليهم تيخيكس، الأخ الحبيب، ليطلعهم على أحواله؛ ومعه « أونسيموس، الأخ الأمين الحبيب، الذي هو منكم. فهما يخبرانكم بجميع ما جرى لنا » (كول ٣: ٧ ــ ٩).

أولاً: ظروف المكتوب

١ ــ فزمان المكتوب ومكانه مرتبطان بالرسالة إلى الكولوسيين. وحامل الرسالة والمكتوب واحد، وهو تيخيكس، مبعوث بولس في كولوسي وضواحيها.

٢ــ **أونسيموس عبد** لوجيه نبيل، اسمه فيلمون. وكلاهما من كولوسي. هرب العبد من عند معلمه. وبما أنه يعرف صداقة بولس لمعلمه، لحق به إلى رومة، يشكو له حاله. « فولده بولس في الإيمان، وهو في القيود ». وردّه إلى معلمه، بصحبة تيخيكس، مع هذا المكتوب.

٣ ــ **فيلمون** هو « حبيبنا ومعاوننا ». ربما هداه بولس إلى الإيمان، وهو يعلم في أفسس، بمدرسة تيرنّس. فصار من زعماء المسيحية وحماتها في كولوسي، يفتح بيته لاجتماع المسيحيين فيه (٣).

٤ ــ والمكتوب إلى فيلمون آية في فنّ المراسلة، مثل مكتوب الشكر لأهل فيلبي (٤: ١٠ ــ ٢٠). وهذه الموافقات الثلاث في المكتوبين والرسالة شهادة بصحتها جميعاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٥ ــ **الموضــوع**، وساطة بولس للعبد. يوجز فيه كل الأسباب التي يعجز بها فيلمــون عن ردّ وساطته.

ثانياً: المكتوب مثال للإعجاز في البيان والتبيين.

فهو يشمل ببراعة ستة عشر سبباً للصفح عن أونسيموس.

١) منذ العنوان فيلمون هو « حبيبنا ومعاوننا »؛ وفي « بيته تجتمع الكنيســة » (١ ــ ٢).

٢) وبولس يفخر لسماعه ما عليه فيلمون من محبة وإيمان للــرب يســوع، ولجميــع القديسين. وهذا الإيمان المشترك يحملنا على صنع العظائم (٤ ــ ٧) ـــ هــذا هــو حســن التخلص إلى الموضوع.

٣) يحق لبولس، بسلطانه الرسولي، أن يأمر فيلمون بالواجب عليه؛ لكنه يفضل طريق التوسل باسم المحبة (٨ ــ ٩).

٤) « فأنا بولس، بولس الشيخ، وفوق ذلك أسير المسيح يسوع الآن أســتعطفك » (٩) فهذه الصفات لا تقبل ردّ الطلب.

٥) « أستعطفك لأجل **ولدي**، الذي ولدته في **القيود**، أونسيموس! نفسه » (١٠) لاحظ لغة الطلب التي لا ترد؛ وصفة العبد الذي صار ولداً بالإيمان لبولس، وقد ولده في القيود: فهل يمكن رفض الوساطة؟ ولاحظ الإعجاز في المقدمات قبل ذكر اسم العبد، فلا مجال للســيد أن يثور من ذكر اسم عبده المتمرد!

٦) « لم ينفعك من قبل؛ ولكنه من الآن سيكون لك، كما صار لي، نافعاً جــداً » (١١) فاختبار بولس للعبد يكفي لتطمين فيلمون.

٧) « فأنا أردّه إليك، هو، بل أحشائي بعينها »! (١٢). فهــل يســتطيع **فيلمــون** أن يرفض مَن صار « أحشاء » بولس؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٨) « وكنت أود أن أحتفظ به عندي ليخدمني عنك، في قيودي لأجل الإنجيل! غير أني كرهت أن أفعل شيئاً دون رأيك، لكي لا يكون إحسانك عن اضطرار، بل عن اختيار » (١٣ ــ ١٤). أي إذا لم تقبله فرده إليّ! وفي ذلك إهانة لن يقدم عليها فيلمون، ولو كانت مستورة بالتبرع به لخدمة بولس.

٩) فراقه كان هنيهة، ورجوعه سيكون إلى الأبد (١٥) فهو تائب توبة خالصة.

١٠) يرجع إليك « لا كعبد بعد، بل كأخ حبيب، إليّ خصوصاً، فكم بالحري إليك أنت، بحسب العالم، وبحسب الرب » (١٦). والأخ لا يرد أخاه، خصوصاً إذا كان حبيباً ديناً ودنيا.

١١) « فإنْ كنت إذن تعتبرني واحداً معك، فاقبله قبولك لي أنا نفسي » (١٧). فهل يستطيع فيلمون، تلميذ بولس، أن يرد بولس؟

١٢) « وإنْ كان قد أضرَّ بك في شيء، أو لك عليه دين، فاحسب ذلك علي: أنا بولس ــ وأتعهد بذلك بخط يدي ــ أنا أفي »! (١٨ ــ ١٩). فهل تُرد كفالة بولس؟ ألا تعني هذه الكفالة توريةً بالمسامحة بالضرر أو الدين؟ ما أبرع هذه التورية!

١٣) « ولست أقول إنك مديون لي حتى بنفسك أيضاً » (١٩). هنا ينتقل من التورية إلى التضمين في طلب المسامحة بالدين.

١٤) « أجل، أيها الأخ، أثلج صدري في الرب! وأرح أحشائي في المسيح! » (٢٠) هنا يرتفع بولس إلى الاستشفاع بالمسيح وبنفسه. لقد كسب الدعوى.

١٥) ويستنتج: « وإني أكتب إليك لثقتي بطاعتك! بل إني على يقين إنك ستفعل أكثر ممّا أطلب » (٢١). تورية جديدة لالتماس تحرير العبد المسيحي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١٦) « وإلى ذلك أعدّ لي منزلاً، فإن لي رجاء أني سأرد إلـيكم بصـلواتكم » (٢٢). في ذلك استدراك للمستقبل يحمل فيلمون على عدم التردد. وفيه وعد بـرد الجميـل بزيـارة شخصية ينزل فيها بولس في بيته، وهذا أقصى ما يمكن أن يحلم به فيلمون على معروفه.

فكل آية من هذا المكتوب برهان في المحبة والإخلاص، وعبقرية فـي الاسـتعطاف النبيل الذي لا يُرد، خصوصاً من معلم في الإيمان مثل بولس.

هذا هو الكتاب المعجز في فن المراسلة.

وهو صورة حية لشخصية الرسول وعبقريته، في رسائله.

ففيه حسن الختام لرسائل بولس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

[Blank Page]

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فهرس

الكتاب الأول ــ الجزء الثاني ــ الرسائل ٣٠٧

تقديم ٣٠٩

بحث أول : نظرة شاملة في رسائل بولس ٣٠٩
أولاً : نظرة تاريخية ٣١٠
ثانياً : نظرة أسلوبية ٣١٢
ثالثاً : نظرة أثرية ٣١٣
رابعاً : نظرة تنسيقية ٣١٥

بحث ثانٍ : « النصرانية » والمسيحية في رسائل بولس ٣١٦
١ ــ انقسام أهل الإنجيل إلى « نصارى » ومسيحيين ٣١٦
٢ ــ صراع بولس كان كله مع النصارى من بني إسرائيل ٣١٧
٣ ــ تطور الصراع في العهود الثلاثة ٣١٨

•

تمهيد: الرسالتان إلى التسالونيكيين ٣٢٤

مقدمة عامة : تسالونيكية وكنيستها ومناسبة الرسالتين ٣٢٤

بحث أول : **الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين** ٣٢٦
توطئة : قيمتها البالغة ــ إنها التسجيل الأول للدعوة ٣٢٦
باب أول : تمهيد للرسالة التسالونيكية الأولى ٣٢٧
١ ــ ظروف مناسبتها ٣٢٧
٢ ــ صحة الرسالة ٣٢٧

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثانٍ : تحليل الرسالة التسالونيكية الأولى ٣٢٨
القسم الأول : ذكرى دعوة بولس في تسالونيكية ٣٢٩
القسم الثاني : بعثة تيموتاوس إليهم ٣٣٠
القسم الثالث : تكميل تعليمهم في إيمانهم ٣٣٠

باب ثالث : تعليم الرسالة التسالونيكية الأولى ٣٣١
أولاً : الدعوة المسيحية الأولى بين الأمميين ٣٣١
ثانياً : « يوم الرب » أو اليوم الآخِر ٣٣٢
ثالثاً : تعليم بولس و« السنن » الرسولية ٣٣٦
رابعاً : السلوك المسيحي ـــ شرائعه الخمس ٣٣٨

بحث ثانٍ : **الرسالة الثانية إلى التسالونيكيين** ٣٤٠
توطئة : رسائل بولس إلى التسالونيكيين تعدّدت ٣٤٠
باب أول : تمهيد للرسالة التسالونيكية الثانية ٣٤١
١ ـــ صحة الرسالة ٣٤١
٢ ـــ زمن الرسالة ٣٤٢
٣ ـــ مكان الرسالة ٣٤٣
٤ ـــ مناسبة الرسالة هو موضوعها ٣٤٣

باب ثانٍ : تحليل الرسالة التسالونيكية الثانية ٣٤٤
القسم الأول : شكر وثناء ودعاء على ثباتهم ٣٤٤
القسم الثاني : أشراط الساعة لرجعة الرب ٣٤٤
القسم الثالث : الواجبات في السلوك المسيحي ٣٤٥

باب ثالث : تعليم الرسالة التسالونيكية الثانية ٣٤٥
أولاً : زمن « يوم الرب » وأشراط الساعة ٣٤٥
ثانياً : « اليوم الآخر » في المسيحية ٣٤٧
ثالثاً : هل توهموا رجعة المسيح على حياتهم؟ ٣٤٩

●

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الأول: الرسائل الكلامية ٣٥١

تقديم : المسيحية ما بين الشريعة والحكمة ٣٥٢

بحث أول : **الرسالة إلى الغلاطيين** ٣٥٤
توطئة : قيمة الرسالة ٣٥٤

باب أول : تمهيد للرسالة الغلاطية؟ ٣٥٥
أولاً : من هم الغلاطيون المذكورون ٣٥٥
ثانياً : أخصام بولس في غلاطية ــ ومناسبة الرسالة ٣٥٠
ثالثاً : الرسالة الغلاطية ومجمع الرسل بأورشليم ٣٦٢
رابعاً : خلاف أنطاكية والرسالة إلى الغلاطيين ٣٦٥
خامساً : مكان وزمان صدور الرسالة ٣٦٨
سادساً : صحة الرسالة ٣٧٠
سابعاً : وحدة الرسالة ٣٧١
ثامناً : موضوع الرسالة ٣٧١

باب ثانٍ : تحليل الرسالة الغلاطية ٣٧٢
القسم الأول : رسول الحرية المسيحية (قسم السيرة) ٣٧٢
القسم الثاني : إنجيل الحرية المسيحية (قسم العقيدة) ٣٧٣
القسم الثالث : حياة الحرية المسيحية (قسم السلوك) ٣٧٤

باب ثالث : تعليم الرسالة الغلاطية ٣٧٦
أولاً : إنجيل بولس وإنجيل المسيح ٣٧٦
ثانياً : أخصام بولس في غلاطية ٣٧٨
ثالثاً : ما بين الشريعة والإنجيل ٣٨١
رابعاً : مأساة تحرير المسيحية من الموسوية ٣٨٤
خامساً : الحياة المسيحية بحسب الرسالة الغلاطية ٣٨٦
سادساً : الرسالة الغلاطية صورة حية لبولس ٣٨٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثان	**: الرسالة الأولى إلى الكورنثيين**	٣٩٠
توطئة	: قيمة الرسالة في الدعوة المسيحية	٣٩٠
باب أول	: تمهيد للرسالة الكورنثية الأولى	٣٩١
أولاً	: مدينة كورنثس على زمن الدعوة المسيحية	٣٩١
ثانياً	: تأسيس المسيحية في كورنثس	٣٩٢
ثالثاً	: مناسبة الرسالة وأسبابها	٣٩٥
رابعاً	: الأحزاب الشخصية في كورنثس	٣٩٧
خامساً	: وحدة الرسالة الكورنثية الأولى	٣٩٩
سادساً	: مكان صدور الرسالة	٤٠١
سابعاً	: زمان صدور الرسالة	٤٠١
ثامناً	: صحة الرسالة الكورنثية الأولى	٤٠٢
تاسعاً	: أسلوب الرسالة	٤٠٣
عاشراً	: موضوع الرسالة	٤٠٣
باب ثانٍ	: تحليل الرسالة الكورنثية الأولى	٤٠٤
القسم الأول	: فضل الإنجيل على الحكمة	٤٠٤
القسم الثاني	: فتاوي في أسئلتهم	٤٠٧
القسم الثالث	: الحرية المسيحية والوثنية	٤١٠
باب ثالث	: تعليم الرسالة الكورنثية الأولى	٤١٣
أولاً	: المسيحية والحكمة اليونانية	٤١٣
ثانياً	: الحياة المسيحية في البيئة الكورنثية الفاسدة	٤١٧
ثالثاً	: السلطة والسُنّة في المسيحية	٤٢٣
رابعاً	: القيامة في اليوم الآخِر	٤٢٦
خامساً	: القربان المسيحي « عشاء الرب »	٤٢٩
سادساً	: الزواج المسيحي	٤٣٧
سابعاً	: الكنيسة « جسد المسيح » ــ « المسيح الكلي »	٤٤٠

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث ثالث	**: الرسالة الثانية إلى الكورنثيين**	٤٤٦
توطئة	: قيمة هذه الرسالة الثانية، وقيمة الرسول فيها	٤٤٦
باب أول	: تمهيد للرسالة الكورنثية الثانية	٤٤٧
أولاً	: مناسبة الرسالة	٤٤٧
ثانياً	: أخصام بولس في كورنثس ــ جمع خليط معارض	٤٥١
ثالثاً	: وحدة الرسالة الثانية إلى الكورنثيين	٤٥٤
رابعاً	: زمان ومكان كتابة الرسالة	٤٥٨
خامساً	: صحة الرسالة الثانية إلى الكورنثيين	٤٥٩
سادساً	: موضوع الرسالة الثانية القانونية	٤٥٩
باب ثانٍ	: تحليل الرسالة الكورنثية الثانية	٤٦٠
القسم الأول	: الدفاع عن رسالته وتعليمه	٤٦٠
القسم الثاني	: تحريض على التبرّع لكنيسة أورشليم	٤٦٢
القسم الثالث	: الدفاع عن شخصه وسلطانه	٤٦٢
باب ثالث	: تعليم الرسالة الكورنثية الثانية	٤٦٥
أولاً	: فضل العهد الجديد على القديم ــ سبعة فوارق	٤٦٥
ثانياً	: فضل الرسالة المسيحية على الرسالة الموسوية	٤٦٨
ثالثاً	: بولس مثال الرسول المسيحي	٤٧٠
رابعاً	: المسيحي « خليقة جديدة »	٤٧٤
خامساً	: التوحيد والتثليث تجاه الحكمة الهلّينية	٤٧٦
سادساً	: الوحدة والحرية والاشتراكية في « البعث » المسيحي	٤٨٥
	١ ــ شعار الوحدة	٤٨٧
	٢ ــ شعار الحرية	٤٨٨
	٣ ــ شعار الاشتراكية	٤٩٠
سابعاً	: جهاد بولس في أزمة كورنثس	٤٩١

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث رابع	: **الرسالة إلى الرومانيين**	٥٠١
توطئة	: فضل الإنجيل على الشريعة والحكمة	٥٠١
باب أول	: تمهيد للرسالة الرومانية	٥٠٣
أولاً	: رومة ــ واليهودية والمسيحية	٥٠٣
ثانياً	: مناسبة الرسالة	٥٠٥
ثالثاً	: صحة الرسالة	٥٠٧
رابعاً	: وحدة الرسالة	٥٠٧
خامساً	: غاية الرسالة: دفاعية أم تعليمية؟	٥١١
سادساً	: مكان الرسالة وزمانها	٥١٢
سابعاً	: أسلوب الرسالة الرومانية	٥١٣
ثامناً	: موضوع الرسالة	٥١٥
باب ثانٍ	: تحليل الرسالة الرومانية	٥١٥
القسم الأول	: الإنجيل والإنسان	٥١٦
القسم الثاني	: الإنجيل وإسرائيل	٥٢٠
القسم الثالث	: الإنجيل والمسيحي	٥٢١
باب ثالث	: تعليم الرسالة الرومانية	٥٢٤
توطئة	: الرسالة الرومانية تفصيل أول للإنجيل	٥٢٤
أولاً	: فضل الإنجيل على الشريعة وعلى الحكمة	٥٢٥
	١ ــ عجز الشريعة والحكمة عن الخلاص	٥٢٥
	٢ ــ تاريخ الخلاص في العالم	٥٣٠
	٣ ــ قصة الإيمان على الأرض	٥٣٣
ثانياً	: الخلاص في « برّ الله » بالمسيح والإنجيل	٤٣٥
	١ ــ الإيمان والبر والخلاص قيم ثلاث متكافلة	٥٣٦
	٢ ــ مقومات البرّ والخلاص في الإيمان	٥٣٧
	٣ ــ مفاعيل الخلاص والبرّ	٥٣٨
	٤ ــ صفة الخلاص والبر في الإيمان ــ هبة مجانية	٥٣٩

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً : الإيمان شرط الخلاص والبرّ ٥٤٠
١ ــ الإيمان في لغة بولس ٥٤٠
٢ ــ موضوع الإيمان المسيحي ٥٤٢
رابعاً : العماد المسيحي هو واسطة الخلاص والبر ٤٥٦
١ ــ العماد شركة في موت المسيح وقيامته ٥٤٦
٢ ــ العماد صلة كيانية وجودية حياتية بالله الثالوث ٥٤٧
١) إنه « التبني » لله الآب ٥٤٧
٢) إنه « تجسيدنا » في المسيح ٥٤٩
٣) إنه إحياء بروح الله والمسيح ٥٤٩
٣ ــ ميزاته: « خليقة جديدة »، « حياة جديدة »، ٥٥٠
خامساً : الحياة المسيحية ٥٥١
١ ــ في عهد الروح ٥٥١
٢ ــ ونظام الروح: فضائل الروح ومواهبه فينا ٥٥٢
٣ ــ بناموس الروح: المحبة، صورة ذاته ٥٥٢
سادساً : مشكل كفر إسرائيل بيسوع المسيح ٥٥٣
سابعاً : نظام الشريعة ونظام النعمة ــ ثمان مقابلات ٥٥٥
خاتمة الفصل : إعجاز المسيحية على الشريعة والحكمة ٥٥٧

•

الفصل الثاني: الرسائل الصوفية ٥٥٩

تقديم : الرسائل الصوفية هي العرْضة الثانية للإنجيل ٥٦١
١ ــ الإنجيل يتحدّى الغنوص الناشئة ٥٦٢
٢ ــ الوحدة اللغوية والتعليمية والزمانية والمكانية فيما بينها ٥٦٢
٣ ــ صحة الرسائل الصوفية الثلاث على الإجمال ٥٦٥
٤ ــ موضوع الرسائل الصوفية ٥٦٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث أول	: **الرسالة إلى الفيلبييّن**	٥٦٨
توطئة	: مكانة الرسالة من المجموعة البولسية	٥٦٨
باب أول	: تمهيد للرسالة الفيلبية	٥٦٩
أولاً	: فيلبي وكنيستها	٥٦٩
ثانياً	: مناسبات الرسالة ووحدتها البيانية	٥٧٠
ثالثاً	: وحدة الرسالة القانونية وزمانها ومكانها	٥٧٤
رابعاً	: صحة الرسالة وأسلوبها الشخصي	٥٧٦
خامساً	: أخصام بولس في الرسالة	٥٧٦
سادساً	: موضوع الرسالة	٥٧٨
باب ثانٍ	: تحليل الرسالة الفيلبية	٥٧٨
القسم الأول	: الجهاد في سبيل الإنجيل	٥٧٩
القسم الثاني	: تحذير من النصارى من بني إسرائيل	٥٧٩
القسم الثالث	: مكتوب شكر على تبرّعهم له	٥٧٩
باب ثالث	: تعليم الرسالة الفيلبية	٥٨٠
أولاً	: سر المسيح في ذاته ــ النشيد الفيلبي	٥٨٠
	١ ــ ظاهرة النشيد وموضوعه	٥٨٠
	٢ ــ مصادر النشيد	٥٨١
	٣ ــ النشيد إعلان لإلهية المسيح وبشريته معاً	٥٨٣
	٤ ــ في قيامة المسيح ظهرت إلهيته في بشريته	٥٨٤
	٥ ــ لا تعارض في العقيدة بين الرسائل الصوفية والكلامية	٥٨٥
ثانياً	: « الغنوص السامية » في المسيحية	٥٨٧
ثالثاً	: الجهاد حتى الاستشهاد	٥٨٩
رابعاً	: الفرح المسيحي في الجهاد والاضطهاد	٥٩١
بحث ثان	: **الرسالة إلى الكولوسيين**	٥٩٣
توطئة	: الرسالة ذروة الكلام الصوفي عند بولس	٥٩٣

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول	: تمهيد للرسالة الكولوسية	٥٩٤
أولاً	: ولاية « آسيا » الرومانية والدعوة المسيحية	٥٩٤
ثانياً	: كنيسة كولوسي	٥٩٦
ثالثاً	: مناسبة الرسالة	٥٩٧
رابعاً	: صحة الرسالة	٥٩٩
	١ ـ صحة النشيد الكولوسي	٥٩٩
	٢ ـ الفوارق ما بينها وبين الرسائل الكلامية لا تطعن فيها	٦٠١
	٣ ـ صحتها تظهر من المقارنة التفصيلية بالرسائل الكلامية	٦٠٥
خامساً	: وحدة الرسالة	٦٠٧
سادساً	: مكان الرسالة وزمانها وحاملها	٦٠٩
سابعاً	: موضوع الرسالة	٦١٢
باب ثانٍ	: تحليل الرسالة الكولوسية	٦١٢
القسم الأول	: المسيح هو « الأول في الكل » (خدمة العماد)	٦١٢
القسم الثاني	: كلام الله الكامل في « السر » وفي « الملء »	٦١٢
القسم الثالث	: المسيح سر « الإنسان الجديد » (عظة العماد)	٦١٣
باب ثالث	: تعليم الرسالة الكولوسية	٦١٤
أولاً	: « سر المسيح » في الكون ـ النشيد الكولوسي	٦١٤
	١ ـ المسيح بالنسبة لله: « صورة الله »، « المبدأ »	٦١٧
	٢ ـ بالنسبة للخلق: « بكر الخليقة »، « بكر المبعوثين »	٦٢١
	٣ ـ المسيح بالنسبة لذاته	٦٢٤
	١) « الأول في الكل »، « الكل في الكل »	٦٢٤
	٢) المسيح هو « الملء كله »	٦٢٥
	٤ ـ المسيح بالنسبة لدوره ومنزلته من الإنسان والكون	٦٢٧
	١) « المسيح الرأس »	٦٢٧
	آ) المسيح « رأس الجسد، الكنيسة »	٦٢٩
	ب) المسيح « رأس » الملائكة	٦٣٠

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ج) المسيح « رأس » الكون كله ٦٣٠
٢) المصالحة الكونية بالمسيح ٦٣١
٥ ـ المسيح الكوني ٦٣٣
١) عمل المسيح في دورة التكوين ٦٣٣
ـ « فيه خُلق الكل » ـ فهو العلة المثالية ٦٣٣
ـ « به يخلق الكل » ـ فهو العلة السببية ٦٣٤
ـ « وله يخلق الكل » ـ فهو العلة الغائية ٦٣٥
ـ « وفيه يقوم الكل » ـ فهو العلة الحافظة ٦٣٦
٢) عمل المسيح في دورة تجديد الكون ٦٣٧
ـ « وهو نفسه قبل الكل » ٦٣٨
ـ « الأول في الكل » ٦٣٨
ـ « الكل في الكل » ٦٣٨
ختام : هذا هو المسيح الكوني في دورتي الخلق ٦٣٩
ثانياً : في المسيح « سر الله » وسر « الإنسان الجديد » ٦٤٠
١ ـ « المسيح هو سر الله » ٦٤٠
٢ ـ المسيح هو سر الكون ٦٤٢
٣ ـ المسيح سر « الإنسان الجديد » ٦٤٣
ثالثاً : الخلاص ما بين دعوة الإنجيل و« سر الإنجيل » ٦٤٤
١ ـ الخلاص في المسيح وحده ٦٤٥
٢ ـ مراحل الخلاص بالمسيح ٦٤٥
٣ ـ الخلاص بالمسيح يخلق « الإنسان الجديد » ٦٤٦
٤ ـ المدى الإنساني والمدى الكوني للخلاص بالمسيح ٦٤٦
رابعاً : المعرفة الذوقية « لسر الله، المسيح » ٦٤٨

بحث ثالث : **الرسالة إلى الأفسسيين** ٦٥١
توطئة : إنها موجز الإنجيل الصوفي، بحسب بولس ٦٥١

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول : تمهيد للرسالة الأفسسية ٦٥٣
أولاً : واقع الرسالة ومناسبتها التاريخية ٦٥٣
ثانياً : مَن هم أهل الرسالة المسماة « إلى الأفسسيين »؟ ٦٥٧
١ ـ الشبهات القائمة على هذه النسبة ٦٥٧
٢ ـ تفسير الواقع الثلاثي المتشابه في نسبتها ٦٥٨
ثالثاً : صحة الرسالة إلى الأفسسيين ٦٦١
١ ـ الشبهة البيانية ٦٦١
٢ ـ الشبهة التعليمية ٦٦١
٣ ـ الشبهة الكبرى: اقتباسها المكشوف عن الكولوسية ٦٦٤
رابعاً : أفسس وكنيستها ٦٦٦
خامساً : موضوع الرسالة ٦٦٩

باب ثانٍ : تحليل الرسالة الأفسسية ٦٧٠
القسم الأول : « سر المسيح » في الكنيسة ٦٧٠
القسم الثاني : كشف هذا السر ٦٧١
القسم الثالث : وحدة الكنيسة ٦٧١

باب ثالث : تعليم الرسالة الأفسسية ٦٧٣
توطئة : « سر المسيح » في الكنيسة والإنسانية ٦٧٣
أولاً : تصميم الخلاص، في تدبير الله الآب ـ النشيد الأفسسي ٦٧٥
ثانياً : تنفيذ الخلاص، بالمسيح الابن، في الكنيسة ٦٨٠
١ ـ سر المسيح في ذاته ٦٨٠
٢ ـ دور المسيح في الكون ٦٨٠
٣ ـ منزلة المسيح من الكنيسة والإنسان ٦٨٣
١) الكنيسة « جسد المسيح »، والمسيح « رأس الجسد » ٦٨٣
٢) الكنيسة « ملء المالئ الكل في الكل » ٦٨٧

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً : تحقيق الخلاص المسيحي، بالروح القدس ٦٨٩
١ ـ الروح القدس هو روح الكنيسة الذي يبنيها ويحييها ٦٩٠
٢ ـ الروح القدس يحيي المسيحيين بحياة المسيح، البنوة الإلهية ٦٩١
٣ ـ حالة « الروح » تخلق فطرة جديدة في المسيحي والكنيسة ٦٩١
٤ ـ من عمل الروح القدس ندرك أنه ذات إلهية ٦٩٢
رابعاً : الكنيسة هي بيئة الخلاص ٦٩٣
١ ـ كيف صارت الكنيسة بيئة الخلاص ٦٩٤
٢ ـ محور الرسالة وحدة الكنيسة ٦٩٤
٣ ـ موانع الوحدة في الكنيسة ٦٩٥
٤ ـ فالمسيح هو محور الخلاص والكنيسة بيئته ٦٩٦
خامساً : بولس الأسير ٦٩٧
خاتمة الفصل : إنجيل بولس الصوفي ٧٠٠

●

الفصل الثالث: الرسائل الراعوية ٧٠٣

تقديم عام : منزلة « الرسائل الراعوية » من رسائل بولس ٧٠٤
أولاً : العقد التاريخي الخطير من الدعوة الرسولية ٧٠٥
ثانياً : بولس، الراعي « الشيخ » بين الأسرين ٧٠٦
١ ـ الرحلة إلى إسبانيا ٧٠٧
٢ ـ المرور بكريت ـ رسامة تيطس راعياً عليه ٧٠٩
٣ ـ الرجوع إلى أفسس، ورسامة تيموتاوس أسقفاً عليها ٧٠٩
٤ ـ بولس في مكدونية ـ الرسالتان إلى نائبيه ٧١٠
٥ ـ جولة بولس الأخيرة ٧١١
٦ ـ توقيف بولس الأخير عام ٦٧ ٧١١
٧ ـ الأسر الأخير بروما والاستشهاد عام ٦٧ ٧١٢

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ثالثاً : الرسائل الراعوية ــ ميزاتها العامة ٧١٣
١ ــ اسمها ٧١٣
٢ ــ موضوعها ٧١٣
٣ ــ أسلوبها ٧١٤
٤ ــ ظاهرتان متقابلتان فيها ٧١٤
٥ ــ لغتها ٧١٤
٦ ــ كاتب الرسائل الراعوية الثلاث ٧١٥
رابعاً : الرسائل الراعوية، ما بين صحة الحرف وصحة التراث ٧١٧
١ ــ ليس عليها من شبهة تاريخية: إنها « تكملة » الرسائل ٧١٨
٢ ــ ليس من شبهة في وحدة الأسقف ٧١٩
٣ ــ ليس من شبهة في تعبير « الهرطقة » ٧١٩
٤ ــ ليس من شبهة في لغتها الإغريقية الخالصة ٧٢٠
٥ ــ ليس من شبهة في ظاهرة « التغريق » ٧٢٠
٦ ــ سمات بولس الشخصية فيها تتحدى الانتحال ٧٢٣
٧ ــ صفة بولس، « الشيخ » و« الأسير » تتجلى فيها ٧٢٤
خامساً : صفات التعليم في الرسائل الراعوية ــ سبع ظواهر ٧٢٥
١ ــ التجميع بين التعاليم السابقة ٧٢٥
٢ ــ التأليف بين التعاليم السابقة ٧٢٦
٣ ــ التجميع والتأليف بين الإنجيل والهلنستية ٧٢٦
٤ ــ تطوير التعليم من النظريات إلى العمليات ٧٢٧
٥ ــ تطوير الكلام إلى شئون الحياة اليومية ٧٢٧
٦ ــ تقرّب « النسر » من سائر الرسل بتعليمه العملي ٧٢٨
٧ ــ التركيز على التعليم والتنظيم معاً ٧٢٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بحث أول	**: الرسالة الأولي إلى تيموتاوس**	٧٢٩
توطئة	: الرسالة « وصية » رسولية	٧٢٩
باب أول	: تمهيد للرسالة	٧٢٩
أولاً	: من هو تيموتاوس؟	٧٢٩
ثانياً	: مناسبة الرسالة	٧٣٢
ثالثاً	: زمانها ومكانها وموضوعها	٧٣٤
باب ثانٍ	: تحليل الرسالة الأولى إلى تيموتاوس	٧٣٤
القسم الأول	: الجهاد في سبيل الإيمان الصحيح	٧٣٤
القسم الثاني	: تنظيم المجتمع المسيحي	٧٣٥
القسم الثالث	: السلوك في إدارة الرعية	٧٣٦
باب ثالث	: تعليم الرسالة الأولى إلى تيموتاوس	٧٣٦
توطئة	: الرسالة وثيقة تاريخية لانتقال السلطة	٧٣٦
أولاً	: انتقال السلطة الرسولية إلى التابعين وخلفائهم	٧٣٦
ثانياً	: وظيفة الأسقف الراعي	٧٣٩
ثالثاً	: صورة الراعي الصالح: « رجل الله »	٧٤٢
رابعاً	: ظهور الانحراف والهرطقة في آخر العهد الرسولي	٧٤٥
خامساً	: « الوديعة » و« الوصية » تجاه البدعة والردة	٧٤٩
سادساً	: تنظيم الجماعة المسيحية والعائلة المسيحية	٧٥١
بحث ثانٍ	**: الرسالة إلى تيطس**	
توطئة	: تأسيس المسيحية في بيئة هلنستية محضة	٧٥٣

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب أول : تمهيد للرسالة إلى تيطس ٧٥٤
أولاً : من هو تيطس؟ ٧٥٤
ثانياً : مناسبة الرسالة ٧٥٥
ثالثاً : أسلوبها وموضوعها ٧٥٦

باب ثانٍ : تحليل الرسالة إلى تيطس ٧٥٧
القسم الأول : تنظيم الكهنوت ٧٥٧
القسم الثاني : تنظيم الرعية ٧٥٧
القسم الثالث : تنظيم السلوك ٧٥٧

باب ثالث : تعليم الرسالة إلى تيطس ٧٥٨
أولاً : الأسقف في الكنيسة « وكيل الله » و« نائب الرسول » ٧٥٨
ثانياً : التعليم القويم تجاه الانحراف والهرطقة ٧٦٠
١ ـ نرى في كنيسة كريت « معلمين كثيرين » ٧٦٠
٢ ـ صورة « الإيمان القويم » و« التعليم الصحيح » ٧٦١
٣ ـ صورة « التهذيب » المسيحي في السلوك ٧٦٣
٤ ـ الحياة المسيحية: « التعليم القويم » و« التهذيب المسيحي » ٧٦٤
ثالثاً : الأخلاق المسيحية في المجتمع المسيحي ٧٦٥

بحث ثالث : **الرسالة الثانية إلى تيموتاوس** ٧٦٧
توطئة : إنها وصية بولس الأخيرة ٧٦٧

باب أول : تمهيد للرسالة الثانية إلى تيموتاوس ٧٦٧
مناسبتها : على عتبة الاستشهاد ٧٦٧

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

باب ثانٍ : تحليل الرسالة إلى تيموتاوس ٧٧٠
القسم الأول : تشجيع تيموتاوس على الجهاد أمام الاستشهاد ٧٧٠
القسم الثاني : تحذير من البدعة والردة ٧٧٠
القسم الثالث : بولس أمام الاستشهاد ٧٧١

باب ثالث : تعليم الرسالة الثانية إلى تيموتاوس ٧٧١
توطئة : الرسالة وصية بولس الأخيرة ٧٧١
أولاً : « توصية » أخيرة في عشر وصايا ٧٧٢
ثانياً : الجهاد في سبيل الإيمان، على مثال بولس ٧٧٣
١ ـ الإيمان هو التصديق بالعقيدة ٧٧٤
٢ ـ الإيمان أيضاً شهادة ٧٧٥
٣ ـ الإيمان جهاد على مثال بولس ٧٧٦
ثالثاً : الاستشهاد في الجهاد ٧٧٨

ملحق برسائل بولس: المكتوب إلى فيليمون ٧٨٠

أولاً : ظروف المكتوب ٧٨٠
ثانياً : المكتوب مثال الإعجاز في البيان والتبيين ٧٨٠